

مَضَامِيكَ بِحُرِّيَّةِ عُثْمَانَ

تأليف

أبي بشير محمد شيبه بن نور الدين عبد الله بن حميد السالمى

هتينا لأهل الحق صدق انتصارهم	ويقظتهم في الله والهدى نائم
وفسوا وصايا الله في السخط والرضا	كرائمنا وأفعال الكرام كرائم
فقد وثبوا حيسا بهم	رمى بالكفر منها المخزيات القواصم
وشدوا بعزم الرسل لله غيرة	على قدر أهل العزم تأتي العزائم

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية



مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة

البريد الإلكتروني :

Alsakafa_aldinaya@hotmail.com

هاتف: +٢٠٢٥٩٢٢٦٢٠

فاكس: + ٢٠٢٥٩٣٦٢٧٧

فهرست الهيئة المصرية العامة

لدار الكتب والوثائق القومية :

السالمى، ابي بشير محمد شيبه بن نور الدين عبد الله بن حميد

نهضة الاعيان بحرية عمان

تأليف: ابي بشير محمد شيبه بن نور الدين عبد الله بن حميد السالمى

ط ١ القاهرة :مكتبة الثقافة الدينية ٢٠١٤

عدد الصفحات :

١- عمان - تاريخ

١-العنوان

رقم الايداع : ١٤٣٩٠

الترقيم الدولي: ١-٦١٧-٣٤١-٩٧٧-٩٧٨

مقدمة

سبحان الملك المتعال، الذي لا يغيره تقلب الأحوال، ولا يتطرق على ملكه الدائم الزوال، ولا يتصف سلطانه القديم بالإدبار والإقبال، فله الحمد، تعالى شأنه على كل حال، وصلى الله وسلم على سيد الخلق المبعوث بالحق لتمهيد قوانين العدل، ووضع موازين القسط والفصل، محمد النبي الهادي إلى سبيل الرشاد، الداعي إلى حسم مادة الفساد، واستئصال دائرة الشرك والإلحاد، وقطع شأنه الشقاق والعناد، وعلى آله وصحبه الأئمة.

أمّا بعد؛ فقد عذب عن كثير حال العمانيين وأثرهم العظيم، وحجب عنهم ما لهم من مقام كريم، وخطر جسيم، فحاولت أن أكتب ما استطعت عليه مما وقع لهم في زماننا، من المفاخر الحميدة، والمآثر المجيدة التي استتار بها القطر العماني، من سيرة الإمامين المرشدين: سالم بن راشد الخروصي، ومحمد بن عبد الله الخليلي، وما حظيت به عُمان في أيامهما من الخيرات، وما كان بزمانهما من النوازل والحوادث والفتوحات، وإن كانت يدي قصيرة عن تناول الكل، وهمتي ضئيلة عن نشر الجُلّ؛ ولكن يدعوني لحسر الباع خدمة الوطن العزيز الواجب على أبنائه الأحرار: أن يتنافسوا في تشريفه أكثر من تنافسهم على الدرهم والدينار. فكل ما كتبته مما شاهدته بعيني واطلعت عليه، وما فاتني إلا نزر أخذته من الثقة فضمانه عليه؛ إذ كنت العصا التي يتوكأ عليها سيادة والدي الكريم في جميع أسفاره، وغيبة سره في ليله ونهاره، وهو زعيم الثورة بلا جدال، وبعده لزمّت الإمام الخروصي في سراياه وفتوحاته، وما تخلّفت عن الخليل إلا في بعض أوقاته. ومن الله تعالى أستلهم القبول والهداية، والعون في البداية والنهاية، وسميت هذه المجموع: «نهضة الأعيان البحرية عُمان».

تعريف بعمان

عمان إقليم سلطاني على خليج فارس، وهي كمفتاح للخليج العربي، بالإضافة إلى الموانئ التي تقع على شواطئها، وإلى ثروتها الزراعية وكنوزها الطبيعية، وجنوبيها البحر الهندي والبحر العربي، وشمالها الخليج الفارسي، وهي جزء من جزيرة العرب؛ تمتد من حدود قطر إلى حدود حضرموت، وغير مضبوط عدد سكانها، ولا يوجد بها إحصاء رسمي، ولا اهتمام لأهلها بذلك، وما يذكره المؤرخون إنما هو على التخمين، أو النقل غير المعتبر، ولا يُعرف أول من سكنها على الصحيح. ذكر بعض المؤرخين أن قبائل العرب البائدة طسم وجديس كانوا بها، والأخص العمالقة، ولا يفهم أنهم انقرضوا أو أخرجهم الفرس منها. وكتب أهل التاريخ القديم والحديث تكلمت كثيرًا عن أوصاف عمان وسكانها، ولابن خلدون وابن الأثير، قدم السبق. وذكرها غيرهما كالطبري، واليعقوبي، والمسالك والممالك.

قال «فلي»: «إن الأقسام الجنوبية من شبه جزيرة العرب هي الوطن الأصلي للساميين».

ذكر العوتبي المؤرخ العماني أن حدود جزيرة العرب في الطول ما بين العذيب إلى عدن. وسئل الشعبي عن جزيرة العرب فقال: ما بين العذيب إلى حضرموت. قال أبو حاتم: حدثنا أبو عبيدة معمر بن المثنى قال: جزيرة العرب خمسة أقسام: تهامة، الحجاز، نجد، العروص، اليمن. وذلك أن جبل السراة هو أعظم جبال العرب؛ يمتد من ثغرة اليمن حتى أطراف بوادي الشام، فسَمَّته العرب حجازًا؛ لأنه حجز بين الغور وهو منخفض، وبين نجد وهو مرتفع، ثم صار ما خلف هذا الجبل من غربيه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعرين، وعك وفرسان كنانة، وما حولها إلى

ذات عِرق، والجُحفة وما صَاقَها وما غار من أهلها غور تهامة؛ وتهامة تجمع ذلك كله وما صار شرقي هذا الجبل من الصحاري والنخل إلى أطراف العراق، والسماء، وما يليها نجد. ونجد تجمع ذلك كله، وصار الجبل نفسه سِراة. وسمي جبل السِراة لارتفاعه وهو الحجاز. والحرار وما احتجز به من الجبال مرد. والخوراء إلى ناحية قبل وجبل طي إلى المدينة، من بلاد مَدَحِج، وهي متاخمة اليمن، وما يليها وما دُونها إلى قيد حجاز. والعرب تسميه نجدًا وجلسًا وحجازًا، والحجاز يجمع ذلك كله، وصارت اليمامة وما والاها عروصًا وفيها تهائم ونجود؛ لقربها من البحار وانخفاض مسائل الأودية، وصار ما خلف التثليث إلى صنعاء، إلى حضرموت، والشحر، وعُمان يَمَنًا، وفيها التهائم والنجد، واليمن يجمع ذلك كله، فإذا وصلت ذلك فقد انتهيت إلى البحر، وإذا عرضت لك الجزار وأنت بنجد فتلك الحجاز، وإذا تصوبت فالحجاز مكة والمدينة.

قال أبو المنذر هشامُ بْنُ مُحَمَّدٍ: إِنَّمَا سُمِّيت بلاد العرب الجزيرة لإحاطة البحور والأنهار بها من أقطارها وأطرافها، وصار الأمر منها في مثل الجزيرة من جزائر البحور؛ وذلك أن الفرات أقبل من بلاد الرُّوم فظهر بناحية قَنْشَرِين، ثم انحدر إلى أطراف الجزيرة وسواد العراق حتى دفع في البحر من ناحية البصرة والأبلة، واتجه إلى عُبَّادان. وأخذ من ذلك الموضع مطيقًا ببلاد العرب منعطفًا عليها، فأتى منها إلى سفوان وكاظمة ونفذ إلى القطيف، والهجر، وأسياف، وقطر، وعُمان، والشحر، ومال منه عنق إلى حضرموت، وأبيل، وعدن، ودهلك، واستطال ذلك العنق، فطعن في تهائم اليمن بلاد فرسان وحكم والأشعريين وعك، ومضى إلى جدة ساحل مكة، وجاز ساحل المدينة وساحل الطور وخليج أيلة، وساحر راية، حتى بلغ قُلْزم مصر، وخالط بلادها، وأقبل النيل من غربي هذا العنق من أعلى بلاد السودان، مستطيلًا معارضًا للبحر، حتى دفع في مصر والشام، ثم أقبل ذلك البحر من مصر حتى بلغ

بلاد فلسطين، فمرَّ بعسقلان، وسواحلها حتى أتى على صور ساحل الأردن، وعلى بيروت، وسواحل دمشق، ثم نفد إلى سواحل حمص، وسواحل قنسرين، حتى خالط الناحية التي أقبل منها الفرات منحدرًا على أطراف قنسرين، والجزيرة إلى سواد العراق.

وذكرت العربُ هذه الأقسام الخمسة في أشعارها، فصارت بلادهم في هذه الجزيرة التي نزلوا بها على خمسة أقسام: تهامة، والحجاز، ونجد، والعروض واليمن. انتهى كلامه.

قال الكلبي: «لما تفرقوا من بابل أخذ قومٌ يمينًا فسميت اليمن، وأخذ قومٌ شمالًا فسميت الشام، فجعل الله تعالى لبني سام النبوة والكتاب، والملك، والجهاد، والأدمة، والبياض. فللعرب من المجدل ما دون هذه الخمسة: تهامة، ونجد، والحجاز، والعروض، واليمن، والعرب تسمي اليمامة والبحر العروض؛ لأنها كانت في ناحية العرب معترضة. وأمَّا السَّوادان؛ فسواد البصرة، وسواد الكوفة. فأما سواد البصرة: فالأهواز ودست ميسان وفارس. وأمَّا سواد الكوفة: فكسكر إلى الدَّاب، وحلوان، والكوفة، والجزيرة هي ما بين دجلة والفرات، والموصل من الجزيرة إلى الجُودي. اهـ.

وقد ساهمت عُمانُ في الجهادِ مع الخليفة الثاني، كما ذكره العوتبي العمانيُّ في الأنسابِ أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ استعمل على عمانَ عثمانَ بنَ أبي العاصي الثقفي، سنة خمس عشرة، فكتب إليه عمرُ أنْ يقطع البحرَ إلى ابن كسرى بفارس، فندب عثمانُ العمانيين، وانتدب إليه ثلاثة آلاف من بني راسب، وناجية، وعبد القيس، وأكثرهم أزد (شنوءة)، فعبر بهم عثمانُ من جلفار (رأس الخيمة) إلى جزيرة كلوان، وهي (القسم)، وكان فيها قائد الفرس، فسالم عثمانُ، وكتب (يزدجرد) إلى أمير كرمان: أنْ

اقطع البحر إلى جزيرة كلوان، فحلّ بين العرب الذين بها وبين إخوانهم ففعل. وسار من هُرمز إلى القسم، فلقية عثمان بها فقاتله، فانتصر العمانيون عليه، وهزم الفرس وقتل قائدهم، وكان يدعى (شهرك)، وفي ذلك يقول شاعرهم:

باب ابن ذي الحرة أردى شهركا والخيل تجتأب العجاج الأرمكا

ثم ساروا بعد الظفر بشهرك حتى قدموا العراق، فنزلوا (توج) فشاركوا في تمصير مدينة البصرة، وأمرهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن يبنوا بها منازلهم، كما أمر غيرهم من العرب، ووفد إليه من الغزاة كعب بن سور، فاستقضاه عمر على البصرة.

لم يحكم عمان أجنيي غير أهلها، وقد صارعت في القديم دولا عظاما، وكابدت أخطارا جساما، وشرقت غصّة بالمستعمرين، وما كان ذلك عليها إلا من الخونة الذين هم بعضهم الاستبداد والرئاسة، وبعضهم المنافسة والحقد على الساسة، فلا تثبت قدم العدو الأجنبي عليها إلا بقدر ما يكون تاريخا للمُسيطر، وتأديبا للخائن، فتشتد أعصابُ الوطنيين، ويتشر فيهم دم الحرية فيهزم الغاصب. ولم تلق عمان من البطش والاضطهاد مثما لقيت من العجم؛ فقد نهبوا ذخائرها وأحرقوا ما كان فيها من كتب شرعية، وأدبية، وفنية، وتاريخية، ومع هذا فهم لم يخضعوا لسيطرة البطش، ولم يجزعوا لضغطة الإرهاب؛ فبقيت نار الحقد تتأجج في صدور أبناء الشعب، وتنفت بشررها حتى قضى الله لها بالنجاح.

غزا العجم عمان عام ١٢٥٧ قبل الهجرة؛ أي سنة ٦٣٥ قبل الميلاد.

ثم غزوها مرة أخرى عام ٦٦٣ هـ الموافق (١٢٦٥ م).

ثم غزوها عام ١١٤٩ هـ.

ثم غزاها الخليفة العباسي الرشيد عام ١٨٥هـ.

وغزاها محمد نور عامل المعتضد عام ٢٨٤هـ.

وغزاها القرامطة عام ٣١٨هـ، وبقوا حتى سنة ٣٧٥هـ.

وغزاها البرتغال عام ٩١٣هـ، وبقوا على بعض ساحلها حتى عام ١٠٦٢هـ،
الموافق سنة ١٦٥٠ ميلادي.

الغزو البرتغالي لعمان

البرتغال دولة أوروبية نظرت إلى الشرق بعين الطمع، اتخذوا عاصمتهم في الخليج هُرمُز [وتسمى أيضًا هرموز] التي كانت في ذلك الوقت من أغنى مدن العالم، واستولوا على بعض ساحل عمان عام ٩١٣هـ (١٥٠٧م)، وبقوا إلى أن قام عليهم الإمام ناصر بن مرشد، وسلطان بن سيف اليعربي عام ١٠٦٢هـ (١٦٥٠م) فأجلوهم من عمان.

كانت التجارة بين الشرق والغرب يسيطر عليها العرب، ويسيطر العمانيون على بحر العرب أيضًا، ينقلون خيرات الشرق الأقصى إلى مصر، ومن هنالك ينقلها الملاحون من العرب إلى تجار (البندقية وجنوا) وهاتان المدينتان أكثر الممالك الأوربية علاقة مع الشرق، فرأى التجار الأوربيون اتخاذ طريق آخر للهند على رأس الرجاء الصالح؛ فراحوا من الأتراك والماليك بمصر، وكان دليل سفن البرتغال على رأس الرجاء الصالح أحمد بن ماجد، مؤلف كتاب «الفوائد في أصول البحر والقواعد» الذي ظل يدرس في المدارس البحرية الأوربية إلى أواخر القرن التاسع عشر، فاعتمد «فاسكو دي غاما» على الخرائط البحرية العربية التي تدرس في المدرسة البحرية التي أنشأها هنري الملاح، فقام «فاسكو دي غاما» إلى الهند عام ١٤٩٨م عن طريق رأس الرجاء الصالح، فكان لقيامه هذا تأثير كبير في القضاء على تجار البندقية الذين كانوا يحتكرون تجارة الشرق، ويتمركزون في مصر، وانحطت ثروة مصر لتحول الطريق عنها؛ فسهل على العثمانيين غزوها، فصارت هذه الخطوة الأولى لإنشاء الإمبراطورية البرتغالية البحرية في الشرق. وفي عام ١٤٨٧م أرسل ملوك البرتغال بعثة إلى القاهرة، وعدن، وهرمز والهند، فرفع قائد البعثة تفصيلًا إلى مليكه عن رحلته، وعاد

إلى عدن، فصمم البرتغاليون على القضاء على عرب اليمن، وعمان، الذين كانوا يديرون التجارة الشرقية التي تدر لهم أرباحاً جزيلة، وكان (فرسيسكو دوا الميدا) أول حاكم للممتلكات الهندية البرتغالية عام ١٥٠٥م في عهد الملك (عمانويل الأول)، وفي عام ١٥٠٦م أبحر الأسطول البرتغالي إلى الشرق بقيادة (كونها) مع (البوقيرق)، وكان الأول يحمل أوامر بإنشاء قلعة في (سومطرا) لتكون مقرّاً للأسطول الذي سيحاصر البحرية المغربية والمصرية، التابعة لحكومة البندقية في البحر الأحمر.

وقد نشب خلاف بين (كونها) و(البوقيرق) حول اتجاه الحملة؛ فوضع الأول القسم الأعظم من الأسطول تحت قيادة الثاني، فتابع البوقيرق سيره إلى الهند، وأنه أضعف من أن يهاجم عدن، وترك أحد قواده (في سومطرا) واتجه نحو هرمز، وفي طريقه حرق حوالي (٤٠) سفينة في (رأس الحد)، ثم ألقى مراسيه في (قلهات)، ثم إلى قريات، فكانت بها بينه وبين العمانيين مجزرة رهيبة، فدخلها عنوة، ثم أبحر إلى مسقط، فطلب من حاكمها مالاً مقداره (٦٢٥) جنيهًا استرلينياً يؤدي إليه قبل ظهر اليوم الثاني من وصوله، وإلا أحرق المدينة، ولم ينتظر انتهاء الموعد؛ بل أحرق البلاد، والمساجد، والسفن الراسية في الميناء، وأسر كثيراً من الرجال والنساء، وبعد التمثيل بهم أطلق سراحهم!

ثم أبحر إلى صحار، ثم إلى (خورفكان) فلقى مقاومة عنيفة فدمر البلدة وأحرقها، ومثّل بأهلها، ثم اتجه إلى هرمز مجتازاً رأس أمسندم، وعلم ملك هرمز فاستعدّ لملاقاة الغزاة، وهياً أسطوله للاصطدام، وقد تريث القائد البرتغالي أمام هرمز، وبدأ يراوغ لأخذ سيف الدين ملك هرمز بالحيلة، فلما فشل في خداعه أنشب قتالاً عنيفاً، انتصرت فيه المعدات الحربية البرتغالية؛ فكان من نتائجه أن أصبح ملك

هرمز تابعًا للبلاد البرتغالي، على أن يدفع جزية سنوية حوالي (٣٠٠) جنيه، وغرامة حربية مقدارها ما قيمته ألف جنيه، كما أرغم أن يوقع معاهدة تجارية تعهّد فيها بتسهيل معاملة التجار البرتغاليين، وأن لا يسمح لأي مركب بالملاحة في الخليج دون أن يحمل تصريحًا من البرتغاليين. وباستيلائه على هرمز الواقعة على فم الخليج ضمن السيطرة على الملاحة فيه، واضعًا بذلك الأساس للاستعمار البرتغالي، والسيطرة على شواطئ الخليج.

وقد بنى البرتغاليون في هرمز قلعة ضخمة عام ١٥٠٧م؛ ليحتموا فيها أثناء غياب الأسطول في البحر الأحمر، كما افتتح البوقيرق هناك وكالة تجارية فيها مختلف البضائع، وأوعز إلى وكلائه بطرح البضائع في الأسواق، وبيعها بأسعار رخيصة؛ ليكسب ودّ الأهالي. وكان ملك هرمز يدفع للشاه جزية سنوية، فأشار إليه القائد البرتغالي بالامتناع عن أدائها.

ثمّ زار قليات؛ ولكنه استقبل بغير ما استقبل به من الترحيب أولاً؛ فأحرق المدينة ونهبها.

ظلّ البوقيرق يواصل مساعيه لدى الملك حتى عين عام ١٥٠٩م حاكمًا للهند وقائدًا عامًا، فجعل (جو) مركزًا للبرتغاليين فحصنها؛ ولكنه رأى أن مركزه سيظل حرجًا ما لم يؤمن طرق المواصلات، فخرج في عام ١٥١٣م وهاجم عدن؛ ففشل في تلك المهاجمة.

وفي نهاية القرن السادس عشر ظهرت على مياه الشرق سفن أوربية تقاسمهم الأرباح، فقد وجه الهولنديون أنظارهم إلى الشرق في عام ١٥٩٢م-٩٧، كما ظهر في الميدان في نفس الوقت تجار إنكليز.

وكان العمانيون ينظرون إليهم نظرة غيظ لما عززوا قواتهم بمسقط، وأقاموا بها الحصون المنيعة، وأقاموا برأس الخيمة قلعة ضخمة، فوجه اليعاربة عليهم الضربة القاضية وحصروهم بمسقط، وفك الحصار عنهم بشروط؛ منها: ضمان حرية الملاحة للعرب، وتعهد البرتغاليون بتدمير حصونهم.

وفي عام ١٦٤٩م أعاد العرب محاصرتهم، وفي ٢٣ كانون الثاني سنة ١٦٥٠م استسلمت مسقط لأهلها، ولم يكتف اليعربي بإجلائهم عن شواطئ عمان؛ بل طاردهم حتى تعقبهم إلى سواحل الهند وإفريقيا الشرقية.

تسلل الإنكليز إلى الشرق

كان لاحتكار التجارة التي اتبعها البرتغاليون، وتحكمهم في أسعار البضائع أثر سيئ أكسبهم عداء في البلاد، وكان الشاه عباس الأول ملك إيران ينظر إليهم بعين النقرة والحسد، فجدد مطالبته لرمز بالجزية التي انقطعت عنه، وعندما رفض حاكم هرمز الدفع، أصدر الشاه صداقة للتجار المسيحيين وتأمينهم، وإعطائهم الحرية الدينية وحرية التنقل، فكانت رسائل المبشرين الإنكليز إلى ذويهم تثير حساسة شديدة بين الناس، وتسيل لعاب التجار.

وفي سنة ١٥٨٧م وجدت أوراق مهمة في مركب برتغالي أسره (دريك) تبين منها مقدار الأرباح الطائلة التي كان يجنيها البرتغاليون من تجارة الشرق، وفي سنة ١٥٨٨ صمم الإنكليز على التوجه إلى الشرق بعد أن وثقوا بأنفسهم كسادة للبحر، وبمقدرتهم على منافسة الأسبان والبرتغاليين، بدأ الرواد الإنكليز يجولون في الشرق، حاملين بضائعهم، ورسائل الود والصداقة من ملكتهم إلى ملوك وحكام البلاد التي يجولون فيها، وباشروا بإنشاء مراكز تجارية لهم في معارضة شديدة من البرتغاليين. أوجس البرتغاليون توسع الإنكليز، فأصدروا منعاً في الملاحة في الخليج لأي سفينة إلا بتصريح منهم، وكانت المناوشات مستمرة بين البرتغال واليعاربة من جهة، والفرس من جهة أخرى، ففي سنة ١٦١٢ احتلوا بندر عباس؛ لكن طردوا منها سنة ١٦١٥. وفي سنة ١٦١٦ قام العرب العمانيون بالقضاء عليهم في صحار، بينما كانت شركة الهند الشرقية البريطانية تزيد قوتها ونفوذها. وفي سنة ١٦٢٠م، تمكن العمانيون من طردهم من رأس الخيمة.

وفي مطلع سنة ١٦٢٢م بدأ العجم بمحاصرة هرمز، فأصبحت هذه الجزيرة التي كانت تفوق «لندن» و«أمستردام» معاً قفراً ياباً؛ وعلى إثر ذلك تضعض مركز البرتغاليين، وبعد أن خسروا هرمزاً أرادوا أن يعوضوا خسارتهم بتعزيز قواتهم في مسقط، وأقاموا فيها الحصون المنيعة؛ ولكنهم كانوا مهددين باستمرار الطعن من العرب العمانيين الذين كانوا ينظرون إلى المغتصبين نظرة غيظ واشمئزاز.

وقد حاول البرتغاليون استعادة هرمز مرتين ففشلوا.

وفي سنة ١٦٢٥ قضى أسطول (إنكليزي-هولندي) على أسطولهم، وبعد أن تخلص الإنكليز من البرتغاليين نافسهم الهولنديون، فحاولوا الاتصال مباشرة بمنبع الثروة بالشرق، وبدأوا يرودون المشرق راسمين الخرائط، والمصورات، والموانئ والممرات، وسَيرُوا عدة بعثات تجارية بحرية بين سنة (١٥٩٨-١٦٠١)، ولم تأت سنة ١٦٢٠ حتى أصبحوا أخطر منافس للإنكليز، وفي سنة (١٦٣٩-٤٠) كانت تجارة الخليج كلها طوع أناملهم، فاضطر الإنكليز إلى البحث عن مكان آخر لهم، فاتجهوا نحو البصرة حيث سمع الباشا التركي بإنزال بضائعهم هناك، وترثوا متحنيين الفرص على الهولنديين، ثم سَيرَ الهولنديون سفنهم إلى البصرة، حيث دمروا مركز الإنكليز التجاري، وفي سنة ١٦٤٩ وصل نفوذهم القمة، وأخذوا يتقدمون بمطالب جديدة، وفي سنة ١٦٥٢ اشتعلت الحرب بين الإنكليز وهولندا؛ لشدة تضارب المصالح بين الدولتين في الشرق، وفي سنة ١٦٦٤ ظهر في الأفق نجم منافس جديد، وهو فرنسا؛ متمثلة في شركة تجارة الهند الفرنسية، وفي سنة ١٦٨٨ اتحد الإنكليز والهولنديون لمواجهة الخطر الفرنسي المتفاقم، وأصبحت المصالح الهولندية تابعة للمصالح الإنكليزية حتى أواخر القرن السابع عشر؛ بدأت الأمور تسير في مصالح الإنكليز، فكانت شركة الهند الشرقية الإنكليزية تجارية بحثة في

بادئ الأمر، إلا أنها في النصف الثاني من القرن السابع عشر، رأت ضرورة التدخل السياسي لصيانة مصالحها، فغيرت أساليبها. انتهى نقلاً من «الإمارات السبع» لأحمد البوريني، بتصرف في بعضه.

أولاً عمان

من جهة المطلع رأس الحد بطرف البحر الهندي، وهو رأس رمل له ذيل طويل في البحر، منعطف قليلاً إلى القطب، تغوص به كثير من السفن الشراعية على الذين يجهلونّه.

الحد: موضع على ساحل البحر الهندي به قلعة تحتها بيوت الأهالي يقال لهم: أولاد حمد، وبنو عامر، وهم ثلاثة فخوذ: أولاد الحربي، وبنو عامر، وبنو غزال. كان رئيسهم في القديم سعيد بن حمد؛ وكان عاقلاً، مدبراً، كريماً، توفي ولم ينجب، فتفرق أمرهم ولم يجتمعوا على غيره بعده.

أحدثت الإنجليز بالحدّ محطة للطائرات عام ١٩٥١م، ووضعت بها ما تحتاجه من اللوازم الحربية.

خور جرامه: هو خور جميل جليل غزير العمق، على فمه ثغرة، ضيق المدخل، تكتنفه من أوله إلى آخره جبال شاهقة، تدخله البوارج الكبار، والبواخر العظام، وترسو به سفن أهال صورّ وقت حاجتها لتحميل الأموال؛ لأنّه بمعزل عن الرياح، فيساق منها وإليها الأموال والأمتعة، على السفن الصغيرة. وكثير منها تبقى في مكانها لتأمين العواصف واضطراب البحر. ولا يكاد يوجد ميناء مثله -فيها بلغنا- ينتهي إلى فضاء صحصح من جهة الجنوب، تسكنه بادية أولاد حمد شتاءً وصيفاً. وبالجملة فهذا الخور معتمد كبير عند أرباب السفن التجارية والشراعية.

ساحل صور: من أفخم المدن العمانية، عريق في القدم، فيعتبر تاريخها تاريخ أمة كاملة؛ بل هو مبدأ لدراسة قطر أو أمة. وعلى هذا الحال تعيش مدينة صور؛ فهي من أقدم المدن العمانية وأهمها؛ وليست أهميتها التاريخية بأقل من أهميتها الاستراتيجية والاقتصادية، فهي تاريخياً إحدى المدن التي استوطنها الفينيقيون بالخليج العربي كما تدل التسمية. فما أن انتقل الفينيقيون من الخليج، وهاجروا إلى لبنان حتى أسسوا هناك مدينة سموها باسم صور موطنهم في عمان، كما سموا بعض المدن بأسماء مدنهم التي أقاموها في بلدان الخليج، وهناك بعض الآثار التي يعثر عليها الأهالي مصادفةً تدل على شبه بين حياة الفينيقيين، وحياة أهالي صور القدماء. وما يزال عمل الأهالي الوحيد هو التجارة في البحر، والجزر والموانئ؛ فهم يجوبون بسفنهم البحار في مواسم خاصة إلى المناطق التي يذهبون إليها، وتجارتهم الآن محصورة بين سواحل الخليج العربي إلى البصرة، والهند، وسواحل إفريقيا الشرقية.

فمدينة صور ثاني مدينة بحرية بعمان، وهي من المدن التاريخية المهمة؛ بل هي من المدن العالمية القديمة. أمّا بالنسبة للتاريخ العربي ذاته فقد كانت إحدى المدن التي مرت بها الهجرات العربية بعد هدم سد مأرب، وقد شهدت إحدى المدن القريبة منها -وهي مدينة قلعات- معركة حاسمة بين إمبراطور فارس، وبين مالك بن فهم الأزدي عند هجرته إلى عمان، فاستأصل نفوذهم الذي بسطوه عليها.

وأهميتها الاستراتيجية هي أنها طريق المواصلات إلى المنطقة الشرقية، من عمان الداخلية. وأمّا أهميتها التجارية فيمكن أن يدركها القارئ مما تقدم إذا تصور مدينة تشرف على البحر، ويتاجر أهلها بسفنهم فيه، وتقود إلى قلب عمان. هذه صور المدينة التاريخية العريقة اللامعة بين المدن العمانية المشهورة في سواحل الخليج جميعه، وذات علاقات تجارية مع البصرة وشاطئ فارس، وظفار، وحضرموت، وزنجبار، ودار

السلام وكينيا، ومدغشقر، وعدن، والصومال. وكانت تملك من السفن في عصر السيد سلطان بن أحمد بما يقدر أنه لا يقل عن مائة سفينة. ومن الأسف أن البواخر لا ترسو على هذه العاصمة؛ بل أكثر الوارد إليها من السفن الشراعية، والمواثر البحرية؛ ولذلك يكون دخل جمرک صور ضئيلاً مع كثرة الداخر إلى البلد؛ فقد بلغ سنة ١٣٧٣هـ سبعة وعشرين ألفاً وثمانمائة وتسعين روبية هندية.

وأهالي صور من الركب الواعي، وإهم طليعة في العمانيين من قبيلة الجنبه من صميم العرب، فهم بطن من مذحج، وهم أربعة فخوذ: العراما، الفوارس، المخانة، الغياليون.

ولهذه الأربعة الفخوذ رشداء، وعلى الرشداء رؤساء؛ وهم المجاعلة. وبهذا الساحل قبائل من العرب والبلوش تابعة لهم، وهم أهل عدة وعدد.

وأهم مشكلة تواجه هذا الساحل مشكلة الماء؛ فالمياه به قليلة، ويعاني أهله المشاق بسبب ذلك، ولكن على مسافة غير بعيدة توجد منابع للماء لا يستفاد منها بشيء، فيجلب إليها من السكيكرة وشامة. وأعذب من هذا الماء المجلوب من آبار البلاد المنسوب إليها هذا الساحل، وهي بلدة صور التي تبعد ميلين من الساحل المذكور. ويوجد بهذه البلاد النخيل والأشجار القليلة، وفي هذا الوقت زادت عمارتها.

يتفرع من هذا الساحل الصوري طريقان: أحدهما يخرج إلى الجبال والأودية التي تليها، والبلدان التابعة لها، وطريق آخر على ساحل البحر ينفذ إلى قربات ومسقط.

أمّا الطريق الخارج إلى الجبال فيتفرع منه طريق إلى داخلية عمان، مار بمرتفع يقال له: «الرفصة» وهي درجة بين جبال مترادفة، وهو أشبه بباب قد نقب جداره من الجهتين، وجعل فيه سلسلة غليظة، على هذا الباب عسكر لا يمر فيه إلا لمن أذن له، يأخذون من القوافل رسماً ويقسمونه بعد جمعه.

وعلى هذا الباب من الجانب السهيلي قلعة مستديرة بها يقيم العسكر. من تحت هذه الدرجة واد كبير ينحدر من الجبال، والهضاب من الجنوب حتى يفيض إلى بلدة صور، ثم يصب في بحر الخليج، وأهل الرفصة بادية من قبيلة تسمى المشارقة، ولهم بلدان قريبة منها، وأودية فيها مساكنهم، وبها ماشيتهم، والذي يأخذه أهل الرفصة رفضه الإمام محمد الخليلي سنة ١٣٦٣، وأزال هذا المنكر بعد قهره لجعلان.

يتفرع من هذا الطريق إلى داخلية عمان طريق إلى الشرقية، وأولها جعلان من الجهة الجنوبية، وطريق آخر إلى بادية من جهة القبلة، فأول ما يصادفك من الجهات الجنوبية من بلدان جعلان البويرد، ثم الكامل، وهما لقبيلة الهشم، ثم الوافي، وهي لبني راسب، وبعدها بلاد بني بوحسن، وهي أكبر بلاد في جعلان وأطيها، وبها الأنهار والمنازف قريبة الماء، طيبة الهواء، بها النخيل والأشجار، وبها مركز للإمام.

يليه من الجهة الجنوبية بلاد بني بوعلی، وهي بلدة كبيرة واسعة بها المياه القريبة التناول والغيول، وبها النخيل الكثيرة، ورياستها لأمرائها آل حمودة ابن سلطان، وهم مرجع لجماعتهم، ويقر لهم بالرئاسة في الشرقية على الغافرية بالتحزب الباطل، ولهم في الساحل والبادية جماعة كبيرة، وأمرأؤهم الآن خالد بن علي بن عبد الله، وابن عمه ناصر بن محمد بن ناصر بن عبد الله آل حمودة.

وبين الموضع المسمى الرفصة إلى الشرقية من الجهة الشمالية أودية وجبال، في داخلها بلدان متفرقة؛ منها وادي منقال لأولاد عبد الله بن محمد، ووادي حلم للصلوت، ووادي بني خالد. وبهذه البلدان النخيل والأشجار.

رأس الخيمة عاصمة القواسم

(رأس الخيمة) تقع غربي المدينة المعروفة في القديم (جلفار) التي اندثرت وبقي أطلالها، وقامت رأس الخيمة بالقرب منها، وهي ملجأ الأسطول القاسمي الكبير قبل التدمير؛ هدمها الغزاة البرتغاليون عدة مرات في القرن السادس عشر، ثم أعاد تهديمها المستعمرون الإنجليز في أواخر القرن الثامن عشر والتاسع عشر. اتخذها القواسم مركزاً لإمارتهم وحصناً لمغارتهم. وأول من استقر بها -على ما يذكره المؤرخون- الشيخ رحمة بن مطر القاسمي، الذي انضم إلى الإمام محمد بن ناصر الغافري في حروبه، بعد تقلص دولة اليعاربة، واعترف له الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي بالسيادة بعد معارك عنيفة دارت بينهم. (والقواسم) قبيلة عربية عريقة نزحت من سواد العراق من بلاد «سُرَّ من رأى» وديار بني صالح. وأول من هاجر منهم إلى عمان الشيخ كايد جد الحكومة القاسمية.

امتاز القواسم في الخليج الفارسي بالصلابة والشجاعة وحب المغامرة، فأقلقوا بريطانيا في ذلك الوقت، أكثر مما أقلقتهما أي منطقة أخرى في الخليج العربي؛ فكانوا يهاجمون كل سفينة تحمل العلم البريطاني، سواء كانت للهنود أم للإنجليز، فهم القوم تجلُّ مناقبهم عن العد والإحصاء، ولا يتعرض لها بالاستيفاء والاستقصاء، جمعوا بين البأس والندى، وقمعوا من اعتدى من العدا. (زاحمت) أسطول شركة الهند البحرية وجيوش الإنكليز البرية، ولم تكن أعمال قرصنة كما حسدهم الخصم

فوصفهم بذلك؛ وإنما كانت حرباً دفاعية لإجلاء الإنجليز من السواحل العربية؛ لرفضهم دفع الضرائب والرسوم المتفق عليها من الشركة حين دخولهم الموانئ العربية.

خاض القواسم معارك عنيفة، أسروا فيها السفن الإنكليزية، وصادروها علانية، ودمروا كثيراً منها، ولم يكتفوا بطردهم من شواطئهم العربية؛ بل طاردوهم في البحر الأحمر، وسواحل الهند وإفريقيا، حتى إن حاكم بومباي الإنجليز استجار بحكومته لما هاجمت قوات القواسم إحدى السفن الإنكليزية على بعد ستين ميلاً من بلاد بومباي نفسها، في أوائل سنة (١٨٠٥)، فشكا إلى دولته قائلاً: «إنَّ سفن القواسم تلحق أحياناً السفن الإنكليزية حتى شواطئ الهند ذاتها فتغلب عليها».

كان أول تفوق شمس الحكومة القاسمية في أواسط القرن الثامن عشر المسيحي. وفي مستهل القرن التاسع عشر تميزت بالسيطرة على القبائل الأخرى؛ لا في البحر فقط بل في المدن الساحلية، وامتدَّ نفوذها على منطقة ساحلية طولها أكثر من نحو ١٥٠ ميلاً. «وذكر بعض المؤرخين الأوربيين أن قبيلة بني ياس التابعة لسلطنة مسقط خضعت للقواسم ذلك الوقت؛ قال: وكانت إمارتهم -يعني القواسم- من حدود قطر إلى ما وراء خورفكان، حتى إن شناص كانت تابعة لهم، وقد حمى حصنها من المدفعية البريطانية موقعه الطبيعي». قال: وفي ذلك بلغت قوتها البحرية الذروة، حيث قدَّر أحد ضباط الأسطول الهندي المراكب التي يستخدمها القواسم بثلاث وستين من الحجم الكبير، وثمانمائة من الحجم الصغير، وكانت الأضرار التي حاقَت بسلطنة مسقط من جراء توسع القواسم، أشد من الأضرار التي نزلت بأية دولة أخرى، فهي لم تصب من سفنها التجارية فقط؛ بل فقدت جزءاً كبيراً من أراضيها كما رأينا. وقد راح سلطان بن أحمد ضحية معاداته للقواسم؛ إذ قتله هؤلاء

أثناء مروره بسواحلهم في طريق عودته من البصرة سنة (١٢١٩هـ - ١٨٠٤م). انتهى كلامه.

وقد كان قتل سلطان بن أحمد (رب لنجه) من أعمال فارس لما رجع من البصرة فأرسي مراكبه بها، هجم القواسم عليه ليلاً في مركبه ليلة ١٢ شعبان سنة ١٢١٩هـ فقتلوه، وبعد قتله قام عليهم السيد سعيد بن سلطان، وعمه قيس بن أحمد حاكم صحار، وقرروا الزحف عليهم (بخورفكان) عام ١٢٢٢هـ، فكانت الحملة التي فيها قيس من جهة البر، وحملة سعيد من البحر، فقابلهم القواسم حتى أصبح خورفكان بحيرة من دم، وقتل في هذه المعركة السيد قيس بن أحمد وكثير من جنودهم لا يقدر عددهم، وأكثرهم مات بالغرق، وبعد ذلك قرر السلطان الانتقام من القواسم بمساعدة الإنجليز، كما ستقرؤه على إثر هذا.

الحملة الأولى

وقد هاجمت القواسم البحرين وطرّدوا جنود حاكم مسقط منها، وبهذا أُرجفت الإنكليز بالقواسم أنهم بدأوا يهاجمون إخوانهم العرب، وأنهم آلة في يد الوهابيين، وأن هذه أعمال مدفوعة من الحكام الذين بالرياض، تعاونت مع سلطان مسقط، وأنزلت بهم الخسائر الفادحة في سنة ١٨٠٥م ولكنها لم تقض عليهم. بقيت المعارك مستمرة بينهم ثم وقع (سيتون) هدنة مع القواسم في فبراير عام ١٨٠٦م، فكان أول شرط فيها احترام راية الشركة، وعدم التعرض لها. ولكن احترام القواسم للهدنة لم يطل أكثر من سنة؛ ففي سنة ١٨٠٨م سجلت عدة اعتداءات على سفن بريطانية، وللمرة الأولى استطاعت الاستيلاء على أحد الطرادين اللذين كانا يحرسان بعثة ملكولم إلى فارس.

الحملة الثانية

وفي أواخر أكتوبر سنة ١٨٠٩م خرجت (الحملة الثانية) من بومباي، وكانت تتألف من ثلاث سفن حربية، وثلاث أخرى لحمل المعدات، وبعد توقف قصير بمسقط بدأت تهاجم مراكز القواسم، ومن بينها رأس الخيمة. وبقيت هذه الحملة تردد في الخليج إلى أول يناير سنة ١٨١٠ فشدت رحالها عائدة إلى بومباي، وفي سنة ١٨١٣م عادت القواسم إلى الجهاد، فتجرات على السفن جميعاً إنجليزية كانت أو محلية، وفي سنة ١٨١٤م (امتد نشاطها إلى ساحل كونش والسند).

وردًا على أعمال القواسم حاولت السلطات البريطانية انتهاج السياسة بالتفاهم عندهم أولاً، فقام (بروس) ممثل الشركة في أبو شهر بمفاوضات طوال سنتي (١٨١٥/١٨١٦م) على أساس رد المسلوبات، أو إعطاء تعهد باحترام السفن البريطانية، ورغم إرسال مندوب عنها للمفاوضة، فإن القواسم لم تظهر استعدادًا لقبول الطلب الأول، وعبر (وليم هنيد) أحد ضباط البحرية الذين زاروا الخليج في تلك الحقبة عن هذا الرأي بقوله: «إنَّ المفاوضات مع أمثال تلك العصابات خدش للكرامة البريطانية، وتنازل عن السيادة المعترف بها على البحار».

وفي سبتمبر من سنة ١٨١٨م قامت بريطانيا تضع الخطة في تدمير القواسم، فقدمت عدة مشاريع أمام حاكم الولاية (إيفان نيبان) لاختيار واحد من بينها، وكانت هذه المشاريع تختلف أساساً على مدى التدخل البريطاني في شئون الخليج؛ فمن قائل بالاكْتفاء بتدمير القرصنة، وعدم التدخل في الشؤون السياسية، إلى قائل بضرورة رسم خريطة الخليج السياسية على الوجه الذي يروق بريطانيا، وكان (نيبان) أميل إلى الرأي الثاني، فاختر مشروعاً يؤيد مساعدة الدول المسالمة في منطقة

الخليج للحلول محل القبيلة المناوئة، وهكذا يوطد سلطان فارس على سواحل الخليج، ويمد نفوذ السيد سعيد على رأس الخيمة، ويشجع الأتراك على الاحتفاظ بالساحل الممتد من رأس الخيمة، إلى ولاية بغداد، ويوصي المشروع بإقامة قاعدة بريطانية ثابتة في رأس الخيمة، على أن يتولى سلطان مسقط نفقات إقامة الحامية.

وعندما أرسل هذا المشروع للحكومة العامة في «كلكتا» للموافقة عليه، رأت أنه أوسع مدى مما يجب؛ ولكنها وافقت على مبدأ التدخل الحربي والسياسي. وفي إبريل سنة ١٨١٩م استقرَّ الرأيُّ على المبادئ الآتية:

أولاً: احترام الأوضاع السياسية الداخلية في الخليج؛ فلا تتدخل بريطانيا لصالح أحد الرؤساء إلا إذا طلب إليها ذلك، وحيثُتذ تؤيد صاحب الحق المشروع، وعلى هذا استبعد الرأي بتسليم جزر البحرين لحاكم مسقط.

ثانياً: لا يجب على الهند تشجيع الأتراك على بسط نفوذهم في منطقة الخليج، بعد أن استولى إبراهيم باشا على نجد، وجميع البلدان التابعة لها.

ثالثاً: وضع أسس حرية الملاحة في الخليج، وحق تفتيش السفن بالاتفاق مع القبائل العربية. وأخيراً: أفضلية جزيرة القسم على رأس الخيمة؛ لإقامة قاعدة بريطانية ثابتة.

وسرى أن هذه المبادئ قد وجَّهت السياسة البريطانية في الخليج فترة طويلة.

الحملة الثالثة

وعلى أساس هذه القرارات خرجت حملة بحرية كبرى من بومباي في ٣ نوفمبر سنة ١٨١٩م؛ تتألف من ست سفن حربية كبرى، علاوة على السفن الصغيرة التابعة لها، وعلى ظهرها ثلاثة آلاف بحار، أكثرهم من الأوربيين، وقد عين الجنرال (وليام جرانت كير) قائدًا لها، ووصلت الحملة إلى هدفها الأول في رأس الخيمة في أوائل ديسمبر سنة ١٨١٩، ورغم عدم تعادل القوات، والتفاوت الكبير في الأسلحة التي يستخدمها كل من الخصمين؛ فقد أظهرت القواسم بسالة فائقة في الدفاع عن رأس الخيمة، فظلَّ الإنجليز يضربونها بمدافعهم ستة أيام؛ من ٣ إلى ٩ ديسمبر قبل أن يستطيعوا النزول بها، كما أقامت عدة حاميات؛ كان أهمها معسكر في رأس الخيمة، وبعد إرهابهم بالمحركات وعجزهم نزلت جنود بريطانيا، فنهبت البلاد وسلبت في يوم واحد كل ما وصلت إليه أيديهم. قال (ديمر): إن كل واحد من الإنجليز قد زادت ثروته ذلك اليوم ما لا يقل (٣٠٧) جنيهًا، كما دمرت مائة سفينة حربية في الميناء، فليأخذ العرب درسًا من الاستعمار وأعماله الوحشية بعد انتصاراته، وليعلم العمانيون ماذا وقع على آبائهم وفي بلادهم لما دخلها الاستعمار، وما وقع بعد هذا على بني بو علي، وما وقع بعده على الجبل الأخضر في سنة ١٣٧٦هـ. كل هذه بوساطة آل بوسعيد سلاطين مسقط، هذا ليأخذوا درسًا لهم إن كانوا يفتقون. لم تنسحب القوات البريطانية بعد تدمير الموانئ العربية كما فعلت سنة ١٨٠٩م؛ بل أنزلت الجنود على الشاطئ، وأقامت عدة حاميات، كان أهمها معسكر في رأس الخيمة.

وفي نفس الوقت أخذ أسطول حكومة بومباي يمسح الجزء الجنوبي لشاطئ الخليج، وقد عمد (جرانت كير) أولاً إلى توقيع معاهدات منفردة مع معظم رؤساء

القبائل الذين لهم سلطة مستقرة في المنطقة الواقعة ما بين قطر وحدود سلطنة عمان. وتتناول هذه المعاهدة الإجراءات العملية المناسبة لكل مشيخة من هذه المشيخات؛ ففي المعاهدة المعقودة مع صالح بن صقر شيخ القواسم، وضع القائد البريطاني الشروط الآتية:

(أ) يتعهد شيخ القواسم بتسليم السفن الحربية الموجودة في رأس الخيمة، أو في الشارقة، أو في أبو ظبي، ويحتفظ فقط بمراكب الصيد.

(ب) يتعهد الإنجليز بالألا يدخلوا أحياء القبائل بغية تخريبها.

(ج) يرد العرب ما لديهم من أسرى من الرعايا البريطانيين.

(د) بعد تنفيذ هذه الشروط تقبل القواسم في معاهدة الصلح العامة، كبقية القبائل العربية المسالمة.

وهذان الشرطان الأخيران تجدهما في جميع المعاهدات الفردية مع رؤساء القبائل الآخرين؛ ولكن بينما يتعهد الإنجليز للقواسم بعدم احتلال أحيائهم، يشترطون في المعاهدة الثانية المعقودة مع حسن بن رحمة احتلال مواني رأس الخين، ومسهرة، وجميع القلاع المشيدة في البلدان المجاورة لها، ولما لم يكن لهذا الشيخ منطقة نفوذ محدودة، فقد نصت المادة الثانية على الاستيلاء على جميع سفنه الموجودة في مواني المشيخات الأخرى، ولا تختلف المعاهدات الأخرى التي وقعت مع الثلاثة الآخرين من مشايخ المنطقة؛ وهم مشايخ أبو ظبي، وبني ياس، ودبي، عن المعاهدة الأولى الخاصة بالقواسم، اللهم إلا في المعاهدة الموقعة مع شيخ دبي؛ حيث وردت مادة تسترعي الانتباه وهي تقول: «يمنع الإنجليز عن الدخول لساحل المشيخة، أو عن تحطيم أي حصن أو برج بها». وذلك احتراماً للسيد سعيد. ويستتج من هذا أن

شيخ دبي كان يعترف بسيادة عمان على منطقته أو صداقة ودية، وقعت هذه المعاهدات فيما بين السادس والحادي عشر من يناير سنة ١٨٢٠م. وفي الحادي والعشرين من الشهر نفسه عرض (كير) نص المعاهدة العامة على المشايخ الخمسة، تاركًا الباب مفتوحًا لغيرهم.

ونظرًا لأهمية تلك المعاهدة في تاريخ الإمارات العربية بالخليج، ندرج فيما يلي موادها مرتبة، مع حذف قليل من التفصيل:

المادة رقم ١: تمتنع الأطراف المتعاقدة عن جميع أعمال السلب والقرصنة في البر والبحر بصفة دائمة.

المادة رقم ٢: كل عمل من أعمال السلب أو القرصنة، الذي يرتكب بصفة فردية يعتبر ضارًا بالإنسانية، ما دامت لا توجد أي حرب رسمية بين الحكومات.

المادة رقم ٣: تلتزم السفن التابعة للعرب الأصدقاء (بحكم هذا النص) برفع علم أحمر يكون رمزًا على جنسيتها، ولا يجوز لها استعمال شعار آخر.

المادة رقم ٤: تسوي القبائل المسالمة علاقاتها الداخلية فيما بينها.

المادة رقم ٥: يجب على السفن العربية من الآن فصاعدًا أن تكون مزودة بورقة موقعة من رئيس المنطقة التابعة لها، ويسجل فيها اسم المالك، وحجم السفينة وأسماء البحارة، ويعين فيها ميناء الخروج وميناء الوصول. وإذا قابلت إحدى هذه السفن سفينة بريطانية، وطلبت إليها إظهار سجلاتها؛ وجب عليها تنفيذ هذا الطلب.

المادة رقم ٦: إذا رغب رؤساء العرب في إرسال ممثل عنهم بهذه السجلات، إلى المقيم العام البريطاني في الخليج لتوقيعها، جاز لهم ذلك؛ تسهياً لدخولهم الموانئ البريطانية ولعمليات التفتيش، ويشترط عرض السجلات على المقيم سنوياً.

المادة رقم ٧: إذا لم تكف قبيلة من القبائل عن القرصنة؛ وجب على القبائل الأخرى أن تجتمع للتفاوض في عمل مشترك ضدها، ويمكن اشتراك الحكومة البريطانية في التسوية النهائية بعد توقيع العقوبة على القبيلة المذنبة.

المادة رقم ٨: إن قتل الأسرى بعد تسليم أسلحتهم يعتبر عملاً من أعمال القرصنة، ولا يمكن اعتباره عملاً من أعمال الحرب المشروعة، فإذا ارتكبت إحدى القبائل هذه الجريمة، اعتبر ذلك خرقاً لمعاهدة الصلح. ويجب على القبائل الأخرى محاربتها بالاشتراك مع بريطانيا، ولا يكف القتال إلا بعد تسليم المذنبين.

المادة رقم ٩: إن خطف الرقيق من الساحل الشرقي لإفريقيا، ونقلهم بعد ذلك فوق المراكب التجارية، يعتبر عملاً من أعمال القرصنة، ويجب على العرب الكف عن ذلك.

المادة رقم ١٠: تستطيع السفن العربية التي تحمل العلم الخاص بها الدخول إلى الموانئ البريطانية، وكذلك موانئ حلفاء بريطانيا، والتجارة فيها بكل حرية، وإذا هوجمت إحدى هذه السفن، فإن الحكومة البريطانية تأخذ ذلك بعين الاعتبار.

المادة رقم ١١: تعتبر جميع الشروط المذكورة عامة، فيجوز لمن شاء من الرؤساء الآخرين دخولها بنفس الطريقة التي انضم بها الموقعون.

لم تتقبل حكومة بومباي إجراءات (كير) الدبلوماسية بعين الرضا؛ لأنها كانت ترغب في انتهاج وسيلة أعنف مع المهزمين، ومن أهم الاعتراضات التي وجهت إلى تصرفات القائد (جرانت كير) هو أنه أفرج عن المرضى من الذين وقعوا في الأسر، وأبقى بعضهم في رئاسة قبيلته، كما أنها انتقدت نصوص المعاهدة ووصفتها بالنقص؛ لأنها لم تحتو على تحديد العقوبات التي يجب فرضها على المخالفين لمبادئ الملاحاة الجديدة؛ كحمل الوثائق أو غيرها، وكذلك لم تحدد عدد السفن التي يجوز لكل قبيلة امتلاكها، والحجم الذي لا يجوز أن تزيد عليه هذه السفن، وانتقدت أعمال «كير» في عدم تهديم القلاع، وإدخال مادة تحرم بناء الحديد منها، كما أبدت بومباي رغبتها في إضافة مواد أخرى تحرم استيراد أخشاب السفن من الهند. وأخيرًا اعتبرت الشروط الإنسانية المتعلقة بتجارة الرقيق، وعدم قتل الأسرى غير كافية، ولا تتضمن وسائل عملية لتنفيذها. وقد دافع «كير» عن معاهداته ببراعة فائقة، واستطاع بعد وصوله إلى بومباي في مارس إقناع الحكومة بتوقيعها حتى لا تظهره في الأقل بمظهر غير الموثوق به في كلمته أمام العرب، ومما استخدمه من حجج لتنفيذ اعتراضات بومباي، نستطيع اختيار النقط الآتية على سبيل التمثيل؛ فقد ذكر «كير»:

أولاً: إنَّ القبض على جميع الرؤساء المسؤولين، كان يتطلب تتبعهم في داخل بلاد العرب حيث قرَّ بعضهم، وقد نصت التعليمات الخاصة بالحملة على تجنب الابتعاد عن المنطقة الساحلية، بينما كان العفو حافزاً لهم على العودة إلى بلادهم، وعلى خلق جوٍّ جديد من الثقة.

ثانياً: إنَّ بقاء وحدات بحرية بريطانية بصفة دائمة في الخليج، خير ضمان لتنفيذ الشروط، وأشدَّ أثرًا من النصوص التي تكتب على ورق لتحديد العقوبات القانونية، فضلاً عن أن المقصود بالشروط الإنسانية في المعاهدة، هو مساعدة سكان

هذه المنطقة على فهم المبادئ العامة للعلاقات الدولية، ولا ينتظر منهم تغيير عاداتهم دفعة واحدة؛ بل يكون التحسن تدريجياً.

ثالثاً: إن تحديد عدد السفن التي يجوز امتلاكها، وكذلك أحجامها لا يفيد بشيء؛ لأنه من الأفضل ترك المقدار اللازم من السفن، التي تحمي به كل قبيلة نفسها، وليس أكبر السفن هو أصلح للقرصنة.

رابعاً: من الأقرب إلى المنطق أن تقوم الهند بمنع تصدير الأخشاب للعرب؛ إلا أن تنص المعاهدة على أن يلتزم العرب أنفسهم بالامتناع عن استيرادها.

وقد ثبت فيما بعد أن آراء «كير» كانت أدعى لنجاح السياسة البريطانية، وأصبحت هذه المعاهدة أصلاً لمنع القرصنة، ودعامة للنفوذ البريطاني في منطقة جنوب الخليج الفارسي، وجعلت من أعداء بريطانيا السابقين أطوع حلفائها.

انتهى نقلاً من كتاب «الاستعمار بالخليج الفارسي» للدكتور صلاح العقاد.

وهذا نص الوثائق بعد مفاوضات الصلح بينهم، والسيد سعيد بن سلطان بعد تلك الحوادث.

بسم الله الرحمن الرحيم

ليعلم مَنْ يقف على كتابي هذا، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بأني قد أعطيت الشيخ سلطان بن صقر عهد الله وأمانه، على يد أخيه صالح بن صقر، بأن لا أتعرض لجماعته، ولا أمد يدي على بلدانه وطوارفه من الخطم، ومغرب مشمل إلى أطراف الظاهرة، ولا أعين عليه خصماً يخاصمه، والحال بيننا واحد، باتصال جبل

الصدّاقة ما دام هو ثابتاً بمنع يده عن طوارفي، ومن تعلق بي، حتى لا يخفى، والله شاهد ورقيب.

حرر في ٢٧ من شهر رجب المرجب ١٢٦٨ هـ / ١٧ مايو ١٨٥٢ م.

صحيح سعيد بن سلطان بيده.

(الختم)

وبعد مضي عشرين سنة، ولي أمر كلبا (وخورفكان) الشيخ حمد بن ماجد بن سلطان القاسمي، وكان الحاكم على مسقط السيد تركي بن سعيد سلطان، فجدد اتفاقية عنها.

بسم الله الرحمن الرحيم

من الواثق بالله المتان، تركي بن سعيد بن سلطان، إلى كافة من يراه، أمّا بعد: فقد صار القرار بيننا والشيخ الأخ حمد بن ماجد بن سلطان بن صقر، على ما جرى بين سيدنا الوالد سعيد بن سلطان، والوالد الشيخ سلطان بن صقر بثبات الصّحبة والصدّاقة، كذا الحوز والإحرام من خطمة ملاحه مشمل هو للقواسم ما عدا بلد خصب بما حوته من الأطراف، وإن لهم منا الحشمة التامة، والكرامة العامة، والنفع لا ينقطع، كما جرى في زمن سيدنا الوالد سعيد وزيادة، وعلى هذا عهد الله وأمانه، لا حيلة ولا دغيلة اليوم ودوم؛ كيلا يخفى على القاضي والداني، والسلام.

كتبه مملوكه بأمره سليمان بن سالم، في ١٥ صفر المظفر سنة ١٢٨٨ هـ / ٦ مايو سنة ١٢٨٧ م. صحيح تركي بن سعيد بيده.

(الختم)

كان همُّ القواسم إبعاد النفوذ الإنكليزي عن المناطق المهمة؛ بل لم يكونوا أعداء لهذا النفوذ بالذات، إنما حاربوا كل تدخل أجنبي آخر، والدليل على ذلك أن فارس طلبت من الشيخ سلطان بن صقر في عام (١٨٢٣م) المفاوضة معها في بندر عباس، والاستعانة بأسطولهم؛ فرفض ذلك.

وفي عام ١٢٣٣هـ (١٨١٨م) بعث القواسم سبعة عشر مركبًا بحريًا، فيها عدد كبير من رجالهم المقاتلة، إلى القطيف مساعدة عسكرية للدولة السعودية، لما هاجم إبراهيم باشا الدرعية؛ إلا أنها وصلت بعد الأوان.

والحقيقة أنهم لعبوا دورًا مشرفًا في الوقوف أمام الغزاة، والتاريخ أصدق شاهد.

أول حاكم من القواسم الشيخ رحمة بن مطر بن كايد، ثم حكم ابنه راشد بن رحمة، ثم تولى الحكم بعده ابنه صقر بن راشد؛ وهو أول من استجاب للدعوة السلفية، وأصبح من جملة حلفائها، على أمل أن يتقي بها غارات الإنكليز من جهة، وأن يعزز انفصاله عن سلطنة مسقط واستثنائه بالحكم من جهة أخرى، فعقد عام ١٢١٤هـ معاهدة بينه وبين الأمير إبراهيم بن سليمان بن عفيصان، وهو أول أمير على البريمي من حكومة السعودية، واشتدت لهذه المعاهدة الحركة عليهم من الجهتين.

ثمَّ حكم بعده ابنه سلطان بن صقر الأول، وهو أشهر أمراء القواسم، وكان أوحده زمانه شهامةً وصرامةً، وشجاعة قلب، وحدة نفس، وكان أهم أعماله الانتقام من آل بوسعيد، وقد انتصر عليهم في «خورفكان» كما قدمنا ذكره. وقد فصل ابنه ماجد فجعله أميرًا على كلبا وخورفكان، كما فصل ابنه أحمد على ساحل دبا، وهو

أول من جعل الشارقة عاصمة له، وأقر عمه حسن بن رحمة في رأس الخيمة، وحسن هذا هو الذي جعلته الحملة البريطانية على رأس الخيمة.

وفي أيامه خططت الحدود بينه وبين سلطان مسقط. وساعد مكتوم بن بطي على الإقامة بدبي ضد حكام أبو ظبي. وقد قام باحتلال جزيرة القسم ولنجة وبقي في الحكم إلى حد الشيخوخة.

ثم حكم بعده ابنه صقر بن سلطان بن صقر، وصادف حكمه اليد الإنكليزية اللاعبة بمملكة العرب، وخمود كثير من قوة القواسم، وتحطيم أسطوهم، فاستقلت ولاتهم على أم القيوين وعجمان والفجيرة، كل تفرد بما تحت يده، وقتل هذا الشيخ في أثناء محاصرته أم القيوين. ثم تولى الحكم أخوه خالد بن سلطان، ثم سالم بن سلطان، ثم صقر بن خالد، وهذا الشيخ جعل على رأس الخيمة واليا، حميد بن عبد الله، وبعد وفاته ولي عليها خالد بن صقر، وبقي بها حتى توفي، وتعاقب الولاة على رأس الخيمة في عهد صقر؛ فوليها محمد بن سالم بن سلطان، ثم سلطان بن سالم الذي اغتال أمير الجزيرة الحمراء، وكانت هنالك مناوشات واختلاف كان الصلح على أن تكون رأس الخيمة لسالم، وأن تكون الجزيرة الحمراء والجزر البحرية تابعة للشارقة، إلى أن توفي صقر بن خالد.

ثم تولى الحكم من بعده خالد بن أحمد، فطرد معظم أقاربه وصادر أموالهم، فالتجأ كثير منهم إلى «دبي» واعترف باستقلال رأس الخيمة، وأعاد إليها الجزيرة الحمراء، وبقي في الحكم حتى كبر أولاد الشيخ صقر، وكانوا (بدبي) من جملة المطرودين، فهاجموا الشارقة ليلاً، وحصلوه اثني عشر يوماً، وأرغموه على التسليم، وطردوا كل من تعاون عنده، وقهر الشيخ سلطان بن صقر البلاد، وساعده إخوته على ذلك.

كان هذا الشيخ عاقلاً أديباً، يقول الشعر ويحبب عليه، جواداً كريماً، سهلاً في اللقاء، لين العريكة.

وقد وقع اتفاقية باستئجار مطار مدني بالشارقة بعد الحرب العالمية عام ١٩٥١م، ثم اعتمدها الإنكليز على أنها قوة للساحل؛ للقضاء على اللصوص الذين يعيشون في الأرض فساداً، وما هو إلا الثبث التام لنفوذهم والتغلغل في البلاد.

توفي هذا الشيخ عام ١٣٧٠هـ في لندن أثناء معالجته بعد أن أجريت له «١٨» عملية.

وتولى الحكم مؤقتاً أخوه الشيخ محمد بن صقر، الذي تنازل لابن أخيه الشيخ صقر بن سلطان الحالي.

تولى الحكم الشيخ صقر بن سلطان، فأصبح يؤسس ملكاً يقارعه العدو عليه، وكان من أحسن الناس خلقاً، ارتقت فيه الحضارة الأدبية والعلمية، فهو سهل الجانب، كبير النفس، محباً لأهل الفضل، مكرماً لهم، جيد الشعر ينظمه بدون تكلف لذكائه النادر، جلب المدرسين إلى بلاده، ونفخ روح التعليم في التلامذة وحجب لهم الحركة، وجرى في عروقهم ما فقدوه من روح الحياة، وكان محباً للسياحة إلى الخارج ليتلقى السياسة الحاضرة. وقد اجتمع له الحكم على كلبا وخورفكان وما تبعها من قرى، بعدما كانت قد انفصلت عن الشارقة، ويحاول إحياء بلاده بالعمارة والتجارة والزراعة والصناعة.

وطالما طالبت هذا الشيخ أن يتحفني بما أشرف به تاريخي هذا من مآثر آبائه الكرام؛ لما أعلمه من جلالتهم، ولما له عليّ من فضل ومنة وإخلاص مودة، فلم يجبني، وفهمت منه أن أحد علماء بلاده يحاول أن يكتب عنهم تاريخاً مستقلاً.

ما كان برأس الخيمة: حوالي عام ١٣٣٠م في عهد سالم بن سلطان، تولى الأمر أخوه محمد سالم الذي تنازل لأخيه سلطان، ثم قام عليه بنو أخيه واستولوا على الأمر، وعينوا أحدهم، وهو الشيخ صقر بن محمد بن سالم حاكمًا. وكان أمير الجزيرة الحمراء تمنع على القواسم، فهاجم الشيخ صقر بن محمد برجًا من أبراج الحراسة، فصادف فيه ابن أمير الجزيرة، فقبضه رهناً لتسلم الحصن، فاضطر إلى التسليم والتجأ إلى الشارقة.

دبي

هي جبهة عمان وباصرتها ووجهها وغرتها، مرتع النواظر، ومتنفس الخواطر، طيبة البقعة، واسعة الرقعة، تقع على ساحل الخليج الفارسي، قد مدَّ البحر بها لسانه الطويل، فهي أشبه شيء بمصر يتخللها النيل. تفوق على كل بلاد في عمان بالتجارة والثروة والعمران، تبوأها آل بوفلاسا القوية النفوذ وطناً، بعدما تركت موطنها القديم، فهاجرت إليها من أبو ظبي، وتحملت إليها برمتها، فجعلوا من أنفسهم زعماء مستقلين في ذلك الأوان، وبقوا عليها حكامًا إلى الآن.

وأول من فتحها من هذه العائلة مكتوم بن بطي بن سهيل في عام ١٢٤٩هـ (١٨٣٣م)، وذلك حينما دبَّ الخلاف بين مشايخ آل بوظبي، فقتل طحنون بن شخبوط، واختلف من بعده إخوته خليفة وسلطان.

تمكن مكتوم بوحى البديهة لا بوحى التفكير، وأحب أن يكون له ولقومه ملجأ يأوون إليه، ويتمتعون بحرية كاملة فيه، فاستلَّ الخاتم من يد سلطان بن شخبوط لما أردى قتيلاً، وختم باسمه كتاباً إلى (ابن زعل) عامل سلطان على (دبي) ضمنه بأن

يعجل المبادرة إلى حاكمه، فما تلكاً العامل من إجابة سيده، وما درى أنها المكيدة المدبرة.

فابتز مكتوم البلاد من يد الأسد، وقهرها بكف من حديد، وبمكره الأسد وحصنها بصقور لا بحبل من مسد، وأحاطها بعزم وبأس وجلد، فكَرَّ خليفة عليها بعد أن استوى على العرش، وهاجها مراراً ليردها تحت لوائه حسبما كانت، فما نجحت عملياته بعد أن دامت الحرب بينهم سبع سنين حتى خارت عزيمته.

ولما تولى بطل الشمال زايد بن خليفة إمرة آل بوفلاح عاود الكرة إليها، فشمّر عن ساق الجدل لإعادتها تحت قهره؛ لكونها كانت من توابع مملكة آبائه، فما قعد آل بوفلاسا مكتوفي الأيدي، ولا نكصوا وجلين حتى بقي كل على ما تحت يده.

عَمَّر الشيخ مكتوم طويلاً وبقي في رياسته على دبي وتوابعها دهرًا، ثمّ ولي الأمر من بعده شقيقه سعيد بن بطي بن سهيل، فكانت أيامه دون مدة أخيه.

ثم ولي الحكم من بعده ابن أخيه حشر بن مكتوم، وطالت أيامه فبقي عليها وتوابعها عشرين عامًا غير معارض.

ثم ولي الأمر من بعده راشد بن مكتوم، فبقي حاكمًا على دبي وتوابعها سبع سنين. ثم ولي الأمر من بعده ابن أخيه مكتوم بن حشر بن مكتوم، ولبت في الإمارة اثنتي عشرة سنة، حتى توفي في شهر ذي الحجة سنة ١٣٢٤هـ.

ثم ولي من بعده ابن عمه بطي بن سهيل، وكان رجلًا سياسيًا وقعت بينه والإنكليز فتنة في عام ١٣٢٨هـ بسبب أسلحة هربها (سيف بن حمد المعولي راعي النجم) فأخفاها في بيت من بيوت أحد الشيوخ بدبي، وكان الإنكليز حريصين على

منع الأسلحة ودخولها أرض العرب، فأصبحت بمناوراتها على دبي، وطلبت من الشيخ بطي السلاح فأنكر علمه بذلك، فشددت الإنكليز الطلب وأنزلت عساكرها في بيت الشيخ محمد بن أحمد بن دلوک، وبعضهم بقي بالسفن البحرية، فرمت بمدافعها بيت سالم بن العبد في (ديره) ورد عليها الوطنيون بمثل ذلك، فأسفرت المناوشات عن قتل ضابط إنجليزي وثمانية وعشرين من عساكرهم، ومن أهل دبي على الصحيح أربعة أشخاص، كما قيل: إنهم سبعون شخصاً. وتخلص الشيخ بطي من هذه الفتنة بأن دفع للإنكليز على يد وكيلهم في الشارقة المسمى عبد اللطيف خمسين ألف روبية هندية، وأربعمائة بندقية، وكثرت الأناشيد في هذه المعركة، ووفد الشعراء يهنئون بطياً بالظفر، وكان تاريخاً جميلاً، وليت الخلف يفعل ما فعله السلف.

بقي الشيخ بطي حاكماً ست سنين على دبي وتوابعها حتى توفي في عام ١٣٣٠ هـ. ثم ولي الأمر من بعده ابن عمه سعيد بن مكتوم بن حشر بن مكتوم، عام ١٣٣٠ وهو حاكمها الحالي، وقد فوض الأمر آخر عمره إلى ابنه راشد بن سعيد، فهو المدير لشئونها المدير لها. وقد هاجر إلى هذه العاصمة كثير من رجال داخلية عمان ومسقط، ومن الخارج لما لقوه من تخفيف الوطأة عليهم وعلى رعايا البلاد، فحصلوا على ربح واسع من هجرتهم، وشاطر هذا الشيخ العمانيين قسماً وافراً من التموين الموزع لبلاده وأوان الحرب العالمية الثانية. وتوطن كثير من الناس بهذه البلاد لعدم المضايقة، وقلة الفحص بها والتفتيش في الجمارك، والأمور المنفرة للعالم، فتوسعت البلاد وكثر العمران ونشطت التجارة.

وفي عام ١٣٥٧ هـ نسجت الإنكليز فتنة بين سعيد بن مكتوم حاكم دبي، وابن عمه مانع بن راشد، لإنفاذ سهمها من الأمير سعيد حيث لم يوافق على إتمام مصالحها، خسر بنو إياس في هذه الفتنة عشرة أبطال من أعيان رجالهم، منهم الشيخ

حشر بن راشد وابنه بطي بن حشر، وحصر الشيخ مانع في بيته فلبث يدافعهم ثلاثة أيام، وأبدى شهامة أقرَّ لها أقرانه، وتحصنت كريمتاه عنده فدافعن بين يديه دفاعاً تتكعكع عنه الأبطال، حتى أفرجن لأبيهن، فاستطاع أبوهم بمساعدتهن التحيز إلى الشارقة بعد أن أحرقت منازلها بالنار، ونهبت أمواله وذخائره، ولم يجد مساعداً من قومه، وكانت الواقعة في يوم الأربعاء سابع صفر سنة ١٣٥٧ هـ. وكان خروج مانع في تاسع صفر من العام نفسه، وبسبب خروجه إلى الشارقة تأججت الفتنة بين أهلها وأهل دبي، وبقيت اثني عشر يوماً قتل فيها اثنان من أهل الشارقة، وجرح عبد العزيز ابن القاضي سيف بن محمد.

وفي عام ١٣٦٥ هـ أيقظ قاسم الشيعي وكيل الإنجليز بالشارقة فتنةً بين حاكم أبو ظبي وحاكم دبي؛ بسبب موضع يسمى (غناضة) زعمت الشركة الإنجليزية أن به عيون الزيوت، وأنها تطلبه ممن هو له، فتنازع الشيوخ عليه كلُّ يدعيه، فقامت بسببه فتنة صماء خسر الكلُّ فيها أموالاً فادحة ورجالاً كُملًا، انتهت عن مائتين واثنين وثلاثين من القتلى عدا الجرحى، فقد بها من المناصير خمسة وثمانون شخصاً والباقي من الفريقين، وتحاملت الدولة على أهل دبي، وألزمتهم رد الإبل المأخوذة في الحرب، فدفعت آل مكتوم مائتي ألف روبية غرامة عنها، فأمضت بينهم صلحاً بذلك، ثم وقع بعده تناقض أدى إلى حركة عمان بإمامها لقمع هذه الفتنة صلحاً، أو قتال من بغى على الآخر إن أبي عن القبول على حسب الحكم القرآني بعد استفهام صدر من الإمام لوكيل الدولة بالشارقة. وكان قد صدر أمره إليَّ بالمسير إليهم، فخرجت بأمره وتكلمت عند الشيخ سلطان بن صقر حاكم الشارقة، بما أملاه الإمام، وطلبت منه أن يعرف ما عند الضابط الإنكليزي، وما رأي حكومته، فلما رجع أرسل إليَّ في قصر الشيخ سعيد بن مكتوم بدبي، وكان من جوابه يقولون: إنهم لا يتدخلون في شئون العرب، فرجعت بجوابه إلى الإمام، فتحرك لإصلاحهم، ووصل كثير من

رجالہ بلدة عبري، فما كانت إلا أيام حتى وصل رسول الشيخ الرقيشي والي عبري من قبَل الإمام يعرب أن الوكيل السياسي بالشارقة جمع المشايخ وأصلح شأنهم، وحجز غناصة لآل بوفلاح.

وحصل من نتيجة هذه الحرب أن نفت الإنكليز الشيخ جمعة بن مكتوم، شقيق الشيخ سعيد بن مكتوم، من دبي إلى البحرين، بآتهامه أنه يعاكس نفوذها، وأن حماسه وشكيمته لا بد من قمعها؛ إذ كل الواقع بتدابيره، ولم تسمح له بالرجوع إلا بعد مضي ستين، فبقي بالبحرين عامًا كاملاً، ودفعوا في مقابلة العام الثاني مآلاً.

وفي عام ١٣٧٥ هـ دبرت الإنجليز مكيدة بين آل مكتوم حكام (دبي)، فأفرغت في آذانهم الوحشية وشغلته بنزاع وفتنة، فأتيحت لها الفرصة التي تحسب لها حساباً طويلاً، فوضعت يدها على البلاد وضعت نوائها.

ونفت الشيخ جمعة بن مكتوم وأولاده: عبيد، وحمد، وأحمد، ومكتوم، فأووا إلى المملكة العربية، فنزلوا على إكرام صاحب العظمة الملك سعود بن عبد العزيز، وبقوا في الدمام بجوار أمير المنطقة الشرقية سعود بن عبد الله الجلوي، فغمرهم إحسانهم وإكرامهم، كما أن الملك أمدهم براتب شهري، وبعد أن انقطع الصوت وصفا العكر سمحت لهم بالرجوع في عام ١٣٧٨ هـ.

وفي العام نفسه نفى من أعيان دبي حمد بن ماجد فطيم، وخليفة بن ماجد، وسعيد بن ماجد، ثم أذن لهم بالرجوع بعد رجوع الشيخ جمعة، ولم يكن لابن فطيم موجب يبرر عملهم إلا سوء الظن والوحشة، وبنزولهم تحت ظل الملك المعظم سعود حامي حمى الحرمين، لم يفقدوا بما شملهم من إكرامه إلا التمسك بحب الوطن.

أبو ظبي

تقع على الطرف الذي يواجه البحر من جزيرة تفصلها عن البر مخاضة، لا يمكن عبورها إلا عند الجزر، وهي عاصمة آل بوفلاح، وهي آخر الإمارات العربية، تابعة لساحل الصلح البحري، وأول إمارتهم من حدود الشارقة إلى حدود قطر، يقطن البدو منهم الظفرة وخنور، وأماكن يطلقون عليها اسم محاضر، تقع بين تلال من الرمل يقيم المحاربون منهم بنواحيها، ويقسم قسم منهم في ناحية الجو، وهم الظواهر، وآل بومهير، وهي قبيلة عربية، ولم يخضع أحد منهم للآخر، وقد اجتمعوا في القديم على رئيس السودان وولوه أمرهم، ودانوا له بالطاعة ثم قتلوه بعد ذلك، وبنو إياس قبائل عديدة منهم آل بوفلاسا، آل بومهير، السودان، الهوامل، محاربة، جمران مزاريع، رميثات، مرر، أولاد ياسر بن عامر، ويتمون إلى سبيع بن عامر، ولهم توابع كثيرة منهم القبيسات يتمون إلى صخر، وهم من المرر وآل بوحمير، يتمون إلى أبو الشعر من المناصير، وآل بالخييل يتمون إلى أبو رحمة من المناصير، والكل عصابة بن ياس حرباً وسلاماً. والظواهر من توابعهم.

أمّا آل بوفلاح فإنهم أمراء بني ياس وليسوا منهم يقال: إنهم من بني هلال، ويقال غير ذلك.

وانتخب الشيخ فلاح جد العائلة الحاكمة الآن أميراً على بني ياس؛ لأنه من خيار الرجال شجاعةً وحزمًا وكرمًا، فقطع دابر الشقاق، وأحبه الجميع، وصاروا له أطوع من بنائه، وكان يسكن الظفرة، ولم يمت أحد من بيت آل فلاح الذين ملكوا أبو ظبي على فراشه إلا أربعة والباقيون قتلوا اغتيالاً في الحكم.

تأسست هذه العاصمة عام (١١٧٥هـ - ١٧٦٢م).

وأول مَنْ ولي إمارتها شخبوط بن ذياب عام ١٢١٠هـ، وبقي حاكمًا على بني ياس غير منازع إلى أن أنزله من الزعامة محمد أكبر أبنائه في عام ١٢٣١.

ثم أكره محمد في عام ١٢٣٣ على التنازل عن الحكم لأخيه طحنون بن شخبوط، وكان أصغر سنًا منه، وبقي طحنون شاذًا عضد أبيه ومساعدًا له، وقد سعى سلطان بن صقر حاكم الشارقة، لاسترداد سيطرة محمد على أبو ظبي فلم ينجح.

وفي عام ١٢٤٨ قتل طحنون بن شخبوط؛ اغتاله أخواه خليفة وسلطان بضربة مسدس من أحدهما وطعنه خنجر من الآخر، وأدى الشيخان الطاعة والولاء لحاكم نجد. وكتب حاكم نجد إلى شيخ القواسم بالشارقة: أنه لا يسمح له بالاعتداء عليهم، ثم لم يسمح لهم الدهر بالألفة، وتلك خليقته، فافترقا الأخوان. وبهذا السبب وقع الخلاف، ودبَّ الشقاق بينهم، وقتل سلطان بن شخبوط، فافترقت القبيلة، وتحزَّب كل لفريق، وانسحب آل بوفلاسا من أبو ظبي بعد قتل سلطان، واستعمروا دبي في عام ١٢٤٩، كما أسلفنا القول، ثم انسحب القبيسات إلى العديد واستعمروها عام ١٢٥١، وكان رئيسهم خادم بن نهيان، وخرجوا عن طاعة خليفة بسبب ما فرضه الإنكليز على حاكم أبو ظبي من الغرامة؛ فإنهم أبوا دفع المفروض عليهم.

ثمَّ قام عليهم الشيخ خليفة بن شخبوط بمساعدة الإنكليز، فهربوا قبل وصوله لاستشعارهم العجز عن مقابلة الإنكليز، واضطر خادم بن نهيان إلى الرجوع إلى أبو ظبي بعد العفو عنه، وشروط التزم بها بل ألزم إياها.

وفي عام ١٢٦١هـ قتل الشيخ خليفة بن شخبوط؛ اغتاله بنو عمه، فبقيت الحكومة في يد امرأة من آل بوفلاح، ولم يقبل الزعيم محمد بن حمد المري من قبيلة

المرر سيادتها عليهم، فجمع أعيان بني ياس، وكان مقبولا عندهم، ولكونه مدبراً يحسن السياسة سمعوا له، فأرسل إلى سعيد بن طحنون، وكان يسكن بالظفرة، فأقبل إليهم وبمعيته اثنان من بني عمه، فقدموه حاكماً عليهم، ولم تطل المرأة في الحكم فقليل: أيامها أربعون يوماً، وقيل: أربعة أشهر.

ولي سعيد بن طحنون الحكم على بني ياس، وكان عالي الهمة بعيد النظر حازماً، جمع الأموال واصطنع الرجال، ونظم جيشاً بحرياً، وبنى له السفن الخربية وما تحتاجه من أدوات؛ فأحبته حكومة مسقط وخطبت وده؛ ليكون لها عوناً على آل سعود، فعسى أن يشغلهم عن التقدم إلى عمان.

فقام إلى حكام الساحل وجمعهم على الصداقة، والحلف على إبعاد أهل نجد من بلادهم وطردهم من البريمي، وفي أواخر عام ١٢٦٤ اعترزم سعيد بن طحنون أن يهاجم البريمي، وكان أميرها محمد بن سيف العجاجي من قبل الإمام فيصل بن تركي حاكم نجد، فوافق هجومه ضعف الحامية بها للنزاع الواقع بين الأهالي، فاحتل سعيد قصر الخندق وقصر الصبارة، ولما وصل الخبر إلى حاكم الرياض الإمام فيصل أرسل سرية يقودها سعد بن مطلق المطيري، فعلم سعيد بوصولها، فكمن بالعانكة موضع غربي البريمي، وهاجمها في ليلة مظلمة، وقيل: إنه كمن لها ولم يشعروا حتى وقعوا في الكمين ليلاً، فهزمت السرية هزيمة منكرة، وقتل من قتل، وفرّ الباقي ومات أكثرهم ظمأ، وأهلكتهم حرارة الشمس، وكان من جملة القتلى الشيخ عبد الرحمن بن عراز القاضي السعودي، وركب سعد من هزيمته إلى دبي، ثم إلى الشارقة واستعان بحكامها الشيخ سلطان بن صقر والشيخ مكتوم بن بطي، فقام باسترداد البريمي من يد سعيد بن طحنون بعدما بقيت في يده ثمانية أشهر، فعرض سعيد تسليمها في عام ١٢٦٥ هـ من دون حرب على أن يطوي الماضي في صحيفة

النسيان، وأن يكون على سابقته قبل نشوب هذه الحرب، ثم توجه سعيد بن طحنون إلى الإمام فيصل يطلب إليه الصفح والعفو، لما بلغه قدومه إلى البريمي، فالتقى به قبل وصوله فعفا عنه.

طرد سعيد بن طحنون ابني أخيه زايد وذياب إلى دبي، وبقيا عند الشيخ مكتوم بن بطي، فرباهما وأحسن إليهما.

وفي عام ١٢٧١هـ اقتتل أخوان من رجال القبيسات، فقتل أحدهما الآخر، وكان أبوهما مكفوفاً وأمهما عجوزاً فانية، فطلب الشيخ سعيد القاتل فاجتهد أبواه في طلب السماح له عن القتل، وأنهما ضريران عاجزان عن القيام بأمرهما، وأنهما قد أعفياه، فأبى إلا قتله وكررا عليه فأعجزهما، ثم أرسل إليه فقتله، وبسبب ذلك داخله الرعب والفشل، فتخلى عن الحكم، وفرّ إلى جزيرة قيس من أرض فارس.

ثمّ قام بنو ياس فأرسلوا إلى الشيخ زايد بن خليفة من دبي، وولوه حكم البلاد عام ١٢٧١هـ، فأصبحت أبو ظبي أهم دول هذه المنطقة على الساحل؛ وذلك بفضل ما ألهم زايد من جود وبسالة، وبقيت الشهرة له ولعقبه. حكم زايد البلاد ولسان حاله يقول:

نبني كسما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثلما فعلوا

والحقيقة أنه فعل فوق ما فعلوا؛ كان كريماً جواداً، كبير الهمّة، لازمة الحظ من المهد إلى اللحد.

وفي شهر ذي الحجة سنة ١٢٧٢هـ خرج زايد لزيارة سلطان مسقط السيد ثويني بن سعيد، فعزم سعيد بن طحنون أن يهاجم أبو ظبي، وكان سعيد قد وصل في ذلك الوقت إلى الشارقة، فخادعه مانع بن عجلان المهيري ومن عنده

وأوعده المساعدة، فنزل أبو ظبي فدانت له رغبا ورهبا، وتحصن ذياب بن خليفة أخو زايد بحصنها، فحصره فانتهى الخبر إلى زايد فعاد مسرعا، فنزل على ماء يقال له (غفر) وبعث رسولا إلى حاكم دبي سعيد بن بطي يستنصره، فأرسل إليه قومه مع جماعة من بني عمه يقودهم حشر بن مكتوم، فاحتلوا أبو ظبي بعد قتال شديد، قتل فيه سعيد بن طحنون شمالي الشعب يخوض البحر، واختلفوا في قاتله؛ قيل: إنه القعود بن حنظل، وقيل: عبيد بن سعيد الهاملي، وانتقم زايد من مانع بن عجلان الغادر به، وبالجملّة فإن سعيد بن طحنون خسر حياته في هذه الغزوة.

وفي عام ١٢٨٦هـ خرج القبيسات مرة ثالثة إلى العديد، واستقروا فيها، فقام عليهم الشيخ زايد مرارا، وفي عام ١٢٩٤ ضغظهم الإنكليز بأن يرجعوا إلى زايد رغما، وعرفوا أن لا طاقة لهم بالإنكليز، فغادروا بلادهم وتركوها بعدما دمروا الآبار وخربوا البلاد، فالتجأ بطي بن خادم رئيس القبيسات وجماعته الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني حاكم قطر، ثم عادوا إلى أبو ظبي بعد ذلك.

ثم كانت حروب بين قاسم بن محمد حاكم قطر، وزايد بن خليفة، واستحرت عام ١٢٩٧هـ.

وفي سنة ١٣٠٩هـ وقّع رئيس أبو ظبي تعهدا على نفسه وورثته من بعده للإنكليز، تحتوي على الشروط الآتية^(١):

إني لا أدخل أبدا في قرار ماء ولا محاورة مع أحد من الدول، سوى الدولة البهيثة الإنكليز، بغير رضا الدولة البهيثة الإنكليز، لا أقبل أن يسكن في حوزة ملكي وكيل من دولة غير البهيثة الإنكليز أبدا، لا أسلم ولا أبيع ولا أرهن ولا

(١) ذكرتها المعاهدات الجارية.

أعطي للتصرف أو للتبرؤ بنوع ما شيئاً من ممالك لأحد، إلا الدولة البهيثة الإنكليس.

توفي زايد عام ١٣٢٤ في التسعين من عمره، بعد ما حكم خمساً وخمسين سنة، وترك ثمانية أولاد: خليفة، طحنون، سعيد، حمدان، هزاع، سلطان، صقر، محمد.

ولم يقبل خليفة ابنه الأكبر أن يكون حاكماً لأبو ظبي، ولعله آنس أن الحاكم بها مؤيداً بالاضمحلال.

استولى طحنون على الحكم بعده في ذلك اليوم، وكان مصاباً في رجله بالخدر؛ بسبب سقطة من ظهر جواده، لما جمع به فأرداه، وبقي أربع سنوات حاكماً حتى توفي. وفي عام ١٣٣٠ هـ ارتقى حمدان منصب الحكم، وكان أكفأ أبناء زايد نجح في حفظه المملكة إلى الذروة التي بلغها أبوه، فحدث عنه في الكرام والجود والهمة، ولا حرج. سعى في عام ١٣٣١ بالصلح بين الإمام سالم بن راشد الخروصي، والسلطان تيمور بن فيصل، وعقد اجتماعاً بالسيب؛ فلم يقدر الله النجاح على واسطته. وفي عام ١٣٤٠ قتل حمدان؛ قتله أحب الناس إليه أخوه سلطان بن زايد، وارتقى منصب الحكم، وبقي مزعزعا غير ناجح في سلطانه، ثم شرع أخوه صقر بن زايد في التماس الانتقام منه أخذاً بثأر المقتول، وانضم إليه ثلاثة من خدم حمدان، واستعان بأحد أعيان البدو ليظاهروه، فأطلق عليه الرصاص في صيف عام ١٣٤٦، وارتقى منصب الحكم عاماً لا زيادة، ونشبت بينه والمناصير منازعات يطلبون منه الأرزاق التي عودهم بها من كان قبله من الحكام، وعزم صقر على اغتيال أخيه خليفة، وابنه محمد فساعد المناصير خليفة على إسقاط صقر من الحكم والفتك به، فاتحدوا مع عبد الشيوخ فكان أول من أطلق عليه النار، ولكنه أخطأه فأرداه المناصير قتيلاً بأمر خليفة وابنه محمد، وأراد المناصير تقديم محمد بن خليفة حاكماً بعده، ولكنه أثر راحة

نفسه ورفض الشرف، فوقع الاختيار على شخبوط؛ وهو أكبر أبناء سلطان، وهو الحاكم على أبو ظبي ومتعلقاتها إلى يومنا هذا، ويساعده أخوه زايد في أطراف البريمي.

قطر

على سيف الخط بعين عمان والعقير، والأسرة الحاكمة عليها المعاضيد، وحاكمها الحالي الشيخ علي بن عبد الله بن قاسم بن محمد بن ثاني بن محمد، أصل نسبهم من بني سعد بن عمر، بن تميم، ويقال لهم: آل ثامر، ثم نسبوا إلى جدهم: ثاني، فيقال لهم الآن: آل ثاني، وكان نزولهم قطر قبل تمام الألف، وكانوا قبل ذلك من بادية يبرين وأمكنة نجد، فزاحموا عبد القيس على قطرن حتى استولوا عليها، أخذت هذا من لسان الشيخ علي وطلبت الزيادة على ذلك؛ فتخرج واعتذر، وهذا الشيخ أحله أبوه عبد الله محله وأنزله بمكانته في عام ١٣٦٨هـ؛ لما علم من كفايته، فهو بالدوحة من البلاد، والدوحة العليا من المكانة، وأول من حكم قطر من هذه الأسرة الشيخ ثاني، ثم ابنه محمد، ثم ابنه قاسم، ثم عبد الله، ثم علي.

وفي عام ١٣٥٤ منح الشيخ عبد الله بن قاسم شركة الزيت امتياز التنقيب.

وفي عام ١٣٥٨ نجح العمل في الزيت، وظهرت أول بئر منه؛ فتوسعت البلاد، وزاد العمران، واستأنست الرعية، وحصل الغني لحاكمها، وجاد على زواره وأكرم وافديه.

وفي عام ١٣٦٨ استقبلت قطر أول ممثل من الحكومة البريطانية، وقبل ذلك كان يزورها ممثل البحرين.

الجبل الأخضر

هذا الجبل يملكه بنو ريام، وأميره سليمان بن حير النبهاني.

وهو جبل عظيم الارتفاع، صعب الامتناع، لا يتوصل إليه إلا من طرق مخصوصة، تشعب منه تسعة أودية، بها قرى لبني ريام، وبهذا الجبل يلجأ العمانيون عند الشدائد من قديم الزمان، فقد لجأ إليه سليمان وسعيد ابنا عباد بن الجلندي في وقت حروب عمال الحجاج، وكانا قد هزما جيوشه عدة مرات وفلا جموعه، ثم جهز إليهما القاسم بن شعوة من جهة البحر، فأرسل سفينته بقریات فهزما جموعه، وقتل القاسم في المعركة، واستوليا على سواده، ثم جهز إليهما أخاه مجاعة بن شعوة، في ثلاثمائة سفينة من جهة البحر، فأرسل سفينته بمسقط، وفي عشرين ألف من جهة البر، فهزماه هزيمة منكرة ببلدة سميل، وبأمكنة أخرى من عمان، وغزا سليمان بن عباد سفن القاسم بمسقط؛ فأحرق منها نيفاً وخمسين سفينة، ثم جهز إليهما عبد الرحمن بن سليمان، وقد أكلت الحرب الرجال وضعفت القوة، فاستشعر سليمان وسعيد ابنا عباد العجز، فصعدا الجبل الأخضر بذرايرهما وحاصرهما جند الحجاج، فتخلصا منه وركبا البحر بالذراري إلى أرض الزنج، وماتا بها، وتغلب جند الحجاج على عمان بعد خروجهما منها.

وتحصن بهذا الجبل الإمام غالب بن علي الهنائي بمن عنده من المجاهدين، لما حلت الإنجليز على عمان في عام (١٣٧٦-٧٧) فبقيت تقذفهم بشرر الطائرات ثمانية عشر شهراً، وقد عجزت جنودها من الصعود إلى المجاهدين، فاستعانت بالطيران. وأمل أن أجمع لتلك الحوادث تاريخاً مفرداً.

بهذا الجبل الأنهار، والآبار والفواكه الكثيرة بجميع أنواعها؛ فالعنب بأنواعه العديدة، والرمان بأنواعه، والتفاح، والخوخ، والمشمس، والجوز، واللوز، والسفرجل، والليمون الحلو والحامض إلى غير ذلك، كما يوجد به من الرياحين الزعفران والورد والنرجس والياسمين والفل، وبه الزيتون والبوت والنمت والأبل؛ وهو شجر العلعلان الذي يؤخذ منه الصمغ المصطكي المعروف بالرومي، وأكثر أشجاره عطرية ولو كتب وصفه وكل ما احتوى عليه لاحتاج إلى مجلد.

جبل الكور

هو جبل ضخيم منيف أقرب أن يكون حوراء، كأنما عليه غبار دائماً، وهو حوالي خمسمائة ميل مربع، يسكنه قوم من بني هناة عرفوا بالصدق، أحاطت به بلدانهم، بل وفي سفحه بلدان لهم أيضاً.

وله خواص: ومن خواص ما فيه أنه حافظ بالطبع لجوهر ما يدخر به ولو طالت المدة، ومن ذلك أن التمر إذا أخذ وقت حصاده خصوصاً من البلدان التي بسفحه وهي (دَنّ) و(معول) و(ليس) وادخر في المغارات بالجبل المذكور لا يتغير طعمه ولا لونه، ولو بقي دهرًا طويلاً، ويقال: لو بقي إلى أعوام عديدة، وكل الأطعمة والحبوب بهذه الصفة؛ مع أن اللحم إذا ادخر طويلاً يبقى إلى شهر لا يتغير ولا يخبث بدون المثلجات.

ومن العجائب الموجودة فيه أن نهر (دَنّ) وهي البلد الذي بسفحه إذا اغتسل الإنسان داخل النهر بأعلى البلد يصاب بداء لا يفتر ألمه حتى يتصدق، أو يعمل معروفًا، وإذا اغتسل بأسفله حيث يغتسل الناس لم يصبه بأس.

ونهر (دن) ونهر (معول) يمتنعان من سقي الأرض في أيام معروفة، ولا يدرى أين يذهب هذا الماء عند امتناعه، ولا يرى أين يصب. فإذا طرقتهم ضيف أو احتاجوا إلى تغسيل ميت، خرج أحدهم إلى مكان معروف عندهم فينادي: (يا وضاح) عندنا ضيوف أو ميت، أو يخرج أحد الضيوف فينادي فيأتيهم بسرعة.

وبهذا الجبل بشر إذا اغتسل الجنب في جوفها نضب ماؤها، ويصاب المغتسل بداء يبقى به لا يفارقه حتى يموت، فإذا مات أصبح الماء طافحاً على البشر.

وبه أنهار؛ فمنها ما يزيد ماؤه إن كان لأناس، وينقص إن كان لآخرين على كل دور، ومنها ما ينقطع من غير قحط، ويزيد من غير مطر، وفي حال انقطاعه إن حدث بالبلد حريق، أو احتاجوا للغسل ميت، أو طرقتهم ضيف يستحق الإكرام، خرج من مجراه نهراً فوق العادة، وهذا مشاهد مشهور.

ويقال: إنه توجد في بعض كهوفه كمة من الجوخ الأحمر، إذا وضعها الرجل الضخم على رأسه تبلغ منكبيه، فإذا أراد إخراجها من موضعها؛ ذهب بصره حتى يردها في محلها. وبه من الأشجار البرية ما لا يوجد بغيره.

زرت مصر عاصمة الإسلام في شهر شعبان عام ١٣٨٠، وتكلم إليّ صديق أن أهل الخارج يمنحون روايتك هذه السخف ويعدونها من الخرافات، فهم يستبعدون ما تذكره من وصفك للأنهار الموجودة بجبل الكور، وحفظه الطبيعي للأطعمة بغير واسطة وخصوصاً اللحم. والجواب: لا يهمني استنكارهم ما دمت صادقاً، وكان هذا شيء حاضر موجود بل لا يحتاج إلى مبرر، فلعل الرواد الذين دخلوا البلاد بعد الاحتلال عرفوا صدق ذلك، ونحن نستنكر ما يبلغنا عن القمر الروسي وهو من

صنع البشر، وقد أطبق العالم عليه، ويستنكر البشر صنع الله! أيُّ الفريقين أهدى سبيلاً؟!

ويوجد بعمان في وادي بني خالد بالشرقية جبل مجرف، له مسلك من نقرة بأعلاه من جهة القطب، تغطيها الرحي، ثم تتوسع تلك النقرة شيئاً فشيئاً، فيسلك الداخل في غار حتى يتخلص إلى شرجة من الماء عظيمة تجرى، لا يدرى من أين أقبل الماء، ولا إلى أين يذهب، وحوالي هذا الماء رمال وتراب وشجر.

أشهر قرى الداخلية

نزوى وهي عاصمة مملكتها. بهلا. منح. أزكى، ويقال لها في القديم: جرفان. آدم. وتسمى هذه القرى وما حواليتها أرض الجوف، وما كان شرقيها من جهة المطلاع يقال لها: الشرقية.

أفخم بلدان الشرقية: سناو. المضبيي. إبرا. بدية. جعلان.

أفخم بلاد في داخلية عمان: نزوى. الرستاق. سمائل. نخل. بهلا. منح. عبري.

يوجد بنزوى من الأشجار والنخيل والفواكه ما لا يوجد بغيرها في عمان، وبها الأنهار، وعليها المعول والآبار وهي قليلة، اتخذها الأئمة الأولون عاصمة ملكهم، وكان أسطوهم في القديم قد بلغ مبلغاً عظيماً فقهروا شطراً من الهند وإفريقيا، فما رغبوا عنها فترى في تلك الآثار ما يدل على جلالتها والتاريخ شاهد عدل.

يلي نزوى من جهة القبلة بلدان كثيرة هي من أعمالها، وأفخمها بهلا؛ كانت مركز أولاد راشد بن حميد، ثم تليها الظاهرة، وهي المعروفة بأرض السر، تقع بين

جبال الحجر تقابلها اسمًا وحقيقة الباطنة في الجانب النعشي، والظاهرة هضاب تشتمل على سهول كثيرة وعلى جبال صخرية، وتمتد قبة إلى جبل حفيت، وشرقًا إلى نجد المخاريم، وتتألف الظاهرة من قرى متشابكة على أرض مستوية وعاصمتها عبري، وهي زمام الظاهرة ومرجع البادية، وسوقها كبيرة ورياستها تنتهي إلى اليعاقب أولاد راشد بن عبد الله بن محمد.

ومن بلدان الظاهرة:

الدريز: وهي بلدة من أوسع بلدان الظاهرة، بها بنو غافر ورئيسهم الشيخ علي بن سعيد الغافري، ويده حصن العينين. ومن هذه القبيلة الشيخ العلامة خلف بن سان الغافري أحد قضاة الإمام سلطان بن سيف اليعربي، توفي رحمه الله وقد حوت خزائنه من الكتب المخطوطة ما لم تحوه مكتبة علمية بعمان؛ فإنه جمع سبعين وثلاثمائة وتسعة آلاف كتاب، وفي ذلك يقول:

لنا كتب في كل فنٍّ كأنها	جنان بها من كل ما تشتهي النفس
جرى حبُّها مني ومن كل عالم	ذكي الحِجى والفهم حيث جرى النفس
فلا أبتغي ما عشتُ خلًّا موانسًا	سواها فنعم الخل لي وهي الأنس
ولست أرجى أن يفوز بمثلها	على غابر الأيام جنٌّ ولا إنس
ثلاث مئتين ثم سبعون عدها	وتسعة آلاف لها ثمن بخس

ينقل: هي من أحصن بلدان الظاهرة، ولها توابع ورئيسها الشيخ سيف بن عامر العلوي من الغصون، ويقال: إن أصلهم من نجد، من بلد تسمى الحوطة، أما جماعته فهم بنو علي بن سودة.

ضنك: على سفح جبل من الجانب الغربي، تقع على فم الثغرة الضيقة، وهي بلد خصبة يظهر وادها ممتدًا إلى الربع الخالي، وبها علالة وسفالة، وبها رؤساء كل تفرد بجماعته، ومرجع أمر العلالة فيها إلى رئيس النعيم صقر بن سلطان.

مقنيات: بلدة بين جبلين لبني كلبان، وهي بلدة خصبة كثيرة المياه، بها حصن في أعلى جبل لا يتوصل إليه إلا بمشقة، وقد شيد بناء النباهنة لما كانوا على عمان، وقد استولى عليه بنو كلبان من يد محمد بن جبر العميري عام ١٢١٢؛ بسبب الاختلاف الواقع بين السادة سعيد بن سلطان، وعمه قيس بن أحمد حاكم الرستاق؛ فإنها كانت تابعة لحاكم الرستاق، فحاصرها بنو كلبان بتدبير من السيد سعيد، واغتصبوها من يد العميري بعد حصار دام سبعة أشهر.

يلي أرض السر من عمان من الجهة القبلية أرض الجو، وأول ما يطالعك منها حفيت والسنينة ورؤساؤها محمد بن أحمد الصلف النعيمي، ومحمد بن سالمين بن رحمة الشامي وساكنوا البلدان جماعتهم، وقد أطل على تلك البلدان من جهة القبلة الجبل المعروف بجبل حفيت.

البريمي

قاعدة أرض الجو، وتسمى في القديم توام، وتسميها الإنجليز اللجنة الصغيرة والواحة الغناء، وتحتوي واحة البريمي على قرى وبساتين؛ فمن قراها: البريمي، حماسا، صعرا، العين، المعترض، القيمي، القطارة، هيلي، المويقي الجاهلي، ويشمل البريمي من جانب الشمال ديار بني كعب وبني قتب، وزعيمهما الأكبر صقر بن سلطان بن محمد بن علي بن حمود بن خيس النعيمي، ورئيس حماسا راشد بن حمد

الشامسي، وهم رؤساء على جماعتهم، ويشاركهم أولاد الشيخ زايد بن خليفة آل فلاح.

فإنهم رؤساء على بلدانهم في هذه الواحة، وهي في محلها استراتيجية، تقع عند ملتقى كثير من طرق المواصلات في شرق جزيرة العرب، وتعد محورًا بين صحار وسواحل الباطنة والجنوب والظاهرة ومناطق الحجر الداخلية وعمان الوسطى والشرقية، فلذى ترى كل من يهاجم عمان من الأجانب يختارها مركزًا لإقامته؛ فالجيش الذي جرده الرشيد الخليفة العباسي في القرن الثاني اتخذها قاعدة لهجومه، وتبعه الخليفة المعتضد في القرن الثالث لما أرسل محمد نور إلى عمان، وحذا حذوه العجم بقيادة (تقي خان) نزل بخورفكان وقصد بلدة الصير التي تقع بالقرب من رأس الخيمة، وكان نزوله في ١٢ ذي الحجة عام ١١٤٩، ثم قصد البريمي ومنها سار إلى عمان، ثم تلتهم الجنود السعودية في عام ١٢١٠.

في تاريخ الشيخ عبد الله المطوع

كان حكام البريمي قبل الجنود السعودية (آل ابن زرعة) ومن بعدهم آل أمر حماسا إلى آل سرور وأمر الحلة إلى العزازنة إلى أن قال: ويطلق اسم آل خريبان على أولاد الشيخ علي بن حمود شيخ قبيلة النعيم؛ لأن نعيم تنقسم قسمين؛ شامسي وخريباني يقال: إن شامس وخريبان واسمه محمد إخوة لأم وأبناء عم لأب، ومنها تفرعت القبيلتان، وتنقسم كل واحدة إلى عدة بطون إلى أن قال: أول حكم آل حمود لضنك كان الشيخ علي بن حمود شيخ النعيم مسكنه السينة من أرض الجو. وكان كريمًا شجاعًا، اجتذب البدو بكرمه. وكان الشيخ الفيلاي بلغ من الكبر عتيًا، فجعل الشيخ علي بن حمود وصيًا على أولاده لقبض حصنهم (المنيع) الذي له بضنك إلى أن

يبلغوا رشدهم خوفاً عليهم من جيرانهم، فقبل وصيته، وبعد بلوغ الكبير رشده سلم إليه الحصن لتبرأ ذمته، وأغرى الصغير بأخيه فقتله، ثم دبر أن يقتل الصغير انتقاماً لجريمته، واستأثر بالحصن فبقي في يده. هذا أول حكمه بضنك قال: ثم تطلع محمد بن علي إلى ما هو أبعد من ذلك ليلقي يده في زمام أفخم مما هو فيه، ورأى أن البريمي عاصمة، وأنها تليق بمنصب فخم، وكان عليها ذلك الوقت الشيخ حمد بن عبد الله الملقب غبار، وكان ضعيف التدبير وضايقه الشيخ زايد بن خليفة، وكادت أن تسقط البلاد بيد زايد، فتجمع النعيم ومن والاهم وعلى رأسهم الشيخ شامس بن حمد الشامسي، فأبرموا صلحاً بين زايد وحمد، ثم تنكر أهل الحلة وهم العزازنة للشيخ حمد غبار، فغدروا به وقتلوه، واجتمعوا على تقديم محمد بن علي أميراً عليهم، ويقال: إن ذلك كان بسياسة منه، فقهر البلاد عام ١٢٩٠ هـ وبقي بها، ثم استولى على القصر السعودي من يد الأمير محبوب بن جوهر مولى الإمام السعودي سلمه له أمانة قال: ثم تطلع محمد إلى السيادة الكاملة على الجو، فأبى جيرانه من الظواهر دفع الرسوم التي كانوا يدفعونها للإمام السعودي، فكانت بينه وبينهم وقائع، فاستعانوا عليه بالشيخ زايد بن خليفة، وآخر وقعة وقعت بينهم في بلد القطارة كانت تاريخاً. انتهى كلامه بتصرف. وبقيت رياسة البريمي في أبناء محمد بن علي سلطان وسالم، ثم بيد سلطان بن محمد، ثم بنيه محمد وصقر، ثم بيد صقر الحالي.

جعلان

تقع جعلان عند الحد الخارجي للجزيرة العربية، وهي من حدود الشرقية بعمّان؛ تتكون بين جنوب الشرقية والبحر يحدها رأس العرف شمالاً والبحر العربي جنوباً، تنحدر إليها مياه أودية الشرقية فتصب في قيعانها، فيمكث الماء بها زماناً طويلاً، يستمد منه البدو الرحل وما فاض من القيعان يفضي إلى البحر الجنوبي.

وجعلان بأسرها الحدرية والعلوية بلاد خصبة لا تعرف الجفاف، فضاء منبسط على جو فارغ، عليها من جهة القبلة جبال من الرمل بها آبار من الماء العذب، وتحتوي غصونها على تلال وكثبان رمل مبعثرة، تقيم باديتها بهذه الرمال صيفاً وشتاءً، فتشجع ماشيتهم من عشبها وأشجارها على قرب من سكناتهم.

تحتوي قيعانها على غابات مظلمة من شجر الغاف الطويل المتكاثف.

وبها الغيول الجارية كساها شجر الإتل رونقاً جميلاً بخضرته.

وبها العيون والأنهار الجارية؛ بعضها من القنوات، وأكثرها من مياه الغيول الباقية في مجاري السيول، وبها المنازف التي يستطيع العاجز أن ينشئ بستاناً فيحرثه، فيعيش عيشة المتوسط من أهلها.

بالقرب منها بحرهم، وعليه تشرع سفنهم، فيقف على ساحله ضعيفهم، ويتحصل من خيراته بما يقنعهم، وعلى ساحله عدة بنادر جميلة مخصوصة بهم، ما عرفوا أجنبياً فيهم.

ومتى دخل فصل الربيع هاجر أهل البلدان إلى تلك الكثبان بذرايرهم؛ لاستنشاق الهواء النقي الطبيعي، فيزدادون نشاطاً فوق نشاطهم، وقلما تجد فيهم مريضاً أو أعوراً أو أعمى إلا نادراً؛ لصحة هواء بلادهم.

فهواء جعلان طري نقي قد غربلته الأشجار، وشجرها عطري تفتحت به الأزهار، وزهرها الورد والبهار، وظلها ظليل، ونسيمها عليل، وماؤها سلسيل، وحرّها لطيف، وبردها خفيف، وبحرها قريب، وسمكه لذيد عجيب، فهي لبنان الشرق، وبيت الرزق، جوهره بيد أعراي، يسكنها عدد عديد من الرجال، عرفوا بالشجاعة إذا اختلط الدخان لا يقدرّون للموت حقاً ولا للحياة قيمة.

وجعلان قسبان: قسم يتبع الحسون، والقسم الآخر إمارة آل حمودة.

جعلان الحدرية إمارة آل حمودة

والمؤسس لهذه الإمارة سالم بن علي بن حمودة في أوائل القرن الثاني عشر أثناء عودته من حج بيت الله الحرام، وبعد وفاته كانت الرئاسة لأخيه محمد بن علي بإجماع من الكل، ومن عاداتهم المبايعة للرئيس على السمع والطاعة، ولهم السيطرة والنفوذ التام في قومهم، وبلادهم حرة في شئونها الداخلية، كما أن لهم صرف قديم أعني - البيزات - وأعداد معروفة بينهم عباسي، محمدي، غازي، لاريه، فهم يتعاملون به إلى الآن، ولهم ميناء مختصة بهم في البحر الشرقي؛ منها: الأشخرة، قميلة، الرويس، فهي تحت تصرفهم. وكانت بينهم وحكومة مسقط عداوة في أيام الأمير محمد بن علي، ثم بعد ذلك تحولت إلى صداقة متينة يدلون بها على سلاطين مسقط؛ بسبب دفاعهم

عنها، ويمنون بذلك على حكامها، ويعتقدون أن لولاهم لذهبت السلطنة هباءً، وليس لحكومة مسقط تدخل أو إشراف في حدودهم.

لاقى الأمير محمد بن علي أهوالاً وصعوبة، وتلقاها برباطة جأش لا يصبر عليها غيره، واستحزرت شدتها عام ١٣٣٢هـ لما قام عليه السيد سعيد بن سلطان بالحامية الإنجليزية، وهذا نقل للحادثة من المصادر الأوربية. ففي أواخر سنة ١٨٢٠م أعلنت قبيلة بني علي عصيانها للسيد سعيد، ولما كانت هذه القبيلة من أقوى قبائل عمان الجنوبية، وتسيطر على ميناء صور الهام، فقد أصبح موقف الإمام حرجاً، لذلك أسرع بالاستنجاد بالحامية البريطانية في جزيرة القسم، وقد رفض قائد الحامية أولاً التدخل في هذه المنازعات الداخلية، ولكن الظروف شاءت أن تنقذ السيد سعيد؛ إذ قام بنو بو علي بمهاجمة إحدى السفن الإنجليزية، وعندما أرسل قائد الحامية احتجاجاً إلى صور، قتل هؤلاء المندوب البريطاني، وحينئذ أسرع (الميجر طوسون) Major towson قائد الحامية بإرسال قوة صغيرة إلى عمان، فوصلت إلى ميناء صور في ٢٤ نوفمبر، ولحق بها السيد سعيد على رأس قوة كبيرة من جنده الدائمين الذين كانوا يجمعون من بين العنصر البلوخيستاني، واتجهت القوة إلى أحياء قبيلة بني بو علي في إقليم جعلان، ولكن على نحو خمسين ميلاً من مدينة صور، فوجئت الحملة الإنجليزية العمانية بمقاتلي القبلية، فلم تستطع الصمود لهم، وفرت بعد أن قتل نحو ثلثي الحملة البالغ عددهم سبعمئة جندي؛ منهم سبعة ضباط إنجليز. أمّا الجنود فقد كانوا رعايا من الهند، ولم تستطع حكومة الهند السكوت على هذه الهزيمة، التي قد تطيح بسمعة بريطانيا في الشرق، فتجاوزت عن المبدأ السائد في سياستها نحو بلاد العرب، الذي يقضي بعدم التدخل في الشؤون الإقليمية.

وفي فبراير ١٨٢٩ أرسلت قوة كبيرة من الجند الأوربيين تحت قيادة الجنرال (ليونيل سميث Lionel Smith)، فانجحت القوة مباشرة إلى أحياء قبيلة بني بوعلي، وقامت بأعمال تخريبية، وبتقتيل الأهالي غير المحاربين دون تمييز، ولم ينج من هذه القبيلة إلا مَنْ قَرَّ، ولم يشترك السيد سعيد في هذه الحملة الانتقامية؛ لأنه كان قد جرح أثناء الحملة الأولى، فكافأه الحاكم بسيف مرصع رمزًا للزمالة في القتال، على أن قبيلة بني بوعلي لم تستأصل تمامًا من الوجود. انتهى كلامه.

ومن غيره أيضًا انهزم السيد سعيد مرارًا عن بني بوعلي حتى اضطر للاستعانة بالإنجليز لما تكعكع العمانيون عنه، فجاءت قوتهم من ناحية مدينة صور وهزموا هزيمة منكرة عام ١٨٢٠م، أربكت هذه الهزيمة الحكومة الإنكليزية في الهند وأذلتها إلى درجة أن أصبح حاكم مسقط يشنع على الإنجليز ويتهمهم بالجن.

قال مؤرخ البيت الحاكم في مسقط عن هذه الحملة: «فلما رأى السيد سعيد حاكم مسقط» انفلال شوكة الإنجليز ودقة عزائمهم، وقلّة من ثبت معه من قومه، أمر جنوده بالمسير إلى مسقط. وهذه الهزيمة شتت أعوان سلطان مسقط، وبعثت فيهم الخوف والذل، كما أنها أجبرت الإنجليز على الاعتراف بالهزيمة، يقول اللفتنت هنري أورمسيبي، لدي حكومة الهند عن هذه الهزيمة: «أبدت دهشة غير ضئيلة في الهند لدى وصول معلومات عن حدوث هذه الكارثة، إن أحداث حروبنا الهندية ليس فيها مثل هذه الكارثة، كلا، فلوراجعنا تاريخ الحملات الهندية، لوجدنا أن البريطانيين انتصروا في غالب الأحيان على قوات تفوقهم عددًا، أمّا هنا فقواتنا التي أحضرت للعمل كانت تتساوى تقريبًا في العدد مع القبيلة المعادية، بالإضافة إلى مساعدات قوات الإمام».

ويصف مرة حملته هذه فيقول: «إشارة إلى اعتدائنا الذي لا مبرر له بحملة أقل ما يقال فيها: إنها كانت مؤسفة وغير موفقة» اهـ. ولقد جاءت هذه الحامية بقوة فوق قواتهم الأولى، فوضعوا المدافع صفّاً تلو صف، وأدخلوا السلاسل في أفواهها متصلاً بعضها ببعض، فأثاروا النار عليها، وقد قابلهم الأمير بجنوده صفوفاً، وما سلاحهم إلا المشرفية والأسل، فكانت المدافع ترميهم بسلاسلها، فتأخذ ما يقابلها من الصف فيلتحمون ويهاجمون نيران المدافع، آخذين بالثأر والشرف حتى أفناهم ذلك ووهت قوتهم وضعف جمعهم؛ فكان النصر في جانب الإنجليز، ووقع الأمير محمد بن علي أسيراً في يد الإنجليز مع أناسٍ من قومه، فحملوا إلى أرض الهند، ولما شاهدت من بسالته وشدة شكيمته طلبوا أن يكون قائداً في جيشهم لاستحلال بعض أراضي الهند العاصية عليهم، فاشترط عليهم أن يسمحوا له في الرجوع إلى وطنه متى انتصر في نهضته، فأنعموا له بذلك، فكان من حظه أن كان النصر حليفه فوفوا له بما وعدوه، وبعد عودته إلى جعلان كانت له حروب مهولة، خضعت له في أثنائها بنو راسب.

ولما توفي الأمير محمد بن علي تولى الإمارة ابن أخيه راشد بن سالم بن علي؛ فكان عوناً لسلطين مسقط مخالفاً لسنة آبائه، فشد عضدهم، وغزا معهم البحرين وإفريقيا وآزرهم على حروبهم العمانية حتى نهض معهم على جماعته الجنبية أهالي مدينة صور، وفي ذلك يقول شاعر الجنبية:

ومــــالــــوم الــــهنــــساويين يوم خــــذوا مــــلاك ثــــويني
وإلا راــــشــــد اللــــعــــسين إيسش لــــه وإيسش عليــــه

وقد راوغ بنو بو علي سلطين مسقط ما استطاعوا، فلم تخضع لهم القبيلة تماماً. بقيت جعلان ردحاً من الزمن تمشي على الأهواء الشيطانية؛ حتى أذن الله بقيام الإمام عزان بن قيس، فغزاها وأقام بها شعائر الإسلام، وتوفي الأمير راشد بن سالم في

سجن الإمام عزان بمسقط، وصارت الإمارة من بعده لأخيه عبد الله بن سالم. وكان في ريعان شبابه، فتلقى كتاباً من الإمام عزان رحمه الله نصه بعد البسملة: «من إمام المسلمين عزان بن قيس إلى عبيد العنيد، إنك عتيت عن المواجهة وتكبرت، فأذن بحرب من الله ورسوله». فكان من هذا الأمير أن لم تمض مدة يسيرة حتى أصبح يهاجم مسقط، فكانت بينه والإمام معارك أسفرت عن قتل الإمام رحمه الله وكثير من أنصاره، واستحلَّ الأمير عاصمة مسقط ومطرح عام ١٣١٢هـ، وأرسل للسيد تركي بن سعيد - وكان غائباً لم يحضر المعركة - فقلده إياها.

ولما هاجم الشيخ عبد الله بن صالح الحارثي مسقط عام ١٣١٢هـ، كان الأمير عبد الله بن سالم رأس المدافعين عن السلطان، ولم يزل أمراء بنو بو علي يناصرون سلاطين مسقط في كل موطن، إلى أن دخلت مسقط تحت تصرف الإنجليز، وعقد على الإمام الخروصي، فزارهم الشيخ حمير بن ناصر النبهاني في أواخر شهر ذي القعدة سنة ١٣٣١هـ، وطلب منهم الكفاف عن مناصرة سلطان مسقط، حينما كان عزم الإمام مهاجمة مسقط قبل أن يتحقق لديهم معارضة الإنجليز لهم، فوعده جليلاً، ووفوا بما وعدوه، وبقوا اثنتي عشرة سنة ما طرقوا باب السلطان.

كانت بين الأمير عبد الله وجيرانه الحسون، حروب ومهاجمات وملاحم يشيب لها الوليد. وأشهر هذه الملاحم وقعة خويسة؛ وهي بلدة صغيرة بجنوب بلاد الحسون، صارت تاريخاً محفوظاً لما وقع فيها من القتال، وما فقد من الأبطال وأعيان الرجال، انجلت عن مائة وسبعين قتيلاً من الفريقين بالسلاح الأبيض، ويقال: أكثر من ذلك سال الدم بالغيل حتى بلغ بلاد بني بو علي، وكان هذا الأمير هو المهاجم ليستأصل جيرانه؛ لكنه لم يفز في هذه المعركة إلا بالهزيمة وقتل ذريع في قومه، ولا

زال يخوض حروباً صعبة، وله مواقف عرف بها، ولا زالت عاداته هذه حتى توفي سنة ١٣٢٨ هـ، وعمره مائة وعشرون سنة.

ببيع بعد وفاته لابنه علي بن عبد الله، وشاركه في الحكم ابن أخيه محمد بن ناصر بن عبد الله، ثم توفي محمد وبقي الأمير علي منفرداً بتدبير حكم بلاده، وهو رجل سياسي حر في حركاته وسكناته، عارف بالمورد والمصدر، ساكن الطبع، أمّا آباؤه فهم إلى طرز البداوة أقرب؛ بل هي عادة العمانيين، وكان بين هذا الأمير وجيرانه الحسون حروب قاسية. وأكثر قتال أهل جعلان بالسلاح الأبيض، فأمرأه جعلان يأملون استئصال جيرانهم الحسون وخضوعهم لهم؛ ولكنهم ثبتوا لهم في كل موقف، وتكون الحرب سجّالاً في أحيان، وبقوا كذلك حتى دخلت بلاد الحسون تحت رعاية الإمام الخليفي في عام ١٣٦٣ هـ، فكانت بين الإمام الخليفي والأمير علي بن عبد الله معاهدات ووثائق، من ضمنها أن يكون الأمير متكفلاً بالغاferية الذين بالشرقية، فهو السائل والمسئول وبقيت الصداقة والمودة متبادلة بينهما، والمكاتبات متداولة، زار الأمير علي في شبابه الحجاز، ومصر، وبعض الولايات المتحدة، وكانت وفاته في يوم ثاني عشر من شهر صفر سنة ١٣٦٦ هـ.

وولي الإمارة من بعده أخوه الشيخ سالم بن عبد الله بإجماع من رؤساء قومه، ثم لم يشكروا سياسته لا سيرته، فطلبوا اعتزاله فاعتزل، ولم تكن إمارته إلا سنة وأشهرًا، ثم ولي الأمر من بعده خالد بن علي بن عبد الله، ويعاضده ابن عمه ناصر بن محمد بن ناصر بن عبد الله، وبقياً في الإمارة إلى عام ١٣٧٦، فدخل عليهم في ليلة مظلمة حمد بن خميس بن سعد السنيدي وخادمه، ففتك فيهما وعدد من أولادهما، وأصيب بعض نسائهم بجراح، فكانت معركة داخل القلعة، ثم قتل حمد بن خميس وخادمه، وخرج أبوه خميس بن سعيد من بلاده إلى بلاد الحسون بعائلته وأولاده،

وصحبه بعض بني عمه، وتفصيل الحادثة يكون في الجزء الذي يلي هذا، في إمامة الإمام غالب، إن شاء الله.

ثم ولي الأمر خميس بن محمد بن ناصر، وابن عمه صالح بن علي بن عبد الله.

ظفار

من مقاطعات عمان، وتتعلق عليها توابع كثيرة، تنازعها أئمة عمان، وأئمة اليمن في القديم، وانتهى بها الحال إلى أن صارت من أملاك عمان.

ومن حاصلات ظفار اللبان. قال الأنطاكي: «وقيل: إنه لا يوجد في الدنيا إلا في جبلها» وبه بادية كبيرة تعرف خطة جنائه يضربونه بحديدة حتى يسيل لبنه فيتحجر، فينزلون عنه ويبقون شهرًا، ثم يخرجون إليه فيضربون البشرة الخارجة ويقيمون عشرة أيام، هذا عملهم، ثم ينزلون إلى بيوتهم فيقيمون عشرة أيام أخرى، ثم يرجعون إلى الجبل فيبقون خمسة أشهر في جنائه، ولكل منهم محل محدود يتسلفون من التجار على هذا الجناء، ومحلُّ هذا اللبان مخصوص بالإبل والغنم، ويطلق عليه اسم (سَدَح)، وهي من أعمال ظفار، والأمطار بها قليلة في وقت تحجر اللبان، وحكمة الله اقتضت ذلك؛ لأنَّ المطر يفسد اللبان إذا أصابه قبل أن يتحجر.

أمَّا (مرباط) وهي من أعمال ظفار يكون بها اللبان من جهة المطلع، ويكون المطر عليها من جهة القبلة، وهو الموسم المعروف عندهم بالخریف، وهذا الموسم لا يتعدى ظفار، وأوله طلوع سهيل فيحصل الدهن البقري في ذلك الفصل، وهو الدرجة الثانية من حاصلات البلاد الصادرة إلى الخارج.

ومن حاصلاتها أيضًا النارجيل؛ وهو الجوز الهندي. والسماك الصغير المسمى (قاشع). والعومة؛ وهو نوع من القاشع أكبر منه.

والسماك الكبير المسمى الكنعد، يصدرونه إلى كلومبو من بلاد الهند، وغيره من أنواع الصيد.

ونوع من الصيد يسمى الصويلح يصدر إلى عدن، ولا يوجد الصويلح إلا من رأس مرباط إلى رأس توس.

وبظفار من الماشية الإبل والبقر والغنم شيء كثير؛ بحيث يملك الفرد من المائة إلى الألف، وربما ملك بعضهم الآلاف، ولكثرة ماشيتها تجد الجلود فيها كثيرة، ولها تجار يجمعونها ويصدرونها للخارج.

والرقيق موجود عندهم، ويملك بعضهم من الرقيق بقدر خمسين رأسًا كلهم أسود اللون، ومنع السلطان سعيد بن تيمور بيعهم حتى في البلاد نفسها، والتجارة لا بأس بها، إلا أن موسم التصدير ليس بطويل الأمد؛ لأنَّ موسم أمطارها تابع للهند، فمنذ الصيف إلى الخريف، لا يقرب ظفار أحد من جهة البحر؛ لشدة اضطرابه، وعظم الموج، وهي مشهورة بذلك، ولها ميناء غير صالح لرسو السفن، وأكثر ما ترسو بميناء مرباط، وهي منها بقدر خمسة فراسخ، والزراعة منتشرة بها، وتربتها طيبة، وحاصلاتها كثيرة، وأكثر ما يزرع بعمان يزرع بها إلى ما شاء الله.

أمَّا النخل فلا يجود بها؛ لأنَّ الهواء بارد، والأمطار غزيرة، فلا تكفيه الحرارة، وقد قام بإصلاحها السلطان سعيد بن تيمور فأصبحت جناء غناء.

أهمية عمان الإستراتيجية والزراعية

تخترق عمان سلسلة جبال، ترتفع أحياناً حتى تكون شاهقة، وتنخفض تارة، فهي بها كفقرات الصلب، وإنما أعلى جبال بلاد العرب كلها، وترتفع عن ساحل البحر عند رءوس الجبال؛ حيث تنخرط إلى داخل البحر، وفي دبا وخورفكان ومسقط وقلبات، فبين القريب والبعيد تتخللها أودية ومسالك، من داخلية عمان إلى الساحل النعشي، كوادي ضيقة، ووادي طيوى، ووادي منصح، ووادي العق، ووادي الخوض، ووادي الفور، وفي بعض هذه الجبال قرى ومزارع وأنهار لسقي الزرع، وبعمان سلاسل من الرمال الجبلية الطويلة ذات الرمل الأحمر، وتتألف من رمال مرصوفة رصاً قوياً، يسهل السفر فوقها على ظهور الإبل، وتحتوي هذه الرمال على عدد من الآبار ذات الماء العذب، وتقلب هذه الرمال إلى مراعى ممتازة بعد هطول المطر؛ فإن عائلات البدو تنتجعها فتحط رحالها عند هذه الآبار، فتقيم بها حتى تشبع ماشيتها، تتخلل هذه الرمال فجاج تعرف باسم شقاق؛ مفردها شقة، تكون هذه الشقاق مسالك للتخلص من مشقة الصعود والنزول.

لقد انسلخت عمان عن غيرها من الأقطار المجاورة لها بحكم موقعها الجغرافي؛ فجبالها الشاهقة تنفصل عما جاورها من البلدان بواسطة الصحراء العربية، حيث يقع الربع الخالي، وعوضاً عن أن تنحدر عمان بالتدريج نحو البحر، كما هو الحال في الجبهة الشرقية ترى الساحل في أقصى الجنوب يرتفع إلى حد بعيد.

إقليمها: مناسب وترتفع بها الحرارة إذا دخلت الشمس برج الجوزاء. ولقد أجمع المؤرخون والجغرافيون أن عمان بلاد حارة حتى قال بعضهم: إن حرها محرق.

أما كونها حارة فهذا ما لا خلاف فيه؛ بدليل أن جميع الأشجار التي تتطلب البلاد الحارة تغرس بها فتطيب.

ولما كانت عمان قسمًا من بلاد العرب التي وصفوها بأنها حارة جدًّا في الصيف، باردة جدًّا في الشتاء، أخذت حكمها؛ لكن لا نسلم بأن الحكم عام على جميع عمان، وهي واسعة الأرجاء، بعيدة ما بين الطرفين، تمتد من حدود حضرموت إلى البحرين، وفيها السهل والجبل والساحل ولكل حكمه، وما وصفوه من الحر يصدق على بعض البلاد دون البعض؛ بل إن بعض البلاد ليست حارة أصلًا كالجبل الأخضر الذي يكون فيه الصيف باردًا كالشتاء في غيره، وكذلك جبل الكور حكمه كجبل الأخضر، بل هو أطف هواء، وكذلك يقع في جبل حلوت الذي بجانب طيوى في شرق مسقط.

أمّا عمان الداخلية فلا يبلغ الحر فيها هذا الحد، ويكون الهواء بها جافًّا، ويتغير الحكم في أطراف عمان من جهة الجنوب، وبمدينة ظفار وما يليها حيث تكون الأمطار الموسمية في الصيف، كما هو الحال في بلاد الهند؛ لأنها على سمتها في خط واحد.

أمّا داخلية عمان، فما كان وراء الجبل الأخضر من جهة الشمال تجاه القطب، فأقرب أن يكون حكمه حكم ساحل الباطنة؛ لأنَّ الجبل يحجزه عن الهواء الجنوبي، والبحر يمنعه، فلا تجد في ذلك الطرف الهواء اللطيف إلا شاذًّا بعد الساعة السادسة نهارًا بمقدار ساعة ونصف ساعة، وتهب الشمال في أوقات بسموم، فيتغير بسببها كثير من أثمار الأشجار والنخيل.

وما وراء الجبل الأخضر من جهة الجنوب يختلف فيه الهواء.

أما جعلان فنسميها عليل ولا يسكن إلا قليلاً وبه نداوة، ولا تطرقها الشمال الضارة إلا نادراً، وقد أحاطت بها الأشجار الطويلة من الغاف والأثل وغيرهما، فهي تغربل الهواء وتنقيه فيخرج طرياً نقياً.

وبدية: هواؤها أرق من هواء جعلان لعدم النداءة به، والسموم لا تطرقها إلا نادراً، والصبا تنشر عليها وقت الصيف نفثات يرتاح لنسيمها الجسم، فتبرد لها الأحشاء، وكثيراً ما تطرقها من الساعة العاشرة نهاراً إلى الساعة الثانية من الليل، وأحياناً تبقى لها الثالثة، ثم يسكن ذلك الهواء اللطيف فيبقى برودة غضة ولا برودة الكهرباء. وبدية قرى متصلة، وأقرب أن تكون متشابكة على أرض منبسطة بين رمال متكاثفة، مرتفعة، وبعضها مبعدة بين القرى يحطها وادي البطحاء، ويهاجم بعض بلدانها أحياناً.

وأكثر الشرقية هواؤها لطيف ليلاً، معتدل نهاراً، وكذلك أرض الجوف وأرض السر.

وأما ناحية الجو فأخذت القسط الأوفر من ذلك.

وشمال عمان على ساحل الخليج، فالحر فيها لا يتجاوز مائة وعشر درجات، ويندر أن يصل مائة وعشرين درجة، وتختلف الأمكنة بعضها عن بعض، فهواء صور يختلف بحيث أن الرياح تطرقها من الجهات الأربع في كل يوم وليلة، وكثيراً ما يكون بها الأريب الصوري، وهو جاف منشف يطرد سموم الحرارة والحشرات ذوات السم، وله عواصم في بعض الأحيان، وبقرها من جهة القبلة موضع يسمى الزمار، لا تخفق رياحه في كل وقت وكل ساعة شتاءً وصيفاً.

أمّا مسقط فهوؤها حار، فيه رطوبة ونداوة، وقد ضيّقت عليها الجبال المحيطة بها، فلا يطرّقها الهواء الجاف، وأكثر هوائها من جهة البحر.

والباطنة مثلها؛ إلا أن الجبال على مسافة بعيدة منها، وهي بحبوحة عمان وجنتها، وتكون وقت الجفاف جنتها يأوون إليها فتحضنهم، فهي مقصد الوارد والصادر، وملجأ الفقير الحائر، بها النخيل الكثير والماء الغزير، رائقة البقاع والجهات، كثيرة الشجر والجنان، صحيحة الهواء لمجاورة البحر والبيداء تقع على ساحل الخليج الفارسي عمارات متصلة غير منفصلة في مقدار مائة وخمسين ميلاً، لا يحوطها سور، ورأس الخيمة، وأم القيوين، ودبي، وأبو ظبي شبه جزائر يحيط بها البحر، ولهذا يكون الحر بها شديداً ليلاً متى ما كان البحر ماداً، ولا تتراوح الهواء إلا عند الجزر بخلاف الشارقة التي لا يحيط بها البحر، ويأتيها الهواء البري من مطلع العقرب ماراً على رمال وأشجار فيكون لطيفاً، ولذا اشتهرت بين جاراتها بلطافة الهواء.

يوجد بعمان المعادن الذهبية والفضية والقصديرية والكبريتية والنحاسية والملحية والمغر والسماط الطبيعي والزيت الذي هو قوام الطائرات والسيارات، وقُلَّ أن يكون هناك معدن إلا ويوجد بها.

ذكر الدكتور فيليب حتى في كتابه المسمى «تاريخ العرب المطول» أن السومريين استحضروا النحاس (وهو أول المعادن التي اكتشفها الإنسان واستعملها) من مناجمه في عمان.

وذكر غيره من المؤرخين أن ملكة على العمانيين تسمى شمسًا، استعانت بالرومان في جلب مصانع لعمان، فاستخرج النحاس، وهو أول معدن استخرجه الإنسان.

كانت بعمان صناعات؛ ولكنها في هذا الوقت تأخرت إلى أقصى حد، فلا يوجد فيها مصانع من المصانع الجديدة، إلا ما كان موجودًا من المصانع السابقة، فأخذت في الانحطاط بواسطة الوارد إليها من الخارج.

كانت تصنع كل ما تحتاج إليه من أوعية الخشب والفخار، ويقوم كل بلد بما يحتاجه، ويصدر منها إلى الخارج نوع من أباريق القهوة المسماة (دَلَّة)، وكثيرًا ما تُبنى السفن الشراعية بسواحلها، وقلما تضاف إلى المحركات الأوربية تتراوح في حمولة عشرين طنًا إلى ثلاثين طنًا.

اشتهرت عمان بحسن النسيج؛ فالشارقة اختصت بنسيج البشوت؛ وهي أفخر ما نسيج بعمان، وهذه البشوت تسمى عند أهل الخارج عباءة.

واختصت إبرا بنسيج العمايم المخططة الأطراف المسماة سباعية، وبنسيج الأوزرة، على اختلاف أنواعها.

واختصت «بُهَلَا» بنسيج المناسيل المتخذة من الصوف المتين، واختص وادي سمائل بنسيج الخضرنج، وهو من القطن الأحمر الموجود بعمان خاصة، وكان يصدر كثير من هذه المنسوجات إلى الخارج.

ولما كثرت منسوجات أوروبا وجلبت إلى عمان؛ قصرت همه النساكين في عمان، وراجت المنسوجات الأوربية.

الزراعة بعمان

تربته طيبة، قابلة للغرس والزراعة، وزراعتها نامية جدًا؛ لأنها بلاد حارة، وأكثر الأشجار التي تطلب البلاد الحارة تغرس بها فتتمو فتطيب، ومن أراضيها القابلة للزراعة الباطنة، وهي لو أتيح لها من يعتني بالزراعة لكفت أهل عمان، ومثلها جعلان لو قام أهلها بالزراعة لأغنتهم بمحاصيلها عن الطلب من الخارج، ومثلها وادي قريات، وهو الذي نزل به نبي الله سليمان بن داود عليه السلام حسب الروايات، وتضعف الزراعة أحيانًا في بعض المناطق؛ لقلة الماء إذا امتنع المطر، وإن كان بها الآبار والأنهار، لكنها لا تكفيها وقت الجذب، وقد يشتد بها الغلاء، وتضعف البلاد حتى حرمت الغيث، فيتجول أهلها وراء طلب الرزق إلى إفريقيا وعلى طول الخليج الفارسي، ومع ذلك فإنهم يحتمون إلى بلادهم ويسعدون كلما تراءى لهم العودة إليها.

يغرس بعمان النخل، وأنواعه كثيرة، وأشهر أنواع المبسلي، وبُسرهِ أصفر اللون، يؤخذ منه عند نضاجه بمعرفة أهله به فيغلى بالنار، ثم ييس بالشمس ويدخر زمانًا، يطلبه الهنود ويعرف عندهم باسم (خارق) (وسلوق)، ومن النخيل نوع تمره أسود اللون يسمى الفرض يحبه الأمريكيون ويطلبونه، ومن ذلك نوع آخر بالباطنة يسمى أم السلا يجعلونه تمرًا ولا يتجاوز الجوزة. وكل الزراعة بعمان ليست على أصول علمية، ولو أتيح لها عالم بفنون الزراعة لتضاعفت فائدة البلاد.

حاصلات عمان

الصادرة إلى الخارج: اللؤلؤ، والتمر، والبُسر المطبوخ، والليمون، وزراعته في المرتبة تلي زراعة النخل؛ لأنه يُدرُّ أرباحًا كثيرة تطلبه البصرة وفارس، وهو الدرجة الثانية من الصادرات، والرمان، والقطن الأبيض، والأنبا المسمى المانغا، وهو مما جلبه قيد الأرض لعمان من أرض الهند، وقد أصبحت السيارات متصلة بين الساحل على الخليج الفارسي وبين الباطنة؛ فتقطع تلك المسافة في عشر ساعات، فاستعد تجار الساحل لتصديره إلى قطر والبحرين والكويت؛ فصعدت قيمته الآن. ومن جملة الصادرات سائر الفواكه، والسّمك بأنواعه، والصدف والمحار، وهو الصدف الصغار، والعنبر بجميع أنواعه الأبيض والأصفر والبنفسجي، وقد كثر وجوده في هذه السنين حتى إن القطعة منه تكون بمقدار مائتين وسبعين رطلاً، ويقدر الصادر من اللؤلؤ بخمسة عشر مليوناً، ويصدر من السمك نوع يسمى الكنعد إلى (كلومبا) من أرض الهند (والريش) وهو ما يوجد على ظهر الجرجور المعروف عندهم بالأذاني، يصدر إلى أرض اليابان، (واللخم) وهو نوع من الصيد يصدر إلى إفريقيا، هذه الحاصلات الرئيسية بعمان، والتي تصدر إلى الخارج.

ومن الفواكه الموجودة بعمان ولا تصدر إلى الخارج: العنب، والتين، والناينج، والأترج، والمستفل، والزيتون، والتفاح، والسفرجل، والخوخ، والمشمش، والبوت، والنمت، والجوز، واللوز، والموز، والبيذام المسمى في القديم (جلوز)، والبرتقال، وقد زرع كثيرًا في هذا الوقت، وستكون له فصلة تصدر قريبًا إلى الخارج، والفيفاي وهو مما جلب إلى عمان من إفريقيا والهند، وهو في حجم البطيخ؛ بل أشبه شيء به، والبطيخ بأنواعه الأخضر، والأصفر، والحبّيب.

يزرع بها الحمص، والبقلا، واللوبيا، والفاصوليا، وهو الغرغر، والماش،
والسمسم، والخردل، والفلفل، والكزبرة، والجلجلان، والبصل، والثوم والفجل.

ويوجد بها من الخضروات: الباذنجان، والبطاطا، والجزر بأنواعه، والقرع
بنوعيه: المدحرج والمخروط.

ومن الرياحين: الزعفران وهو بالجبل خاصة، والورد، والياسمين، والفل
ويسمونه الراقيا، والريحان، وكثير من سائر العطور والرياحين.

وبلاد عمان تنقسم إلى سهلية وجبلية، ومما يلي الأرض السهلة من جهة الجنوب
رمال كثيفة إلى محل الأحقاف.

وبهذه الجهة الجنوبية موضع، يقال له: أم السميم سباح ملحية لا يجاوزها إلا
من عرف موضع الطريق منها، فإذا تعدى وغلط المار بها ابتلعت وهوى، فلا يستطيع
إنقاذه، وقد ابتلعت الكثير من ذوات الخف والظلف - بل والإنسان - لئنها وعدم
كثافتها.

وأهل عمان على مذهب إمامهم عبد الله بن إياض رضي الله عنه، وهو مذهب
أئمتهم الأولين، فيقال لهم: إياضية، وفي عمان من أهل السنة عدد كثير على اختلاف
الأئمة في المذاهب.

انقسام حكومة عمان

تنقسم حكومة عمان منذ سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف إلى قسمين: فالداخلية عمان الإمامية، وهي اليوم مملكة الإمام الخليلي بعد الإمام سالم بن راشد الخروصي، وعاصمتها نزوى.

وعمان الساحل هي اليوم مملكة السلطان سعيد بن تيمور، وعاصمتها مسقط؛ أمّا الداخلية فيتمتع أهلها بالاستقلال التام والنفوذ المطلق، فلا حقّ لغيرهم فيه، ولا تدخل للحكومة أجنبية في شؤونه.

نظام الحكم في الداخل الشريعة الحمديّة، يسير إمامهم بسيرة الخلفاء الراشدين المهديين، ينظر أهل الحل والعقد من رجالها العلماء وقت استطاعتهم للظهور، فيختارون من تتوفر فيه الكفاية والشروط المطلوبة ليبياعوه على طاعة الله وطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، غير ناظرين في ذلك إلى بيتٍ أو قبيلة؛ بل إلى ما في الشخص من الروح والمقدرة والكفاية. والقصد من ذلك توجيه الأمة إلى الصلاح وإبعادهم من الشرّ، والسير فيهم بأوامر دينهم، ويستندون في ذلك إلى قاعدة وضعها القرآن الكريم: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم}، فإن قام بالشروط، وسار على النهج، ولم يخالف العلماء، ولم يرتكب محظوراً؛ فعليهم طاعته وكان ولياً مقدساً عندهم، وإن خالف وتعدى؛ خُلع ورفض وقدموا غيره، ولا يقبلون ولاية عهد يجعلها الأول لابنه وأخيه؛ إذ ليس المسلمون قطيع غنم فيورث، إنما عملهم وأسلوبهم على وفق الصدر الأول من الإسلام، وهو الدستور الإسلامي منذ فجر

التاريخ، وهو نظام الإمامة المعهود في الشريعة الإسلامية الموجود بكتب الفقه، ولا يبعثون به بديلاً.

ومجلسها يتألف من كبار رجال العلماء وعظماء الدولة، ومتى حدث طارق بهم، اجتمع معهم الزعماء والرؤساء من المقاطعات.

النظام الإداري تابع له سواء كان الأمر سياسياً أو مالياً؛ كجباية الخراج، والجنديّة، والشرطة، والعمال والقضاة.

نظام الجنديّة: الشعب كله جند حربي بطبعه، لا يبلغ الفرد منهم الحلم حتى يكون قد أتقن عن أبيه العمل بالسلاح؛ لما كانوا عليه قبل ظهور الإمامة من الفتن والسعايات، فصار مألوفاً عندهم حمل السلاح، ويُعدُّ ناقصاً من أهمل حمله في كل ساعة، اللهم إلا شيخ علم أو أعمى أو عاجز، على أن شيخ العلم يحمله عند الحاجة بلا مراجعة. يلقب حاكمهم بإمام المسلمين.

أمّا في إقليم الساحل، حيث تقع سلطنة مسقط، فإن نظام الحكم بين الخصوم ما يحكم به القاضي.

ويتألف مجلس سلطنة مسقط من مستشار إنجليزي، ووزير داخلة وخارجية.

ونظام السلطنة في السياسة وضبط المالية، فنظام مدني مخالف لنظام الداخلية في عمان، وإن كان مذهب القسمين في الديانة واحداً.

والإمام في عمان لا يقبل أخذ الأموال ولا يستحله، إلا من النصاب الذي حدّه الشارع؛ فما سقي بالنهر العشر، وما سقي بالزجر نصف العشر، وليس للإمام دخل سوى الزكاة، وعقد الأسواق وغلة بيت المال.

أمّا حكومة مسقط فدخلها من الجمارك، ولها دخل آخر على القوانين الجديدة والرسوم المستعملة.

ولم تكن لحكومة الإمام بعمان علاقة بالدول العربية والأجنبية؛ لأنّ من شأن العمانيين العزلة والانفراد، فهم لا يحبون الاتصال بالعالم الخارجي؛ خوفاً على استقلال بلادهم وتغير طباعهم، ولم يسمحوا للأجانب بإنشاء سفارة؛ مخافة أن يجر السماح إلى فتح الباب للدخلاء.

خضعت عمان في الزمن القديم للخلفاء الراشدين والأئمة الصالحين، منذ ابتداء الدعوة الإسلامية إلى هذا الوقت، وقد يحصل انقلاب فيقوم نظام غير نظام الإمامة؛ ولكنه لا يلبث أن تعود الإمامة، ويرى ذلك في سلسلة الأئمة الآتية:

ذكر المؤرخ في كتاب «عمان» لشركة الزيت الأمريكية ص ٣/ ٤: «إنّ بلاد عمان المعروفة هنا بأنها تضم الجانب الأكبر من السلسلة الطويلة من الجبال التي يطلق عليها اسم الحجر، والأراضي الواقعة بين هذه الجبال وبين الربع الخالي، هي من أشد أجزاء الجزيرة العربية امتناعاً على الرواد، ولم يزرها أحد سوى عدد قليل جداً من الرواد الغربيين، والسياسة الرسمية التي تتبعها حكومة الإمام في ثني أهلها عن الاتصال بالعالم الخارجي، تعزز هذه العزلة في أرضها، فهذه الحكومة لم تنشئ علاقات سياسية مع أي دولة أجنبية، والروابط الاقتصادية التي تربط الإمامة بأقطار خارج حدودها الطبيعية قليلة.

صاحب السلطة العليا في الإمامة هو الإمام محمد بن عبد الله الخليلي، الذي يقيم في عاصمته نزوى بالقرب من السفح الجنوبي الغربي من الجبل الأخضر. والإمام هو في المقام الأول، رجل دين؛ بيد أنك لا تجد حدًا فاصلًا في نظام الدولة بين شئون الدين وشئون الدنيا، وفقًا للعرف الإسلامي القديم. اهـ كلامه.

فائدة في بيان أسماء أئمة عمان الذين ملكوا بالعدل في القرن الثاني

(١) الجلندي بن مسعود بن جيفر بن جلندي، من بني الجلندي بن معولة بن شمس، وهو أول إمام بعمان.

(٢) محمد بن أبي عفان، من اليعمد.

(٣) الوارث بن كعب الخروصي.

(٤) غسان بن عبد الله الخروصي.

أئمة القرن الثالث

(٥) عبد الملك بن حميد، من بني علي بن سودة.

(٦) المهنا بن جيفر اليعمدي الخروصي.

(٧) الصلت بن مالك الخروصي.

- (٨) راشد بن النظر اليحمدي الخروصي.
- (٩) عزان بن تميم الخروصي.
- (١٠) محمد بن الحسن الخروصي، من أهل فشح من أودية الرستاق.
- (١١) الصّلت بن القاسم الخروصي، من أهالي نزوى.
- (١٢) عزان بن الهزبر المالكي، من كلب الیحمد.
- (١٣) عبد الله بن محمد الحمداني، المعروف بأبي سعيد القرمطي.
- (١٤) ثم عقد للصّلت بن القاسم الخروصي مرة ثانية.
- (١٥) الحسن بن سعيد السحتني، النازل نزوى، وهو من بني خروص.
- (١٦) الخواري بن مطرف الحداني، النازل نزوى.
- (١٧) ثم عقد لابن أخيه عمر بن محمد بن مطرف.
- (١٨) محمد بن يزيد الیكندي، النازل بسمد نزوى.
- (١٩) الحكم بن الملا البحري، النازل سعال من نزوى.

أئمة القرن الرابع

- (٢٠) سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب القرشي.

(٢١) راشد بن الوليد الكندي.

أئمة القرن الخامس

(٢٢) الخليل بن شاذان بن الصلت بن مالك الخروصي.

(٢٣) راشد بن سعيد اليعمدي.

(٢٤) ابنه حفص بن راشد بن سعيد.

(٢٥) راشد بن علي الخروصي.

(٢٦) عامر بن راشد بن الوليد الخروصي.

(٢٧) محمد بن غسان بن عبد الله الخروصي.

(٢٨) الخليل بن عبد الله بن عمر بن محمد بن الإمام الخليل بن شاذان الخروصي.

أئمة القرن السادس

(٢٩) محمد بن أبي غسان الخروصي، من أهل منح.

(٣٠) موسى بن أبي المعالي بن موسى بن نجاد.

(٣١) خنيش بن محمد بن هشام.

(٣٢) ابنه محمد بن خنبش بن محمد.

أئمة القرن التاسع

(٣٣) الحوارى بن مالك.

(٣٤) مالك بن الحوارى.

(٣٥) أبو الحسن بن خميس بن عامر.

(٣٦) عمر بن الخطاب بن محمد بن أحمد بن الصلت بن مالك الخروصي.

(٣٧) محمد بن سليمان بن محمد بن مفرج.

(٣٨) عمر الشريف.

(٣٩) أحمد بن عمر بن محمد الرننجي.

(٤٠) أبو الحسن بن عبد السلام النزوي.

أئمة القرن العاشر

(٤١) محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن محمد الحاضري الخروصي.

(٤٢) ابنه بركات بن محمد بن إسماعيل الخروصي.

(٤٣) عمر بن القاسم.

(٤٤) عبد الله بن محمد القرن المنحي.

أئمة القرن الحادي عشر

(٤٥) ناصر بن مرشد اليعربي.

(٤٦) سلطان بن سيف بن مالك اليعربي.

(٤٧) ابنه بلعرب بن سلطان بن سيف اليعربي.

أئمة القرن الثاني عشر

(٤٨) سيف بن سلطان قيد الأرض اليعربي.

(٤٩) ابنه سلطان بن سيف بن سلطان اليعربي.

(٥٠) المهتاء بن سلطان اليعربي.

(٥١) يعرب بن بلعرب بن سلطان بن سيف بن مالك اليعربي، وهو ابن الإمام بلعرب.

(٥٢) محمد بن ناصر بن عامر بن رمثة بن خميس الغافري.

(٥٣) سيف بن سلطان بن سيف بن سلطان بن سيف بن مالك اليعربي، وهذا الابن الثاني لقيد الأرض.

(٥٤) بلعرب بن حمير اليعربي.

(٥٥) سلطان بن مرشد اليعربي.

(٥٦) أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد البوسعيدى.

(٥٧) ابنه سعيد بن أحمد بن سعيد البوسعيدى.

أئمة القرن الثالث عشر

(٥٨) عزان بن قيس بن عزان بن قيس البوسعيدى.

أئمة القرن الرابع عشر

(٥٩) سالم بن راشد بن سليمان الخروصي.

(٦٠) محمد بن عبد الله بن سعيد الخليلي الخروصي.

(٦١) غالب بن علي الهنائي.

فائدة في بيان أسماء الأئمة من بني خروص

وهم الذين ملكوا عمان بالعدل

كان بني خروص بيت الإمامة في عمان، وهم من اليحمد من الأزدي؛ وذلك

لكثرة الفضل والعلم فيهم، ولذلك يقول شاعر العرب أبو مسلم:

وأين قوام أمر الناس قاداتهم بنو خروص حماة الدين مذ كانوا

فلهم المحتد العالى والمنصب السامى، وأولهم:

- (١) محمد بن أبى عفان الخروصى.
- (٢) الوارث بن كعب الخروصى.
- (٣) غسان بن عبد الله الخروصى.
- (٤) المهنا بن جعفر اليمحمدى الخروصى.
- (٥) الصلت بن مالك الخروصى.
- (٦) راشد بن النظر الخروصى.
- (٧) عزان بن تميم الخروصى^(١).
- (٨) محمد بن الحسن الخروصى.
- (٩) الصلت بن القاسم الخروصى.
- (١٠) الحسن بن سعيد السحتنى الخروصى.
- (١١) الخليل بن شاذان الخروصى.
- (١٢) راشد بن سعيد اليمحمدى الخروصى.
- (١٣) ابنه حفص بن راشد الخروصى.

(١) يذكر بعض أن خالد بن سعود الخروصى كان إماماً بعد عزان بن تميم، ولم تتفق السير عليه.

(١٤) راشد بن علي الخروصي.

(١٥) عامر بن راشد بن الوليد الخروصي.

(١٦) محمد بن غسان بن عبد الله الخروصي.

(١٧) الخليل بن عبد الله بن عمر الخروصي.

(١٨) محمد بن أبي غسان الخروصي.

(١٩) عمر بن الخطاب بن محمد الخروصي.

(٢٠) محمد بن إسماعيل الخروصي.

(٢١) ابنه بركات بن محمد الخروصي.

(٢٢) سالم بن راشد بن سليمان الخروصي.

(٢٣) محمد بن عبد الله بن سعيد الخليلي الخروصي.

كتبناها على الترتيب الذي ذكره نور الدين في تحفة الأعيان، فعلى هذا أن أكثر الأئمة بعمان من بني خروص، فله ما أيمن نقيبتهم، وأعظم بركتهم على المسلمين.

لا ينكر الناس ما للقوم من قَدَم وكيف يلحق عين الشمس نكرانُ
أحسابهم ومعاليهم وديـنهم كواكـبٌ وهـداياـتٌ وإتقـانُ

إنَّ الملك بعد الإمام العادل عزان بن قيس رضي الله عنه، صار إلى بني عمه، من آل بو سعيد، فلم يقسموا بالسوية، ولم يسيروا بالعدل بين الرعية، ففشى الظلم وكثر الجور، ومرجت عمان، وصار أهلها يتقاتلون بالتعصب الباطل، هذا هناوي وهذا

غافري؛ بل كل بلدة كانت فرقتين، فكان السلطان يعين كل طائفة على الأخرى، فبثوا بينهم الضغائن وغرسوا بذور الأحقاد، وبذلوا الجهد في الانتقام، والأخذ بالحق على فطاحل العلماء الساعين في دولة الإمام الشهيد عزان بن قيس، فأوثقوا شيخ العلم سعيد بن خلفان الخليلي ودفنوه وابنه محمد حين، ولم تكن هناك جريمة سوى أنه بالحق لله قائم. وصفدوا العلامة الشيخ حمد بن سليمان اليمحمدي بالحديد المثقل أربعة عشر شهرًا لا يستطيع النهوض، وما أفلته منهم إلا طول الأجل، ودسوا السم للعلامة الزاهد الشيخ محمد بن سليم الغاري في كتاب أرسله السلطان إليه، فلما فتحه طار السم على خيشومه، فانتفخت أوداجه فمات من ذلك رحمه الله، وذلك لما منعه آل سعد منه فأعيته الحيلة، وكانوا ذلك الوقت أهل منعة وحدة، جاهرُوا السلطان، فشد عليهم وأغلظ لهم في المقال والفعال؛ فمن بعض كتبه لهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

«من تركي بن سعيد بن سلطان إلى المفسدين في الأرض ولا يصلحون كافة، آل سعد، سوف يصلكم كتابي هذا، أخذوا نار الفتنة ما ظهر منها وما بطن، وإن لم تتبعوا سبل الهدى واتبعتم سبيل الهوى، أقسمت بالذي مكنتني رقاب عباده، وجعلني خليفة في الأرض لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل، ولتعلمن أننا أشد عذابًا، والسلام» ختام ٧ من رجب سنة ١٢٩٩ هـ.

(الجواب)

بسم الله الرحمن الرحيم

«من المعتصمين بالله ورسوله كافة آل سعد، إلى تركي بن سعيد بن سلطان، وبعد: والله لن نؤمن بك، وإن جعلت نفسك فرعونًا لتكونن لك عصي موسى،

وانظر الغالب، وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار، والسلام على خير الأنام». يوم ١٢ رجب سنة ١٢٩٩.

طرف من أخبار الشيخ المحتسب صالح بن علي

ابن ناصر بن عيسى بن صالح بن عيسى بن راشد بن سعيد بن رجب الحارثي، أول من أسس إمارتهم جدهم الخامس عيسى بن راشد، وكان مركزه بسفالة إيرا، وبعد أن أجرى نهر القابل انتقل إليها فجعلها مركزه الرئيسي، وبقي أبناؤه بها إلى الآن، واتخذ وابنه محمد بن عيسى جد آل حميد ابن عبد الله المضيرب وطناً فهم بها إلى الآن.

ولد بالقابل عام ١٢٥٠ خمسين ومائتين. وألف، ونشأ بها بعد ما قتل أبوه علي بن ناصر في معركة سيوى، التي دارت بين السلطان سعيد بن سلطان والمزاريع.

كان هذا الشيخ أحد أقطاب الدولة، الذين دارت عليهم شئون مملكة الإمام عزان بن قيس وقريناه في حمل أعباء الخلافة قدوة أهل عمان: سعيد بن خلفان الخليلي، والعلامة الزاهد محمد بن سليم الفاربي، وبعد انقراض تلك الدولة بقي هذا الشيخ محتسباً للمسلمين، حابساً نفسه لجهاد البغاة والجبابة، ولصلابته وقوة جأشه وإخلاصه كان يقود الجيوش فيهاجم بها سلطنة مسقط في عاصمتهم، وهاجمهم مراراً. والوقائع والحروب التي دارت بينهم مشهورة عند العمانيين، وأوتي حظاً عظيماً، وهيبة صدع بها قلوب المارقين، وكان يحاول إعادة الإمامة في عمان، وقد رشح لغرضه السيد سعود بن الإمام عزان بن قيس رضي الله عنهما، فلم يكن يفارقه في غزواته؛ رجاء أن ينال فرصة لأخذ البيعة له إذا فتح بعض المعازل، فما قدر الله.

كان أعلم أهل زمانه بالحلال والحرام، وقد شهد له علماء عصره.

كان يقظاً حازماً متواضعاً للحق، سريع الرجوع إليه إذا نوقش.

كان رقيق القلب، كثير الرحمة والشفقة على عباد الله، مواسياً لهم، ينفق في سبيل الله وعلى الأرملة والضعفاء واليتامى.

وقد هاجر إلى زنجبار في أيام السلطان ماجد بن سعيد، فكان بينه وبين ماجد مهاجمات تعصب فيها للسيد برغش بن سعيد، فآل الأمر إلى تكعكعه عن موقفه، وخرج إلى أرض الصومال فأقام في ضيافة حاكمهم سنتين، وقرأ هناك على أحد العلماء النحو والصرف والمعاني والبيان، ثم رغب في الرجوع إلى زنجبار، فركب سفينة شراعية في جماعة من رؤساء عمان مروا عليه، فدخل على السلطان ماجد بدون شفاعاة ولا واسطة وألقى نفسه عليه فعفا عنه.

شيوخه: أجل شيوخه الذين أخذ العلم عنهم: العلامة المحقق الخليلي، ولا نعلم له شيخاً غيره، فإنه هاجر إليه وهو صبي لم يبلغ الحلم، فأعطاه دروساً، وورده إلى بلده، ثم رجع إليه في العام القابل ولقنه دروساً أخرى، وكانت عادة المحقق الخليلي مع التلاميذ الاستخبار، فلما رجع إليه ثالثاً قرب به إليه؛ لما توسم فيه من الصلاح.

تلاميذه: الذين أخذوا العلم عنه؛ منهم: العلامة نور الدين السالمي، والعلامة الكبير أبو مالك عامر بن خميس، وابنه الأمير عيسى بن صالح.

مؤلفاته: رسالة سماها: «علم الرشاد في أحكام الجهاد» أتقن فيها أحكام البغي وما يجازى به فاعله، وله رسائل ومجلد ضخمة أجوبة مسائل في الفقه، رتبها شيخنا القاضي أبو الوليد سماها: «عين المصالح في أجوبة الشيخ صالح».

غزواته: خرج في أواخر ذي القعدة سنة ١٢٩٠ تسعين ومائتين وألف على مسقط، لما تقدم من بغى السلطان تركي على الإمام عزان، وقتله لمشايخ العلم سعيد بن خلقان الخليلي وابنه محمد بن سعيد، ولم يقدر الله له الظفر.

ثم خرج ثانية على مسقط بمساعدة السيد عبد العزيز بن سعيد، أخي السلطان تركي ولم يتم لهم الفتح.

ثم خرج إلى بلدة سرور من وادي سمائل؛ لإغاثة الرحبيين وهو قوم من همدان، بغى عليهم جيرانهم بنو جابر، فمكنتهم من بلادهم ورددتهم إلى أوطانهم.

ثم خرج في أول سنة ١٣١٢ اثني عشر وثلاثمائة وألف إلى وادي دما؛ وهو واد لبني شهيم، قد أظهر أهله البغي، وطلب منهم الإذعان للحق فكابروه فأظهره الله عليهم.

ثم خرج إلى مسقط مرة ثالثة سنة ١٣١٢ اثني عشر وثلاثمائة وألف، وعليها السلطان فيصل بن تركي، وهي الواقعة التي هاجمه فيها الأمير الشاب عبد الله بن صالح قبل وصول أبيه، ولم يقدر الله تمام هذا الأمر كله في كل الغزوات؛ لقبول رؤساء القبائل الرشا وخذلانهم له.

ثم خرج إلى اللجيلة؛ وهي مركز بني جابر، وكان أهلها في ذلك الوقت أنصار السلطان، وكانوا أشد نكاية عليه في مهاجماته لمسقط، فحمل عليهم بجيشه في أول

النهار من اليوم السادس من شهر ربيع الأول سنة ١٣١٤، فأصيب رحمه الله برمية في فخذه الأيسر عند أول الحملة، فبقي جريحاً إلى قرب العصر من ذلك اليوم، فهاجرت روحه الكريمة إلى ربها بعد ما أقرَّ الله عينه في خصمه بدخول بلادهم، وحمل أعيانهم على الأصفاة، وأمر ابنه الشيخ عيسى بحمل والده الشهيد، فدفن رحمه الله بشرجة الإبراهيمية من علالية سمايل، فرثاه الشعراء، والسيد نور الدين فيه مرات حسان.

وكان له أولاد أربعة، كلهم سادة أنجاب؛ أكبرهم الأمير عيسى بن صالح، وكان أكملهم عقلاً ونجابةً وعلماً، الثاني ذلك الزعيم الباسل عبد الله بن صالح، وقد نبغ في حياة والده واشتهر بين أهل عصره، وقد توفي قبيل أبيه في ضحى اليوم السابع من ذي الحجة عام ١٣١٢ اثني عشر وثلاثمائة وألف، بعد رجوعه من غزوته لمسقط، وهي الغزوة التي زلزل بها عاصمة السلطان، وكاد أن ينصدع لها عرش المملكة البوسعيدية وعمره عشرون سنة يوم وفاته.

الثالث من أبنائه الشيخ أحمد بن صالح، وكان سيداً مهاباً، معيناً لوالده في حياته، متحلياً بجميل الذكر في تصرفاته، وكانت وفاته في اليوم الثاني من شهر المحرم سنة ١٣٢٢ اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف، وعمره خمس وعشرون سنة.

الرابع: الشيخ الوجيه علي بن صالح، فريد الطلعة، ميمون النقية، له القُدْح المعلن في سياسة الدولة أيام الإمام العدل سالم بن راشد الخروصي، ومن أجل المعاضدين له، وكان في مقدمة بعوث الإمام وسراياه، أصيب الإسلام بموته يوم خامس من شهر شعبان عند طلوع الشمس عام ١٣٢٧ سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف، وكان عمره خمساً وثلاثين سنة.

إمارة الشيخ الأمير عيسى بن صالح رحمه الله تعالى

قام الأمير عيسى بعبء الإمارة بعد أبيه الشهيد، وسار في الناس سيرة أبيه الرضي، وبدأ عهده بتخيب أمل السلطان فيصل في استغلال فرصة وفاة صالح، فهاجمه في وادي بني رواحة الغربي، وهزمه شرَّ هزيمة، ثم إن السلطان تلطّف به وأكرمه وسالّله، وأجرى له راتبًا شهريًا، فكانت أيامه أيام سكّون واستراحة، وكان وجيهاً عند الناس لحسن سيرته، مقبولاً عند الخاص والعام، سخي النفس، جوادًا، كريماً، مشهوراً بالفضل، يؤمّه المسترشد والمستنجد والمسترفد، جمع شعث المسلمين، وحثهم على الاجتماع، وخرج بهم إلى نزوى لمبايعة الإمام الخليلي بعد وفاة الإمام الخروصي، فإنه عرف قدر الإمامة، واستطاع إخضاع معانديه وإرهاقهم بقهرها بعد أن كان يحاذر من الدخول فيها.

فخير الناس ذو حسب قديم أقام لنفسه حسبًا جديدًا
تراه إذا ادّعى في الناس فخرًا تقسيم له مكارمه الشهودا

كان يقول الحق، لا يحترم الشريف أو العظيم إذا حاد عنه، يرد الباطل في وجه قائله، وغلّط المفتي بحضرة سائله. كان ملازمًا للاعتكاف حتى توفي. كان كريماً مضيافاً، لا يفقد بساطة الضيف، يقدم له على حسب مراتبه، ويوسعه إجلالاً واحتراماً، بتكلف فوق الطاقة، ويبذل فوق الوسع، ومع حصر يده لم يكن في أيامه بعمان من يطعم الضيف خيراً من طعامه.

مؤلفاته: منها الرد العزيز على أحكام الدرّيز، ومنها رسالة في منع الإسقاط بالجوايح، ومنها رسالة في الرد على الإمام الخليلي فيما حكم به بين الحجرين وبين راسب. وله مجلد ضخّم يحوي أجوبة مسائل في مختلف الفنون.

ولادته: ولد في أول الفجر من يوم الثالث والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١٢٩٠ تسعين ومائتين وألف، ونشأ في حجر أبيه الصالح، وأخذ مبادئ علوم النحو والمعاني والبيان عن الشيخ خميس بن حويسن الهنائي، وأكب على التعليم ودرس على أبيه الصالح، ثم على نور الدين السالمي.

وفاته: توفي ضحى اليوم السابع من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة وألف، وكان سبب وفاته وعكة أصابته بحمى يوم حادي أول ربيع الآخر من السنة المذكورة، ببلد الظاهر حيث ظلّ مريضاً حتى ثقل، ثم حمل على الأكتاف إلى بلدة القابل، وبها توفي ولم يزل يحوط المسلمون بغيرته وصلابته.

اعتراضه الأول: وكانت له آراء تخالف الجمهور؛ فمن ذلك لما حكم العلامة عامر بن خميس المالكي في عصر الإمام سالم بن راشد الخروصي عام ١٣٣٣ باستغراق أموال الشيخ راشد بن عزيز، وإدخالها في بيت المال عكر عليه الشيخ عيسى، وأخذ يشنع عليه في كثير من رسائله له، وأغلظ له المقال لما اجتمع به في فلج مسعود حتى قال له: لقد سبقت لك منزلة عندنا ولا ينبغي أن تحوها، وامتنع من الأكل من غلة هذه الأموال، فوقع في قلب بعضهم ريب وشك، وانشق أصحاب المقالات وأطلقوا ألسنتهم بالطعن على الدولة؛ لكن العلامة المالكي لم يقف موقف المتقهر، كشف النقاب، ورفع الحجاب، فكتب أرجوزة طويلة سماها «غاية التحقيق في أحكام التغريق» بسط فيها كل البسط، وبين الحق فيما رآه، وجع الأدلة وحقق ودقق.

اعتراضه الثاني: وفي عام ١٣٦٣ كانت جوانح سماوية أفسدت الثمار، وكان من رأي الإمام الخليلي رضي الله عنه الإسقاط بالجوائح السماوية إذا بيعت الثمرة بعد الدراك؛ عملاً بحديث رواه مسلم: أمر صلى الله عليه وسلم بوضع الجوائح. فعمل

برأيه هذا في نزوى، وكتب لعماله بذلك، فاعترض الشيخ عيسى، وكتب رسالة تحامل فيها على القاضي منصور الفارسي؛ ولكن الإمام بقي على رأيه، ولم ير الرجوع عنه.

اعتراضه الثالث: كانت حروب قديمة بين الحجريين وبني راسب، وقع فيها سلب ونهب وسفك دماء، فألزمهم الإمام الحضور للفصل بينهم، وقطع شأفة الجنايات الشيطانية، فاجتمعوا بين يديه بالمترب من بديّة، فتكلم كل بدعواه. وبعد أن فهم ما عندهم فصل الحكم بينهم قائلًا: إن ما كان قبل اليوم من قتل وسلب ونهب، فهو هدر لاستحلالهم ذلك من بعضهم بعضًا، أخذًا بما حكم به الإمام على يوم الجمل، ومن تعدى بعد اليوم نؤاخذه بتعديده. وأعلن ذلك الفصل بمحضر من الخصمين، واستثنى قائلًا: إلا إن كان الشيخ عيسى يرى غير ذلك فليقل والشيخ حاضر بجنبه. أجاب الشيخ: لا نرى غير ذلك، والقول قولك، فسجلت بينهم الوثائق، وانفضّ المجلس، وانتهدت المشكلة، ورجع كل إلى بلاده.

بعد ذلك بأيام كتب الشيخ للإمام، أنه لم ير لذلك الحكم وجهًا، وطلب منه الرجوع عنه.

أجاب الإمام: إنه لم يتبين لي باطله، ولا يجوز الرجوع عن الحق.

فنشأ من ذلك خلاف عريض، تعصب بعض القضاة للإمام؛ كالرقيشي والخروصي وسفيان، وبعضهم للشيخ كالأغبري وسالم الحارثي، وكثرت الرسائل والأجوبة والأدلة، وكادت أن ترجع الحرب ضروسًا بين الخصمين لولا لطف الله.

وكتبت المسألة بخط الإمام، وأرسل بها القاضي سفيان بن محمد إلى علماء الحرم بمكة المشرفة.

فكان من جوابهم عليها: أن هذا السائل أعظم من أن يعترض عليه آخر جواب صدر من الإمام أن ذلك رأي رأيت، وعندى أنه حق، ولا يجوز لي الرجوع عنه ما لم أر باطله. وإن كان الشيخ يرى أن ذلك باطل فليرده، ولا يحل له السكوت على الباطل، ولا معارضة مني؛ لئلا تكون فتنة بين العلماء وأنا سببها، فبقيت الأمور على حالها معلقة، وكلا الخصمين قابل لقول الإمام مُصر على قبول حكمه والتمسك به، عاضاً عليه بنواجذه. ولا يجب نقضه فراراً من الفتنة، ولما كابدوه فيها من المكروه طوال السنين الماضية، وبركة الإمام لم يكن في الحكم نقض من الطرفين إلى الآن.

وفي عام ١٣٦٤ حدث تنافس بين الأميرين: عيسى بن صالح الحارثي، وعلي بن عبد الله آل حمودة، سببه قبيلة الهشم؛ فإنهم ضجروا من رئاسة أميرهم العلوي، وأحبوا الاستبدال به.

ترددت رسائل الهشم ورسلهم إلى الإمام، يطلبونه والياً على بلادهم الكامل وما اشتمل عليها، وأكثر رسائلهم على يد سالم بن الشيخ اليعمدي.

فلم ير الإمام إسعافهم في ذلك الأوان؛ لما يعلمه من غدرهم، ولما يحاذره من مكرهم؛ لأنهم أبناء الذيب، كذا يطلق عليهم عند العمانيين، ولكونهم لا يصبرون على طعام واحد فهو يحاذر الفتنة، ويراعي الذمة السابقة بينه والأمير العلوي؛ إذ من الشروط فيها أن مرجع غافرية الشرقية إليه، وأنه المسئول عنهم فيما يحدثونه والهشم كانوا من حزبه. آيس الهشم من قبول الإمام لهم واستماعه لقولهم، وعرفوا أن أميرهم العلوي تنكر عليهم بهذه المخابرة وحاذروا انتقامه منهم، فرجعوا في تدبير خطة أخرى، فأرسلوا واردهم سالم اليعمدي إلى الشيخ عيسى فقبل قولهم ورحب بهم، ورسم لهم الخطة في قهر بلادهم، فأرسل ابنه محمد بن عيسى وابن أخيه صالح بن أحمد لمناصرتهم، فنزلوا بالمنترب من بديّة، فكانت بينهم وبعض أصدقائهم

منافسة وعدم قبول؛ لما عزموا عليه وجاءوا به فجاءهم وهم، ولما يثن المشايخ الهرير والهدير عن تصميمهم، فدخلوا الكامل واستولوا عليها، فكانت مزاحمة جيوش بين الطرفين؛ إذ كان جيش العلوي (بالوافي والجديد) يقوده ابنه خالد بن علي. وخرج جماعة من أعيان جنبه صور لتسديد الأمر والصلح بينهم، ولكن الواقع الموجب للكفاف عن الشرّ تحامل سلطان مسقط على الأمير العلوي.

في أثناء ذلك وصلت دعوة من سلطان مسقط سعيد بن تيمور للأميرين: عيسى وعلي بالوصول إليه، وكان عيسى بالقابل، وعلي بصور، وأبنائهم في الرباط، فسارعا إلى إجابته، فأصلح أمرهما وتسلم الكامل وأردفها وادي بني خالد، وكان الوادي تبعا للهشم، ثم كان ولاية الإمام الخليلي عليه، ثم تركوه فكان عمال العلوي عليه، ثم أرسل الشيخ عيسى أبناءه المذكورين، فأخرجوا خدام الأمير العلوي منه، وجعلوا فيه علما للإمام وعاملا من قبله. وبالجملية فإن السلطان تسلم الوادي والكامل لقمة هنية سائغة من غير تعب، فأرسل عمالة لقبض المراكز بعد ما كان علم الإمامة على الوادي؛ أصبح العلم السلطاني عليها وعلى الكامل وتوابعهن، ولم يكن للحكومة مسقط علم في داخلية عمان قبل هذا العلم، لا وقت الإمامة القديمة ولا لسلطنة مسقط. بمثل هذه تطورت الأمور وطمع فينا السلطان سعيد بن تيمور.

خروج الشيخ عيسى إلى مسقط

كان الشيخ عيسى يرى أن له من الحق في النظر لصالح الإمامة ما ليس للعمانيين، وأنه أطول نظرا، وأعلى كعبا، وأغزر علما؛ فهو يجب أن يكون قوله مقدما على أقوال العلماء، وأمره نافذا على الرؤساء؛ لما يراه لنفسه من المزية، ولما فيه من

الأريحية، ويهوى أن من تعلق به، أو طلب شيئاً على يده، أو أتم أمراً بأن لا تكون فيه المراجعة، ولا يرضى إلا إتمامه والتوفير لما دخل فيه.

والإمام يرى أنفة العمانيين ونفوذهم من ذلك، وأنه لا يلزم أن يكون عيسى موقفاً مسدداً في أقواله وأعماله إنما العصمة للأنبياء.

كان من رأي الشيخ عيسى أن يقطع مطامع العمانيين من جهة السلطان، وأن يكون الحاجز بينهم، وليكون نفوذه على الكل، فتبادل الرسل مع السلطان سعيد بن تيمور، وكان رسوله حمد بن سليمان الحارثي من بني عمه وابن أخته، وقد منحه السلطان لقب (المخلص) في جميع رسائله.

خرج الشيخ عيسى أول مرة إلى مسقط في شهر شعبان من سنة ١٣٥٢، على طريق قريات بواسطة السيد سعود بن علي بن بدر البوسعيدي؛ لمقابلة السلطان سعيد بن تيمور، وما كان السلطان يطمع في وصوله إليه، ولا يتحقق ذلك حتى وافاه، فأكرم نزله وأعلى منزلته، فرجع بجوائز وافرة واحترام كامل، فشجا ذلك رؤساء عمان وغازتهم، فتنكروا للإمام، وعاتبوه بأن هذا باب قد سدَّ، وأن في فتحه خللاً عليكم، أجاب الإمام: إننا لا نتهم عيسى، فربما أنه يعمل لمصلحة الكل. فلم يقنعهم جوابه، هنالك عملت الأيدي الباطلة والألسن الفاسدة؛ فحركت الساكن، فأخذ الرؤساء يتسللون.

وجاهر الشيخ العلامة إبراهيم بن سعيد العبدي، فوفد إلى السلطان مراراً، فأحسن له الجوائز، واستقضاه على صحار.

حرص الشيخ عيسى على منعه، وحرَّض الإمام على ذلك، وطولب إبراهيم بالتأخير عن الخروج إلى السلطان، وبعد أخذٍ وردٍ وطول معاودة، أجاب إبراهيم: لم

يؤذن لعيسى ونمنع، فإن كان رئيسًا فعلى قومه، ونحن مثله رؤساء على قومنا، وإن كان عالمًا فعندنا من العلم ما يحجزنا عن التهور، وإن كان مناصرًا، فالسبق لنا في المناصرة، وهذا حالنا لم يزل ولا يزال، وكيف نتهم مع العلم بنا في المواقف الحرجة، ليس هذا من الإنصاف في شيء.

بقي إبراهيم قاضيًا للسلطان على صحار، ثم بعد ذلك تبعه القضاة فسارع منهم جماعة، ومن أعيانهم المشايخ خلفان بن جميل السيابي تقلد للقضاء بصور، وسيف بن حمد الأعبري أصبح رئيس القضاة بمحكمة مسقط، وعبد الله بن محمد الخروصي تكفل بقضاء مطرح، وسعيد بن أحمد تولى قضاء ظفار، وحمد بن عبيد تقلد التدريس بمسقط، وغيرهم من الطبقة الثانية كثير.

ولما عنفوا أجاب بعضهم: إنَّ السلطان محتاج إلى القضاة الشرعيين، فنحن إلى القيام بالواجب الديني نسارع، وقد فتح عيسى باب الدخول على السلطان فلا شيء نُمنع ولا يُمنع.

ثم قامت دعاة السلطان تمد حبال الطمع إلى الشيخ سليمان بن حمير النبهاني، فاستنفروه واستفزوه، فاستأذن سليمان الإمام في الاتصال بالسلطان، فمنعه في بادئ الأمر، فامتثل على شرط أن يمتنع مشايخ عمان، وإلا فلا يمكن أن نمنع ويؤذن لغيرنا، ويأكل غيرنا ونحن جوع، ويصانع غيرنا على بلاده وجماعته، ولا نصانع؛ يعني بذلك عيسى.

وانتشرت كتب وزير الداخلية أحمد بن إبراهيم إلى أعيان عمان يدعوهم إليه. بهذه الأسباب أيقن الإمام أنها فتنة دخلت عليه، فكتب للشيخ عيسى ولأعيان عمان كتبًا بلفظ واحد، ونص كتابه للشيخ عيسى:

بسم الله الرحمن الرحيم

«من إمام المسلمين محمد بن عبد الله، إلى الشيخ الأكرم المحترم الأخ عيسى بن صالح وكافة آل حجر، سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، وإني أحمد الله إليكم إعلامنا خير وسرور. أمّا بعد؛ فإنه ربما يبلغكم إيّاد أهل عمان إلى مسكة، ودعوة أهل مسكة القبائل إليهم غير منقطعة، بثوا الرسل والكتب إلى كل أحد والناس يقولون: إن فتح الباب وسده من الشرقية، وأنه لا يمكن أحد يفد مستجدياً ويرجع ملأً الحقائق، والآخرون إذ سار عفيف وسيئ به الظن، إما أن يحسن الظن بالكل، وذلك أمر منعنا عن القول، وقد تجرأ الوافدون بذلك والموفود إليهم، ولا نرى إلا المنع. فمن كان مع المسلمين وثابتاً على البيعة وغير خائس بعهده، فلا يمكن مسيره إليهم مستجدياً، وقد حجرت عليهم ذلك إلا من كان ناقضاً لبيعته وعهده، فذلك نظرة إلى المسلمين ولا يعجز الله.

وأعلموا أيها الناس أن أولئك لا يعطونكم شيئاً من دنياهم إلا وأخذوا به شيئاً من دينكم. هذا قولي، واستغفر الله لي ولكم والسلام، وحررته يوم ٢٢ من شهر شعبان سنة ١٣٥٧هـ.

ثمّ ترأس من بعده ابنه الشيخ أبو الفضل محمد بن عيسى بإجماع من إخوته وبني عمه، وكان يوم وفاة أبيه بمسقط خرج إلى أرض المهتد للعلاج، فلما رجع من سفره قلّده أمرهم، وكان أسن إخوته وأذكاهم، فساس أمر قومه وقام بحقهم، وله شأن في الأدب؛ يقول الشعر ويحبيب عليه.

وكانت بينه والسلطان سعيد بن تيمور مواصلات وصلات، كما كانت لأبيه من قبله، وكان من أعز الأصدقاء إليه، وقد فوض إليه التموين العماني في الحرب العالمية

الثانية، فاستأثر به لنفسه ولم ير لغيره حقاً فيه، فكانت في العمانيين ضجة المجاعة وشكوه، حتى أن جماعته الحرث اجتمعوا إلى أبيه الأمير، فتكلم ناصر بن سالم بن عمير المعمرى، وعبد الله بن راشد الطوقي، وشكا الناس إلى الإمام فلم يسوغ الإمام لنفسه الدخول في هذا التموين؛ لعدم معرفته به، وللشبهة الحاصلة أنه مال التجار أخذ منهم بالتسكير والنهي عنه غير منكور، فخرجت خارجة من وهيبة على إثر زيارة محمد للسلطان لقبض تموين عام ١٣٦٢، فأخذت إبل السلطان من الوطية بقرب مسقط فباعوها وأكلوا ثمنها؛ انتقاماً لفعلة محمد، فطلب السلطان من الشيخ عيسى الإبل المأخوذة، وسعى الشيخ في ردها بكل جهد، فما حصل على مفيد، واستعان بالإمام على ذلك فتساهل وتغافل لما ينكره من عمل ابنه، فدفع الشيخ للسلطان دراهم عوضاً عن الذهاب منها.

ثم خرجت خارجة أخرى من وهيبة أيضاً، فأخذت قافلة للرحبين تحمل تمرًا قرب الروضة، وكانوا حلفاء للأمير عيسى، ووقع شقاق بين المساكرة والحرث في فلج بومنخرين بأبراء، فقام أخونا أبو حميد بن نور الدين، وكشف القناع للأمير، وأبدى له ما آتسه، وأن المنافقين وسعوا النطاق، ولا بد إن لم يتدارك الأمر تكون العاقبة غير حميدة، فأذن له بالسعي، فاجتمع أبو حميد بالإمام في سمايل بعد رجوعه من غزوة الطو، وتكلم عنده بحرج الموقف، فأصغى الإمام رحمه الله لقوله، وقبل وساطته، فأقبل الإمام من حينه إلى الشرقية، فأصلح الخصام الناشئ بين المساكرة والحرث في نهرهم. وخرج أبو حميد إلى بلد الفتح، واستعان بأخواله الحبوس في رد الإبل والتمر الذي أخذته وهيبة، فساعدوه فرده منهم، ودعا الإمام برؤساء وهيبة فأجابوه، وتحسنت الحالة مؤقتة.

وفي العام الذي فيه تولى هذا الشيخ أمر قومه، حجز زكاة سفالة إبرا، ومنع سيف بن محمد العيسري جابي الإمام عليها من صرفها في أمر الإمام، فاستعفى سيف من قبضها وسلم له ما بيده، وفي شهر ربيع الآخر من العام نفسه حركه السلطان على مشاغبة أمير جعلان علي بن عبد الله آل حمودة؛ لكون هذا الأمير حريصاً على ما تحت يده من المراكز الساحلية، بأن لا يكون للسلطان فيها نفوذ، وكانت بينه والإمام الخليلي وثائق، وأنه المستول عن طارفته فيما يحدثونه، أوجس الأمير العلوي الحركة، فأرسل الإمام يبحث عن رأيه إذا قام السلطان عليه، فكان من جواب الإمام:

«للأمير الخيار؛ إمّا أن يكون تحت الرعاية وسندافع عنه، وإمّا أن يكتفي بمنع رعايانا من مساعدة السلطان، ومن تحرك منهم نكفيه أمره، أما إذا قام السلطان بمساعدة الإنجليز، فيجب علينا القيام شرعاً، وذلك دفاع عن المصر وعمان جزء لا يتجزأ».

وكتب الإمام للشيخ محمد بالكف عن التعرض للأمير العلوي، ومن كان تحت رعايته، فقام وقعد إلا أن المنية عاجلته قبل أن يعرف ما عنده.

وقد زار هذا الشيخ البحرين والهند وإفريقيا، ولم تكن إمارته أكثر من عام؛ فإنه توفي في اليوم الثامن من شهر جمادي الأولى سنة ١٣٦٦ بمرض أصابه في إحدى رجليه، فأحضر له الطبيب، فعجز عن علاجه، وكانت ولادته عام ١٣١٦ هـ.

ثمّ ترأس من بعده أخوه الشيخ صالح بن عيسى، وكان القائم بأمره ابن عمه الشيخ صالح بن أحمد؛ لأنه أوسعهم علماً وفضلاً، وأكبرهم سنّاً.

ولما تسلم هذا الشيخ منصب إمارتهم خرج إلى الإمام الخليلي بنزوى، وتكلم إليه أن السلطان عودهم عند رجوعه من رحلاته أن يتحفهم بكتاب إشعاراً برجوعه، وأنهم عودوه في مقابلة ذلك بالمسارعة للتسليم عليه والتهئة له، فهو لا يتربص بعد علمه إلى طلب الإذن من الإمام.

وأنهم تعهدوا للسلطان بحماية وادي بني خالد وبلد الكامل لكونها حدثنا إليه قريباً بواسطة أبيهم الأمير عيسى، وأنه لا ينتظر سماح الإمام له متى دعت الحاجة إلى ذلك.

وفي هذا الشيخ المودة حقها في إحكام روابط الصداقة بينه والسلطان سعيد بن تيمور، ولم يسلم له ابن أخيه أحمد بن محمد بن عيسى الرياسة، فتزاحما على باب السلطان، وظلت الطريق مشغولة بهم من القابل إلى مسقط، فمن جفاه السلطان انحاز بجنب الإمام ليغيظ سلطانه، فأحمد بعد موت أبيه غضب لترشيح عمه المنصب، فولي للإمام جعلان الحسون وتوابعها، ولما فتح له السلطان باب الرضا ترك الإمارة التي تقلدها من الإمام، وانقطع إلى السلطان حتى قلده رياسة قومه بعد احتلال عمان، وكتب السلطان للحرث كتاباً بخلع صالح من الإمارة ومنح إخوتهم جائزة الولاية على نزوى وسمايل وجعلان ثم عزلهم، فكان هذا العمل في مقابلة ما يعمله آبائهم من قبل في جنب السلطنة.

أمّا الشيخ صالح فإنه قام بواجبه في حق توفير الصداقة السلطانية، لما كانت مشكلة وادي بني خالد حينما كان العلامة الأعبري عاملها من قبل السلطان، فإنه تقدم إلى بلدة الظاهر بمن معه، فاعترضه ابن أخيه أحمد بن محمد، وكان ذلك الوقت في جفاء من السلطان محتجاً عليه أنها بلاد السلطان، وهو أولى بإصلاح شئونها، وأنت من رعايا الإمام، ولا دخل لك في هذا، فأرغمه على الرجوع.

وفي ضحى يوم خامس من شهر ذي القعدة لسنة ١٣٦٨، أصدر هذا الشيخ على مسعود بن حميد خادم الحرث هجوماً يرأسه بنفسه، ومسعود هذا شقيق القاضي أبو الوليد مسعود بن حميد عامل الإمام علي المضيبي فدخلوا عليه وهو منفرد في بيته بالمضيرب، فأطلق بعضهم عليه مسدسًا فأصيب في فخذه، وطعنه بعضهم بخنجر؛ فعوفي من جراحته، وأصيب بعض المهاجمين بجراح خفيفة.

فتحرك أبو الوليد من المضيبي للواقع بأخيه، وتوجه إلى المضيرب، وقلبه يحمل حنقًا وأستته علقًا، وصحبه أعيان حبس وآل شبيب، فبلغ الخبر الإمام، وأرسل للجميع بالوصول إليه فامثلوا أمره، قدمت القضية على بساط البحث، وعرضت على القضاة، فكان من رأي الإمام الصلح بينهم، وأن يسمح أبو الوليد من الدعوى، وأن يسلم الأرض لمسعود بعد برئه، فعفا أبو الوليد، وامثل أمر سيده الإمام وسمح من دعواه.

ثم قدّم الشيخ صالح إلى الإمام طلبًا بعزل أبي الوليد من ولايته على الحبوس؛ لما يعتقد فيه من موالاته لابن أخيه الشيخ أحمد، فلم ير الإمام إسعافه للهوى، ولم يقف من طلبه ذلك على موجب يوجب عزله، فخرج الشيخ مغاضبًا، واستفز آل حبس، فكان من رأي بعضهم موافقته، ليكثروا عيش القاضي، فعسى أن يستعفى بنفسه، رفع أبو الوليد الخبر إلى سيده الإمام، ففتش الإمام عن حقيقته، فلما تيقن صحته كتب للشيخين صالح بن أحمد وصالح بن عيسى كتابًا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

«من إمام المسلمين محمد بيده إلى صالح وصالح. أما بعد؛ فإن الدين النصيحة، ومن أصلح ما بينه وبين الله؛ أصلح الله ما بينه وبين العباد، ولم ينصحك من داهنك.

أقول: خرجتم من نزوى ونحن قد نصحنا سعود بن حميد ولم يكفنا تأخير؛ بل قلنا له: يجب عليك يا سعود أن تسعى في لمّ شعث أولاد صالح؛ لأن ذلك شكر للسلف. ولا يكفي منك أن تقول: قمت فلم أسعف حتى تبالغ في المسألة وتستعين، ويظهر عذرك مع اجتهادك، فأسعف فلم نشعر ولم نعلم إلا وكل يسعى في إفساد أمر صاحبه. وكما أن على سعود حقاً فله عليكم إن راعيتهم الحقوق، وآخر الأمر أن حمد بن سليمان فيما بلغنا أنه دعا ابن عزيز وسليمان بن راشد بالوصول، أظهر الرجلان أن الدعوة من قبل أموال أولاد سالم بن خلفان قلنا: لهذا معنى ووجه، ثم إنهما رجعا وأرجفا، وقالوا بقول لا نعتقد صحته عنكم. ثم لما وصل أكابر الحبوس قالوا: بلغنا رسول من المشايخ ونحن بالمخترع فأجبناهم أننا قاصدون لحضرة الإمام لامثال أمره، ولم نبحثهم عن الخطاب ولا عن الجواب. ثم بلغنا أنكم دعوتهم بالوصول قائلين: إنا نرجوكم لنصلح ذات بينكم، فرأينا أن هذه الدعوة ما المراد منها إلا جمعهم على أهل الحق. وكان الواجب أن لا تصغوا لقول علي وسليمان؛ بل تنفون قولهم، وإن الأمر أمر الإمام، وهو الناظر لنفسه وللمسلمين، وقد قال الله عز وجل: {وما كنت متخذ المضلين عضداً} ولم يبلغنا ما بين هذين الرجلين، وجماعتهم أمر، ولو كان هناك أمر يردون إلى الوالي والقاضي. ومن كانت الشكاية منه فمرد أمره إلينا وهو وغيره في الحقّ سواء. واعلموا أننا -بحمد الله- لا نتبع إلا الحق، ويجب علينا أن لا نفر سعوداً على باطل، ولا نتخذله مع الحق، ولا نكون كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أحد من الخلفاء -الشك مني- لما سمع رجلاً يطعن في

صاحبه: هل غزوت الروم وفاس؟ فقال الرجل: لا، فقال: سلم منك هؤلاء ولم يسلم منك عرض أخيك المسلم، ما بالناس نجادل عن البغاة وأهل الفساد، وإذا قيل في أهل العلم بقول بادرنا على القدح فيهم، ونريد إن قيل في أهل الفساد البينة العدل. قالت: كذبت أو حملت على الرعونة، والله هذه هي المصيبة العظمى. فأوصيكم ونفسي بتقوى الله، وقد قال صلى الله عليه وسلم، وعلى آله: أصلح ما بينك وبين الله؛ يصلح ما بينك وبين العباد. فهذا هو الميزان، ويا صالح بن أحمد، عرفتك من قبل حق علينا الأحمدي بن محمد من قبل ماثرة مع المسلمين أن ندفع إليه ثلاثة أشهر من الزكاة، أو يعطى حقه فأعرضت عن الأمرين. وما إعراضك إلا لأمر في النفس، وما أرى ذلك إلا نزعاً من نزعات الشيطان؛ لتقع العداوة والبغضاء وإفساد ذات البين هي الخالقة للدين. فأقول: المؤمن واه رافع. يا آل صالح، لكم حقوق من قبل الآباء جميعاً أنتم وإخوانكم نراعيكم بها مع الاستقامة، مع أنا لا نولي أمرنا الرجال إلا إن بان لنا الحق، فنحن إن تمسكنا به لا نبالي، وإن ظهر منا الضعف عندنا ركن شديد إلا إن اعوججنا ولم نسلك المحجة المستقيمة.

نسال الله التسديد والتأييد، وأستغفر الله لي وإخواننا المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. حررته يوم ٢٥ من شهر المحرم سنة ١٣٦٩ هـ.

بعد أن كتب الإمام هذا بلغة أن بعض الحبوس عزموا على إنفاذ الخطة الموجهة إلى القاضي أبي الوليد، وكان الإمام قد عزل القاضي قديماً عنهم، فردّه عليهم قبل هذه الحادثة، وكتب لهم ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من إمام المسلمين محمد بن عبد الله، بيده إلى المشايخ العزاز الجماعة الحبوس؛ سلام عليكم ورحمة الله. وبعد فإننا نعلمكم أن سعود بن حميد توفي الشيخ السالمي وهو عنه راض، ثم إنا جعلناه في المضيبي، ثم جعلناه في سمد بأمر الشيخ عيسى ونظره، وما عذرناه عنها لأمر نعهده عليه، ولو كان لأمر نعهده عليه في دينه لقومناه وعزلناه، ألا لم نحب للمسلمين إلا التوسعة والرفق لا جلبًا للمال؛ مع علمنا أن سعودًا قد مارس الأمر وحنكته التجارب، وفيه مع العلم الحزم والعزم، فاخترناه أن يكون بداركم واليًا وقاضيًا، ونعلم يقينًا أن كثيرًا من الناس لا يحب ذلك، وليس من يكره الحق يعطي سؤاله. نحن علينا مناصرة الحق، ولا نصرنا الله إن لم ننصر الحق. والله لم يضع المسلمين في موطن نصرهم في مواطن على ضعفهم، فنحن على يقين أن الله ينصر من ينصره. وما النصر إلا من عند الله. {إن ينصركم الله فلا غالب لكم، وإن يخذلكم فممن ذا الذي ينصركم من بعده وإن جندنا لهم الغالبون}. اللهم اجعلنا من جندك الموقنين بوعدك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

حررته بيدي في رابع من صفر الخير سنة ١٣٦٩ هـ.

وكتب للقاضي ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من إمام المسلمين محمد بن عبد الله، بيده إلى الشيخ المحترم العزيز سعود بن حميد بن خليفين. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وإني أحمد الله ولا خير هنا إلا الخير.

أما بعد: فكتابك وصل ويا سعود ينبغي للعاقل أن يكون في الزلازل وقورًا، وعند الرخاء شكورًا. ونوصيكم أن تتمسكوا بالكتاب والسنة؛ فمن تمسك بهما فقد هُدي إلى صراطٍ مستقيم، ولا تهولنكم الأمور إن كنتم متبعين الحق، فإنه لا يمكن للإنسان أن لا يبتلى، وقد مضت سنة الله في خلقه، {ولن تجد لسنة الله تبديلاً}، وكفى بالقرآن حيث قال: {إن تنصروا الله ينصركم} وقال: {والعاقبة للمتقين}، {وإن جندنا لهم الغالبون} فهذا وعدٌ لن يخلف؛ ولكن القصور والتقصير يكون من العبيد. والسلام على الأولاد.

١١ من محرم سنة ١٣٦٩.

وفي عام ١٣٧٢ خرج هذا الشيخ بأمر السلطان سعيد بن تيمور لمصادمة ابن عطيشان بالبريمي، وزوده أربعين كيسة عيش، وعشرين صندوقًا من الرصاص، وشيئًا من القروش، فأنزلها ببيت زهران العزري بنزوى، وكان الإمام في ذلك الوقت مريضًا مدنفًا، وقد لعب المغرضون بالأمور لعبًا غير منكور، حتى إنهم كتبوا على لسانه كتبًا وختمت بختمه. سار هذا الشيخ ببني عمه وجنده الذي جمعه حتى وصل بهلا، فلما أفاق الإمام من علته، ورفع إليه الخبر كتب إليه بالرجوع عن قصده، وكتب لمن صحبه من الأعيان يلزمهم الرجوع إن امتنع من ذلك، فلما وصلهم رسوله بقوا بين إقدام وإحجام، فكان من حظهم أن وصل رسول السلطان إليهم

تلك الليلة بأن الإنكليز تكفلت بالمشكلة، وكفى الله المؤمنين القتال، فرجع بمن عنده إلى نزوى، وحمل سعيد وسالم ابني حمد بن سليمان الحارثيين الرصاص والعيش الباقي إلى الدريز بالظاهرة، ثم منها إلى الخابورة، ثم إلى مسقط على طريق البحر.

وفي عام ١٣٧٢ هـ خرج هذا الشيخ إلى داخلية عمان؛ لشد الروابط الودية بينه والهنداوية، فكان نزوله على بني هناء أولاً؛ ثم علي بن غافر بالدريز من الظاهرة، ثم توجه إلى الشيخ زايد بن سلطان الفلاحي بالبريمي، وصادف وصوله النزاع بين السعودية والإنجليز في واحة البريمي، ثم قصد الشارقة وركب إلى البحرين، واجتهد في منع دخول جوازات الإمام الخليفي بها، وزار الكويت وسأل حكامها الموافقة على ذلك، فما أسعفوا، وزار في رحلته هذه مصر، واجتمع برجال دولتها، وأقام بجوار الأستاذ العلامة أبي إسحاق إبراهيم أطفيش، وتلقى منه دروساً دينية وسياسية، وأدركه موسم الحج. وبعد قضاء المناسك الحجية زار ولي عهد المملكة العربية السعودية سعود بن عبد العزيز بمركز جدة، ثم توجه إلى زيارة أبيه الملك حامي حمى الحرمين عبد العزيز بن عبد الرحمن، وكان بالطائف، وأقام في زيارته أياماً، وبعد انتهائها رجع إلى جدة، وبقي في ضيافة ولي العهد، وزوده من الإكرام ما هم أهل له، ثم رجع إلى الكويت، ثم إلى البحرين، ومنها إلى الشارقة، ثم إلى عمان.

وبعد احتلال الإنجليز لبلدة عبري خرج هذا الشيخ إلى السلطان سعيد بن تيمور كان بظفار، ويقول: إنه وقع بينهما كلام في مادة عبري، وأنه أغلظ على السلطان في المقال، فأجابه: اعتمدوا على من شئتم ولو بالروس، وزوده كرماً جزيلًا.

ولما تحقق الهجوم الثاني على نزوى، كتب إليه الإمام غالب يستنجده، فتلكأ عن إجابته، وخرج للقنص بجبال بسيتين، وهو واد غربي بلدة الظاهر، فأدركه خبر

احتلال نزوى بعد رجوعه إلى القابل، فصمم عزمه على المسير إلى الظاهر، فصحبه فتية من رجالها إلى صور، فنزل على ضيافة ماجد بن تيمور، وقصد ظفار، فنزل بدار الضيافة، وعليها بشير الغافري، فأبرق بشير للسلطان سعيد بخبر قدومه، فكان من جواب السلطان: إن كان بالبحر فلا ينزل، وإن كان بالبر فأخرجوه حالا، وليذهب حيث شاء. فأزعج إلى ركوب سفينته التي نزل منها حتى ناخت به في حمى الملك المعظم سعود بن عبد العزيز حامي حمى الحرمين، فأكرمه بما هو أهله، وأنزله بجوار أمير المنطقة الشرقية سعود بن عبد الله الجلولي، وزوده وبني عمه راتبًا شهريًا فوق الإكرام، ثم توجه إلى مصر.

وقد نشرت جريدة آخر ساعة في عدد ١٢٥٩ / ١٠ / ديسمبر ١٩٥٨ مقالة عن هذا الشيخ، منها قال: وأخذت أجمع الرجال ودارت معركة بيننا والإنكليز، خسر الإنجليز فيها أكثر من ٤٥٠ قتيلًا غير الجرحى، إلى آخر ما ذكرته الجريدة عنه، فيا سبحان الله! إن نزوى في ذلك الوقت سلمت الأمر بدون إطلاق رصاصة واحدة، وحصلت العملية للمهاجمين دون إراقة قطرة دم، وانسحب الإمام إلى بلاده لما خذله هؤلاء الأمراء، ولم ينسحب إلى الجبل الأخضر، كما ذكرته الجريدة، أما الآن فلا يزال -أبقاه الله- ينشر الخطب في الإذاعة والصحف ضد السلطنة، ويدعو إلى مناصرة الإمام، كما أنه يعاضده على ذلك زملاؤه.

إني أخالك بعد المسوت تديني وفي حياتي ما زودتني زادا

وتحصل من هذه الدعاية على مساعدات ومعونات مالية جزيلة، قدّمتها الدول والحكومات العربية والصينية للمسلمين المجاهدين، ولما طالبه الإمام غالب بتسليمها، وكانت المطالبة بحضرة إخوانه، امتنع من أدائها إليه، فكان هذا الطلب سببًا لشقّ العصي بينهم، واستأثر فيها يقال عقارًا بزنجبار. ويا للأسف أن جعلوا

دعايتهم أحبولة للطبع، وسمحوا برياستهم وبلادهم لعدوهم، إنا لله وإنا إليه راجعون. وكتب العلامة أبو إسحاق إبراهيم أطفيش جوابًا لسؤال صدر إليه في ذلك.

الجواب: أمّا بعد؛ فالسلام عليك أيها السائل المسترشد، وأقول جوابًا لهذا السؤال: اعلم -حفظك الله- أن صالح بن عيسى ومن معه قد بلغ بهم الأمر إلى ما يستوجب البراءة؛ بل يستوجب منهم ما هو أكبر من البراءة، إن صحَّ أنهم امتنعوا من تسليم ما جمعه من الأموال باسم الإمام واسم المجاهدين في سبيل الله، والدفاع عن حوزة عمان، والإمامة التي هي بيضة المسلمين؛ إذ الواجب الذي دعا الله عباده المؤمنين إلى طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، هو اتباع سبيل المؤمنين، وطاعة الإمام العادل؛ إذ يقول سبحانه وتعالى: {ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا}، وقال تعالى: {من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا}، وقال سبحانه وتعالى: {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم}، وهؤلاء هم أئمة العدل، وولاية البيضة من الواجبات؛ والبيضة هي الإمام العدل، ومن انتحل لنفسه اسم العامل ببيضة المسلمين فقد دلس؛ والتدليس موجب للبراءة. ومن جمع مالا باسم إمام المسلمين، أو اسم الجهاد أو الرباط؛ وجب عليه تسليم ذلك المال لإمام المسلمين، وإن لم يسلمه للإمام مع وجوده اعتبر خائناً لله ولرسوله وللمؤمنين، والله يقول: {يأيها الذين آمنوا لا تحنونا الله والرسول وتحنونا أماناتكم وأنتم تعلمون}، والخيانة الغدر وإخفاء الشيء؛ قال صلى الله عليه وسلم: ((اللهم إني أعوذ بك من الجوع؛ فإنه بشس الضجيع، ومن الخيانة؛ فإنها بشس البطانة)). رواه النسائي.

اعلم - حفظك الله - أنَّ إمام المسلمين موجود، والحمد لله، وبيعته ثابتة في الأعناق، ولو هاجر من بلاده لغلبة العدو عليها، فإن ذلك يوجب على جميع المسلمين الانضواء تحت لوائه، والجهاد تحت رايته، ولا يسع أحدًا من المسلمين أن يتخلف عن الدخول في بيعته بعد أن بايعه أهل الحل والعقد من جميع المسلمين، الذين هم تحت لوائه، ومن تخلف عنه فإنه طاعن مارق من الدين؛ لأنَّ الله تعالى أمر بطاعة إمام المسلمين العدل، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك؛ إذ يقول: ((أطيعوا ولأه أمركم)) وقال: ((وإن تأمر عليكم عبْدُ حبشي، فاسمعوا له وأطيعوه)). وذلك كله فيما كان من طاعة الله. والإمام غالب هو إمام المسلمين بالبيعة العامة الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين، ومن أنكر هذا فقد أنكر الحق، وإنكار الحق مروق من الدين، والخروج منه مروق من الدين، ومحاربه مروق من الدين، ومفارقة لما عليه المسلمون، واتباع لغير سبيل المؤمنين، ومن امتنع من تسليم ما جاء مددًا للمجاهدين من مال أو سلاح؛ فقد امتنع عن أداء الحق. وهذا مما قال فيه المسلمون: إنه منع الحق، ومنع الحق إن لم يتب، ويرد الحق إلى أهله؛ وجب القضاء فيه بما قال العلامة عمرو بن فتح - رحمه الله - لأبي منصور إلياس بن منصور، عامل الإمام عبد الوهاب على جبل نفوسة - رحمه الله - أذن لي في ثلاث وإلا خذ عني خاتمك - وكان قاضيًا على نفوسة: مانع الحق يقتل، والطاعن في الدين يقتل، والبدال على عورات المسلمين يقتل. هذه المسائل الثلاث يستتاب صاحبها، فإن لم يتب، فإنه ينفذ فيه حكم الله.

أمَّا مَنْ حارب إمام المسلمين، ولو بشيء من سوء القول؛ فقد أعان على هدم الإسلام، وهو كفر؛ إذ توهين إمام المسلمين توهين للدين، والقول السيئ في إمام المسلمين أو جيشهم أو قوتهم، هدم لكيان المسلمين، وعون للعدو على المسلمين. وهذا من الخيانة لله ولرسوله، وكذلك من قرَّ من صفوف المجاهدين: فإنه قال الله

سبحانه فيه: { فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير } والذين يكتبون ما يضعف شأن المسلمين، أو يمكن العدو من المسلمين، خائنون لله ولرسوله، إن لم يفيثوا وجبت البراءة منهم، وذلك تفريق لكلمة المسلمين وهو كفر، والخروج عن الإجماع كفر. وقد أجمع المسلمون على بيعة إمام المسلمين، فمن تخلف عن البيعة، أو ناوأ الإمام؛ فقد كفر ووجبت عليه الإنابة إلى الحق إن كان مسلمًا، قبل أن يحل به الموت وهو على براءة المسلمين، فنعوذ بالله من سوء الخاتمة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

(أبو إسحاق)

ترجمة الرئيس الحميري حاكم الجبل الأخضر

هو الرئيس المعظم، والهام المكرم، القائم بحرية الوطن، الشيخ الزعيم حمير بن ناصر بن سيف بن سليمان بن حمير بن محمد بن عبد الله بن سليمان بن بلعرب بن سليمان بن محمد بن صلت بن راشد بن إحياء بن حمد بن محمد بن صلت بن حمير بن نبهان بن حافظ بن سليمان بن سليمان بن مظفر بن سليمان بن نبهان بن كهلان بن نبهان بن محمد بن نبهان بن عمرو بن نبهان بن كهلان بن نبهان بن محمد بن عمر بن ذهل بن نبهان بن عثمان بن أحمد بن زياد بن خالد بن طالب بن علقمة بن شعوة بن قيس بن بشر بن زياد بن محمد بن المغيرة بن زياد بن البحراري بن ذهل بن زيد بن الكعب بن الكبيد بن الحارث بن العتيك بن الأسد بن عمران بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن الحارث الغطريف ابن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن زاد الراكب بن الأزد بن الغوث بن بنت بن مالك بن زياد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابن النبي هود عليه السلام.

هذا الأمير الجليل، هو الذي أحى رسم الإمامة بعمان بعد اندراسه، وقام لاستعادة مجدها الباذخ بعد ذهابه، وأوى نور الدين السالمي وزميله العلامة المالكي، ومن عندهما من المسلمين، والألسنة والأقلام شاهدة بمقامه.

ولد هذا الأمير في عام ١٢٩١هـ، وتوفي أبوه الشيخ ناصر بن سيف يوم ١٩ الإثنين من ذي القعدة عام ١٢٩٤، وهو ابن ثلاث سنين، فنشأ وإخوته (محمد، وأمراس، وحارب) في حجر عمهم الشيخ سليمان بن سيف النبهاني. وكان حمير أصغر إخوته سنًا، وكان للشيخ سليمان أولاد ثلاثة: سيف، وحمدان، وسعود. فسعى ذوو الإرادة بينهم؛ فوقعت البغضاء، وثار الشحنة؛ وما زال الإخوة يحسد بعضهم بعضًا، حتى أوقع بهم عمهم الشيخ سليمان في عام ١٣٠٦ بحصن تنوف، فقتل في تلك المعركة محمد وأمراس ووالدتهم، وبقي حارب وحمير، فسقي حارب السم فمات، وبقي حمير منفردًا، فعملوا المكيدة للغدر به، فتلقى خبر ذلك من المأمورين بالفتك به، وأزعجوه إما أن تنفذ فيك ما أمرنا به، وإما أن تعاجلهم؛ فرأى أن لا يحيص من ارتكاب إحدى المشقتين. ولما كانت ليلة ثاني من ذي الحجة عام السادس عشر وثلاثمائة وألف سنة ١٣١٦ خرج الشيخ سليمان بن سيف وبنوه الثلاثة للسمر بعد المغرب كعادتهم في مجلس قدام باب الحصن، وقد كمن لهم حمير ومن عنده، فرموهم بالرصاص من أعلاهم، فأصيب الشيخ سليمان وابنه سيف، وهرب الشيخان حمدان وسعود إلى بيت السليط بنزوى، وإلى بيت البركة فقبض عليهما، وبقي الشيخ حمير رئيسًا على تنوف والجبل وما تعلق بهما، وكل يلتمس غرة الآخر، حتى خرج الشيخ حمير إلى بلد الحمراء للتعزية في الفقيد الشيخ حمد بن محسن أمير العبريين، وقد نصب له بنو عمه مكيدة أرسلوا جاموديًا من قومهم، فأثار عليه الرصاص في نجد المصلي بين تنوف والحمراء، فأصابته في كتفه، ولم تؤثر فيه تأثيرًا قويًا، فأخذه الحنق، فقام على بلد البركة وحصر حصنها، وكان فيه الشيخ محمد بن

سالم الرقيشي بالنيابة عن الشيخين، فخرج من الحصن بعد حصارٍ شديد. وبعد ما أثير عليه البارود، وبافتراق الأمراء اختلَّ نظام ريام، فافترقوا وعاثوا في عمان، ونهبوا أموال العباد، واتجروا بالأحرار حتى إنهم قبضوا على جندي من جنود السلطان فيصل، الذين بحصن أزكى وباعوه، فطالبهم السلطان بالإذعان لأمره، فأبوا من الانقياد له.

هزمهم بأس نزارى متى بردت نار الخصومات وقد

فجهز السلطان فيصل جيشاً جعل القائد فيه خادمه (الوالي سليمان بن سويلم)، ورئيسه الشيخ عبد الله بن سعيد الخليلي. وقد تقدم ذكر ذلك في ترجمة السلطان فيصل، وأقبل الشيخ حمير إلى أزكى وقت زحمة الجيش عليها شاذاً لعصده قومه، مخاطباً للوالي في ترويح صلح يتفق عليه الكل، فغدر بنو توبة - وهم فرقة من (ريام) - فخرجت خارجة منهم إلى الشيخ سعود بن سليمان، وكان بالجليل الأخضر، فأتوا به، واستحلوا بيت البركة من عسكر الشيخ حمير، فما شعر الشيخ إلا والبركة قد خرجت من يده، فكان من حظ السلطان أن استشاط الشيخ غضباً، وخرج بمن معه إلى تنوف، وترك مناصرتهم وخلي بينهم والسلطان، فقامت الحرب على ريام، ونهض الشيخ سعود بواجب قومه، وتقدم إلى أزكى لمقاومة الوالي، فدس السم له، فما لبث أن مرض سريعاً، فحمل إلى البركة ومات فيها، وأقيمت حرب أخرى من جانب السلطان على سمد نزوى، وبها الشيخ حمدان بن سليمان، شقيق سعود المسموم، وابن عم الشيخ حمير، فانتزعت منه سمد نزوى، وأخرج من بيت السليط، فرجع إلى البركة. أمّا الشيخ حمير فبقي على إمارته حاكماً على ما تحت يده، حتى منَّ الله على العمانيين بمناصرتهم لعلماؤها واستقلال البلاد على يديه.

توفي الشيخ حمير بعد ما ترك المآثر الحميدة والشرف الخالد، يوم الجمعة السابع من شهر جمادى الثانية عام ١٣٣٨، ودفن بتنوف بجوار العلامة نور الدين السالمي، وترك ابنه الشيخ سليمان صغيراً وعمره يومئذ ١٣ سنة، ولم يكن له في العقب سواه. وسليمان هو الذي قام بمناصرة الإمام الخليلي، فكان أحد أقطاب الدولة، وأحد الزعماء والأركان المؤسسة لحياة الشعب ونظام الوطن، ولسان حاله ينشد:

وإذا افتخرت بأعظم مقبورة فالناس بين مكذب ومصدق
فأقم بنفسك من فعالك شاهداً بحديث محمد للقديم محقق

قام هذا الشيخ أحسن قيام بأحسن نظام في مناصرة الإمام، فشكرته الأمة والأئمة؛ لما بذله من إجلاء الغمة في كل موقف، وكشفه لكل مهمة تحدث. ولما بذل وشخص فإنه طمحت نفسه ورمقت عينه إلى ما هو أكبر من هذا ولا ريب، فإنه من بني نبهان، فرأى في نفسه الطموح للرياسة، ووسوس إليه شياطين الإنس، الذين يحبون صدع العصا واتباع الهوى شبهاً تعكر الجو، فبقي يرغم نفسه فيقرعها، ويتبعها حيناً آخر، وعلى كل حال فما تخلف عن نصرة إمامه في كل موطن إلا في واقعة نخل؛ فإن المتعصبين للباطل ثبطوه، وأوهموه في قتل الشيخين أحمد وخلفان ابني ثنيان، حتى ظفروا ببغيتهم فلم يتحرك في تلك الثورة وتدارك أمره بعد انتهائها، فأقبل إلى إمامه بجنوده، وأدركه بنخل، فقرب إليه البغاة الخارجين عليه، كما ستجده أيها القارئ في محله، إن شاء الله.

ولما انتشرت الدعاية لسلطنة مسقط بعمان، وبث وزير الخارجية كتبه إلى العمانيين في عام ١٣٥٧، كان هذا الأمير ممن استفروه واستفروه، فرغب في الدخول فيما دخل فيه الشيخ عيسى، فاستأذن الإمام، فرأى منعه، فامتنع في أول مرة، ثم كررت مسقط الطلب له، فاستأذن ثانية فحجر الإمام عليه، فامتنع وفي نفسه ما

فيها، فاشترط أن يكون المنع شاملاً للعُمانيين، وإلا فلا لوم عليه بعد ذلك، فلبث متأخراً إلى شهر جمادى الآخرة عام ١٣٦٣.

ثمَّ خرج إلى الشرقية، ثم إلى جعلان، ثم إلى ضنك، وفي صحبته ابنه سلطان بن سليمان وياسر بن حمود المجعل وأعيان قومه، فاجتمع بالأمير علي بن عبد الله آل حموده، وتبادلا الآراء بينهما في مقابلة السلطان، فلبث بصور سبعين يوماً، والسلطان ذلك الوقت بظفار، وقد بلغه الخبر فترث مكانه؛ ليفهم الناس حالة الزائر وما يتطلبه، وفي أثناء تلك المدة اتصل السلطان بجزيرة مصيرة قريباً من صور، ثم رجع منها إلى ظفار مرة أخرى، وأرسل للشيخين من مصيرة بواسطة سفيرهم خميس بن سعيد السنيدي معاشاً، وأن يكونوا مكانهم حتى يرجع، ولما رجع من ظفار اجتمع بهم في ساحل صور، ثم توجه إلى مسقط وأرسل إليهم الوالي إسماعيل الرصاصي مرحباً بهم، فخرجوا في صحبته وصحبته أعيان ساحل صدر، فأجارهم وأكرم نزلهم.

على إثر هذه سرى في العُمانيين التنافس والتحزب بالباطل، والتعصب لغير الحق، فكان الشيخ سليمان يجمع أعيان الغافرية ومن تبعهم مرة بنخل، ومرة بأمطى وأمكنة أخرى؛ ليكونوا عنده وقت الحاجة والشيخ محمد بن عيسى داعية للسلطان يمهّد له الأسباب، ويفتح له الأبواب، وبعده قام أخوه صالح بذلك، وخرج إلى الظاهرة وأرض الشمال؛ ليكونوا حزبه عند الضرورة.

وجاء الشيخ سليمان بسيارات، وهي أول ما دخل عمان الداخلية، فطلب مشايخ الحرث من الإمام منعها، فلم ير الإمام ذلك، فحركوا وهيبة لصدعها من دخول سيوحهم، وقرروا مؤتمراً ببلدة سناو يرأسه الشيخ أحمد بن محمد بن عيسى، وجاء سفيرهم محمد بن سلطان بن منصور الغفيلي إلى الإمام ببهلا، وقت الفتنة بين

بني شكيل وبني هناة، فلم يحبه الإمام على طلبه ولم يزوجها لمنعها. ومثل هذا كثير أصبح كل يعمل ضد صاحبه ويهدم بناء الثاني، وبهذا حصل الانحلال والتفاقم، وتضعضع ركن الدولة، وطمع فيها الغافل وعين الخصم لا تنام.

ترجمة أولاد الشيخ هلال بن زاهر الهنائي

هو هلال بن زاهر بن سعيد بن محمد بن سعيد بن محمد بن سعيد محمد بن خميس بن خلف بن مبارك الهنائي، ينتمون إلى هناة بن مالك بن فهم.

نذكر أسماء المساعدين على النهضة العمانية منهم.

محمد، وعبد الله، وعلي، وخالد بني هلال بن زاهر، وزاهر بن غصن بن هلال، وسالم وسعود ابنا بدر بن هلال.

كانت لأبائهم سابقة بعمان؛ فقد ذكر أهل السير ما كان لأبيهم مالك بن فهم من المآثر، وما كان لبنيه من بعده وما كان من الأهيف بن حمحام في حروبه، وما كان من سيف بن محمد في أيام الإمام ناصر بن مرشد، وخلف بن مبارك المعروف بالقصير في حال إمامة محمد بن ناصر إلى غير ذلك، وأذكر الآن طرفاً من مآثر الشيخ هلال بن زاهر ليتمتع بها القارئ:

كان هلال في أيامه قد فاق الأقران، وطار صيته بالبلدان، حتى إنه ابتز قلعة نزوى من يد السيد حمد بن سيف البوسعيدى، وبقي حاكماً بها أربع عشرة سنة. وكانت له حروب، لاقى فيها الأهوال، وزاحم بها الأبطال. وما أشبهه بالمهلب بن

أبي صفرة في الصبر وعدم الضجر، وقلة السّامة، وكان بنوه كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها، وهم محمد وبدر وعبد الله وعلي وغصن وخالد.

وقعت بينه وبين جيرانه العبريين حروب؛ وأسبابها: أن الشيخ هلال على ما هو عليه من الإقدام والشجاعة، أخذ يكابر ابن عمه سعيد بن محمد بن سعيد، وكان سعيد هذا أميرًا في بني هناة ذلك الوقت، فاستقل هلال ببلد العارض من كدم، فاستعان عليه سعيد بالشيخ محسن بن زهران العبري أمير العبريين، فقام عليه فأحاطوا بهلال ومن معه في برج العارض، فخرج منها على واسطة الشيخ سليمان بن سيف النبهاني في شهر المحرم سنة ١٢٧٦، وما زالت حالته وابن عمه على ذلك حتى توفي الأمير سعيد في حادي شوال سنة ١٢٨٢، فاشتد ساعد هلال وعظم أمره؛ فوقع الشقاق بينه وأولاده الشيخ سعيد، فاستعان أولاد سعيد بالشيخ محسن، كما كان يستعين به أبوه من قبل، فأجابهم إلى ذلك قيامًا بالصحبة، ولأنه يحاذر من هلال متى استفحل أمره، وقد كان منهم ما كان في جانبه، فدخلوا بلاد سيت عاصمة بني هناة يوم الإثنين ١١ صفر سنة ١٢٨٣، وأخذوا البرج الذي فيه الشيخ هلال وإخوته، وأخرجوهم من البلد، فتحيزوا بوادي سيفم، واستولى الشيخ محسن على غمر، وهي بليدة صغيرة لبني هناة قريبة من الحمراء، وبها محلة مانعة وفاض إلى وادي العلا؛ وهو واد لبني هناة، فوقعت بينه وهلال ملحمة قُتل فيها كثير من العبريين، وانهمزوا عن الوادي، فبقي الوادي بيد أهله، وظن الشيخ محسن أن هلال لا يستطيع شيئًا بعد تتابع هذه الحوادث عليه، فأهمل الحزم، وإذا رفع له عنه شيء لم يلق له بالًا. وبينما هلال يلتمس الفرصة، ويظهر لبني شكيل الصداقة واللين، فوائقوه على ذلك لما بينهم والشيخ محسن من التنافس على بهلا، واستبداده في تولي أمر أولاد راشد بن حميد، فإنه أبقي لهم الاسم وله السيطرة، فاجتمع هلال وبنو شكيل وخدام أولاد راشد بن حميد بيبيرين، وكانوا يدًا واحدة، وخرج الشيخ،

فاجتمع محسن بجيشه وأقام ببهلا، ولما قدم هلال بمن معه خرج لملاقاتهم المقدام حمود بن الشيخ محسن، فتصادم الجمعان خارج سور بهلا سهيلي اللجيلة؛ فكانت وقعة يشهد لها التاريخ، قُتل فيها الشيخ حمود بن محسن، وقُتل معه من صناديد الرجال ومشاهير الأبطال: قسور بن خلفان العبري، وسالم بن سيف بن خميس، وصقر بن محمد بن سالم، وخيس بن مفتاح، وجملة أناس من العبريين وأهل بهلا، ومن أولئك كذلك.

وما طالت الأيام حتى قام الشيخ هلال لاسترجاع بلدة غمر، من يد الشيخ محسن، وعنده حروة ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فدخلها ليلة ١٢ جمادى الثانية سنة ١٢٨٣، فجاء الصريخ إلى الحمرا، فخرج الشيخ محسن وأخوه محمد وجماعتهم لمقاومته بجنود هائلة، وجروا المدافع إليه، ورموا المحلة بمدافعهم؛ فتفجرت وتكسرت، وبقي الحصار إلى ليلة ٢١ من الشهر المذكور، فهجم العبريون على المحلة، وأطلق المحصورون عليهم البنادق ورموهم بالحجارة من تلك السرادق، وهم لا ينكصون. فلما طال الأمر ظنَّ هلال أن رصاصهم لم يعمل شيئاً في عدوهم، فنزل من حصنه، ودخل في المهاجمين، فعرف أن الرماة لم تعمل شيئاً، فما أمكنه السكوت حتى يرجع إليهم، فناداهم - وهو في وسط عدوه -: أن واطوا الضرب. فعرفوا أنه هلال، فتصادم القوم عليه، والتقى الشيخان - هلال ومحسن - فتجللا بالسيوف، فجرح الشيخ محسن، واحتوش هلال ستة رجال من صناديد حكم، فأقلت منهم، فخارت العزيمة لما جرح الشيخ محسن، وكانت الهزيمة على قومه، وانجلت الملحمة عن عدد كبير من القتلى في العبريين، وعلى إثرها وقع الصلح بين العبريين وبني هناة، بواسطة الشيخ العلامة ماجد بن خميس العبري، على أن تعود غمر وبلاد سبت إلى بني هناة. وفي «تبصرة المعتبرين في تاريخ العبريين» للشيخ العلامة إبراهيم بن سعيد العبري، قال: إنَّ المقتولين ستون رجلاً، والجرحى نحو

ذلك، ومن بني هناة وبني شكيل عشرون رجلاً، قال: وإنما لم يقتل منهم أكثر من ذلك؛ لأنهم كانوا محتجين وراء الجدر في أسوار المحلة. قال: وبهذه الهزيمة ضعفت قوة الوالد محسن، وكانت أيامه أيام إقبال، ولم تعاكسه الأحوال إلى أن قتل ولده حمود ببهلا، ثم وقعت هزيمة بلد غمر. انتهى كلامه.

وبعد حادثة غمر استرد هلال الوادي كله، وأخذ يسعى في رقي قومه وعمارة بلدانهم، ولم يقتصر على ذلك؛ بل أخذ يفكر في ما هو أعظم من إدخال نزوى تحت سيطرته، فحالت دونه الأيام بظهور الإمام عزان بن قيس رحمه الله، وهذا هو السبب الذي حمله أن لا يتساعد مع الإمام رحمه الله بإخلاصٍ ونصح، وبعد موت الإمام حول فكرته إليها مرة ثانية، فدبر حيلة، فوصل نزوى بمن عنده ليساعد حاكمها على الأعراب الذين تجبروا على أهلها، وفي الباطن يرم حيله، فرأى حاكمها السيد حمد بن سيف من هلال النصح، فقدمه في أموره شيئاً فشيئاً، حتى قلده زمام قلعة نزوى؛ وكان حمد يسكن بيت الصاروج، وبعد مدة منع هلال حمداً من دخول القلعة، فاستيقظ حمد من غفلته ودبر المكيدة بقتل هلال ففشلت، وعلم هلال بذلك، فأرسل إليه أن القيام بنزوى ليس من مصالحك، فخرج إلى مسقط فصفى الجو لهلال.

وكانت بين هلال والشيخ سليمان بن سيف النبهاني حروب بنزوى؛ إذ كان هلال أميراً على السفالة ويده قلعتها، والشيخ النبهاني أمير على سمد، وهي علاية نزوى، ويده بيت السليط، ف وقعت بينهم وقائع عظيمة، ولا يقل من فقد بها عن ثلاثمائة قتيل.

كانت أعمال هلال أفعال الأبطال؛ فإنه عمّر الحصون، وأجرى الأنهار، وغرس الأشجار؛ فمن الأنهار التي أجراها: فلج بلاد سبت، حيلة العقبة، فلج وحشا، فلج

الغافات، فلج النطالة، فلج العقيصي، فلج القرى، وأجرى بوادي العلا فلج الحديث، وحفر بنزوى فلج صوت المعروف بالقبة. فهذه الأنهار أحد عشر نهراً.

وبني من الحصون ستة وثلاثين حصناً، أعظمها جامع سمد الذي هدمه الإمام سالم بن راشد الخروصي، قلعة السويق، قلعتان بفرق نزوى، وبيلد الغافات، الحصن الغربي، وبيت الزامة... إلى غير ذلك. غرس من النخيل إحدى وعشرين ألف نخلة: سبعة آلاف بنزوى، وثمانية آلاف بالغافات، وسبعة آلاف ببلاد سبت.

وكانت وفاة الشيخ هلال بن زاهر بالقتل على سيف بن حمد البوسعيدي بنزوى سنة ١٣١٢، ثم ولي الأمر من بعده ابنه بدر بن هلال، وأقام سنتين حتى قتله بنو شكيل، وبعد قتل بدر ضعف أمر إخوته والدنيا أضداد، فجهز السلطان فيصل بن تركي خادمه الوالي سليمان بن سويلم، وأحاط ببيلد الغافات وعنده الغافرية، وقام أمير بهلا ناصر بن حميد؛ لتدمير فلج بلاد سبت، وأحاط أهل سفالة نزوى، ومن عندهم بقلعة نزوى فحصرهم بها، وكل ذلك في وقت واحد، وكان الشيخ عبد الله بن هلال وإخوته صغاراً، فسلموا القلعة لينقذوا بلادهم.

ترجمة رئيس النهضة العمانية

هو والدنا السيد العميد، المحقق المجتهد، المطلق الولي: نور الدين عبد الله بن حميد بن سلوم بن عبيد بن خلفان بن خميس السالمي، من بني ضبة، وبقية النسب معروف عند أهل الأنساب.

ولد ببيلد الخوقين: بلدة من أعمال الرستاق، وبها منازل قومه وأهله، ونشأ بها، وقرأ القرآن العظيم عند والده رضي الله عنهما.

كُفَّ بصره -رحمه الله- وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وكان في صباه حافظاً، قوي الذاكرة، لا يكاد يسمع شيئاً إلا وعاه، وهي خاصية أودعها الله فيه. وقد ذكر محدثاً بنعمة الله هذه أنه حفظ وهو ابن أربعة أشهر أو دونها تحرياً.

ثمَّ خرج من الحوقين لطلب العلم المحمود إلى الرستاق، فتتلمذ للشيخ راشد بن سيف اللمكي، عالم الرستاق ونواحيها في ذلك الزمان، وأدرك الشيخ عبد الله بن محمد الهاشمي وأخذ عنه، فهو أحد شيوخه الفضلاء.

نبغ في علم المعقول والمنقول، واشتهر عند أهل عمان بالطلب، وجودة الذكاء، والحفظ النادرين، حتى كان في مبدأ أمره أكبر من أشياخه الذين حل العلم عنهم.

شرع في التأليف بالرستاق سنة ١٣٠٥هـ، ونظم أرجوزة في الجمل وشرحها، وهي أول ما صنّفه، وكانت سنّه في ذلك الوقت سبع عشرة سنة، وشرع في التدريس في سائر الفنون العلمية.

ثمَّ هاجر إلى الشرقية سنة ١٣٠٨هـ (ثمان وثلاثمائة وألف) لما يسمعه من أخبار الشيخ صالح علو صيته، وما يحاوله من إعادة لإمامة بالقطر العماني، ثم عزم عليه الشيخ الصالح أن يستوطن القابل، فامثل أمره، ولبت عنده معاضداً له، يلتقط من فوائده، ويستخرج من فرائده؛ فكان الشيخ صالح أحد شيوخه الذين أخذ عنهم العلم، وأوتي حظاً وشهرة في العلم، فضربت إليه أكباد الإبل، ووفد إليه الأخيار من سائر النواحي، ودرس في سائر فنون العلم؛ كالتفسير، والحديث، وأصول الفقه، وأصول الدين، والنحو، والمعاني والبيان والمنطق، ودام على ذلك الحال إلى أن توفي الشيخ صالح، ثم عاضد بعده ابنه الأمير عيسى بن صالح، وساعده على تدبير أمور عمان وسياسة الإمارة، وأبدى في ذلك من حسن السياسة وعلو الهمة كل عجيب.

أخلاقه وشيئله: كان رضي الله عنه شديد الغيرة في ذات الله تعالى، لا تأخذه فيه لومة لائم، يقول الحق، وينطق بالصدق، مشهور بالبسالة والصلابة، كثير الرد على من خالف ملة الإسلام، مشغول البال بأمته؛ يفرح بما ينفعها، ويحزن لما يضرها، وإنه ليكتتب إذا أصيب أحد من الأمة بحدث ولو بالصين.

لا تخلو مشاهدته الكريمة من فائدة دينية، أو عائدة دنيوية، أو شاردة أدبية، مشغلاً بتدريس العلم والتأليف، والفصل بين الخصوم بالحكم الشرعي.

كان خطيباً منطقيًا، يرتجل الخطب الطوال في المجمع والمحافل، حسب ما يقتضيه المقام من السعي في إصلاح الأمة وجمع الشمل، يرغب ويرهب بأبلغ بيان وأفصح لسان.

كان جوادًا سخياً، قلَّ ما أكل طعامًا وحده؛ لازدحام الضيوف بناديه وكثرة ملازميه المغترفين من فيض أياديه، يقدم للضيف ما حضره بلا تكلف ولا بطر، كثير التفقد والتعرف على حاجة إخوانه وتلامذته ليواسيهم.

كان قد ظلف نفسه عن التوسع في الدنيا والسكون إليها، قليل التعلق بتبعاتها وشواغلها العائقة عن طريق الآخرة.

كان عظيم الهيبة؛ لا ينطق أحد في مجلسه، إلا أن يكون سائلًا، أو متعلمًا، أو ذا حاجة جدية. ولقد رأى ذات مرة خصمًا يتعنت خصمه، وقد قهره بفضول منطقته، وكان الشيخ يحاول الصلح بينهما، فلما رأى ذلك المتعنت زجرهما، وقال: هَلُمَّا إلى الحكم. وضرب بعصاه أمامه، وكانت سوداء من حطب الأبنوس، فما هو إلا أن سلم ذلك المتعنت الأمر، وصالح خصمه، فعوتب بعد ذلك فقال: إني خفتُ من تلك العصا السوداء. ومناقبه كثيرة العُدَّ.

كان رضي الله عنه الركن الأعظم في إعادة الإمامة إلى عمان ونيلها المرتبة العليا، شديد الحرص على النهوض بالأمة العمانية، واستعادة مجدها الباذخ، الذي أباده التحزب والاختلاف دهرًا طويلًا، وذلك دأب العلماء العاملين في كل حين.

كان يكثر من تلاوة هذه الآية في المحافل: {يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم...} الآية، وغيرها من الآيات المشوقة للجهاد، المرغبة لدار المعاد.

كان -عفا الله عنه- كثير التضرع إلى الله، فتراه في بعض الأحيان في مجلسه، أو في الطريق، أو في مُصلاه، وقد رفع يديه إلى السماء قائلاً: لبيك اللهم لبيك. ثم يسط يديه ويقول: اللهم اجمع الشمل، وألّف بين القلوب، وأيد الكلمة. ونحو ذلك من الأدعية التي يرجو بها نظام المسلمين، وتجدد ذلك في أجوبة المسائل عنه إذا تأملها.

كان كثيرًا ما يقول: اخترنا الله فوجدنا كاذبين.

يتأوه كثيرًا لما يراه في الناس من الاختلاف، وعدم الجِد فيها يعود على حياتهم بالسعادة، ولما يراه من الفساد في البلاد، فتراه قد قطع حديثه وتنفس الصعداء قائلاً: ذهب الوفاء، ذهب الدين، ذهب المروءة، ذهب الغيرة، ذهب الحمية، طمع فينا الخصم، طلبنا بالمكائد، نصب لنا الحبائل، فإننا لله وإنا إليه راجعون. ومن قوله:

حرب النصارى اليوم بالدواهي والكل منا غافل ولاهي
فياخذون الدار بالخدایع وإنها أقسوى من المدافع

وكثيرًا ما يتمثل بقول دُعبل:

ما أكثر الناس لا بسل ما أقلهم الله يعلم أني لم أقل فنسدا
إني لأفتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحسدا

ويكرر قوله: (ولكن لا أرى أحدا) لما يجيش في صدره من الأمور التي لم يجد من يساعده على القيام بها، ويكثر الدعاء على النصارى والمستعمرين في أكثر مجالسه. ومن أدعيته الجامعة: اللهم خذ أعداء الدين، واردهم على أعقابهم خاسرين خاسئين.

منزلته في العلم والأمة: كان رحمه الله أحد أقطاب الأمة المجتهدين؛ محققاً جليلاً، جامعاً للمنفول والمعقول، معروفاً غزارة العلم والاجتهاد، إليه انتهت رئاسة العلم لعمان في زمانه. ويظهر ذلك من تأليفه الجمة في مختلف الفنون الشرعية والعربية، وكانت بينه وبين علماء المغرب وبعض علماء مصر مراسلات ومواصلات وأبحاث حسنة؛ ولا سيما الإمام القطب محمد بن يوسف أطفيش رحمه الله؛ فإن بينهما من المراسلات والاتصال ما لا يخفى. ودرّس القطب رضي الله عنه تلاميذه في مؤلفاته، وأعجب بها، وأثنى على مؤلفها، ودعاه بصالح الدعاء.

ويحسن هنا أن نذكر سؤالاً وجواباً، صدر إليه من حضرة الباشا سليمان بن عبد الله الباروني، لما كان بمجلس الأعيان وهذا نصه:

المرجو من حضرتكم -أيها الأستاذ- الذي سنعتمد على أقواله وأقوال أمثاله، ممن تمسك بالمذهب المحترم إمعان المقالة المنحرة تحت عنوان: الجامعة الإسلامية في جريدة الأسد الإسلامي الآتية إليكم مع هذا.

ثم بعد إطلاق الفكر بحثاً وراء عين الحقيقة، نطلب إبداء ما اقتضاه نظركم السامي عن الجواب عن الأسئلة الآتية، بإيجاز غير مغل بالمراد؛ خدمة للجامعة والدين، ولحضرتكم الثواب والشكر، ويكون الإضاء هكذا: حرره فلان البالغ من العمر كذا سنة، في البلدة الفلانية، شهر كذا، سنة كذا.

- هل توافقون على أن من أقوى أسباب اختلاف المسلمين تعدد المذاهب وتباينها؟

- على فرض عدم الموافقة على ذلك، فما هو الأمر الآخر الموجب للتفرق؟

- على فرض الموافقة، فهل يمكن توحيدها والجمع بين أقوالها المتباينة، وإلغاء التعدد في هذا الزمن الذي نحن فيه أحوج إلى الاتحاد من كل شيء؟

- على فرض عدم إمكان التوحيد، فما الأمر القوي المانع منه في نظركم، وهل لإزالته من وجه؟

- على فرض إمكان التوحيد، بأي طريق يسهل الحصول على النتيجة المطلوبة، وأي بلد يليق فيه إبراز هذا الأمر في كم سنة ينتج؟ كم يلزم له من المال تقريباً؟

- كيف يكون ترتيب العمل فيه؟ وعلى كل حال ما الحكم في الساعي في هذا الأمر شرعاً وسياسة مصلح أم مفسد؟

- ما الدليل القاطع على منع الصور التي لا ظل لها مما يرسم على الورق، مثلاً من صور الملوك والجيوش لمقصد حسن؟

أجابه نور الدين بما نصه:

الجواب: قد نظرنا في الجامعة الإسلامية، فإذا فيها كشف الغطاء من حقيقة الواقع فلهذا ذلك الفكر المبدي لتلك الحقائق.

نعم نوافق على أن منشأ التشتت هو اختلاف المذاهب، وتشعب الآراء؛ وهو السبب الأعظم في افتراق الأمة، كما اقتضاه نظركم الواسع في بيان الجامعة الإسلامية.

وللتفرق أسباب أخرى؛ منها: التحاسد والتباغض والتكالب على الحظوظ العاجلة؛ ومنها: طلب الرئاسة، والاستبداد بالأمر، وهذا هو السبب الذي نشأ عنه افتراق الصحابة في أول الأمر في أيام عليٍّ ومعاوية؛ ثم نشأ عنه الاختلاف في المذاهب، وجمع الأمة بعد تشعب الخلاف ممكن عقلاً مستحيل عادة. وإذا أراد الله أمراً كان؛ {لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم}، والساعي في الجمع مصلح لا محالة، وأقرب الطرق له أن يدعو الناس إلى ترك الألقاب المذهبية، ويحثهم على التسمي بالإسلام؛ فإن الدين عند الله الإسلام، فإذا أجاب الناس إلى هذه الخصلة العظيمة، ذهبت عنهم العصبية المذهبية، فيبقى المرء يلتزم الحق لنفسه، ويكون الحق أولاً عند آحاد من الرجال، ثم يظهر شيئاً فشيئاً فيصير الناس إخواناً، ومن ضلَّ فإنما يضل على نفسه. ولو استجاب الملوك والأمراء إلى ذلك لأسرع في الناس قبوله، وكفيتم مؤنة المغرم، وإن تعذر هذا من الملوك فالأمر عسر والمغرم ثقل. وأوفق البلاد لهذه الدعوة، مهبط الوحي، ومتردد الملائكة، ومقصد الخاص العام: حرم الله الأمن؛ لأنه مرجع الكل، وليس لنا مذهب إلا الإسلام؛ فمن ثم تجدنا نقبل الحق ممن جاء به، وإن كان بغيضاً، ونرد الباطل على من جاء به، وإن كان حبيباً، ونعرف الرجال بالحق؛ فالكبير معنا من وافقه، والصغير من خالفه. لم يشرع لنا ابن أباض مذهباً وإنما نسبنا إليه؛ لضرورة التمييز حين ذهب كل فريق إلى طريق. أمّا الدين فهو عندنا لم يتغير والحمد لله.

أمّا التصوير لذي الروح فإنه حرام؛ كان للمصور ظل أو لم يكن له؛ لحديث النمرقة عند الربيع ومالك، والبخاري ومسلم؛ وفيه: ((إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم يقال لهم: أحيوا ما خلقتم)). وكانت الصورة في النمرقة. ومن المعلوم أنه لا ظل لها، وفي حديث ابن مسعود عند أحمد: ((إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون)). وهو عام يتناول ما كان له ظل وما لم يكن. ولا خلاف في منع ذلك؛

وإنما الخلاف في استعماله، إذا كان رقماً في ثوب، أو استعمل للامتهان دون تصويره، ومحل المنع صورة ذي الروح فقط، والله أعلم.

من عبد الله بن حميد السالمي، البالغ من العمر ثلاثاً وأربعين (٤٣) سنة تقريباً، الساكن القابل من شرقي عمان سنة ١٣٢٦ هـ.

وإنما نقلنا هذا الكلام بأسره لما فيه من الفوائد، ولتعرف ما عليه هذا الشيخ من التيقظ لمراعاة الإسلام وأهله؛ فإنه كان عميد المسلمين وقودتهم في عمان، وزهرت في أيامه بالعلم والعلماء والمتعلمين.

تلاميذه ومن حمل عنه العلم: قال الشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيش -أبقاه الله-: تلاميذه كثير، ولا نبأ إذا قلنا: إن رجال العلم اليوم بعمان كلهم من تلاميذه، وقد نبغ منهم كثير، وفي مقدمته العلامة الأفخم المؤيد، إمام عمان: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن خلفان الخليلي الخروصي، بويع بعد وفاة شيخه. قال: وبقيّة العلماء من تلاميذه كثيرون، وحسبك أن صفوة الأمة هنالك والذين قامت عليهم الإمامة والملك هم تلاميذه، وهذه الروح التي نفخها فيهم، حتى كانوا حمى للدين والأمة من أكبر الشواهد على إخلاصه وعلو شأنه ومكانته رحمه الله. انتهى كلامه. وهي شهادة من عالم عامل.

ومشاهير تلاميذه كثير:

منهم: الإمام العادل الزاهد، سالم بن راشد الخروصي، فقد كان ملازماً له منذ راهق الحلم، إلى أن عقد عليه الإمامة العظمى.

ومنهم العلامة الأمير عيسى بن صالح، أحد علماء عمان، وله الفخر الكبير في تأييد النهضة الحالية.

ومنهم: العلامة الجليل رئيس القضاة بعمان: أبو مالك عامر بن خميس بن مسعود، الذي هو من بني مالك، كان معاضداً لشيخه في حلو الزمان ومره، وله التأليف الضخمة.

ومنهم: الزعيم الباسل، العلامة أبو زيد عبد الله بن محمد بن رزيق الريامي الأزكوي، عامل الإمامين الخروصي والخليلي علي بهلا. كان يكتب عن شيخه مسودان التأليف.

ومنهم: الشيخ العلامة، ناصر بن راشد الخروصي، شقيق الإمام سالم وقاضيه وعامله على الرستاق والعوابي وتوابعهن، كما أنه عمل للإمام الخليلي، وهو عالم مجاهد غير.

ومنهم: أبو الخير عبد الله بن غابش النوفلي بالولاء. كان عالماً عاملاً ورعاً فاضلاً، ولي القضاء للإمامين الخروصي والخليلي. واستعفى آخر عمره شفقة على نفسه من تحمل ذلك. توفي رضي الله عنه والمسلمون عنه رضوان.

ومنهم: الشيخ سليمان بن سيف الحميري؛ من حمير. كان أعلم أهل مصره بعلم الآلة، طلبه أهل زنجبار من شيخه أن يكون مدرساً لهم، فأسعفهم شيخه وأرسله إليهم.

ومنهم: العلامة أبو عبيد حمد بن عبيد السليمي السبائي، وهو من أجل علماء عمان اليوم دراكة وفهامة، وقد أصيب آخر عمره بالعمى. عمل للإمامين الخروصي والخليلي، وتقلد القضاء بسمايل وبدبد وفنجا وتوابعهن.

ومنهم: الشيخ العلامة سيف بن حمد بن شيخان الأغبري، جمع علماً كثيراً، وعمل للإمامين على منح وأزكى ودما والطائين ونواحيها.

ومنهم: الشيخ العالم سعيد بن أحمد الراشدي، كان مسارعاً للخيرات، معروفاً بالسكينة والوقار، تاركاً لحظوظ النفس، ومتصفاً بالكمالات الإنسانية، مجداً في تحصيل العلم النافع، وفي الاستفادة والإفادة فيه، ومهر في العلم مع صغر سنه، ومات بعد أن شرع في التصنيف، وقد توفي سنة ١٣١٤ في حياة شيخه، وهو ابن نيف وعشرين سنة.

ومنهم: الشيخ الضرير سالم بن حمد البراشدي، من علماء الآخرة، ولياً تقياً، تقلد القضاء للإمامين على بلدة سناو وما حوالها.

ومنهم: أبو شيدان عامر بن علي الشيداني، مشمر في العلم، فقيه ورع حصور، لم يقبل أن يتقلد شيئاً من الأعمال لزهده.

ومنهم: ملك الفصاحة بعمان، شيخ البيان محمد بن شيخان السالمي، ابن عم نور الدين. كان نابغة زمانه، إليه مرجع المشكلات في علوم الآلة من النحو والمعاني والبيان والمنطق، تشهد بذلك عبقرية الشعرية، وقد كان سخياً كريماً.

ومنهم: سليمان ابن حامد البراشدي، وهو من قضاة الإمامين، عمل لهما على أبرأ ووادي بني معولة بن شمس.

ومنهم: قسور بن حود الراشدي، من أهل القريتين، وقد استعمله الإمام الخروصي على منح، فتقلد الولاية والقضاء، وفي عصر الإمام الخليلي خرج إلى إفريقيا.

ومنهم: القاضي الجليل أبو الوليد سعود بن حميد بن خليفين، كناه الإمام الخليلي: شمس القراء، وداهية العلماء. عمل للإمامين الخروصي والخليلي، وتقلد القضاء نحوًا من خمس وثلاثين سنة، جمع علمًا ودهاء وذكاء.

هؤلاء مشاهير تلاميذه، والذين تحت طبقتهم كثير؛ بل لا تجد عمانيًا له أدنى مسكة من العلم، إلا وقد اعترف من ذلك البحر والتقط من ذلك الدر، بحسب ما قسم له الواهب من المواهب، {ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم}.

تأليفه ورسائله:

منها: «أنوار العقول» أرجوزة في أصول الدين.

ومنها: «بهجة الأنوار»، شرح على هذه الأرجوزة، وهو مختصر، طبع بهامش الجزء الأول من طلعة الشمس.

ومنها: «مشارك أنوار العقول»، شرح آخر عليها، وهو مطول كافل بالمقصود من أحسن كتب الأصول تحقيقًا وتحرييرًا وتنسيقًا. قال القطب رحمه الله لما وقف عليه: لقد أمعن صاحب المشارق.

ومنها: «غاية المراد»، أرجوزة في نظم الاعتقاد، شرحها العلامة سليمان بن محمد الكندي شرحًا مفيدًا.

ومنها: «شمس الأنوار»، ألفية في أصول الفقه، وقد شرحها شرحاً نفيساً سماه: طلعة الشمس. جزآن. طبعاً بمصر، أنفس ما ألف في أصول الفقه، وقد درس فيه قطب الأئمة تلاميذه.

ومنها: «شرح الجامع الصحيح» مسند الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري، من أئمة القرن الثاني. وهو في ثلاثة أجزاء، طبع الأول والثاني بمطبعة الأزهار البارونية.

ومنها: «مدارج الكمال نظم مختصر الخصال» لأبي إسحاق الحضرمي، وهي أرجوزة مفيدة جداً، تربو على ألفي بيت في الفقه.

ومنها: «معارج الآمال» شرح على هذه الأرجوزة في أسلوب غريب، يحل معنى الأبيات في مبادئ الشرح، ثم يعقبه بالمسائل المتعلقة بذلك من الأثر، ويقرنها بالأدلة، ثم يذكر تفاريع المسألة ويردها إلى أصولها، ثم ينبه على ما اقتضاه المقام من الفوائد، ويرد إليها ما كان من تلك القواعد بعبارات رائعة، حتى إن المسألة تصلح أن تكون رسالة مستقلة لو أفردت. ومحاسن هذا الكتاب لا يعرفها إلا من وقف عليه. كمل منه ثمانية أجزاء ضخام؛ آخرها الصوم والاعتكاف، وكان يحرزه أن ينوف على عشرين جزءاً، قطعته العلائق عن إتمامه، والكمال عزيز.

ومنها: «جوهر النظام»، أرجوزة في الأديان والأحكام والأخلاق والحكم، تزيد على أربعة عشر ألف بيت، في أربعة أجزاء، طبع بمصر مرتين، وشهرته كافية عن التعريف به.

ومنها: «تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان»، وهو تاريخ تكفل ببعض أحوال أهل عمان، منذ انتقال العرب إليها، إلى وقت إمارة الخروصي سالم بن راشد.

ومنها: «الفتاوى عن نوازل عمان وغيرها في مختلف الفنون»، وقد بلغت سبعة أجزاء ضخام، والثامن لم يكمل، وهي مسائل متشورة غير مرتبة. أسأل الله أن يمنَّ عليَّ بالإعانة على ترتيبها.

ومن هذه الفتاوى: كتاب «حل المشكلات» وهو الرابع من أجزاء الجوابات، حل فيها ما أشكل على تلميذه الكبير أبي زيد عبد الله بن محمد الريامي؛ وذلك أنه أشكلت عليه مسائل في الأثر فجمعها، وطلب من شيخه نور الدين الجواب عنها، فأجابه بما يشفي الغليل من واضح الدليل. وهذا الجزء قد رتبته حال الجواب على الأسئلة.

ومنها: «المنهل الصافي في العروض والقوافي»، أرجوزة رائقة تنوف على ثلاثمائة بيت أولها:

حمد المانع العطا الجزيل وفتح العروض للخليل
وقد شرحها شرحاً لطيفاً مقنعاً.

أمَّا الرسائل فكثيرة، نذكر ما شهر:

منها: «تلقين الصبيان» وهي رسالة مفيدة فيها يجب على الإنسان من الاعتقاد بالجنان والعمل بالأركان، وهي أول ما يُقرئها أهل عمان أولادهم، وقد اشتهرت شهرة كافية.

وله في النحو رسالة «بلوغ الأمل في الجمل الثلاث» رجز مفيد جداً، شرحه شرحاً مختصراً، وهو أول ما ألفه هذا الشيخ.

ومنها: شرحه على العمريطية؛ أرجوزة ليحيى العمريطي شرحاً موجزاً كاملاً.

وله رسالة «الحجج المقنعة في أحكام صلاة الجمعة» طبع بهامش الجزء الثاني من طلعة الشمس.

وله رسالة «الحجة الواضحة في الرد على التلفيقات الفاضحة»، ردَّ فيها على مَنْ ادعى العلم، وتعاطى منزلة الاجتهاد من أهل زمانه.

وله رسالة «بذل المجهود في مخالفة النصارى واليهود»، حذَّر فيها من التشبه بالمشركين من أهل الكتاب، وذكر فيها من دسائس العدو ما يوجب نفرة كل من له أدنى إلمام بملة الإسلام؛ وذلك لما بلغه تهافت المسلمين على لباس النصارى والتخلق بأخلاقهم وهيااتهم أولها: {يريد الله ليين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم} والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما}.

وله رسائل «اللمعة المرضية في أشعة الأباضية»، رد فيها على من قال: إن الفرقة الأباضية حدثت بعد المذاهب الأربعة، وأنهم لا تأليف لهم، أبدى فيها فصل الخطاب والوقوف على محجة الصواب.

وله رسالة «الحق الجلي في سيرة الشيخ صالح بن علي»، بيَّن فيها منزلة ذلك السيد بين أهل الإسلام. وله «كشف الحقيقة في الرد من جهل الطريقة»، أرجوزة كشف فيها عن حقيقة المذهب.

وله شرح على «فيض المنان» قصيدة للشيخ سعيد بن أحمد الراشدي.

وله ديوان شعر في غاية البلاغة والفصاحة، كله حماسة وتحريض على القيام بما يعز الإسلام.

وله كتاب «مجموع المناظير على قاعدة المتن»، جمع فيه أراجيز في فنون العلم انتخبها، وقصائد من أشعار العرب اختارها. انتهى ما استحضرننا ذكره من الكتب والرسائل، وهي كافية في معرفة ما كان عليه ذلك الإمام من عظيم المنزلة بين الأعلام.

وفاته رضي الله عنه

في اليوم الثامن عشر، من شهر صفر من سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وألف، شخص نور الدين رضي الله عنه إلى بلد الحمراء؛ لمناظرة الشيخ ماجد بن خميس العبري؛ رجاء أن يفهم الحجة في مسألة أوقاف القبور. وملخص ذلك أن القدوة نور الدين رأى ما أحدثه الناس من بدعة الوصية للقراءة على القبور، وتهافت طعام العوام على هذا الأمر المحجور بنص الخبر المشهور؛ فصارت المقابر بالذكر معمورة، والمساجد من ذلك مهجورة، خلاف ما أمر الله ورسوله. فحكم أن الوصية بذلك باطلة من أصلها. ومرجع تلك الأموال لورثة الموصي إن وجدوا، وإلا هم مجهولون يتعذر الوقوف عليهم. ففضى أن المجهول لبيت المال على أشهر ما فيه من الأقوال، وأمر الإمام سالم بامضاء ذلك الحكم وإنفاذه؛ إذ لا ينفع قول بحق لا نفاذ له، فأمضاه الإمام سالم، وأدخل تلك الأموال العتيقة في بيت مال المسلمين لعز دولتهم، فشرع في بيع بعضها في حاجة الدولة. فلما بلغ ذلك العلامة ماجد، وكان من مشايخ العلم في عمان، له سن وفضل، كتب إلى الإمام ونور الدين بإنكار ذلك الحكم قائلاً: إنه لا يجوز تبديل الأوقاف عن سنتها التي جعلت لها، فأجابه نور الدين بالحجج المقتضية لبطلان تلك الأوقاف، المؤسسة على غير ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبين له بيانا شافيا، فلم يكن من العلامة ماجد إلا الاعتراض، وأخذ

يشنع عليهم، وأظهر التخطئة لهم، فخشي نور الدين أن تقع بذلك فرقة، وتنتج المسألة ضررًا يثول إلى تفرق كلمة المسلمين. وكان عظيم الشفقة في الإسلام، كثير التحرز مما يؤدي إلى الاختلاف والتناقض، فشخص بنفسه إلى مناظرة الشيخ؛ ليفهمه الحجة شفافًا، ويوقفه على المحجة، لما رأى أن الرسائل من بعيد لم تغن شيئًا؛ بل كانت أقرب إلى التباعد وإجلالًا للشيخ، وهو أحد شيوخه الذين أخذ عنهم العلم، فكان من قضاء الله وقدره: أنه لما وصل ومن معه من الأعيان إلى قرية بني صبح عند غروب الشمس، عزموا على المبيت بها، فتوجهوا إلى المحلة السفلى منها، فصدعه غصن شجرة أمبا معترضًا على الطريق، وهو على راحلته ولم يبصره؛ لكونه ضريًا، ولم ينبهه أصحابه لأمر أراده الله، فألقاه على ظهره واهي القوى، ولبث بها مريضًا إلى اليوم السادس والعشرين من شهر صفر لا يستطيع الحركة. ولا زال في تلك الأيام يراجع الشيخ ماجد، فتكلم عنده فيما جاء له من المذاكرة، فاعترضهم التلامذة والأعيان، وطلبوا من نور الدين إرجاء الخوض في المسألة؛ رجاء عافيته، ثم يتباحثان بعد فيما اختلفا فيه، فأجابهم نور الدين: إني أخشى المعاجلة قبل أن يفهم الشيخ ما عندي. فافترقا على أن الشيخ ماجد راجع عن تخطئته، وأن المسألة من مسائل الاجتهاد. وسنذكر تمام ذلك في ترجمة الشيخ ماجد.

ثم إنه طلب أن يحمل إلى نزوى، فأمر الشيخ الحميري قومه بحمله على الأكتاف، فحمل إلى تنوف، وشق عليه الخروج منها. وجاء الإمام سالم لعيادته ليلة التاسع والعشرين من الشهر المذكور، وكان تلك الليلة في خفة من مرضه، فرجع الإمام مسرورًا بعافيته، ثم تزايد به المرض، فتوفاه الله بعد العتمة من ليلة الخامس من شهر ربيع الأول، من سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وألف، بعد ما ترك للجباه العاتية صيحة الحق وللقلوب الغلف نداء الواجب، وللضائر الواعية طريق العمل، وللهمم المتوانية شد العزيمة. فرحم الله تلك الأوصال، وأوصلها إلى رضوانه

وفسيح جناته. وقبر ببلدة التنوف، تحت سفح الجبل الأخضر، بعدما صلى عليه تلميذه الكبير أبو زيد عبد الله بن محمد بن رزيق الريامي، فأصبحت عمان بموته مصابًا عظيمًا، أنساهم ما كان قبله من عظيم المصائب وجسيم النوائب؛ إذ كان ذلك في صدر الدولة، وغبطة العمانين بالظهور، وهو إذ ذاك عميدهم وقودتهم في سياسة الدنيا والدين. وما أشبه قضية وفاته بقضية سيويه في محاوراة الكسائي:

والغبين في العلم أشجى محنة علمت وأعظم الناس شجواً عالم هضمها

لما فتحت سمائل، وأقيم الحد على المعترفة بالزنى تنفس الصعداء. وقال: خشيت معالجة الموت قبل اجتماع العمانين على إمام يجمع الشمل ويقيم العدل. فلما تم ذلك خشيت الموت قبل أن يكون لهم مأوى يرجعون إليه ومركز يأوون فيه، ثم خشيت أن أموت قبل أن أشاهد الإمام يصلي الجمعة بالمسلمين، ثم خشيت أن أموت قبل أن أرى الإمام يقيم حدًا من الحدود الواجبة؛ أمّا الآن فقد كان ذلك كله، فالحمد لله على تمام النعمة. ثم تمثل بقول ابن مقرب العيوني:

طبت يا موت فإن شئت فزّر

ولم يزل يردد هذا الشطر في حال قيامه وعوده، حتى فارقت نفسه المطمئنة جسده الطاهر في تلك الأشهر من صدر الدولة؛ فإنه عاش في تسديدها بعد ظهورها ثمانية أشهر وسبعة عشر يومًا. وكان عمره رضي الله عنه ثمانية وأربعين سنة وأشهرًا، أنفقها في رضا الله وابتغاء ما عنده.

كان ضريرًا يحتاج إلى قائد يهديه السبيل، فأصبح يهدي الشعب السبيل.

كان لا جند له إلا التقوى، وكفى بها؛ فأصبح يؤلف من الشعب جنودًا.

كان فقيرًا لا مال له؛ فأصبح يحرق الجيوش الضخمة، ويبتز المعادل من أيدي الجبابرة والظلمة.

ما فقدناك مما يسا مفرّدًا بل فقدنا الخير في كل محل

صفته رضي الله عنه: كان ربع القامة، تعلوه سمرة، ليس بالسمين المفرط، ولا بنحيف الجسم، مكفوف البصر، نير البصيرة، مدور اللحية، سبط الشعر، به أثر جذري أصابه في بندر جدة، على إثر عودته من حج بيت الله الحرام، فعاقه عن زيارة قبر المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام. وقد أشرف في مرضه على الموت سمعته يقول: إنه رأى عزرائيل عليه السلام في مرضه ذلك مرتين، فسأله: هل جئت قابضًا أم زائرًا؟ فأجاب: ما جئت إلا زائرًا، وقال: مسلمًا.

وقد رثاه شعراء عصره بمراث طنانة، وحسبنا ما رثاه شاعر العرب أبو مسلم ناصر بن سالم بن عديم الرواحي؛ فإنه لم يترك لقائل مقالًا، ولا لشاعر مجالًا، وقد أبرزها قالب الطبع:

نكسي الأعلام يا خير الملل	رُزئ الإسلام بالخطيب الجليل
وانتشر يا دمع أجفان التقسى	قد أصيب العلم واغتيل العمل
وانفطر يا قلب واستقص الأسا	إن جبل الدين بالأمس انتبل
أشعل السبرق علينا جذوة	فانطفسا واتقدت فينا الشعل
حمل السبرق مصابًا فادحًا	لئنه أعياه حملًا ما حمل
يا رجس الـدين هل جساءكم	أن بدر الدين في الأرض أفل
يا رجس الـدين لا تنهأ لكم	فرصة إن مصاب الدهر حمل
يا رجال الدين لم ينزل بنا	فسادح أعظم مما قد نزل
يا رجس الـدين أهلاً بالقضا	غاض هذا البحر وانكد الجبل
يا رجال الدين ما هذا الأسا	والأسى بالعقل والعقل ذهل

يا رجال الدين ما حسن العزا
ربما أعقب فقد بدلا
إنَّ موتنا وحياة حُمتا
ومتاع المرء من أيامه
والتمائيل التي نهذي بها
قد وُعدنا بوصول المنتهى
كلما نهفو إليه عبر
ما يريد الختف من أرواحنا
إنها مستودعات أُقْتِست
بالعمر ناصبته آفة
بئس عمر حتم استرجاعه
وحياة وعدت ريب الردى
وهي في برهتها موبسوءة
خلق العقل لدرك المنتهى
ليس من يجهل منا حاله
إنما الشأن اغترار حاكم
ونفوس راقها من سوئها
هذه الدنيا وهذا أمرها
كشفت عن قبحها في حسنها
لم تغادرنا على مشتبته
أيها العاقل لا تحفل بها
قد بلوناها ولكن سحرها
هكذا تخبطنا فتتها
كل ما يحسن منها عطب

عن فقيد في السما والأرض جل
وفقيد العلم ما عنه بدل
قبل هذا الخلق في لوح الأزل
أمل يقطعه حد الأجل
صور يخلقها سحر الأمل
مبطئ منا ومن سار العجل
لوفقها الشأن أو ضرب المثل
يتقاضاها بكورا وأصل
لا يُزاد العمر شيئا إن كمل
تهدم المحيا وتزري بالخيمل
ريثما حل رأينا قفل
كيف ينتر عليها من عقل
حشوها لو فكر المرء العليل
فتناسى وتلاهى وغفل
لمحة تمضي وعيش يختزل
سلب الأبواب واستدعى الأمل
رنق العيش وفي العيش الغيل
تندف الأعمار نسدا لم تزل
وأرثنا السسم في ذاك العسل
في التفاصيل ولا طي الجميل
سوف ترمي بك من رأس جبل
ينزل الأعصم من أعلى القل
يسننا نأس منها بالخيمل
وهو من لا شيء في القدر أقل

أصدق الأنبياء عن خستها
 لم تسالم جماهلاً في غيبه
 كل حي السعته حمة
 رقممت آياتها في عبر
 لا تبالي بك في بطشتها
 يا رجال العلم أودى قطبكم
 فتككت بالسسالم المرتضى
 فتكسة أورثت الأرض البكا
 فتكسة لم يحكم منها جيشه
 عجباً ممن نعشه تحمله
 جمع العالم في حيزومه
 يسا ولي الله إذ ودعنتها
 من يحلل المشكلات المرتجى
 ممن يجلي ظلم الجهل وممن
 من يهدي الخطب من فورته
 من يقود الأرعن الجرار في
 من يدبر الحرب عين رأي له
 من على المعروف أوقف نفسه
 من لبذل العدل والإحسان من
 كلهم خلفتها ناكلسة
 قمت لله بسامر عجزت
 فأتت معجزة خارقة
 فدعاك الله منه دعوة
 قمت في خدمته محتسباً

ليس ما ينقل عنها مفتعل
 لا ولا عالمها الخبر الأجل
 أعمت الراقي فيها والحيل
 بقرون طحنستهم ودول
 كنت رب التاج أو كنت حول
 بل جميع العلم أودى والعمل
 غارة شموع ما عنها حول
 والساوات وما فيها استقل
 لا ولا دافعها وقع الأسفل
 فية وهو على الكون اشتمل
 أتسرى العالم في القبر نزل
 فمن الآن عليه المتكل
 حيث لا ينفع من دق وجل
 ينصر الدين اضطلاعاً للجل
 من يقسم الوزن من يشفي العلل
 نصرة الله على عزم الرسل
 سعة البحر إذا ضاق المحل
 وبه النكر تولى واضمحل
 يحمل الكسل ومن يعطي النفل
 يا عميد الدين تبكي من كفل
 همم الأبطال عنه فاستقل
 جنسها الرعب وأنواع الفشل
 ليكافيك على هذا العمل
 أخسداً بالحق في أي محمل

درجات الخلد قد بلغت بها
غير أنسا في زمان حالسك
كنت فيه الشمس نوراً وهدى
كنت فيه خلقاً للمصطفى
كنت للناس ربيعاً وحياً
جهداً للتنفس في نشر الهدى
صابراً في منشط أو مكروه
أحسن الصفحة موهوب السطا
شاسع النظرة لا يقصرها
راجح الإيمان معصوم الخطا
سائراً بالجد حتى نلتبه
في سبيل الله أنفقت العنا
في سبيل الله لم تحفل بهسا
في سبيل الله تدعو جاهداً
في سبيل الله أجهدت القوى
رافعاً ألوية العلم إلى
قاضياً للعلم حقاً واجباً
ونصرت الله حتى إنه
ولقد يجدر من أهل السما
تلك بدر نزلوها مدداً
هم وجبريل على حيزومه
نصروا الله بجيش المصطفى
وفتوحاتك سر مهدش
ييا ولي الله إني نادب

وسمات المجد في الدهر مثل
ضل فيه أغلب الناس وزل
وارتفاعاً وانتفاعاً بل أجل
خير من قاد إلى الخير ودل
كنت للأكوان غوثاً وبدل
خير من وقي وأندي من بذل
ثابت العزم شديد المكنهل
باهر العزيمة مأمون الزلزل
زخرف الدنيا وجاه وخول
قوله الفصل وإن قال فعل
كل من سار على الدرب وصل
في مراد الله أنفقت العمل
أسقتك الصاب أم كاس العسل
لتقيم القسط أو تلقى الأجل
لم تبل إن جد خطب أو هزل
إن دنيا كيان عنها وزحل
خدمسة الله وتقويم الميل
لك من أهل السما الجند نزل
نصرة القائم في خير النحل
وعلى بدر قياس يحتمل
بالتسايح لهم فيها زجل
فانثنى بالخزي أشياع هبل
ظهرت فيها الكرامات الأول
لك ما دار بكور وطفل

طالبنا أملت أن يجمعني
 هف نفسي ما الذي أقعدني
 كلها أزمعت ترحالاً قضي
 وإلى أين ارتحلي بعد ما
 كنت أرجو نظرة في حالتي
 كنت في قيد شديد حله
 يا أباشيية من أرجو لها
 يا أباشيية عز الملتقى
 يا أباشيية عزت حيلة
 لو فرضنا أن ميتاً بفتدى
 غير أن الخلق فيه أسوة
 تقتضي الموت حياة جددت
 يا فقيد الفضل عندي أسف
 ذهب الصبر ولو حاولته
 ما نعاك الكون حتى نعت
 ما حميد العيش من بعدك في
 والبكاء المر لا يشفي الجوى
 كل فقد دخلت فيه عسى
 ما فقدناك هائمًا مفردًا
 ما فقدناك وفرنناك في
 إن رب العلم حي خالد
 ما تركت الكون حتى تركت
 سيد العرفان دهري ماتم
 أخرس الهول لسان في الرثا

بك هذا الدهر فانسدَّ الأمل
 عنكم غير الذي أعيى الخيل
 لي بالشيط دهر مهتبل
 أظلم الجو وأوحشت الظل
 منك فالآن رجائي معتقل
 ضوعف اليوم بغل وكبل
 حسيبي الله إذن عز وجل
 وقطين السرمس مقطوع النقل
 عن دفاع الموت أو وصل الأجل
 لفدت روحي أدنى مبتذل
 أجل يأتي على إثر أجل
 ولو استعملت على برج الحمل
 سل عن النار وعنه لا تسل
 وجمل الصبر أحرى بالرجل
 هضبة الإسلام والكفر بجل
 هذه الدنيا وما معنى الجذل
 لسو طفقت الدهر استمرى المقل
 وهي في المسوت محال كلعل
 بل فقدنا الخير في كل عمل
 صفحات الكون ضوء يشتعل
 ولو أن الذات بالموت انتقل
 خطة الحمد لك الحمد الجلل
 فيك ما أشرق نجم أو أفل
 ولساني حده يفري الجبل

ما هتنت العيش ماذ فارقته
 ما هناء المؤمن الحق على
 أنا لا أعلم رزاً مُفَجِّعاً
 يرفع العلم برفع العلم
 يا رمي الله يد الموت على
 ويلتساه اسـتـاثر الله به
 أكرم الله به أمتنا
 يا لها من رحلة ما تركت
 يا لها من رحلة صحت بها
 أمة الخير لكم حسن العزا
 بعد عبد الله يبقى أمل
 خلها يا ابن حميد تلـسـوي
 ليس يغني عنك فيها أحد
 وهنيئاً لك بالفردوس في
 إن عاماً نابك الختف به
 فسأني تاريخه في حزن

المرثية الثانية لأبي مسلم أيضاً:

ريب المنون مقارض الأعمار
 والنفس تلهو فوق تيار الردى
 قسرت على رنق وزخرف باطل
 ماذا يغمر المرء من محياه في
 يتساقط المغرور في هواها
 كشفت سرائرها ونسدت جهرة
 وحياتنا تعدو إلى المضمار
 يا ليتها خذرت من التيار
 مثل القرار على شفير هار
 دنياه وهي قرارة الأكدار
 تفريسه بالأنبياب والأظفار
 لم يبق شيء من شئون صروفها

بعبوبها في سائر الأعصار
 نفقت تجارتها وما باعت على
 يتهافت العمار في هلكائها
 نجري على شهواتها سعيًا على
 نصبت حبالها وأنذرت الردى
 صدعت بما جبلت عليه ولم تدع
 شر الضرور سكون ذي بصر إلى
 عبر تلونها الصروف وأنفس
 هل زاد عبثك ذرة عن هذه
 هلا اعتبرت وفي حياتك عبرة
 لا تستمر لك السلامة لمحبة
 ما بالناس نكي الفقيده ونحن من
 شنف النفوس بما يراقبه الفنا
 جسر المنون أمام وجهك عابر
 شمر لتعبره مخفًا سألًا
 ليس العظامة بما يقول مذكر
 كم للمنون لسو اعتبرنا من يد
 ما الحزن ألفتنا لمقصود الردى
 أثرى يجد البين فينا هازلًا
 كلا ولكن الحياة بهيمة
 خلقت لما خلقت له من حكمة
 مزومة نير القضاء يقودها
 كتب البقاء لنفسه مستأثرًا
 وإذا اعتبرت حياتك الدنيا تجدد

في نحست أثلتنا على الإضرار
 غرر ولا كذبت على التجار
 فعل الفراش على هيب النار
 أنقاض ما هدمت من الأعمار
 وكأننا صم عن الإنذار
 ذكرى ولا عظمة وراء ستار
 عيش تمزقه يسد الأخطار
 تنفسى وأثار على آثار
 لو كنت في الدنيا على استبصار
 مما تصرفه يد المقسدار
 وغوائل الأيام في استمرار
 حسب الذي أرداه في استهتار
 أثار الهوى هزة الأوطار
 ولسوف تعبره مع السفار
 من ثقل بما أوقرت من أوزار
 مثل العظامة بمصرع الأعمار
 في سلبها الأرواح بالتسذكار
 يغتال في الإيسراد والإصدار
 ويريننا بمصارع الأخيسار
 تجري عليها مدينة الجزار
 وتعود تتبع دعوة الجبار
 مربوبة لمشيئة المختار
 بإماتة الأحياء والإنسشار
 أن الحيمامة مظنة الأعذار

ما بين معركة وأخرى تبغني
لو كان يشترك البقاء لغادرت
باصرة الموت انتقرت خيارنا
ناهيك من إطفاء أنوار الهدى
ناهيك من إعدام أحبار التقى
ناهيك من قمص الشراة فإنهم
ناهيك من هلك الكرام فما بقى
وبلاه أوحشت الديار من الأولى
أو كلما نجمت فضيلة سيد
أسرعت في الأغواث والأقطا
مهلاً فما أبقى ثم بقية
ما زلت تعتقرين كل أعزتي
أفقدتني شهب الفضائل كلهم
وبلاه أين سماؤه ونجومها
من كل أروع لودعي كامل
عمد الديانة قطبها وقوامها
تتلاً الأكوام من عرفاتهم
أنضام النسيج والتريل والتهجي
خُبستُ إذا جنَّ الظلام رأيتهم
غرُّ إذا سجد الظلام على الفضا
قطع النحيب صدورهم وكأنما
قربانهم أرواحهم ونعيمهم
حصروا الشريعة والحقيقة والمعا
فهم غياث الكائنات وسرهم

أملاً لباقية ذوو الأبرار
غسل المنيّة أنفوس الأبرار
وتركت أمتنا بغير خيار
غشي الظلام وضلّ فيها الساري
فالدين لا يبقى بلا أحبار
سور لدين المصطفى وسوار
رسم الكرام ولا حياة الجار
كانوا خلائف ملّة المختار
قدرتها وتراً من الأوتار
ب والعلماء والأبدال والأخيار
نزع القطبين وجفّ روض الدار
فالجو خاو والديار عوار
وبلاه من شهبي ومن أقماري
وشموسها ذهبوا كأس الجاري
يهتز عرقنا كالقنا الخطار
سحب المكارم أبصر الأنوار
كالشمس تملأ هيكل الأقطار
سد بين جوانح الأسسحار
طاروا إلى الملكوت بالأسرار
سجدوا على الثفنات كالأحجار
وضعوا السحائب موضع الأشفار
دأب على السبحات والأذكار
رف والكمال بأنفس الأطهار
مدد النفوس ومنيع الأنوار

نقلتهم الآجال من دار الفنا
 سلكوا بمحياتهم وبعد مماتهم
 درجوا وأصبحت العراض عقيبهم
 يا موت أفنيت الأعززة فاقتصد
 بأولئك الأبرار كنت معززاً
 وزري إذا ضاق الخناق لحادث
 يا موت وقعك فيهم سلب الهنا
 تسرك الحسام النوح إذ ناوحتهم
 لم أسألهم حتى رزنت بصدعة
 أخذت بكظم الدين وانتحت السما
 واستأثرت بقلوب حزب محمد
 ما الهول في يوم النشور أشد من
 العسالم القطب المجتد عمدة السـ
 ليث المعارك مربع الفضل الذي
 غوث البسيطة معلم الدنيا
 حامي حمى الإسلام حجته معـ
 بحر المعارف والكمال مسدد الأعـ
 السالمي أبي محمدن المنيف الذ
 مهلاً همام الاستقامة ما الذي
 ثمضي وترسلها العراك مروعة
 قومتهما فتقومت فهجرتهما
 ارجع إليها حيث قل حماتهما
 ارجع إلى الإسلام تم نصره
 ارجع فإن الاستقامة أرملت

وتبوأوا سعداء عقبى الدار
 إذ وفقوا بمسالك الأبرار
 من فقدهم مغبرة الأثر
 إن كنت تسرحم عبدة الأحرار
 بأولئك الأبرار كنت أبراري
 وهم إذا انطمس الطريق مناري
 وأقامني للنوح والتذكـ
 واستبردت كبدي لهيب النار
 أخذت بقية سالف الأكرار
 فبكت لها بالمدمع المذار
 لله فجعة ذاك الاسـ
 هول النعسي بسيد الأبرار
 علماء طرأ كعبنة الأسرار
 رفع المنار ولات حين منار
 أبي الضيم مولانا عزيز الجار
 عز الدين سيف الملة البتار
 هال في الإقبال والإصدار
 كر طود المجد بدر الساري
 غادرت من هول ومن إذعار
 والليل داج والذئاب ضواري
 يا هجرة طاليت على السفار
 ارجع فديتك يا غريب الدار
 (فالعز تحت عمائم الأبرار)
 راحم يتيملك وهو دين الباري

والعسسال والأقلام والأسفار
 بجوار ربك جيرة الأشرار
 عهدي وأنت لها شديد الغار
 شيم الرجال وهمة الأحرار
 رأي الفحول وأنفس الأنظار
 يرجى لنائبه وحفظ ذمار
 لخطابة التبشير والإنذار
 هوأنها تكفي كفاء الغار
 وتبين منه غوامض الأسرار
 افتقرت مقاصدها إلى الأبصار
 بيان والتذكير والتذكار
 جثمت عليك صفائح الأحجار
 ومشار حزني فيك بالإثمار
 وخذي الحداد مشارق الأنوار
 من فجعتي قلبي لغير وقار
 فأصبت في صبري وفي أنصاري
 فالיום لا جلدي ولا إقداري
 والسخط في أن المقدر جاري
 سدنان تحت مغالب الأقدار
 من طرف داجية وطرف نهار
 هي تستعد لندبة في السدار
 لكننه أمسد إلى مضمار
 سريان في قسرو في استتقرار
 وسبرت ما تقتضيه بالمسبار

ارجع تشاهد كيف دمع السيف
 ارجع وما طمعي بأنك مشتر
 أدعوك للجُلي وأنت عظيمها
 أدعوك للأمر الذي تدعي له
 أدعوك للخطب الذي أعيأ على
 أدعوك إذ فرغت يدي من كل من
 أدعوك إن كنت السميع لدعوتي
 أدعوك للحرب العوان وكنت في
 أدعوك للقرآن تكشف سره
 أدعوك للسنة المنيرة إنها
 أدعوك للإجماع والأحكام والأد
 هيهات يا أسفاه لا رُجعى وقد
 يسئلون بالآثار بعد صاحبها
 يا طلعة الشمس استري عيننا الضيا
 سفران إن هديا لرشد أرشدا
 كنت النصير وكان لي صبر الحصى
 أقدرت لي جلدًا بقاوم نكبتني
 ناهيك من جلدي يقيني بالرضا
 وبأن هذا المرء عرضة طارق الحـ
 ما غاض من دمعي رأيت عديله
 لم تصغ نادبة لندبة جارها
 سول لنفسك أن تعيش معمراً
 تلك المصائب مدركات صيدها
 أمعنت في هذي الصروف بصيرتي

فرأيت برد العيش إحسان العزا
 يا من أذاب الصخر حر مصابه
 وزعت بين الدين والوطن الأسى
 ودعوت في الإسلام دعوة مخلص
 ثابت إليك عصائب وهيبة
 عشقوا المتايا واستهاتوا في الهدى
 حنيت ضلوعهم على جمر الغضا
 غضبوا لريم فشددوا شدة
 ملأ اليقين صدورهم واستصغروا
 لعسزائم الإيمان فيهم وازع
 باعوا المرضاة الإله نفوسهم
 ورضوا لأعباء الخلافة كفأها
 فلك الجلالة والنبالة والتقبي
 ورث المهنا وابن كعب وارثا
 أخذ الإمام كابراً عن كابر
 عرفته عاقتها ومفرق تاجها
 عاذت به فأعاذها وأقامها
 رقبته حتى أمكتها نظيرة
 فاقتادهما عزماً وحزماً آتياً
 زهسراء بين السالمي وسالم
 لم توف حق الشكر حتى استرجعت
 صبراً إمام المسلمين فإنه
 صبراً فعنك الصبر والتأساء
 ما دامت الدنيا على أحسد ولا

والاطمئنانة تحست حكم الباري
 من ذا تركت لدولة الأحرار
 توزيعك الطاعات في الأطوار
 ثابت إليك بها ذوو الأبصار
 من أسد ذي يمن وأسد نزار
 من قبل صفين ويوم الدار
 من حسب ربهم وخوف النار
 متكاتفين على هدى عمار
 عند اليقين عظمائم الأخطار
 ديناً ودنيا عن لزوم العار
 أريح بيعتهم ونعم الشاري
 سبط النجاد موفيق الأنصار
 يدي المحيا من ضياء نهار
 والصلت من أجده الأظهار
 أخذ الثمار جواهر الأشجار
 ولطالما لغبت من الإنكار
 عمريمة الميزان والمعيار
 أزيمة من نجمه السيار
 بمعاجز طمست عن الأفكار
 نشأت وبسین حماتها الأخيار
 صبراً يفقد الصابر الشكار
 حكم على كل البرية جاري
 يؤخذ بل وكل فضائل الأحرار
 دامت على السراء والأضرار

عارية هذي النفوس ولازم
ومواهب الأيام حرص كلها
ولبئس عيش ريثما استحلته
لا يستقر له اللبيب لأنسه
رأت البصائر ما يعاقب عيشنا
يا شعر أجمل في الرثاء فإن لي
هل زاد في الخنساء إلا كربها
يا صبر إن قر الأجابة في الثرى
لا خلل إلا الصبر بعد فراقهم
رحم الإله أجابة غادرتهم
ما كان في أملي التخلف بعدهم
لكنه الحسدان يطلب وقتسه
عرجوا عن الدنيا وأعرج في الهوى
تبكيهم الحسنى إلى من أحسنوا
أليت لا أنفك أنذب إثرهم
آمي وأجرح ما تكن جوانحي
مدي بهم وشفاء قلبي ذكرهم
بحياتهم ومماتهم أسرارهم
درجوا وجاء السالمي عقيبهم
حتى تدافعت الرياض نضارة
حتم المسير له إلى دار البقا
حيًا الإله ضريحة بالروح والري
يا عام أزهقت النفوس لفقده
يا عام لا يبعد فقيد الدين ط

أن يسترد العدل كل معار
إذ سوف تنزعها بغير خيار
كرت عليه غارة الأغنيار
وقفت شعوب له بباب الدار
فالرأي أن نجيا على استبصار
قلبا من الأحزان كالأعشار
شعر تدرده ولبس صدر
فأبنت لسدي ولائيل قرار
إن لم يزل له زایل الأقدار
ولزمت صحبة دهري الغدار
والعيش في الأشجان والتذكار
ومنية تأتي على مقدر
شستان بين قرارهم وقرار
ويضاكون الحور في الأحبار
ما دام تذرف أعين الأحجار
بنوازع الأحزان والأصبار
وبحبهم يطفسي لبيب أواري
تسوحى مواهبها إلى أساري
يحبي الرسوم بسبيبه المندار
بالسنة الزهراء لا الأزهار
ولسنعم دار بُمدلت من دار
سحان في الأصقال والأبكار
وأطرت روح السدين أي مطسار
سلاع الثنايا مقعد الإكبار

حزن على حزن وهول مدهش
 يا عام لا عادت لبطشك عودة
 ارحم عيال الله قد حزبتهم
 يا عام أزهدت الديانة خطة
 أطفأت أزهر كوكب ملأ الفضا
 خُتِمت له الحسنى ووافق ربه
 عفا عن الدنيا خيضا بطنه
 يا من أجاب الدعوتين لربه
 لمعاهد الإسلام بعدك رنة
 قُدِّست من غوث وقدس مشهدا
 شط المزار من الحياة وويلتها
 ومن السعادة أن أمرغ جبهتي
 يا وافد الرحمن أي كرامة
 بمنازل الشهداء ترتع آمنّا
 حلقت للطاعات خفة طائر
 بعث الحياة فنلت أربح بيعه
 لله ما سنة لك البشري بها
 ناربخها ما طال ما لحب الردى

يمضي المدى والغم في تكرار
 كافيك منها بطشة الجبار
 أخطار ملتهم على أخطار
 كالنار ذات ذوائب وشرار
 ضوءاً وجئت بظلمة الأكدار
 متقبلاً لمزينة الأطهار
 منها سوى ما كان بسهم الباري
 لم لا تلبسي دعوتي وجسواري
 وعهود فضلك كالنجوم سوارى
 غبطته فيك عوالم الأنوار
 بعد الممات متى يكون مزارى
 بعسير تلك التربة المعطسار
 لقيت في عدن وأي جوار
 من ذارضيت لخوفنا الكرار
 فحللت مسرح جعفر الطيار
 لكنهار رجعت لنا بخسار
 ولنا بها كالنار في إعصار
 الصبر أحسرى يا أولي الأبصار

أسباب النهضة العمانية

لا يزال الصراع بين الملكية والإمامة؛ فالملكية تحب السيطرة والعلو والاستبداد، والإمامة مشربة بروح النظم الشرعية التي يجري عليها الأئمة، وهي الحكومة المبنية على الشورى، وانتخاب الإمام العدل والعمل بالشرعية.

قام العلماء وأهل البصيرة يقدمون النصائح العلمية والعملية إلى السلطان فيصل، ويطلبون منه إجراء الأحكام الشرعية، ويرغبونه في إظهار العدل، ونشر الأمان والاطمئنان، وأن العدل هو زمام القهر وأساس الملك، ويحذرونه غوائل الاستعمار، ويسألونه العدول عن معاهدة بريطانيا، والكف عن الفتن التي أيقظها بين العمانيين، والتأخر عن إغراء بعضهم على بعض، وإنفاقه الأموال في ذلك؛ أخذًا بقول القائل: (فَرَّقْ تَسَد) فلما لم يجدوا بغيتهم منه وأعارهم أذنًا صماء، وأيقنوا عدم موافقته لهم خرج نور الدين إلى حج بيت الله الحرام، فنزل على ضيافة السلطان في سنة ١٣٢٣، وبعد رجوعه من سفره اجتمع به ثانية، فطلب منه الخلوة ليقطع عذره، ويقيم الحجة عليه، فكلمه في جمع العمانيين تحت راية واحدة، وأبدى له ثمرة الاجتماع، وما يخشى من التفرق، وأوضح له حال العمانيين وما وقع بسببه من الشكايات والفتن المؤدية إلى الضرر بالوطن، فاعتذر بأعذار لم يسوغها نور الدين له، ولم يقبلها منه، ثم ألحَّ عليه فأعرض عنه وقال: إنكم إذا حصل لكم ذلك يقول عمي: نريد غيره، وأراد بعمه عبد العزيز بن سعيد، ومعناه: أنكم إذا اجتمعتم على هذا الحال تقولون: لا نريدك بل نريد عمك، وأنشد السلطان بعد خروجهما من الخلوة تهكمًا لطلبه:

نحاول ملكًا أو نموت فنُعْذَرُ

فلم يثنه ذلك عنه، وكرر إليه النصائح الدينية، والمرشد القرآنية، وما زال يحثه على اتباع أوامر السنة النبوية، ويناشده الله في الوطن والرعية، والسلطان يلطف له الجواب، ولا يقبل منه الخطاب. فلما ثقل عليه تكرار نصائحه دسَّ إليه الدسائس الخفية، كما هي عادة الملوك إذا عاكستهم الرعية. ولا زال ذوو السلطان يأخذ عنهم الجبروت، فلا يحبون أن يكون لأحد من رعيتهم فوق كلمتهم فيتجهمون لمن يبيدي

لهم نصيحة أو يعرفهم واجبًا، فيحاربونهم لقصد إذلالهم وخط درجتهم، ومن كان يريد الله واليوم الآخر فلا يضره شيء من ذلك.

حركة رئيس النهضة العمانية

كان سيدي الوالد نور الدين بجوار الشيخ عيسى بن صالح، وكان يرجو منه القيام بالحق والتصلب على الجبابة والبغاة؛ لما كان عليه أبوه الولي صالح بن علي، والأمير يعتذر له ولا يساعفه، فهو يخشي أن يتقدم في هذا الأمر، فيخذله الناس، ويسلموه إلى عدوه. وكان من رأي نور الدين أن يكون الشيخ عيسى رأسًا في الأمر، وأن تكون الناس تبعًا له، فلم يقدر الله ذلك. فلما ثقل اعتذاره عليه عزم نور الدين أن يخرج إلى حج بيت الله الحرام، وكان قد حج حجة الفريضة، وله أمل أن يجتمع بعلماء أصحابنا من أهل المغرب بمكة، زادها الله شرفًا وتكريمًا، فيصحبهم لزيارة الإمام القطب محمد بن يوسف؛ ليكشف له حقيقة مطلبه، ويستعين منه ومن أهل المذهب الذين بالمغرب، بما يجده عندهم من مال وجاه، أو فائدة يرجو بها نجاح مطلبه العزيز. وقد كتب قبل ذلك للقطب، فرحب بزيارته. ولأهل المغرب ميل عظيم إلى محبته وقبول مرأشده، فطمع بذلك أن يتسنى له مراده، مع أن في السفر ترويحًا للنفس وتجميم لها مما يعانيه من مقاساة تلك المطالب الجسيمة الصعبة، وكنتم ما عزم عليه من النية إلا على من انتخبه لمصاحبتة، فوعدهم في السابع من شوال سنة ١٣٢٩ أن يوافوه بمطرح. فلما كان يوم عيد الفطر، وصلوا صلاة العيد، وانتهت الخطبة، قام نور الدين وارتجل خطبة بليغة؛ حاصليها: أنه يطلب من إخوانه والشيخ عيسى أن لا يمنعوه الخروج إلى الموسم، وأن لا يتعرضوا له، وأقسم عليهم، وألح إلحاحًا كبيرًا، فأجابه الكل: أنهم لا يرضون خروجه، وأن قيامه بين ظهرانيهم لنشر

المعارف الإسلامية، أفضل من حج النافلة، وأبى إلا التصميم على عزمه، واستشهد في خطبته بهذا البيت:

وإن ساءكم يوماً مسيري فإنه يسركم يوم الرجوع إليابي

فانفضَّ الجمع على غير جزم بمسير أو منع كلي. فلما رجع كل إلى وكره دخل الشيخ عيسى على نور الدين في بيته، وتلطف به، وأقسم عليه في العدول عن طلبه، وأظهر له من الشفقة والحاجة العامة إلى قيامه بينهم، وأخيراً قال له: إن خرجت من عمان، فسأخرج منها على أثرك، ولا أقعد بها بعدك. فثنى كلامه من عزمه، وبعد أشهر عزم أن يخرج مهاجراً فيجس نبض العمانيين، هل فيهم من يؤيد قصده، ويعينه على مراده؟ فكانت له رحلات كثيرة، عرض فيها دعايته على من يرجو منه الوفاء والوفاق، فنتجت البركة رحلته الأخيرة في شوال سنة ١٣٣٠ لما خرج إلى داخلية عمان؛ لزيارة الشيخ حمير بن ناصر النبھاني أمير الجبل الأخضر، رئيس بني ريام ومن تابعهم، ومشايخ بني هناء أولاد هلال بن زاهر، وكانوا مطاعين في قومهم، وقد شدد السلطان الوطاة عليهم، وضيق المسالك، فهم يودون لو يجدون الظهر فيستندون إليه والمساعد فيقووا به؛ لما يرون من الاضطهاد. فلما اجتمع بالشيخ حمير النبھاني كلمه فيما يخفيه عن نفسه، فصادف السهم مرماه والسيل مجراه، فأجابه بلا تلثم ولا توان، بما يثلج الصدر، وينعش القلب، وسأله الشيخ الحميري عن مسائل دينية، فأجابه نور الدين عليها، فأظهر التنصل والتوبة، وشرع في الخلاص من الظالم. وبعد أن انتهى حق الزيارة، رجع إلى وطنه، وأنشده تلميذه الشيخ القاضي سعود بن حميد قصيدة يهنته بالقدوم والظفر منها قوله:

فَرِحَ الـوَرى بـطـلـوع كوكب سـعدكا	وفدت نفوسهم النفيسة نفسكا
واستبشرت بكم البسيطة كلها	فتزينت وتزخر فست لقدمكا
هذا هو السفر الوحيد وذا هو العيد	ش الحميد فـرـيـظ به أعداءكا

وبعد الاستراحة من السفر، عرض على الأمير عيسى ما اتفق له من المصالح التي يأملها، وحصوله على نجاح بغيته في سفره هذا، وأنه خرج على موعد سرى مع زملائه، تقرر أن يجتمع فيه العلماء والفضلاء من كل ناحية بثنوف، في يوم ١٢ من ربيع الآخر من عام ١٣٣١. وفي أول شهر ربيع الآخر من العام نفسه، جمع الأمير عيسى أعيان جماعته الحارث منهم: المشايخ حمدون بن حميد، وحمد بن حميد، وسالم بن عمير المعمرى، ومحسن بن عامر الحنجري، وسعيد بن مسعود البرواني، وفيهم سيف بن بشير الحبسي، وهو صديق حميم لنور الدين، فوفدوا إليه ببلدة الظاهر، واجتمعوا إليه مطبقين على تنفيذ رأيه، وعزله عن قصده، وأنهم يحاذرون عليه أن لا يحصل على وفاء من المشايخ الذين تكفلوا بمعاضدته، وربما أنه يكون لهم غرض شخصي، أو يسلموه لسلطنة مسقط، وأن هذا الوقت غير صالح لبث هذه الدعاية، ولعدم توافر الأسباب، ولأمر يروها وقد جربوها، فلما أضجروه سكت سكوت إبهام وفي نفسه ما فيها.

وبعد ذلك أرسل لزميله شيخنا العلامة المالكي رحمه الله، والشيخ عامر بن سيف الحنجري الزاهد، فقص عليهما القصص، واستشارهما قائلاً: لعل عاشر لأمرى، فأفتياني واصدقاني رأيكما. فأيداه وثبتاه. فقوي عزمه، واتفق مع زميله أبي مالك أن يوافيه ببلدان الحبوس، وأن يكتم كل أمره.

دعاية رئيس النهضة العمانية

إنَّ الدعاية بين الأمم ترافقها العناية إلى أن تبلغ ما تشاءه الهمم، وتثبت في القلوب اليقين، وتؤجج في النفس العزة، وتزين أمام العيون القصد، وتقرب من الرجاء الفوز، في كل أمة أفراد خلقهم الله لينبها من حولهم من غفلتهم،

ويرشدوهم بعلم وحكمة وخلق. ولقد كان سيدي نور الدين من هذه الصفوة المختارة؛ بث رحمته الله الدعاية في هذا القطر، وتكرم عن فتنة أهل العصر، وتوجه إلى خير بلغ كلفه به خير مبلغ، فكان لا يألو فيه جهداً، ولا يرى منه بدءاً، وصار يشعر بلذة لا يحظى بها من هم على لهوهم عاكفون، وبباطلهم لاهون، ضرب أكباد الإبل، وصرخ في العمانيين أن الاستقلال والحرية لا تنالان بالمتى، ولا تبنيان إلا بالجهاد وأجساد القتلى، ولا تجلبان إلا بالدموع والدماء، وأن الخوف هو لعنة الحياة، وأن الشك في الانتصار هو الهزيمة العابسة، واسمع إلى قوله في بعض أصواته:

المجد يُدرَك بالقنا الحساس	في كسف مقدم شديد الباس
يرمي به نحر العدو فلا نرى	إلا الكمي يخترُ بين الناس
وبقاضب غضب إذا حكمته	في قسمة الشجعان والأفراس
أيقنت أن السيف عدل في القضا	وبه أساس الدين أي أساس
وإذا تضايقت الأمور رأيت	خلال مشكلها بلا إلباس
لا مجد إلا إن شحذت حدوده	في جثة الباغين والأنجاس
قضت المعالي بالبعد عن الذي	تخطي مضاربه عظام الراس
ما أبعد المجد الشريف مناه	عن منزل العجاز والأنكاس
لا نحسين سلامته موجودة	إن لم تكن في قطع رأس الآسي
إن العدو لعلّة إن لم تبدأ	وى أهلكك والسيف فهو الآسي
لم أجبد للعلا طريقاً قريباً	مثل طعن اللّهي وجزّ الغلاصم
فاشيع الوحش من لحوم الأعداء	وارو من دمهم ظمى كل هائم
واطلب المجد بالمهتد إذ فيه	له لباعي العلا والمكارم
وامض في الأمر إن أردت فلاخا	عازماً الفلاح عند العزائم
والبس الحزم في الشجاعة واعلم	أنه لا يضيع في المجد حازم
وإذا لم يكن لسك المجد مسعى	ومقاماً فأنست مثل البهائم

قد تفكرت في عواقب أمري
 كيف يرجو الحسان في الخلد قوم
 قل لأهل الهوى عن المجد بُعداً
 أنا عبد أحرض الناس واللـ
 أسعد الأقوام في الحرب البطل
 وأعز الناس من ليس يرى
 أسلؤ والعسلا تطلبنا
 أم رقاد والهدي قد طمست
 أم قعسود والمعاصي ظهرت
 أم خمول والورى قد أحسدت
 ليت شعري هل أنا مدرك ما
 هو المجد فاطلبه وإن عزّ طالبه
 وسارع إلى تشييد أركانه فلا
 ومن تحت ظل السيف فالتمس البقا
 وإن لقا الإخوان في الحرب زينة الـ
 وأنست إذا فكسرت أيقنت أنه
 ألا فاتخذ أعلى الأمور شهامة
 وإن فتى لم يطلب المجد عمّره
 فهل مبلغ عني بني المجد أنني
 وإن صوّبت نحوي الليالي سهامها

فرأيت النجاة ارتكاب العظام
 ألفسوا الذل بسين غيد نسواعم
 وعن الفوز بالحسان النسواعم
 به تعالى أرجو لحسن الخوادم
 الذي لم يسدر أصلاً مسا الفشل
 مكسباً غير المعالي بالأسل
 حقها والسيف سيف لم يُسل
 أثره ممن بيننا أيدي السفل
 وأهمل الدين كُمل في وجل
 بدعاً خالفت الشرع الأجل
 زُمت به يوماً فسا طفي ذي الشعل
 وجِدْ وإن ضاقت عليك مذاهبه
 قرار لنا والعدل هُذّت جوانبه
 إذا حكمته في المعادي مضاربه
 كمي إذا ما النكس جلت مآربه
 بخوض المنايا ويدرك العز خاطبه
 وخلف حليف العجز مع ما يراقبه
 فقد خسر المسعى وضلّت مطالبه
 على العهد لا أنفك عما أطلبه
 ودقّ عظامي من زماني نوائبه

ما هو إلا صوت القدر يجلجل فيهدي الراكب إذا ضل، والخادي إذا تنكب،
 فاستهوى رحمه الله بأصواته عقول العاملين، واسترق رضي الله عنه بأخلاقه قلوب
 الشاخين.

فرَّ رحمه الله من ظلمة غشيت الناس إلى حين يلقي السكينة، والفرار إلى الله مشكور، والخروج في سبيل الحق مبرور.

هاجر - عفا الله عنه - من وطنه؛ ليخرج الناس من ليل دامس إلى نهار وضاء؛ ليظهر فيه الحق، وتزداد الأبصار حدة والبصائر قوة.

ففاز - أسعده الله في الدارين - بما يرومه من نفخ الروح في هذا القطر، فانتعشت قواه، وهبت ريجه، وأضاءت مصابيح فاشربت القلوب حب الحق، فهبوا يدافعون عنه. وهل شيء أبقي أثرًا من إنسان يخلف إنسانًا، فيعمر الأرض بالقسط، ويكون أهلًا لخلافة الله؟

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهَّاهم سادوا

فثابت إليه عاصبة من كبار الفقهاء والعلماء، يقدمهم ذلك العلامة الجليل: أبو مالك عامر بن خميس بن مسعود، الذي هو من بني مالك، سيد فطاحل عمان، رضي الله عنه وأرضاه.

لبي دعوته الرئيس المعظم الزعيم المقدم: حمير بن ناصر بن سيف النبھاني، أحد ملوك عمان، تسلل إليه الملك من آبائه الكرام الأمجاد، الذين وطئوا البلاد، وملكوا السهل والحزن، ملوك حمير ملوك اليمن.

أبقى له السؤدد الأعلى كواهلَه مظفر سليمان وكهلان
هود عرار فلاح محسن ملكوا فنبهوا الملك حينئذ وهو نعان

أجاب نداءه السادة العباھل بنو هناء، أولاد الشيخ ملال بن زاهر:

بنو هناء ما دينوا وكم دانوا

إنها لشيمة رجالنا الأحرار إذا رأوا الدين كاد أن ينهار. ما أعظم تلك العصابة الذين أشربت قلوبهم الطمأنينة بوعد الله! إن الله ناصر من ينصره، {وكان حقا علينا نصر المؤمنين}. أحبوا الحق فهبوا يدافعون عنه، هادين من زاغ عن المنهج، رادين من أذبر عنه، لا يأملون ثوابًا، ولا يخشون عقابًا، يقاتلون لله، يؤنبون في سبيل الله، تغلغل في قلوبهم الإيمان، وخالط دماءهم وجرى في عروقهم، علموا أن الإسلام دين الرحمة، ودين النور، فيه نعيم الآخرة، وفيه تهذيب النفس، وصقل الروح. وإلى ذلك أشار العلامة شاعر العرب أبو مسلم في نونيته حيث يقول:

أمنية رقب الإسلام طلعتهما	أباحهما الله لم يُضرب لها آن
وللأمان أوقات إذا قُدرت	وللأمان آيات وإيذان
تمنعت في خسدور الغيب آونة	ثم انجلت فانجلي عدل وإحسان
ما ساورتها صروف الدهر إذ نجمت	ومالرد مراد الله إمكان
وحكمة الله في التدبير قاهرة	وقائد العقل في المقدار حيران
يقضي بما شاء والأسباب جامدة	ويحكم الأمر والأفكار عميان
يختص من شاء بالرُحَى ويصرفها	عمن يشاء وفي الحكمين رحمن
إن الذي يتعاطاه المذكاء لسدي	حكم المقادير تخمين وبهتان
ما حيلة الظن والأوهام في قدر	إلا قصور وعجز ثم إذعان
لا بد أن تربط الأفهام وحدته	ولو تطاول تقريب وإمعان
خذ ما أتاك وسلمها لخالقها	فالشأن لا غير للأكوان ديان
انظر إلى دولة أعبت معاجزها	رأي العقول ففيها ثم برهان
أرادها الله فاحتلت مناصبها	والعقل في نصب والكون أشجان
بأسهم الله ترمي من يقاومها	ولا يقوم لسيف الحق بطلان

إلى آخره.

وهو كلام قد أخذ بمجامع البلاغة، فهو يعرض بهذا التأنيب الدقيق إلى ما وقع بين العلامة نور الدين وجماعة من إخوانه العمانيين، لما استنهضهم لهذا الأمر فلم يطاوعوه، واستشارهم فلم يوافقوه؛ لما يحاذرونه، ولما يرونه من الآراء العقلية بأن الأمر جلل، وأنهم أهل تجربة. ونور الدين في كل ذلك يأبى إلا السعي في إنقاذ الوطن من مخالب الاستعمار وتمزيق راية الاستبداد، والاجتهاد في كل ما يعز الإسلام، لما انتهكت محارمه، وأضيعت شعائره، مقتد بالخلفاء الراشدين، والقواد الصالحين، الذين جروا على الخطط التي وضعها صاحب الشريعة الإسلامية، فوفقوا في جميع أعمالهم، ونشروا راية الإسلام أينما حلوا، لا مستعمرين بل منصفين معلمين، أخذوا دروس القيادة عن قائدهم النبي الأمي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، فتبعهم السلف الصالح، المأثور عنهم: نقيم الحق بالغداة ولو غليت لحومنا بالمرجل في العشي! ولسان الحال يردد قول أبي مسلم:

سياسةُ الله في القرآن كافيةٌ وما يزيد على القرآن نقصان

خروج رئيس النهضة

إلى ذلك يشير شاعر العرب أبو مسلم في نونيته حيث يقول:

يا ناقل العيس من عليا بديعة	حيث اليمجد الحائزون المجد قُطانُ
خلف وراءك عزاً والمضرب	والدريز والقابل الراسي بها الشان
وخل إبراء أعلاها وأسفلها	حيث القطين ملوك الناس قحطان
وخذ بأوجها عن ساحتي سم	مياسر الفتح حيث الحي كهلان
ودع وراءك إن غريبت أخشبه	تجري المجرة فيها وهي سدران
ويا من الدوح والخضراء امتحيا	إفناء حليفين حيث السوح جرنان
واعمد إلى الجسوف واستظهر أسافلها	أرض لعامر أهل الفضل أوطان

إنّ هذه الأمكنة التي ذكرها أبو مسلم هي الطريق التي سلكها رئيس النهضة، وسنذكرها لك مفصلة.

في اليوم السابع والعشرين من شهر جمادى الأولى، سنة ١٣٣١هـ إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف، خرج سيدي نور الدين من بيته بالظاهر من الشرقية، وأقام بقية الشهر ببيته الذي بالقابل، ثم خرج منه في اليوم الثاني من شهر جمادى الثانية، فقال بفليج مسعود ذلك اليوم، وفي صحبته الشيخ سالم بن راشد الخروصي، والشيخ عبد الله راشد الهاشمي، وحمود بن ناصر المعولي، وسالم بن ناصر الحبشي، وابنه محمد شيبه. ثم راح عصر ذلك اليوم من فليج مسعود، فكان مبيتة في المكان المعروف (أبو ظلم) وقال في اليوم الثالث يقابل آل بوسعيد، فاجتمع فيها بأحد أصدقائه من الأعراب حمد بن البليدي القناص الجحافي، فأسر إليه أن يأتيه بإبل تحمله إلى تنوف دار هجرته، وأن يلاقيه بها في بلد خشبة العزور، فخرج حمد لإحضار الإبل، وتوجه نور الدين إلى المضبي. وقد سبق وعد بينه والعلامة أبو مالك عامر بن خميس، الذي هو من بني مالك، فوافاه بالشارق؛ وهي بلدة من أعمال المضبي، وبها وافاه صاحبه الخصوصي، أبو هشمة سعيد بن عبد الله الهاشمي، وهو رسوله السري، ومن المساعدين له على غرضه، وجاسوسه المنتخب، ثم خرجوا جميعاً غرة اليوم السادس من الشهر المذكور، فقالوا ببلد الأخشبة. وفي ذلك اليوم أتاهم حمد القناص بالركاب، فكان جملة من اجتمع في رفقته ثلاثة عشر رجلاً:

١- زعيم الأمة العمانية؛ وهو رئيسهم عبد الله بن حميد السالمي.

٢- الشيخ سالم بن راشد بن سليمان الخروصي، الذي عقدت عليه الإمامة.

٣- شيخنا العلامة الجليل أبو مالك عامر بن خيس بن مسعود، الذي هو من بني مالك.

٤- الشيخ العلامة عبد الله بن راشد بن صالح الهاشمي.

٥- الشيخ العالم عامر بن علي بن راشد الشيداني الحبسي.

٦- الشيخ العارف حمدي بن مسلم بن عبيد الحجري.

٧- الشيخ الفقيه حمود بن ناصر المعولي.

٨- الشيخ الورع سالم بن ناصر الحبشي.

٩- سعيد بن عبد الله بن خادم الهاشمي.

١٠- حمد بن البليدي القناص الجحافي الوهبي.

١١- سيف بن حميد، ولد الصويغ الهاشمي.

١٢- خادمه خويطر بن زايدن مولى الجحاحيف.

١٣- أعرابي طناف الركاب، لا يحضرني اسمه.

١٤- محمد شيبية بن نور الدين السالمي.

عددهم عدد حروف النور، عدد ما ناف على المائة من السور، خرجوا فرادى مستخفين، يتسللون تسلل القطا؛ خوف أن يشعر بهم الظلمة؛ فإنه شاع في الناس اعتراض الأمير عيسى لنور الدين أن يعدل عن هذا الطلب، فخرج مستخفياً، وأسر

إلى إخوانه المذكورين: أن يجتمعوا ببلدة الأخشبة، فوافوه بها، وقبيل الفجر خرجوا منها، فقالوا يوم السابع من الشهر المذكور ببلد العاقل من بلدان العوامر، من أرض الجوف، وراحوا منها بعد العصر، فعزّسوا بزكيت؛ بلدة صغيرة سهيل أزكى. ومنذ وصل العاقل أرسل إلى تلميذه الكبير أبي زيد عبد الله بن محمد الريامي الأزكوي، وكان يسكن أزكى أن يوافيه بمن عنده من الأعلام والمطاوعة.

وفي غرة اليوم الثامن خرج من زكيت وقال بالبركة، فوافاه أبو زيد عصر ذلك اليوم، وعنده من الشراة ستون رجلاً، كلهم شار بائع نفسه لله. وأنشد أمير الشراة الشيخ محمد سالم الرقيشي قصيدة منها هذان البيتان:

وكم جمل قد راعني بهديره فلما تبادرت أهدأت شقاشقه
على أنني السيف الذي إن سللته على الدهر ما دارت عليك بوائقه

كانت ضيافتهم واجتماعهم ببلد البركة، عند الشيخ حمدان بن سليمان النبهاني ابن عم الشيخ حمير. وقد علم الشيخ حمدان ما عندهم، وما يحاوله نور الدين، خرجوا من البركة قبيل الفجر مشاة وركباً ليلة تاسع، وقد أرسلوا أمامهم رهطاً من ريام، يرصدون لهم عقبة الرحبة؛ خوفاً من عمال السلطان الذين بنزوى، فصلوا الغداة تحتها، وأصبحوا فوقها، ونزلوا ظهيرة ذلك اليوم، فقالوا ببلدة (كمه) من بلدان بني ريام بسفح الجبل الأخضر، وقبيل المغرب خرجوا منها، وباتوا ليلة عاشر شرقي تنوف، عند بئر تسمى الظليعة، فأصبحوا أول النهار بتنوف.

اجتماع أعيان النهضة بتنوف وتشاورهم فيمن يقدمونه إماماً

هاجر مشايخ العلم من أوطانهم إلى تنوف عاصمة الشيخ حير، يعرضون عليه أمرهم، ويسألونه نصرتهم، لما خذلهم القادر، واستخف بهم الجاهل، واستهزأ بهم السفية، ولا بدع فقد هاجر من هو خير منهم، فأواهم الهزبر الضاري، وأكرم مثواهم، فأعلنوا دعوتهم، ونشروا رايتهم، وعاضده على ذلك مشايخ بني هناة أولاد الشيخ هلال بن زاهر، فاجتمعوا بتنوف ضحى يوم العاشر من شهر جمادى الثانية، سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف، وجالت الآراء بينهم فيما يرمونه من الظهور. ولكون المسألة حرجة والسلطان فيصل على الكرسي، قد قهر الدائرة العمانية، وجعلها تحت سيطرته القوية، واستظهر بمساعدة الإنجليز له، ولتغلب جبابرة عمان على المعادل الداخلية، فنظروا فيما هم بصده من الأمر الذي يحاولونه، فاستشعروا العجز لكثرة من حولهم من الأعادي، وقوة شوكة الجبابرة، وزادهم فشلاً أن نور الدين أرسل العلامة أبا مالك إلى الشيخ العلامة ماجد بن خيس العبري، والشيخ مهنا بن حمد رئيس العبريين وجماعتهم، وكانوا قد وعدوه جليلاً في أول الأمر، فرجع إليه باعتذارهم في هذا الوقت للمحاذرات التي يحاذرها جُلُّ أهل عمان، وكاد أن يتلاشى ذلك الاجتماع، فخلصوا نجياً، وكثر القيل والقال، وبقي الرأي يجول وهم بين إقدام وإحجام، قد هول عليهم الأمر أذب العقبة، فكان نتيجة ذلك الموقف، أن سلم العلماء والأمراء والخاصة والعامة أرواحهم ومهجهم إلى رئيس النهضة العمانية، وقلدوه أمرهم لعلمهم أنه يستسهل الصعاب من الأمور؛ اعتماداً على ربه، وثقة بمولاه، وتوكلاً عليه. فلما كانت الساعة الثانية عشرة من يوم الإثنين الثاني

عشر من شهر جمادى الثانية قال لهم: اختاروا زعيمًا تقدمونه للمسلمين أميًا على حمل الأمانة والدين، يحمل الناس على احترام الشريعة المحمدية، فوقع نظر الجميع: إنا نرى ذلك الشخص، وأشاروا إلى الشيخ سالم بن راشد الخرصي، فكلّمه فأبى وامتنع، فألح عليه العلماء والأمرء والأعيان، فأجابهم: إني ما خرجت لتبايعوني؛ بل لأبابع من تبايعونه، ولست أطيع لمرامكم حملًا، ولم أكن له أهلًا. فأبوا عليه إلا القبول، وأبى إلا الامتناع، ورووا له ما جاء في المأثور عن السلف الصالح من جواز قتل الممتنع من قبول الإمامة، إذا وقع عليه اختيار المسلمين. فلما أعياهم أمرهم نور الدين بحمله وتقريبه إليه، وكان قد قعد في أخريات الناس هضمًا للنفس، فحمل قسرًا، ثم تعلل بأمور، وشرط شروطًا، فأجابه نور الدين: إنا لا نقبل هذه الشروط منك. فإن أبيت قتلناك؛ إذ بامتناعك - متى وقع عليك اختيار المسلمين - تتفرق الكلمة، وينحل النظام، وتتعطل الحدود. وأمر نور الدين تلميذه الكبير أبا زيد بقتله متى أصر على الامتناع، فسل حسامه وضح عند الحاضرين أنه قاتله لا محالة. فسألهم: إن قتلتموني، هل أنا عندكم في الولاية؟ فصرخ الجمهور: (لا) وملاؤا بها أفواههم، فعدّوا عليه البيعة غضبًا، والدموع على وجهه. وما ذلك منه رحمه الله جنبًا، ولكنه مخافة التقصير بما سيتحمّله؛ لعلمه أن الأمر جلل، وأن الخطّة صعبة المرتقى، وحمل الناس على الجادة ليس بالهويناء، ولسان الحال ينشد:

يا سالم الدين والدنيا ابن راشد خذ أمانسة الله والأقـدار أعوان
أنت الضليـع بها حـملًا وتأديـة إذ كل همك تسدير وإتقان

ثمّ تعلق أن يسمح له بأداء فرض الحج عند الاستطاعة، وزيارة والدته؛ لأنها عجوز، ومحلها شاسع. أجابه نور الدين: متى وجدنا الكفء عند عزمك الخروج للحج أذنّا لك. وزيارة والدتك أمر سهل، ننظر فيه وقت طلبك؛ أما بقية شروطك فلا نقبلها منك.

سئل نور الدين عن إباحته لقتله حال امتناعه. أجاب: إني سُبِقْتُ إلى هذا؛ أفتى أبو عبيدة الكبير تلاميذه، لما استشاروه فيمن يقدمونه إمامًا متى استطاعوا، فأشار إلى أبي الخطاب المعافري وقال لهم: إن أباي فاقتلوه.

اشترط الشيخ الحميري قبل وقوع عقد البيعة شروطًا:

منها: أن لا يتعرض الإمام للمعاقل التي بيده؛ وهي بيت تنوف، وبيت سيق بالجليل الأخضر، وبيت المال الذي عنده.

في مقابلة ما تعهد به الحميري للإمام إذا دعت الحاجة أن يجهز ألف مقاتل على نفقته لمساعدة الإمام، وكان هذا الاتفاق بخط شيخنا العلامة المالكي، وتوقيع الإمام والشيخ الحميري عليه بعد العقد.

وكان هذا الرسم محفوظًا عندنا، ولم يحضرني وقت التاريخ؛ بل كتبت معنى ذلك.

تنبيه

ليست الإمامة أمرًا مخترعًا في الوقت الجديد؛ بل هي سلطة دينية سياسية جرى عليها الخلفاء الراشدون، بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وبقيت بعمان منذ القرن الثاني من الهجرة، وهو القرن الذي عقد فيه على الجلندي بن مسعود؛ أول إمام بعمان إلى القرن السادس الذي كان آخر إمام في محمد بن خنبش، ثم حصلت فترة في القرنين السابع والثامن، حتى عقد على الحواري بن مالك في القرن التاسع، ولم يخل

قرن من بعده إلى هذا الوقت إلا وفيه إمام يجمع شملهم ويلم شعثهم؛ إما شاريًا، أو مدافعًا، أو إمام ظهور.

ومتى صحت البيعة باتفاق العلماء، كان حقًا على العامة من الرعية، أن يسمعوها ويطيعوها للإمام، وأن يسلموا الأمر لأهل العلم، وليس لحاضر أن يأبى منها، ولا لغائب أن يتخلف عنها، ولا لمختار أن يختار «إن العلماء حكام على الملوك، والملوك حكام على الرعية».

وأساء الأوروبيون في تفسير ظهور الإمامة، أنها منشأ اعتداء وتمرد على السلطان، واعتراض في ملكه وأنه لا حق للأمة في ذلك. وما فقهوا أن الحاجز بين الإمامة والسلطنة هو حاجز ديني في طبيعته؛ فالإمامة هي الحكومة المبنية على الشورى، وانتخاب رجل أمين في نفسه ودينه وعلى رعيته، قادر على العمل بالشرعية، ورد كل شيء إلى حكم الدين؛ فهي سياسة من غير محاباة ولا حيف حسبما كان عليه الخلفاء. والملكية هي حب السيطرة والاستبداد، كما هو معروف من حال المتغلبين على الأمر. وإذا ضعف أسلوب الإمامة عن الحكم برزت الملكية إلى الميدان، وهو كالصراع بين الملكية والجمهورية في الديار الغربية، ولعل الوهم سرى إليهم بعدم التوالي على ذروة المنصب، ولا عبرة به عندنا، فإننا نحرص على الاجتماع والاتفاق على توالي الأئمة تواليًا غير منقطع، متى وجد المرشح الصالح له، كما سبق في عصر بني خروص واليعاربة. ومن درس التاريخ العربي والإفرنجي عرف أنا لا نتمسك بطاعة قوم يعصون الله؛ فإن الله لم يأذن لأحد من خلقه أن يعطي عهده من يعصي أمره، فلا نخضع لأوامر السلطنة متى حادت عن الجادة، كما نخضع في جانب الإمامة المحقة دينًا وطبعًا، فتجد العثمانيين مع ملوك آل نبهان وآل قطحان، متى

سحنت الفرصة وساعفتهم الأقدار، عززوا النية إلى البيعة لمن يختارونه، فانتزعوا السلطة من أيدي المتغلبين؛ إذ لا حقَّ لهم فيها.

واضطرت الأمة الإسلامية إلى انتزاع السلطة من عبد الحميد الخاقان العثماني في عام ١٣٢٧هـ، الموافق «١٩٠٩م» فازعجوه من منصبه، وأسلموه إلى هواه.

وأحقق إخواننا المصريون في عام ١٣٧١هـ الموافق (١٩٥٢) فاروق الأول من ذروته، فأخذوا برأينا والعمل به، لما حاد الملوك عن الجادة.

وفي كتاب عمان لشركة الزيت الأمريكية ص/ ١٤:

الإمامة منشأة قديمة في عمان، ترتد إلى القرن الثاني من العصر الهجري، الموافق للقرن الثامن من العصر المسيحي. وقد أنشأ الأباضيون من المسلمين هذه المنشأة، وصانوها هناك، وهم فرع من الخوارج الذين قاموا بحركة عصيانية دينية محافظة، وانفصلوا عن الكيان الرئيسي لأتباع الإسلام في أيام علي بن أبي طالب. وقد قصد بعضهم إلى شرق الجزيرة العربية، واستقروا في جبال عمان، حيث نشروا عقائدهم التي تعرضت لتغيرات يسيرة في القرون المتتالية. ويمكن اعتبار إمامة الأباضيين في عمان من المخلفات الحية للخلافة الإسلامية الأولى. ولا يزال الإمام الأباضي يختار بطريقة تكاد تماثل طريقة اختيار الخلفاء الأولين في القرن الهجري الأول. وليس مما يغفل شأنه أن نعرف أن لقب الإمام نفسه كان يطلق على الخليفة أحيانًا في تلك الأيام.

وكتب أيضًا في ص/ ٣/ ٤:

إمامة عمان دولة أباضية مستقلة، تشغل الجانب الأكبر من أرض عمان، في شرق الجزيرة العربية، وقلّ ما يعرفه العالم عن هذه الدولة، حتى الثقات في الشؤون العربية -بغير استثناء تقريباً- ليسوا على معرفة وثيقة بها. أما الحكومتان: البريطانية والأمريكية، فتعترف كلتاهما بحاكم مسقط، على أنه سلطان مسقط وعمان، فكأنهما تعنيان أن بلاد عمان خاضعة لسلطة السلطان؛ والحقيقة أن سلطان مسقط لم يكن له شيء يذكر من السيطرة الفعالة على عمان، منذ أكثر من قرن، وأما الإمامة نفسها فلها تاريخ يرتد إلى ما يزيد على ألف سنة، وهي لم تنزل تستمتع بوضعها الحاضر كحكومة مستقلة مستقرة في عمان، منذ نحو أربعين سنة. اهـ.

ولم يزل أهل عمان مع ملوك آل بوسعيد في معارضة منذ السلطان سعيد بن سلطان؛ مع عظمتهم وقيامه بحقوقهم في جانب آخر، فقد اعترضوه في عدة مواطن:

منها: لما أسعف الإنجليز بقعود نائب لهم بمسقط عام ١٢١٤، وهي أول قدم استعمارية ثبتت بها.

واعترضوه عام ١٢٣٧ لما وقع اتفاقية مع المسيحيين في القضاء على تجارة الأرقاء.

واعترضوه عام ١٢٧٠ لما تنازل للإنكليز عن جزائر المسلمين؛ جزيرتي خوريا وموريا بدون سبب ولا مقابلة.

أمّا أول معاهدة رسمية بين حاكم عربي ودولة إفرنجية، فهي الاتفاق الواقع من السلطان سلطان بن أحمد عام ١٢١٣، وقد أنجزه البريطاني المقيم في أبو شهر، وهو رجل إيراني من موظفي الشركة، اسمه مهدي علي خان في مقابل ٢٨٢٠ روية. وبهذا الاتفاق التزمت بريطانيا أن تؤيد حكام مسقط ضد الشعب العماني، وكان

وصول علي خان مسقط في ٣ أكتوبر سنة ١٧٩٨ م وبعد مفاوضات استمرت عشرة أيام، وقع في الثاني عشر منه أول معاهدة سياسية، ربطت بين سلطان عمان وبين بريطانيا. ويبدو من نصوصها أن الاحتياط ضد فرنسا كان مقصودًا.

واعترضوا السلطان ثويني في مواطن كثيرة.

واعترضوا ابنه السلطان سالم بن ثويني، فأزعجوه من مركزه عام ١٢٨٥، وقلدوا الإمام عزان رضي الله عنه مكانه قائمًا بالعدل.

ولا زالت حركات الشيخ صالح بن علي متوالية على السلطان تركي وابنه السلطان فيصل.

وفي عام ١٣٣٠ اشتدت حركة العمانيين على السلطان فيصل؛ لما وافق الإنجليز على منع الأسلحة من دخولها عمان، وقبوله المكافأة من البريطانيين، بمبلغ مائة ألف روبية؛ لإصداره ذلك. وكتبوا إليه يخوفونه العاقبة، فضرب عنهم صفحًا. وقد كتب بعض المسيحيين ما نصه:

إنَّ الأسباب التي من أجلها زحف أهالي عمان مرة أخرى على سلطان مسقط، قد سردها المس جرنز ودبل الرحالة، والمستشرق البريطانية في مقال كتبه في (نشرة الشؤون العربية) السرية في نهاية عام ١٣٣٤ هـ (٢٦ أكتوبر سنة ١٩١٦ م) عندما كانت تعمل مع نهاية عام ١٣٣٤ هـ (السربسي كوكس في العراق).

(أصبح حكام مسقط معرضين للنفوذ الأجنبي، الأمر الذي أفقدهم عطف القبائل في الداخل. ويعود سبب القلاقل الأخيرة إلى هذا النفوذ الأجنبي، وإلى اعتماد سلاطين مسقط على القوة البحرية العسكرية الأجنبية. وكذلك إلى خضوعهم

مرغمين للمطالب الأجنبية، فيما يتعلق بأمور المتاجرة بالرقيق والسلاح. وقد رأى السلطان الراحل السيد فيصل بن تركي، في قيام الحكومة البريطانية بالقضاء على تجارة الأسلحة فائدة جلية لنفسه، حيث أصبح رعاياه الثائرون عاجزين عن التزود بالأسلحة لاستعمالها ضده، إلا أن عدم ارتياح القبائل لذلك قد وصل إلى ذروته قبل وفاته). اهـ.

واعترضوا السلطان فيصل في أواخر رجب عام ١٣١٩هـ لما خرج كوكس الوكيل السياسي بمسقط عن إذنه على طريق صور؛ لتفقد مناجم الفحم الحجري ببجبال المشارقة؛ فإنه خرج وفي صحبته السيد تيمور بن السلطان فيصل، فأحس سيدي نور الدين أن القصد من ذلك التوغل في البلاد ودخولها بالسياسة، واجتهد أن يوصد الباب في وجهه حتى ينزع عن رأيه، فأعرب عن إحساسه هذا إلى أعيان العمانيين واستنهضهم على منعه، وحضهم على صدعه، وحيث إن منزلته غير مبهولة، ونصحه غير مستنكر؛ هاج الشعب العماني لذلك، واتفقت الكلمة على صدّه بكل ممكن. وأول من أدرك صدق مقاله، وصوب رأيه الشيخ عيسى بن صالح، فكان في جبهة الشعب العماني، وجاهر السلطان، فالتقى بهم بالموضع المعروف (أم اللحم) وكاد أن تسمى أم اللحم، كانت فيها مناوشات بينهم عثر فيها جواد (الجيولوجي) زميل القنصل برصاصة، أثارها عليه أحد الأعراب، فغضب السلطان لذلك، وكتب بعض جلساء الملك شعراً انتقص فيه الثوار، وتحامل على نور الدين تحاملاً فاحشاً، عاب عليه تحريفه وقيامه بحق الوطن ومعاكسة السلطان، فكتب نور الدين على ذلك جواباً ونصيحة للسلطان في شعر أعرب فيه عن إحساسه وشعوره.

كتب نور الدين نصيحة للملك فيصل بن تركي، وجواباً على قصيدة شاعره:

الصدق قُلْ وَذَرِ الْكَذْبَ فالصدق يُنْجِي في الْعَقَبِ
والحق فأنشره ولا تخش الدوائر تنقلب

ما قد قضي سيكون إن
 قل للذي في زعمه
 إن الذي خوفتي
 خوفتي ما ليس عنه
 الموت أخشى وهو في
 المسوت أولى من حياة
 الموت عند الحر أحلى
 فاركب من العلياء بالعم
 فإذا استويت على الذي
 وإذا المنايا عاجلتك
 قد خاب ذو علم إذا
 أخذ الإله عهدنا
 ربحت نجارة من وفا
 فالله قد ضمن الوفاء
 فالنفس تفدي ديننا
 والنفس أكرم عندنا
 فارجع لنفسك وانها
 واسمع أحاديث العُلا
 إن الذي أوضحته
 عز يغادر كل قلب
 عز يذكركم بها
 عز يبرهم أننا
 عز يبرهم أننا
 وبه يكسون العذر للسسل

هبت الفنا أو لم تهب
 أبدى النصائح ويك هب
 إياه أمسر لم يهب
 مهرب ممن هرب
 كل السورى حقاً وجب
 في المذلّة والتعب
 ممن دني يتركب
 سزمات أعلى مرتكب
 هموى فقد نلت الأرب
 فقد عذرت لدى الطلب
 لم ييسد الله الغضب
 أن لا نزين مخشب
 بالمهد يومنا واحتسب
 لمن وفي ولمن ندب
 لا نشري بالدين الذهب
 من أن تمان وأن تسب
 عن ذا التعرض للعطب
 ثملى عليك وتكتب
 وذكرث من شيم العرب
 في الأعادي مسضطرب
 وجدوه عننا في الكتب
 عن حالنا لن ننقلب
 للجسد أهمل والحبسب
 طان من أقوى سبب

إذ لم يكن عن راعيه
لكننا قوم خشنا
أنكمون ذمتكم لمن
والله يأمرنا بسأن
فانبلد إليهم عن سواء
والخصم لا يخفى على
سلب المال كباحتيال
وأنسى بخدادكم فقلتم
بستم وبيات ينوشكم
شمعوا دس إليكم
من هم أن يصطاد من
أبركم ولديه أخيه
كم وقعة تركت جما
كم عرصمة تركت ملو
كم غزوة تركت ذخا
أيكون منع هذا ودا
أبر خصم خصمه
ما خلفت أسلافكم
وسياسة تذر البعير
وبسالة يهتز من
لا بالخسدايع حريهم
لكنه ضرب يطم
وترى الأكف به نسا
وترى الدماء به تصب

ما كان منا وانتسب
الخدع منهم حين دب
بالخدع إيانا حرب
ننبذ إليهم أن تهيب
إن تخلف خدعا تُصب
كم حاله حيث انقلب
قد علمتم ما سلب
إنه الخيل المحب
بمكائيد لم تحتسب
تحت الليالي والحب
لم يخشيه مكرًا وقب
سار الأوائل تكتب
جهنم هشيئا محتطب
كههم عبيدا للعرب
نهرهم غنائم تُتهب
د أو صفاء مرتقب
وليه الأمور كما يحب
إلا الكنائس والكتب
مد من المعالي مقرب
ها الخصم رعبا مضطرب
والمكر ما كان السب
ير الهام طيران السحب
قط مثلل أوراق تجب
كمثل غيث ينسكب

— مع مثل برق من كُثب
 — مهم كأرمال الكُثب
 — بهم من العلياء طلب
 — صره ومن يخذل يتب
 — ليثيب منهم من أحب
 — نصر العباد بلا سبب
 — أمسر الله حذاء ضرب
 — د على الذي منه كتب
 — فإزوا بحسن المنقلب
 — كان الهلاك مدى الحقب
 — إن لم تداركته ذهب
 — ب لسه سبيل فليتنب
 — قولي عليكم قد صعب
 — تم أنسي الخضم الحرب
 — تم سيرقي لا تستحب
 — تم أنسي أعمى أدب
 — عة بالدراهم مجتلب
 — ست عليه والمولى يهب
 — ك فتسى به للدين جـب
 — البطن أو نيل النشب
 — يعلموها وهو الذنب
 — لتنا المليك بأن يذب
 — مال على اختلافهم رتب
 — سيا ومن يبغي الذهب

وترى المهند فيه يلبس
 مسع قلعة منهم وخص
 فغدوا نجوئنا يهتدي
 من ينصر السرحن ينس
 والله يلبس خلقه
 وهو القدير فلو يشا
 لكنسه أعطاهم
 لا ينقص ولا يزيـ
 فإذا مضى في طاعة
 وإذا مضى في غيرها
 والعمر حثماً ذاهب
 ولن عصى نهج النـ
 فأننا النصيح وإن يكن
 وأننا الشفيق وإن حسـب
 وأننا المحب وإن ظننـ
 وأننا البصير وإن رأينـ
 ما كان نصحي للبريـ
 لكنسه طبع طبع
 بيئس المجالس للملـ
 ما همـه إلا امتلا
 أو كلمة من سـيد
 يمارب إلههم رب دو
 واكشف له رتب الرجب
 لا يستوي من يطلب العلـ

فأخو السدراهم عينه
وأخو المعالي همه
ما كل من خطب المعالي
مثل الكريمه لا تزوج
تأبى العلاء ينزو عليه
لكنه من ليس يقه
فالعال والسيديا وإن
بل إنما تقوى الإله
فإذا رزقت مع التقى
من كان ذا نسب شه
تأبى عليه نفسه
والكامل: الرجل السدي
دارت به العلياء من
فنشأ تربيته السعا
ذو أنفسه لا تستط
شهم تهرى في وجهه
ندب يرى الأمير الع
ذمر يرى القاصي من
حر يرى فعسل الدن
جلد لمدي نسوب الزما
صلد يمساور عزمه
يلقى المنون كأنه
لا يشبهه إلا غيا
لا جسا زع يومه ولا

حيث السدراهم تحتلب
يعلو الثواقب والشهب
لي ناهما الما خطب
ذا الحياكة والريش
ها كل قاص مجتب
رع أنفسه مهما وثب
جاءا فليسا بالخسب
هي العلاء المكتسب
نسباً فأكرم بالنسب
ريف للمروعة يصطحب
رغسي السوخيم وإن عشب
حاز المعالي واكتسب
كمل الجوانب والرتب
دة والعناية منذ شرب
ع وعزة لا تستلب
أثر البسالة يلتهب
عظيم عليه سهلاً لصعب
الأشياء منه قد قرب
يكة كالحرام المرتكب
ن فلا تحركه النوب
صرف الخطوب إذا نسب
يلقى الحبيب المحتجب
فة ربه عما طلب
أسف إذا شمام العطب

ماض على حلو القضا
 راض بما قسم الإله
 فإذا دُعِيَ للممة
 وإذا يُسَامُ الخسف واثـ
 لا يُصنغ مهـ زور الـ
 متأمل ما يعرضـ
 كشفت له محض التجـ
 فهو الفتى فإذا ظفر
 ربحست يـ إذا غـدو
 هذا الذي يـديه من
 لا ينـصح السلطان إلا
 وعزيمة ونـ صيحة
 وشـ جاعة وبـ سالة
 أما الذي من ظله
 يا أيها الملك الذي
 انظر - هـ - ذلك الله - في
 ما قام عز في البريـ
 كالطود ليس بطيقـه
 فأين العـلا بجبال عز
 وارم العـدا بـ سهام من
 بأماجـد تُـم لهم
 لا يهربون من المنـو
 لا يهربون إذا تـو
 تلقـاهم وكمـأنهم

ء ومـره لا يـضطرب
 بفضله وبـها وهـب
 تلقاه أمضى من غضب
 بـ من يسوم على غضب
 سواشون قـولاً بالكذب
 لـه بفكر متحـب
 رب عن أمور ترتـب
 ت به فكفك قد تـرب
 ت مثل هذا مصـطب
 شاء العـسلا أن تتـصب
 من لـه رأي ثقب
 ومياسـة لا تقتـضب
 منه الأعـادي تـرب
 يخشى فلا يقـضي أرب
 حـاز المعالي والرتـب
 أهل المشورة وانتـخب
 عـة والرعاـع لـه سبب
 بيت بسقف من خشب
 لا يزعهـا الرهـب
 ترمي به حالاً تُـصب
 في الناس سـابقة الحـب
 ن إذا الكمـي لها رـهب
 جهت الكـماة إلى الهـرب
 في البـاس نـار تلتـهب

فأصلح - هداك الله - قو
 ما فيهم من يبيع غيـ
 فاجمعهم وأصلح أمـ
 فالعدل يكسو الملك إجمـ
 ما كان أول دولة
 فإذا تولى عدلها
 يارب طهر دينك الـ
 وانصره يارباه نـ
 نصرابه غسي النصا
 والحمد لله الذي
 لا زالت العلماء تنـ
 من قام فينا ناصحا
 نصح الملوك على الرعد
 فإذا تقبله فقصد
 أو لا فقد أعذرت إذ
 ثم الصلاة مع السلا
 السيد المبعوث بالـ
 والآل والسـ صاحب الأولى

مك تلق منهم ما تحب
 رك لو نهضت بما يجب
 رهم وشمر واحتسب
 لآلا على مر الحقب
 إلا بيه كان السبب
 فالملك عنها قد ذهب
 مرضي بالسيف المضب
 صرا يكشفن عنا الكـرب
 رى مثل ما كانوا ذنب
 قد ألهم النصيح المحسب
 صبح للملوك وتحتسب
 فهو السوفى بسما يجب
 نية واجيب لا مستحب
 ربحت يدها بها كسب
 أديت شرعا ما وجب
 م على النبسي المنتخب
 سيف الحسام وقد حـرب
 سادوا الأعاجم والعرب

وكتب المؤرخ المسيحي، كاتب سيرة كوكس على إثر هذه الحادثة (نقلًا عن كتاب شركة الزيت الأمريكية ص ٦٨): «إن المتحمسين من جماعة الأباضيين كانوا يرون أن فرض الرسوم الجمركية، عمل من أعمال الكفر؛ لأنه لم يحظ بموافقة النبي، ويعتقدون أن الرق دعامة مشروعة، تسند نظامهم الاجتماعي والاقتصادي. وقد اعترضوا على فرض أية رقابة على حركة تهريب الأسلحة، واعترضوا كذلك على

المعاهدات المعقودة مع الدول الكافرة، التي منعت الحكومة من التدخل في بيع التبغ والخمر، وكان هؤلاء المتحمسين متحمسون للأوربيين بوجه عام وللإنكليز بوجه خاص؛ ذلك لأن الإنكليز كانوا يتصدون لتجار الرقيق ومهربي الأسلحة، ولأن التجار الهندوس الذين كانوا يقيمون في موانيهم، كانوا تحت حماية الإنكليز، ومن تلك اللحظة راح كوكس -وهو ذو العين النافذة في شئون العرب- يتتبع أعمال عيسى بانتباه شديد». اهـ.

وكان كوكس المذكور هو الوكيل السياسي في ذلك الوقت بمسقط.

بيعة الإمام سالم بن راشد الخروصي

جاءته ما كان يدعًا من أئمتها	من جده ابن تميم المجد عزان
في ضئضئ العزة القعساء محتده	إذا تفرق آخر قحطان وعدنان
بذروة اليمجد الصيد الملوك له	أعراق مجد وآساس وبنيان

بويح الإمام سالم بن راشد الخروصي، في الساعة الثانية عشرة من يوم الإثنين الثاني عشر من شهر جمادى الثانية، من سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف بمسجد الشرع من بلدة تنوف.

وأول من بايعه شيخنا العلامة، سيد فطاحل عمان: عامر بن خيس بن مسعود المالكي، وألبسه الكمة والخاتم، ثم تلاه الشيخ الباسل العلامة أبو زيد عبد الله بن محمد بن رزيق الريامي الأزكوي، وهو الذي أمسك العلم الأبيض بحذاء الإمام.

خطب كل واحد من الشيخين: أبي مالك وأبي زيد خطبة بليغة؛ تحريضًا للناس، وحثًا لهم على البيعة لإمامهم والمناصرة له.

ثم بايعه بقية الأعلام، يرأسهم الشيخ العلامة عبد الله بن راشد بن صالح الهاشمي.

ثم الشيخ العلامة ناصر بن عامر الريامي.

ثم الشيخ العلامة عامر بن علي الشيداني الحبسي.

ثم الشيخ العالم محمد بن سالم بن زاهر الرقيشي.

ثم الشيخ العارف حمد بن مسلم بن عبيد الحجري.

ثم بايعه الأمراء والرؤساء، يقدمهم الأجد الأفخم، الأمير حمير بن ناصر بن سيف التبهاني.

ثم المشايخ العباهل أولاد هلال بن زاهر الهنائي.

ثم ازدحم الناس أفواجا الخاصة فالعامة. ولما انتهى الناس من مبايعته زحم نور الدين إلى الشيخ حمير حتى أسند ركبته إلى ركبته، وقبض على يديه، وأملا عليه عهدا مؤكدة، وشرائط موثقة، وإيما مغلظة، ليناصرن الإمام ولا يخونه ولا يخذله، ولا يعين عليه، ولا يغشه، وأن يكون معه على الحق، ما دام حيا ونحو ذلك من التأكيدات البليغة، فأعطاه ذلك من نفسه بصدق وإخلاص ورياسة جأش.

ثم زحف إلى المشايخ أولاد هلال، وأخذ منهم مثل ما أخذ من الشيخ الحميري، من العهود والشرائط والأيمان والتأكيدات الموثقة على نصرة الإمام، وحرب الجبابرة والبغاة، ولو لم يقم معهم أحد من أهل عمان فأعطوه ذلك.

ثم قام منتصبًا في ذلك المحفل العظيم، ورفع يديه إلى السماء مبتهلاً إلى ربه بصوت أجش، رعب منه الحاضرون، أن يعاقب من نكث، أو تخلف، أو نقض البيعة. والكل يؤمن على دعائه قائلاً: اللهم هذا مبلغ الجهد وعليك التكلان، فإن نكثوا فانتقم منهم كما فعلت بشمود وعاد. فكان لهذا الدعاء أثر عظيم في القلوب؛ وذلك لشدة تصلبه، جزاه الله عن الإسلام وأهله خيرًا.

نص البيعة: قد بايعناك على طاعة الله وطاعة رسوله، وعلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، وأن لا تقدم على أمر إلا برأي العلماء. وقد بايعناك على إنفاذ أحكام الله تعالى، وإقامة حدوده، وقبض الجبايات، وإقامة الجمعيات، ونصرة المظلوم، وإغاثة الملهوف.

لما تم العقد خطبت الخطيب، وأطلقت المدافع في تلك الساعة، إعلامًا بالظهور، ورفعت الراية البيضاء، وهي علم الإمامة عند العمانيين.

فأقاموا حكومة شعبية مستندة على الشريعة الإلهية، يديرها ولي أمر منتخب، مقيد في سلطته بمشورة العلماء، خضعت لها عمان وعشقها الباقون. وكان يعاصره بالمملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن، وبالمملكة المتوكلية اليمنية الإمام يحيى حميد الدين.

سئل نور الدين عن حكم هذه البيعة، فأجاب: إن حكمها حكم إمامة الخليفين، وإن لم أعقدها على القوم شراء.

وسئل العلامة أبو مالك، فأجاب: إن حكمها حكم إمامة الخليفين، رضوان الله وسلامه عليهما. والمراد أنها إمامة ظهور، وهل ظهور أعظم من ظهور الخليفين رضي الله عنهما؟!

بعد ما تمت البيعة، وصفق الكل على الرضى، قام شيخنا العلامة أبو مالك - رحمه الله وغفر له - خطيباً على رأس الإمام.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على أنواره الزاهرة، وأدلتها الظاهرة، وبراهينه القاهرة، وعلى ما أولى وأنعم، وهدى إليه وفهم، من النور الواضح الأبهج، والطريق اللائح الأبلج، وصلى الله على من ختم به الرسل، وأوضح به السبل محمد المصطفى وأمينه المجتبى، وعلى آله وكفى.

أمّا بعد، فإنَّ من أفضل ما أنعم الله به على العباد، واختصهم به يوم المعاد نعمتين: إحداهما: الرسول الهادي الذي لا يُصاب علم الدين إلا من قبله، والأخرى الإمام العادل الذي لا تصلح الدنيا إلا على يده؛ قال تعالى: {وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون}، وقال لإبراهيم عليه السلام: {إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين} تنزيهاً للإمامة، ورفعاً لقدرها، وتعظيماً لخطرها أن ينالها عات ظالم، أو يتحلّى باسمها باغ غاشم. وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((سبعة يظلهم الله في ظله...)) وذكر منهم الإمام العادل. وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَن مات ولم يعرف إمام زمانه؛ مات ميتة جاهلية)). قيل لبعضهم: جاهلية كفر؟ قال: بل جاهلية ضلال. وعن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((من بات ليلة ليس عليه إمام، إن مات فميتته جاهلية)). وهذا مع القدرة. وقيل: النظر إلى الإمام العدل عبادة. وقيل: إقامة دين الله يوماً واحداً أفضل من إنفاق ملء الأرض ذهباً صدقة على الفقراء. وقيل: عدل يوم واحد أفضل من عبادة ستين سنة. وقيل: الإمام إذا عدل يوصل الله بركة عدله إلى الأرض كلها، ويبقى عليه ملكه. ويقال: العدل يديم

الدولة، والشكر يزيد في النعمة. وإذا جار السلطان خرب العمران، ألا وإن الله تعالى قد منَّ عليكم بالاجتماع بعد التششت، وبالألفة بعد التفرق، ففتح بصائركم بنور الهدى، وبصركم من العمى، وأيقظ هممكم إلى طلب العلا، وبعث عزائمكم بعد طول الثوى، فمنَّ عليكم بهذي النعم العظيمة والمنن الجسيمة، وأنقذكم من الضلالة، وأخرجكم من الجهالة، فجمع على هذا الخير آراءكم، فاشكروا نعم الله عليكم؛ فإنَّ الشكر قيد النعم، وأوفوا بعهد الله يوف الله بعهدكم، وانصروا الله ينصركم الله ويثبت أقدامكم؛ ألا وإنكم قد دخلتم في أمر ما هو بالهويناء، فيجب عليكم أن تعرفوا حقه، وأن تؤدوا واجباته. ألا وإنني أعرفكم حق ما دخلتم فيه؛ بايعتم هذا الإمام، وأعطيتموه صفقة أيديكم على السمع والطاعة ما أقام فيكم كتاب الله وأحيا سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وسار سيرة العدل، واتبع آثار السلف من أهل الفضل، فيجب عليكم أن تعطوه ثمرة قلوبكم، وتبذلوا له النصيحة، وتنصروه إذا استنصركم، وتعينوه إذا استعان بكم، وتجيئوه إذا دعاكم، ويحرم عليكم غشه وغيبته وخذلانه، والمظاهرة عليه، والتقاعد عن نصرته. فإن قمتم بما وجب عليكم من حقه وحق غيره؛ فلکم فضل المجاهدين الصابرين، وأجر الصادقين الموفين، وكنتم خلفاً لخير سلف، أعز الله كلمتكم، وقوى دعوتكم، وردَّ عليكم نعمتكم، وأبلغ حجتكم، وكثر أموالكم، وكثر على الحق رجالكم، وصدق مقالكم، وشكر أعمالكم، ورضى آمالكم، ورتق الله بكم الفتوق، وأعطى بكم الحقوق، وأحيا بكم سنة الصادق الصدوق، وأخذ بكم أهل الفتن، وكان الله معكم وجعلكم معه، وكان لكم وجعلكم له، ودفع بكم الأسواء، وداوى بكم الأدواء، وأوضح بكم سبل الهدى. أدام الله سيرتكم، وأعز فصركم، وقوى قلوبكم، وطهر عيوبكم، ومكنَّ الله بكم الإسلام، ووصل بكم الأرحام، وجلا بكم الظلام، شد الله أزركم ووضع وزركم، أنار الله بكم الشرع، وأطفأ بكم البدع، سكن الله بكم

الروعات، وأذهب بكم الفرعات، وحقن بكم الدماء، وجلا بكم العمى. لا أراكم الله سوءاً، ولا شمت بكم عدواً؛ حمد الله أمركم، ومدح أثركم، ورفع قدركم، وقوى صبركم، وشكر شكركم، وأعاذكم جور المسالك ومحل المهالك. أدخلنا وإياكم دار السلام مع الحور في تلك الخيام، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر، ذلك الفضل من الله. وكفى بالله عليماً. وفعل ذلك لنا وجميع المسلمين أين كانوا. آمين يا رب العالمين. مكر الله بأعدائكم، وكادهم بكيد المتين، وأتى قواعدهم من حيث لا يشعرون، وفعل ذلك بأعدائنا، وأعداء المسلمين حيث كانوا، إن ربنا سميع قريب، ولدعائنا مجيب. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وصلى الله على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وعلى الأنبياء والمرسلين، وعلى الملائكة المقربين، وعلى صالح المؤمنين، وختم لنا على خير يرضاه، والحمد لله رب العالمين.

(ثم قام الإمام سالم خطيباً بالخطبة المأثورة عن أبي بكر اصديق رضي الله عنه).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، أحده وأستعينه، وأستغفره، وأؤمن به، وأتوكل عليه، وأشهدني الله بالهدى، وأعوذ به من الضلالة والردى، ومن الشك والعمى؛ {من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا}. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، إلى الناس كافة، رحمة لهم، وحجة عليهم، والناس حينئذ على شر حال في ظلمات الجاهلية، دينهم بدعة، ودعوتهم فرية، فأعز الله الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم، وألف بين قلوبكم أيها

المؤمنون، فأصبحتم بنعمته إخواناً، وكنتم على شفا حفرة من النار، فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا، كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ، فَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ؛ فَإِنَّهُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {مَنْ يَطْعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا}.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ، فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلِزُومِ الْحَقِّ فِيهَا أَحَبِّبْتُمْ وَكَرِهْتُمْ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِيهَا دُونَ الصَّدَقِ مِنَ الْحَدِيثِ خَيْرٍ؛ مَنْ يَكْذِبُ يَفْجَرُ، وَمَنْ يَفْجَرُ يَهْلِكُ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفَخْرَ، وَمَا فَخِرَ مِنْ خَلْقٍ مِنْ تَرَابٍ، وَإِلَى التَّرَابِ يَعُودُ، هُوَ الْيَوْمَ حَيٌّ، وَغَدًا مَيِّتٌ، فَاعْمَلُوا وَأَعِدُوا أَنْفُسَكُمْ فِي الْمَوْتِ، وَمَا أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ فَرِّدُوا أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ، وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ خَيْرًا تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ مُحَضَّرًا؛ فَإِنَّهُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكَمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ} فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَارْقُبُوهُ، فَاعْتَبَرُوا بِمَنْ مَضَى مِنْ قَبْلِكُمْ. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ لِقَاءِ رَبِّكُمْ، وَالْجَزَاءُ بِأَعْمَالِكُمْ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا، إِلَّا مَا غَفَرَ اللَّهُ؛ إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. فَأَنْفُسَكُمْ أَنْفُسَكُمْ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، أَفْضَلَ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، وَزَكَّنَا بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ، وَأَلْحَقْنَا بِهِ، وَاحْشَرْنَا فِي زَمْرَتِهِ، وَأَوْرَدْنَا حَوْضَهُ. اللَّهُمَّ أَعِنَا عَلَى طَاعَتِكَ، وَانصِرْنَا عَلَى عَدُوِّكَ.

(ثم قام أبو زيد يخاطب في العسكر، يحرضهم على الجهاد وسلوك منهج الرشاد)

فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام، وأكرمنا بالإيمان، ورحمنا بنبيه صلى الله عليه وسلم، فهدانا به من الضلالة، وجمعنا به من الشتات، وألف بين قلوبنا، ونصرنا على عدونا، ومكنَّ لنا في البلاد، وجعلنا إخواناً متحابين. فاحمدوا الله على هذه النعم، واسألوه المزيد فيها، والشكر عليها؛ فإنَّ الله قد صدقكم الوعد بالنصر على من خالفكم. وإياكم والعمل بالمعاصي، وكفر النعمة؛ فقلما كفر قوم نعمة ولم يسرعوا إلى التوبة؛ إلا سلبوا عزمهم، وسلط عليهم عدوهم.

أيها الناس؛ إنَّ الله قد أعز دعوة هذه الأمة، وجمع كلمتها، وأظهر فلجها، ونصرها وشرفها، فاحمدوه -عباد الله- على نعمه، واشكروه على آلائه، جعلنا الله وإياكم من الشاكرين.

أيها الناس، إنَّ الله سبحانه وتعالى قد أمركم بالجهاد، وحثكم عليه في كثير من آيات الكتاب العزيز، وعلى لسان نبيه محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، ومدح المجاهدين في سبيله بما لم يمدح به غيرهم، وفضلهم على القاعدين فقال: {لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجةً وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً}، وقال: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن هم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم}، وقال تعالى: {يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله

لعلكم تفلحون}، وقال تعالى: {إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص}، وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم * وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين * يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين}. فهذه الآيات ونحوها مرغوبة في الجهاد أي ترغيب. وناهيك بخصلة أخبرنا تعالى بأنه يحب صاحبها. فعلى العاقل أن يطلب محبة ربه، وأن يتبع مرشده التي أرشده إليها، ودله عليها، وقد أخبرنا تعالى: أن الصبر والمصابرة والمرابطة سبب للفلاح، وأن الجهاد بالأنفس والأموال هي التجارة المنجية من العذاب الأليم، وموصلة إلى جنات النعيم، وهي السبب لنصر الله والفتح القريب. وأخبرنا تعالى أن الشهداء أحياء عند ربهم، في قوله عز من قائل: {ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون}، وقوله عز من قائل: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين} ويقال: إن الشهيد لا يجد من ألم الموت إلا كقرصة قملة. وفي رواية: كقرصة نملة، وأنه يجاز من عذاب القبر ومن فتنة القبر. ويقال: إن الناس في هول الموقف والشهداء، على موائد تحت العرش يقولون: امضوا بنا ننظر كيف يحاسب ربنا عباده. وما من أحد يحب الرجوع إلى الدنيا إلا الشهيد، فإنه يجب أن يرجع إليها ليقاتل، فيقتل مرة

أخرى؛ وذلك لما رأى من سهولة الموت وكثرة الأجر، ولو لم يكن في الجهاد إلا فضل الشهادة لكفى، فكيف وفيه خير الدنيا والآخرة، فيه الظفر على العدو، وبه إقامة كتاب الله، وإنفاذ أحكام الله، وقهر أعداء الله. يُروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((كل حسنة ابن آدم تحصيها الملائكة الكرام الكاتبون، إلا حسنة المجاهد)) فإن جميع الملائكة الذين خلقهم الله يعجزون عن إحصاء حسنانه ولو زيد أضعافهم؛ وتعديل حسنة أذنهم رجلاً حسنة جميع العابدين، من أول الدنيا إلى انقضاءها. وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((الجهاد في سبيل الله خاتمة كل عمل، وكفارة كل ذنب)). وقيل: من حرّض رجلاً على الجهاد في سبيل الله؛ كان له مثل أجره، وآتاه الله ثواب نبي بلغ رسالات ربه، ومن ثبط رجلاً عن الجهاد، فلو يفتدى يوم القيامة بملء الأرض ذهباً لم يقبل منه، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تكفل الله للمجاهد في سبيل الله، ولا يخرج منه من بيته إلا الجهاد في سبيل الله، وتصديق كلماته أن يدخله جنته، أو يرده إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة)). وعن أبي أيوب الأنصاري قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((غدوة في سبيل الله أو رَوْحَة، خير مما طلعت عليه الشمس)). فلهذه الفضائل ونحوها كان السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم يبذلون الأنفس والأموال في الجهاد، ويرون ذلك من أفضل الزاد، وحديث حميد الطويل عن أبي حمزة المختار بن عوف قال: أدركنا الناس، وإن الرجل منهم لما يزداد من صلاة وصيام وأنواع العبادة، لكن لا تكون له رغبة في الشراء -يعني المبايعة على الموت- فيسقط من أعينهم، يعني أنهم لا يرون له منزلة عالية بسبب رغبته عن الشراء، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام يجاهدون المشركين على الدخول في الإسلام، فيستحلون قتل مقاتلتهم، وسبي ذراريهم، وغنيمة أموالهم، إلا من أدى الجزية من أهل الجزية وهم صاغرون، فدخل الناس في دين الله. وبعد أن

ظهر الإسلام في العرب أخذ النبي صلى الله عليه وسلم في قتال الروم حتى قبضه الله إليه، واختار له ما عند، بعد أن بلغ رسالة ربه، فلم يترك المسلمون دين الله سدى بل استخلفوا على أمرهم من رأوه أهلاً لذلك، واعترفوا بفضله بإشارات فهموها من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ألا وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقام بحق الخلافة وقاتل المرتدين من العرب، حتى ردهم بالرغم إلى الباب الذي خرجوا منه، وهو الإسلام. ثم أخذ في قتال الروم من جهة، والفرس من جهة، ثم اختار الله له ما عنده، فقبضه الله إليه، بعد أن استخلف على المسلمين عن رضى منهم من رضى أن يقوم بالأمر بعده؛ وهو ثاني الوزيرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا وهو عمر الفاروق، فقام عمر مجتهداً، وجاهد الروم والفرس وغيرهم من الأمم، وفتحت لهم الفتوح، وانتشر الإسلام في زمانه كل الانتشار، ثم اختار الله له ما عنده، فقبضه إليه شهيداً، ثم استخلف المسلمون عثمان، فكملت له فتوحات الدنيا إلا ما شاء الله، ثم وقعت الفتنة في المسلمين وبغى بعضهم على بعض، ورجع بعضهم بضرب رقاب بعض، فصار القتال يومئذ في الفئة الباغية حقاً لازماً، وفرضاً واجباً؛ لقوله تعالى: {فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله}. فقتال الفئة الباغية من واجبات القرآن؛ وإنما يقصد بقاتلهم إفاءتهم إلى أمر الله، وهو الحكم الذي حكم به في كتابه، وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم؛ فإن قتالهم على ذلك كقتال الكفار على الدخول في الإسلام. فهؤلاء يقاتلون على ترك الحكم، وأولئك يقاتلون على ترك الإقرار؛ غير أن هؤلاء عصموا أموالهم بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا تغنم أموالهم، ولا تسبى ذراريهم؛ لحزمة الإسلام الذي أقروا به ودخلوا فيه؛ وإنما حلّ قتالهم لأجل ردهم إلى ما تركوه من حكم الإسلام، فقد أبقى لهم الإقرار بالإسلام بعض الاحترام، فلا يقتل أسيرهم؛ لأنه صار مأسوراً موثقاً عن البغي قد أمن شره، وكذلك من تاب منهم إذا أمنت عودته؛ فإنه يخلى سبيله، وإن

خيفت معاودته إلى البغي، فإنه يحبس إلى أن يؤمن منه، ولا يجهز على جريحهم، أي لا يوفى بالقتل؛ وذلك من حبسته جراحته عن بغية. وأما إن كان الجريح مقيمًا على الظلم والبغي، أو كانت جراحته خفيفة غير حابسة له عن بغية، فسيبله سبيل أصحابه، ولا يتبع مدبرهم إذا كانوا منهزمين إلى غير فئة يلتجئون إليها، ولا يترجعون إلى حرب المسلمين وأمنوا معاودتهم، فإن كانوا منهزمين إلى فئة يرجعون بها إلى حرب المسلمين، ويعودون إلى بغيتهم وظلمهم، تبعهم المسلمون، وأخذوهم وحسوهم وأسروهم، إلا أن يأمنوا منهم، وشاوروا فيهم الإمام، إن كان لهم إمام، وإلا شاوروا أهل العلم. ومن صح عليه أنه قتل أحدًا من المسلمين قتل، وأجاز بعضهم أن يتبعوا ويقاتلوا عشرة أيام. وقول: ما دام أهل البغي على بغيتهم، فإنهم يقتلون مقبلين ومدبرين، إلى أن يفيثوا إلى أمر الله، ولا سبيل على أموالهم، معناه: ليس للمسلمين أخذها على وجه الغنيمة، وجاز للمسلمين حبس ما كان آلة لحربهم، ومعونة لهم على بغيتهم، ويجوز للمسلمين أن يستعينوا على البغاة بسلاحهم وبخفهم وكراعهم حتى تضع الحرب أوزارها، وما تلف منها في الحرب فلا غرم فيه، وما بقي منها فمردود إلى أهله، إذا أمن بغيتهم وتعديتهم، وانكسرت شوكة ظلمهم. ولا يجوز أن يقتل صبي ولا مجنون، ولا امرأة، ولا الشيخ الفاني - يعني ذا الشيبة الكبير - إلا من قاتل من هؤلاء فإنه يدافع، فإن قتل في الدفاع فلا شيء فيه، ولا تؤخذ أموال أهل القبلة، ولا تحرق منازلهم، ولا تُنسف دورهم إلا ما كان لهم قوة على بغيتهم، كالبيت الذي يتحصنون فيه، والأمتعة التي يتقوون بها على بعضهم، فلا بأس بتخريب ذلك عند المقاومة في الحرب، فإذا ألقوا بأيديهم، وفاءوا إلى الحق، امتنع التعرض لأموالهم، إلا ما كان من حق الله فيها، ولا أمان دون الإمام؛ بمعنى أنه ليس لأحد أن يؤمن أحدًا من أهل الحرب، إلا بإذن الإمام. فمن شاء أن يؤمن أحدًا فليأخذ في ذلك إذنًا من الإمام. ولا يجوز التعازي بالقبائل، فلا تقولوا: يا آل فلان،

ويا بني فلان، فإنها دعوة جاهلية وعصية وحمية لغير الحق. وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، ولكن تداعوا بيا أنصار الحق ويا أهل الإيمان ويا أهل القرآن ويا للمسلمين؛ لتكن حميتكم للإسلام وعصيتكم للحق لا للآباء، وبذلك تنالون فضل المجاهدين ودرجة الشهداء وهللوا لله، وكبروه كثيرًا، واذكروه كثيرًا، فبذكر الله تطمئن القلوب، وبالتهليل والتكبير، وملازمة الحق، ترزقون الظفر بالعدو، والنصر على الخصم، والهيبة في قلوب المعاندين، والمحبة في قلوب المؤمنين.

واعلموا أن الاجتماع رحمة، والفرقة عذاب، وأن قسمة القبائل التي اقتسم إليها أهل عمان إلى غافري وهناوي، هي من عمل الشيطان ومكائد العدو، وهي من أعظم مكائد إبليس؛ فالله تعالى يقول: إخوانكم في الدين. والشيطان يقول: وإخوانكم في الشف الغافري والهناوي. ألا فاتبعوا أوامر الله، واجتنبوا مكائد الشيطان، واحذروا غروره؛ فإنَّ الشيطان يعدهم ويمنيهم {وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا}، {إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير}، {واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم}. واعلموا أن التقوى هي العروة الوثقى، وهي باب كل خير ومفتاح كل مغلق، وهي المخرج من كل ضيق، وهي القوة على العدو، فيها تمسكوا، وبحبل الله اعتصموا، وعلى الله توكلوا إن كنتم مؤمنين، واحذروا التنازع في الأمور؛ فإنه أصل الفشل، ومفتاح كل شر، ولا تنازعوا فتفشلوا، ولا تحصدوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا، وفي الخير أنصارًا وأعوانًا، فيد الله مع الجماعة، {وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان}، واطلبوا النصر من الله، واستعينوا به، وتوكلوا عليه، {إن ينصركم الله فلا غالب لكم، وإن يخذلكم فمَّن ذا الذي ينصركم من بعده}.

هذه وصيتي لكم فاحفظوها، واعملوا بها، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر. ومن عرف قدر ما يطلب هان عليه ما يبذل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لا ملجأ من الله إلا إليه، ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

اللهم يا من بيده ملكوت كل شيء، ويا من عنده خزائن كل شيء، يا من له ما في السموات، وما في الأرض وما بينهما، وما تحت الثرى، أَلْفَ بين قلوب المسلمين، واجمع شملهم، وأظهر دعوتهم، وقوّ شوكتهم، وارفع رايتهم وأيد دولتهم، وقوّ سلطانهم، وأعز أمرهم، واخذل عدوهم، واجعل كلمتك هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى. آمين يا رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمين وآله وصحبه، وعلى الأنبياء والمرسلين، وعلى الملائكة المقربين، وعلى صالح المؤمنين، ختم الله لنا على خير يرضاه، والحمد لله رب العالمين.

وهذا ما قيل من الشعر بعد البيعة، وقد أحسن شيخنا العلامة أبو مالك وأجاد

حيث يقول:

حازت الفخسر تنوؤ	ولهيا الفخسر المنيف
آوت الأخير أزار جهراً	وبها اليوم صسفوف
نصبوا فيها إماماً	لاتدانيه السسفوف
في مجادى الثاني عصرًا	عسام لا غش يطوف
يوم ثاني عشر هذا الش	هر قد تم الوقوف
من خروص اجتبهوه	إنه العادل العفيف
سالم من كل شين	برعايه رءوف
هب له اللهم نصرًا	إنك الرب اللطيف
أظهر الحق شموشا	ليس يعرفها كسوف
عجل اللهم فتحها	أنت مولانا الرءوف

تعلسم السر وأخفى
وهو أقصى الجهد منّا
وعلى المختار صلي
ربنا رب لطيف

وقد ذكر المربن سالم الحضرمي - شاعر الجوف - صحة اجتماع المسلمين بتنوف في قصيدته اللامية حيث يقول:

جنود الله قد سبقت تنوف
إذ انتدبت لأمر سامي
فحار له أولو الأبواب حتى
فتم ما أراد وشايعته
بها عقدوا الإمامة واستعدوا
أقاموا سالماً لهم إماماً
من القوم الكرام بني تحروص
فسالم سالم من كل عيب
وناصره ابن ناصر حميري
فتى من آل حمير شمري
ولبت من هناة بنو هلال
أقاموا سبعة الأيام فيها
مناصحة وإنذاراً لنزوى

إلى الفضل المؤيد والمعالي
به يبيض مسود القذال
رأه بعضهم مثل المحال
جبال زلزلت ثم الجبال
وهم نفر كرهط أبي بلال
سلالة راشد زاكى الخصال
مآثر فخرهم عدد الرمال
وراشد راشد في كل حال
دواهي الحرب والنوب المضال
بعيد الصيت منقطع المثال
وكل منهم مثل الهلال
يديره الرأي والسبع الليالي
ولم يجدوا بنزوى من يوالي

اه المراد منها، وهي قصيدة غراء سنذكرها مستوفاة في محلها. وإلى هذا الاجتماع أشار شيخ البيان نابغة عمان، العلامة محمد بن شنحان في قصيدته البائية، وهي قصيدة فريدة تكاد تسيل عذوبة ورقة وانسجاماً. وستأتي القصيدة في محلها، ونذكر منها المقصود حيث يقول:

نحن من قمنا على السلطان إذ
 نحن قومنا وسكننا بها
 نعيش فينا قلوب للهدي
 جدبتنا نفحة وهيبة
 خرجت في الأرض تمحو بهاطلا
 دولة غراء كالشمس بها
 سهلة بيضاء لم تلف بها
 وهب الله لها من لطفه
 سله الله حسانا لامعا
 بايعته العلما والأمررا
 فهو فتاح الصياحي والقري
 زهت السدنيا به كالعيد في
 أمره شوري فلا خلف لما

جاء لا تركه أن ينكبنا
 فيها المعسوج والمضطربا
 وجسوم فيه تشكو النصبنا
 تجعل المنكر والجور هبنا
 وترد الظلم ممن ركبنا
 تشرق السدنيا وتسمو ربنا
 حرجا أو كسدا أو معتبنا
 سالما ذاك الإمام المجتبي
 يقطع الكفر ويخلو الغيها
 والبرايها فترقى منصبا
 وهو وضاح الصحاري والزبا
 أهله وافق دهرنا طيبا
 يرتضيه العلماء الثقبنا

ومن ذلك قصيدة التحرير المبرز جمعة بن سليم بن هاشل الخنجري الحارثي
 قال:

بشّر جميع المسلمين
 فالله أعلن بالهدى
 فجلت أشعته الدجى
 بأخي الهدى واليمن والـ
 الطساهر الشسيم الإما
 من لا يزال كاسمه
 من يمينه أوحى على
 متأنق غرض الحيا

بالنصر والفتح المبين
 صبحا لعين المبصرين
 والليل مشود الجبين
 تقوى أمير المؤمنين
 م العدل سالم الأمين
 عمرا وأخلاقا ودين
 الباغين وحسبنا بالمنون
 متأنق للعسارفين

متعـــــــــــــــــاظم متواضــــــــــــــــع
 الـــــــــــــــــدافع الـــــــــــــــــذمير الـــــــــــــــــذي
 خفقت لدعوتـــــــــــــــــه المعــــــــــــــــا
 وانحط من فيـــــــــــــــــه الـــــــــــــــــه
 من كل مصطلــــــــــــــــم المسا
 بمـــــــــــــــــدافع هـــــــــــــــــزت روا
 وزوابـــــــــــــــــع لفحــــــــــــــــت وجــــــــــــــــو
 وأذب بحرــــــــــــــــر غــــــــــــــــصص الأــــــــــــــــر
 فــــــــــــــــاءت لـــــــــــــــــه أــــــــــــــــجابهــــــــــــــــا
 عفر الســــــــــــــــماء بعثــــــــــــــــير
 صــــــــــــــــبك الـــــــــــــــــضلال وأهــــــــــــــــله
 فإذا المــــــــــــــــسمى كاســــــــــــــــمه
 يُــــــــــــــــزدي بــــــــــــــــأنجم رَجــــــــــــــــه
 بســــــــــــــــوابق تــــــــــــــــطأ الـــــــــــــــــلا
 تجري فــــــــــــــــلم يعلــــــــــــــــق بهــــــــــــــــا
 ما كان علم البرق فيــــــــــــــــ
 تعد بأســــــــــــــــد مالهــــــــــــــــا
 من أــــــــــــــــل نهــــــــــــــــان الجــــــــــــــــحــــــــــــــــا
 فهم المــــــــــــــــلوك بنــــــــــــــــو المــــــــــــــــلو
 وهــــــــــــــــم هــــــــــــــــمُ الأعــــــــــــــــلــــــــــــــــون في
 الــــــــــــــــسابقون الأولــــــــــــــــون
 وبنــــــــــــــــو هــــــــــــــــناة الغــــــــــــــــسالــــــــــــــــبو
 أصل الفخــــــــــــــــار وفرعــــــــــــــــه
 قــــــــــــــــسُ الســــــــــــــــورى بهــــــــــــــــم فــــــــــــــــم

للمعتـــــــــــــــــدي والمهتـــــــــــــــــدين
 يعلــــــــــــــــو الســــــــــــــــوغى وهي الرِّبــــــــــــــــون
 قل مــــــــــــــــسرات والــــــــــــــــحصون
 بالرغم مــــــــــــــــنهم ســــــــــــــــاجدين
 مع زاهــــــــــــــــق واهــــــــــــــــي الســــــــــــــــوتين
 جفــــــــــــــــها الســــــــــــــــهولة والــــــــــــــــحزون
 هــــــــــــــــأولى الـــــــــــــــــضلال المــــــــــــــــلــــــــــــــــحين
 ض فــــــــــــــــلم تــــــــــــــــبد الأــــــــــــــــنــــــــــــــــين
 متفوشــــــــــــــــة نفــــــــــــــــش العــــــــــــــــمون
 ترك الكواكــــــــــــــــب وهي جــــــــــــــــون
 ففــــــــــــــــدوا حــــــــــــــــصيداً خامــــــــــــــــدين
 أبــــــــــــــــداً مهــــــــــــــــين لا يــــــــــــــــين
 أهــــــــــــــــل الـــــــــــــــــضلال المــــــــــــــــارقيــــــــــــــــن
 غم والأخــــــــــــــــسادع والجفــــــــــــــــون
 لرجائــــــــــــــــها لــــــــــــــــحظ العــــــــــــــــيون
 هــــــــــــــــا أــــــــــــــــدجرت إلا ظنــــــــــــــــون
 إلا صــــــــــــــــوارمها عــــــــــــــــرين
 جحــــــــــــــــة الكــــــــــــــــماة المــــــــــــــــعلمــــــــــــــــين
 ك الأكرــــــــــــــــمــــــــــــــــون الأفــــــــــــــــضــــــــــــــــلون
 عليــــــــــــــــاءهم والنــــــــــــــــاس دون
 الــــــــــــــــسابقون الأولــــــــــــــــون
 ن علي البرايا الســــــــــــــــامقــــــــــــــــون
 والمجــــــــــــــــدد والعــــــــــــــــزز المتــــــــــــــــين
 ســــــــــــــــيزت الســــــــــــــــشال من الــــــــــــــــيمين

نهضوا وحمير ينشرو
 كشفوا جميعها للنهسي
 عين دولة سح الزما
 من بعد ما هدأت دوا
 كانت ولا عجب فلما
 فأتوا بها مشحوة
 تعمي عيسون أولى العمى
 تختال من سكر الضبا
 يزهو بها الدر المقص
 عن سعي من بالعلم والـ
 علّم الأئمة كلها
 الزاهد الأواه عبـ
 السالمي المحتسوى
 صبح المؤمل كعبة للـ
 الواهب الإبريز للـ
 بحر الندى حنف العبدى
 علف المناقب والمكنا
 بسصرى ونسور بصيرى
 هو عملى بل عدى
 مدحى ليه ومودى
 في الله لا في غيره
 نغم الفتى أجلى لنسا
 والمالكى المالك السـ
 شد أزره ومن أسستوى

ن الحق عن رأي رزين
 عن واضح الحق اليقين
 ن بها وكان بها ضنين
 عيها وأخلفت الظنون
 شاء الإله له يكون
 تبري رقاب الناكثين
 تهدي الهداة الراشدين
 تهتز من طرب ولين
 ل والأساور والبرين
 إيمان يعلو العساكين
 خسير البرية أجمعين
 شد الله زين العابدين
 للفضل وهو به قمين
 إحسان خير المحسنين
 عفان والدر الثمين
 وحيا ملاذ اللائذين
 سب والمصاحب والخمدين
 سهمي المسدد والمعين
 بل ملجئى في كل حين
 عن خالص السر المصون
 والله خير البشاهدين
 عن نهج خير المرسلين
 خيرات منقطع القرين
 ببطان همدىها الوضين

فَالله يَشْكُرُ سَمْعِهِمْ	وَالْمُسْلِمُونَ الصَّالِحُونَ
يَا مُسْلِمُونَ تَنْظِمُوا	فِي سَبِيلِكَ نَصْرَتَهُ الرِّصَالِينَ
صَبْرًا لِدَيْبِهِ وَرَابِطُوا	فَالصَّبْرُ عَنْهُوَ الْيَقِينُ
صِدْقُ الطَّوِيلَةِ بِالْوَفَا	وَالسَّرُّ تَسْبِيْرُهُ الْعِيُونُ
فَالله يَعْلَمُ مَسْنَكُمْ	مَا تَكْتُمُونَ وَتَعْلَنُونَ
وَالله يَنْصُرُ مَنْ وَفَا	وَالله يَخْذُلُ مَنْ يَخُونُ
وَالله يَنْصُرُكُمْ عَلَى	أَعْدَائِكُمْ قَوْلُكُمْ: آمِينَ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ	وَأَلِهِ وَالتَّوْبَاعِينَ

نسب الإمام سالم وولادته ونشأته.

هو الليث الهصور، والبطل الغيور، الإمام سالم بن راشد بن سليمان بن عامر بن مسعود، من نسل الشيخ عزان بن محمد بن مسعود، ابن الإمام عزان بن تميم الخروصي (نقلًا من خط الشيخ خلفان بن عثمان الخروصي)، ثم وجدت بعد ذلك بخط الشيخ محمد بن راشد، أخي الإمام المذكور مما نصه:

سالم بن راشد بن سليمان بن عامر بن عبد الله بن مسعود بن سالم بن محمد بن سعيد بن سالم الخروصي، والله أعلم أي أصح.

ولد رحمه الله ببلدة مشايق، من قرى الباطنة، في سنة واحدة وثلاثمائة وألف سنة

١٣٠١.

ونشأ في حجر والده الزاهد راشد بن سليمان، وعليه قرأ القرآن، وقرأ مبادئ العلوم ببلده، ثم خرج إلى بلد العوابي، وهي دار قومه بني خروص؛ لتلقى العلوم.

ثم هاجر إلى الشرقية لطلب العلم، وهو مراهق الحلم، وأقام بالقابل من الشرقية، فقرأ على سيدي نور الدين، وما فارقه منذ راهق الحلم، إلى أن ارتقى عرش الإمامة إلا وقت زيارته لأبويه وأقاربه. توفي أبوه قبل عقد الإمامة عليه.

صفته وأخلاقه: كان مربع القامة، نحيف الجسم، أنهكته العبادة، أبيض اللون، بهي الطلعة، أزج الحاجبين، تبين على وجهه سيما الصلاح، أعبد أهل زمانه وأورعهم، وأشدهم غيرة على محارم الله، عرف بذلك منذ صغره، ضرب به المثل في عمان قبل الإمامة وبعدها زهدًا وورعًا وعفافًا، ترى يده اليمنى ترتعش إذا دخل في الصلاة، وتسمع لصدره وجيبًا لا يحس بما يتحدث الناس به إذا دخل صلاته، حتى إنه ليغيب عن الكون إلى الجذب، لا تراه طول عمره إلا راکعًا أو ساجدًا.

كان قوته كفافًا، كان يقعد على البساط والأرض المفروشة بالحصباء. كان لا يحتجب عن الناس، يباسط إخوانه، ويحضرهم ما يحضره من الطعام، وأكثر ما يحضره القهوة البنية والتمر أو الرطب في أوانيه. وإذا حضرته فاكهة أحضرها لا يدخر الموجود، ولا يطلب المفقود. ولما تولى أمر المسلمين كانت حالته التعفف عن الأخذ من بيت المال جهده إلا قوته وقوت من يعوله بالمعروف. فمن ورعه أدركته فطرة الأبدان بعد فتح سمائل، فلم يجد شيئًا يملكه لأدائها، وأبى أن يقترض من بيت المال أو من الناس، فباع عباءته (المنسول) في عرف العمانيين، وأنفق ثمنها فيما وجب عليه.

ومن ورعه أن النفقة المقدرة له من بيت المال، كان الخادم يأخذها من الشيخ إبراهيم بن محمد السيفي يوميًا، فكان من قدر الله أن أصابه إسهال ولم يشكه لأحد، وانقطع بسببه عن الخروج إلى الناس، فذكرت زوجته ذلك للنساء، فوصفن لها هريسة الدجاج، فجعلت تقصر من النفقة لشراء ذلك، فعملتها له، فلما قربتها إليه

قال: من أين هذا لكم؟ فأخبرته، فأمر الخازن الشيخ إبراهيم أن يقصر بقدره من النفقة إلى غيره مما هو معروف وغير مستنكر ولا مجهول.

قام الإمام سالم بن راشد بما تحلى به من إظهار العدل أحسن قيام، وأجرى الأمور على أحسن وجه، وأتقن نظام، فأظهر الحق وعمل به، واستبشر المسلمون بطلوع شمس الهدى بعد أفولها، وأخذ في نزع الدولة من أيدي المتغلبين. وفي الحال في ليلة الثالث عشر من شهر الإمامة أرسل الكتب بالدعوة وإقامة الحجّة على عامل السلطان بنزوى، السيد سيف بن حمد بن سيف البوسعيدى، وكتب إلى أهل نزوى محلة محلة ومعقلًا ومعقلًا، ولم يترك أحدًا من أعيانها ووجوهها ومن عليه أي اعتماد في أمرها إلا كتب إليه، أن يجيب إلى مناصرة الحق، وأن يتقوا الله وألا يعينوا الظلمة، إلى غير ذلك من النصائح الناجحة.

وكتب للسلطان فيصل يخبره بما قام به المسلمون من العدل، ويدعوه إلى الدخول فيها دخل فيه المسلمون، وإلى الانقياد لأزمة الشرع الشريف، وأن له ما لهم، وعليه ما عليهم، وأرسل إلى سائر آفاق عمان ورؤسائها وأعيانها بمثل ذلك من الخطابات النافعة، ولبت بتنوف بعد عقد الإمام سبعة أيام؛ يدبر الأمر، ويراسل القبائل من أهل عمان إعلامًا وإعلانًا وحجة. وكتب أيضًا إلى الشيخ ماجد بن خميس العبري ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من إمام المسلمين، المعتصم بالله سالم بن راشد الخروصي، ومن معه من المسلمين، إلى حضرة المشايخ الكرام: الوالد ماجد بن خميس، ومهنا بن حمد ومن معها من المسلمين: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أمّا بعد؛ ففي آخر ساعة من

يوم اثني عشر من الشهر الحالي، وقعت البيعة من جماعة المسلمين، بعد أن استوثقوا لأنفسهم من الرؤساء بالعهود والمواثيق. وقد تم الأمر وخرجوا من الله النصر، ونحب وصول من خف من المطاوعة. وأنت أيها الوالد ماجد، لا بد من وصولك إلينا بتنوف، وقد أئزمناك ذلك بالبيعة التي سبقت على يد الشيخ عبد الله بن حميد السالمي، ندعوكم إلى إقامة كتاب الله وإحياء سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ندعوكم إلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ندعوكم لإغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم ندعوكم إلى التجارة التي دلكم الله تعالى عليها في كتابه العزيز في قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم}. يا قومنا أجيئوا داعي الله، والسلام.

كتبه عن أمرهم عامر بن خميس المالكي، في ليلة ١٣ من جمادى الآخرة سنة ١٣٣١ صحيح هذا كتبه إمام المسلمين سالم بن راشد الخروصي بيده.

فحين وإفاه الكتاب لم يتباطأ الشيخ حتى شد رحله، فكان أول قادم رحمه الله. وعنده بعض أعيان قومه، وكان هذا الشيخ عالماً جليلاً ذا سن وفضل، وكان ممن أدرك دولة الإمام عزان بن قيس رضي الله عنه، وعمل له على بهلا، وفرح باجتماع المسلمين؛ وبائع الإمام، وكتب إلى والي نزوى؛ لأنه كان يرأسه؛ ويقبل نصائحه، وهذا نص ما كتبه إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى جناب سيدنا وعزيزنا المحب الناصح سيف بن حمد بن سيف، سلام عليك
ورحمة الله وبركاته... وبعد فكتابك الأول والثاني الذين نسبتها إلينا، والشيخ مهنا
أشرف عليهما المحب، وعلم ما تصمناه من المعاني بداية ونهاية، ومع وصولهما كان
الشيخ مهنا ببلد بهلا، فتأجل الجواب لأجل ذلك، وأراد طارشاك الرجوع إليك،
فلم أر أشفي وأنجع لبلوغ المراد إلا وصولي لإمام المسلمين، ومن معه من المشايخ
لكشف المراد، فوصلت وعرفت مرادهم وما فيه وعليه، فوجدتهم على جادة
الصواب، بلا شك ولا ارتياب، وليس الأمر كما تصور في قلوبكم، أن الشأن لكي
يبلغ الخصم مراده، فإن الأمر الذي هم عليه هو الجدد، وما عداه هو المهزل، فمن
وافقهم على ما هم عليه، فقد وافق أمر الله، ومن خالفهم وعاداهم، فقد عرض نفسه
لسخط الله؛ لأنه على كل عبد من عبيد الله أن يطيع الله ورسوله وأولي الأمر أئمة
العدل، وعلماء المسلمين. والآن إمام المسلمين سالم بن راشد الخروصي والمشايخ
الذين بايعوه، وإني أحب لك ما أحبه لنفسني أن تطيع الله، ومن أطاع الله فإن حزب
الله هم الغالبون، وإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين. وهو من ماجد بن خميس بن
راشد العبري.

محرراً يوم ١٦ من جمادى الآخرة سنة ١٣٣١ ببلد تنوف.

وكتب أيضاً إلى مشايخ العلية من نزوى ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى جناب المحبين الكرام الحشام الأولاد علي بن ناصر، وسليمان بن عبد الله، ومحمد بن سليمان، ومن معهم من الجماعة الكنود. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد: فكتابكم الشريف أشرف عليه المحب، وعلم ما حواه بداية ونهاية، وقد أوجب النظر خروجنا إلى بلد تنوف؛ لتتعرف حقيقة ما عند إمام المسلمين ومن معه من مشايخ المسلمين، فوجدناهم مشمرين لإجابة مولاهم رب العالمين، فمن أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله، وتعرض لغضبه ومقته في الدنيا والآخرة.

وأوصيكم ونفسي بتقوى الله، وطاعة عبده إمام المسلمين؛ فإن الله يقول: {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم}، وهذا الإمام ومن معه من علماء المسلمين هم حجة الله، وهم أولو الأمر الذين أمر الله بطاعتهم، ولا يرغب عن ذلك إلا من سفه نفسه؛ وأطاع هواه، وكفر بنعمة مولا الذي سواه، ونحن قد بايعناه طلباً لمرضاة الله. والله نسأل الإعانة والتوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل. وأقول: إنَّ التخيل الذي ورد في القلوب، والتعلل بما لا فائدة فيه لا يسوغ؛ فإن الأمر ليس كما تظنون. اهـ. وهو من المحب ماجد بن خميس بن راشد العبدي، حرر ليلة ١٧ من جمادى الآخرة سنة ١٣٣١.

اجتمع للإمام بتنوف جيش جرار، وخميس كرار، وذلك بأن الشيخ الحميري أرسل بعد البيعة إلى قومه من السهل والجبل أن يجتمعوا، فسال الجبل الأخضر برجال بني ريام، فشدوا عضد الإمام، وخرج المشايخ من بني هلال لجمع قومهم من هناة، ووعدوا الإمام أن يوافوه ليلة التاسع عشر على سفالة نزوى، وقويت

لذلك شوكة المسلمين، وإذ مهدوا أمرهم وقرروا رأيهم، وكانت نزوى، وقويت لذلك شوكة المسلمين، وإذ مهدوا أمرهم وقرروا رأيهم، وكانت نزوى هي أقرب المعامل إليهم، وهي بيضة الإسلام، ووطن الأئمة في كل زمان، عزموا على الخروج إليها؛ لإخراج عمال السلطان، والاستيلاء عليها، ونشر العدل فيها. وكان الإمام قد كتب إلى واليها، فرجع جوابه بما لا يفيد، ولا يذعن للحق ولا للناصح الرشيد. وحاصل ما في جوابه، أنه أمين على نزوى للسلطان، ولا يمكنه أن يترك رعايته إلا أن يستلبها بالحرب العوان، فذلك الذي دعا الإمام رحمه الله على الهجوم عليها، مستعيناً بالملك الديان، فخرج الإمام ومن عنده من المسلمين والجيش كله من بني ريام، يؤمهم ذلك البطل الضرغام الشيخ الأمير حمير بن ناصر. وكان خروجهم عصر يوم الإثنين، التاسع عشر من شهر جمادى الآخرة، وهو شهر الإمامة، فكان طريقهم على بلد كمة، فصلوا بها العشاءين، واستراح الجيش قرب العلاية، ينتظرون النزار وأهل البركة، فوصلوهم قبيل الفجر، وعندهم الكتب التي أرسلها السلطان فيصل إلى عامله بنزوى، وذكر له فيها أنه لم يصله كتاب منه بالواقع من نهضة المسلمين، وعقدتهم للإمام، وأن الخبر بلغه من غيره، يوبخه ويلومه على ذلك، فقبض عليه بنو ريام القائمين بطريق السحامة بأمر الإمام، فأتوا بالكتب إلى الإمام. وكان العامل قد أرسل إليه رسولاً يخبره بالواقع، فقبض الشيخ حمدان بن سليمان على الرسول بالبركة، وأرسلها - أي الكتب - مع رسول إلى الإمام، فكانت كتب السلطان لا تصل إلى الوالي، وكتب الوالي لا تصل إلى السلطان. وذلك من أعظم البرهان لظهور الحق، إذ اطلع من كتبهم على الخلل الذي بالحصون، فقوي لذلك عزم المسلمين، وكان في أيديهم لما هاجموا نزوى ثلاثمائة فسكة أي (رمية) بلغة أهل عمان، وإنما عدتهم التقوى. وقد تحمل الشيخ حمير وأولاد هلال بما يحتاجه قومهم إلى الفراغ من حرب نزوى. أمّا الذي حمله سيدي نور الدين عند خروجه هذا فثلاثمائة

قرش فضة أخذها بالقرض من مطر بن حمودة الحجري، ورددناه إليه بعد وفاته، بعنا له ماله الذي ببلد الزاهب من بلدان الحبوس، بقي منها في أيديهم لما هاجموا نزوى عشرون قرشاً فضة.

فتح نزوى

تقع هذه العاصمة العمانية في قلب عمان، داخل النطاق الصخري للحجر، في سهل ضيق، تتخللها أودية، تنحدر غامرة بسيولها الموسمية، تقسمها نصفين، فتمتد عيون البلاد من عروق هذه الأودية، فهي كالوريد في بدن الإنسان، قد اكتنفتها الجبال من كل الجهات، فهي كسور أحاط بها، لا يتوصل إلى داخلها إلا من طرق مخصوصة، فتكون تلك المنافذ كأبواب عليها، تفجرت بها الأنهار فبعضها من قنوات، وبعضها من الغيول الجارية بها. ويسقت بها النخيل، وزهرت بها الأشجار، تأوى إليها فواكه الجبل كل غداة، وتمشي بها أغذية البحر، وهي المركز الرئيسي لإمامة الإباضية، وديانتهم وفقههم وعلمهم، وبها تتركز القوى الأدبية والدينية، ومنها تنطلق أوامر الإمام لتنتشر بين شعبه.

اتخذها الأئمة الأولون عاصمة ملكهم، وقد امتد أسطولهم إلى الخارج، وقهروا شطراً من الهند وإفريقيا فما رغبوا عنها، وأول من رغب عنها إلى مسقط السيد حمد بن سعيد بن أحمد، لما ولي أمر أبيه عام ١١٩٨ هـ وكتب في ذلك المؤرخ لوريمو البريطاني في مجلد ١ ص ٤١٩ مقالاً هذا نصه:

أخرجت حكام عمان من موقف كانوا يستطيعون فيه أن يحتفظوا بمنزلتهم بوسائل القدرة العسكرية والسياسية فقط، ووضعت في متناولهم دخلاً مضموناً

سهلاً من الرسوم الجمركية، ومكتتهم من أن يحتفظوا بسلطة شكلية بالرشوة وحدها، وعرضتهم بعد ذلك لتأثير حضارة أجنبية، أبعدتهم عن قبائل الداخل وقللت من شعبيتهم بين رعاياهم، ولو بقيت العاصمة في الرستاق، لكان من الممكن أن تتمتع عمان في القرن التالي بمزايا حكومة أكثر استقامة ونشاطاً. وكان يمكن أن يكون الفساد الخلقي للأسرة الحاكمة أقل سرعة. اهـ كلامه.

فنزوى عند العمانيين هي أرجح من غيرها، وتدلّك على ذلك الآثار الموجودة بها، وهي متوسطة بعمان، وتسمى بيضة الإسلام، واسمع إلى قول شاعر العرب أبي مسلم في ذكره لها:

وافرق بها اليد حتى تستين لها	ففرق على بيضة الإسلام عنوان
فإن تيامنت الحوراء شاخصة	لها مع السحب أكناف وأحضان
فحُط رحلك عنها أنها بلغت	نزوى وطافت بها للمجد أركان
فطالما وجدت تبغي لبانتها	كأنهن مع الأنضاء عقبان
انزل فديتك عنها إن حاجتها	عدل وفضل وإنصاف وإحسان
انزل فديتك عنها إن وجهتها	تحت الأئمة مذ كانت ومذ كانوا
هنالك انزل وقبل تربة نبتت	بها الخلافة والإيمان إيمان
انزل على عرصات كلها قُدر	للحق فيهن أزهار وأفنان
انزل على عذبات النور حيث حوت	أئمة الدين كيeman وظهران
حيث الملائكة احتلت مشاهدهم	لها على الحل والتعريب إدمان
أرض مقدسة قد بوركت وزكت	تنصب فيها من الأنوار معنان
ما طار طائرهما الله محتسباً	له جناحان إيقان وعرفان
إلا وقام يمين الله ساعده	والفتح والنصر والتأييد أعوان
ميمونة بركات الله تنفحها	والعلم يثمره علم وإيمان
رست بها هضبة الإسلام من حقب	وإن قضت باستتار العدل أحيان

قديمة الذكر عاذ الدين عائدها من يوم أصبح توحيد وقرآن
 قامت بهاقبة الإسلام شاذة حتى تواضع بهرام وكيوان
 فلم نزل عرصةً للعلم عاصمة للاستقامة فيها الدهر سلطان
 كم أشهر الله فيها من حسام هدى كأنهم السيف الله أجفان
 كنانة لسهام الله ما فرغت مذ كان للجور سلطان وشيطان

زحف الإمام بجنود الله يحفهم النصر ويؤمهم الظفر، فأقام الحرب على نزوى أسبوعاً.

كان دخول الإمام والشيخ الحميري من قبل العلاية، وكان الموعد بينهم وأولاد
 هلال أن يقدم بنو هناة، يجمعهم على السفالة في تلك الليلة، حتى يشغل كل بجهة،
 وتندفع ثورة الخصم. فمن قدر الله أن تأخر مشايخ هناة عن الوعد؛ لفتنة وقعت بين
 جماعتهم، فرتق الله فتقها، فأصبحوا غرة ذلك اليوم، وما فاتهم إلا ليلة واحدة
 وعندهم زحف من جماعتهم، يؤمهم الغضنفر الباسل زاهر بن غصن وأعمامه: محمد
 وعبد الله وسالم بن بدر وإخوانهم، وقد أحرق الجيش الأول بالعلاية، وضيّقوا على
 ملاحتها ومقابضها، فهجم مشايخ هناة على السفالة من طريق العلاية، وإنها لتقر
 لهم بالرياسة؛ لأن أباهم هلالاً كان أميراً عليها، فسلمت لهم الأمر، ونزلوا في بيت
 السيد سيف بن حمد؛ لأن الله أخرجه منه إلى العلاية، لما سولت له نفسه أن يرد جنود
 الله من هناك. فكان من قدر الله وغريب الحظ أنه أول جريح أصيب بالمدة، فخرج
 بجراحته، وتحصن بالجامع، ودانت لهم قلاع فرق قبل فتح نزوى، ودانت لهم
 السفالة إلا القلعة، فإنها سلمت الأمر بعد ذلك، وكان أنصار الإمام قد استقل كل
 منهم بحرب محلة من محلات نزوى، فالشيخان أبو زيد ومحمد بن سالم الرقيشي
 تكفلا بالمدة، وهي أحصن محلة بعلاية نزوى، وكان الوالي سيف بن حمد قد جعل
 فيها وزيراً الشيخ ناصر بن خميس السيفي محامياً في عدة قوية من أهل السفالة؛ لما

يخشاه من خيانة أهل العਲاية إذا أتاهم جماعتهم بنو ريام. وكذلك فعل في جميع المقابض؛ لأنه كان شجاعاً بأسلاً، مجرباً للحروب، وبقي بمن معه من أهل السفالة، متأهباً لأول صارخ، وعسكر بجامع العلاية. وكان مسجد الجامع من أعظم معازل العلاية، وفيه بنيان قوي، أعده الشيخ هلال بن زاهر رئيس بني هناة في عصر السلطان تركي بن سعيد؛ لأنه يحاذر من بني ريام؛ لكونهم خصمه، فأعده هنالك لهم مقبضاً عظيماً، وصيره حصناً حصيناً، بعد ما كان عامراً برجال العلم، غاصاً بحلق الذكر. ولضعف حفظ العامل أخرج من السفالة أهلها، فقاتل بهم في العلاية. أما الإمام ومن معه فنزلوا بالمرقع من أعلى نزوى، فكان فالاً لعلوهم ورفعته، وكان هجومهم عليها سحر يوم العشرين. وعند الفجر الأول كانت الزحفة العظيمة، فلا تسمع إلا دوي البنادق وهيعة الأبطال، وعظم الخطب والنزال، وتحصن السيد سيف بالجامع، لما أثختته الجراحة، واتخذوا نفقاً للبيت الكبير بالمدة، فنزل الشيخ ناصر السيفي منه، قبل تمام النفق. وكان السيد حارب بن حمد أخو العامل سيف بن حمد قد تحصن بالحارة المعروفة بحارة الحديثة، وعنده جماعة من قومه. ثم طلب النزول منها على العفو عنه، ومن معه، وأن يسمح له والخمسة نفر من أعيان قومه، يحمل السلاح عند نزولهم، فأجابه الإمام أن تنزل على حكم الله فيك ومن معك. ولا سبيل على حمل السلاح عند نزولك، ولا بأس بالخناجر لك وللخمسة الذين عندك إكراماً لكم. أمّا بقية أصحابكم فليكن سلاحهم عند أميننا، وسيرد واليهم بعد الإذعان والاطمئنان، وطلب السيد حارب من الإمام أن يرسلني إليه، وأن نفسه لا تطمئن إلا بذلك، فخرجت بأمر الإمام، يصحبني سليمان بن ناصر العزري المعروف بزايد شر وخويطر مولى الجحاحيف، فنزل السيد حارب ومن معه، وحمل كتارة زيادة على الخنجر المسموح له بحملها، فوبخني شيخنا المالكي؛ إذ لم أمنعه من حملها، ولم يقل الإمام شيئاً، طلب السيد حارب من الإمام

العفو عنهم، فاستشار الإمام العلماء، فرأوا الصفع عنه، وإلزامه بالقيد حتى يتم فتح نزوى، فأمر بإلزامه واثنين من أعيان قومه معه، وهم: سليمان الوالي، وراشد بن جمعة القسيمي، فقام إلى القيد، ولسان حاله ينشد:

خذاني فجراني ببردي إليكما فقد كان قبل اليوم صعباً قيادياً

وأشد بعد ما لبس حلق الحديد بيتين عن أبي العتاهية:

يا أيها الزمن المذل لأهله ومغير الدولات عن حالاتها
إن كان عندك يا زمان بقية مما تهين به الكرام فها هنا

وبعد تمام فتح نزوى، أطلق السيد حارب وسلم للمأسورين سلاحهم، ولم يفقدوا منه شيئاً، مع تكاثف تلك الجموع العظيمة.

ثم سلم بيت السليط، وأذعن من فيه، وسلم الجامع الأمر وسلم عقيد القلعة. وكان تسليم القلعة والجامع، وقتل السيد سيف نفسه في يوم واحد. ولما فرغ الإمام من أمر العلاية، وكفى الله شر الوالي سيف بن حمد، أتاه الداعي من هنا أن السفالة تم أمرها، وأنها سلمت القيادة، وألقت الزمام بمهاجمة الأبطال الذين حنكتهم التجارب، القائل بأفصح لسان:

جلبت الخيل من برهوت شعناً إلى قلعتات من أرضي عـمان
قتلت بهما سراً بني قباذ وحاميت المعالي غـير واني

وكان عقيد القلعة حضرمياً، وعساكر بيت السليط حضارم. واختار السلطان عساكر نزوى أيضاً من الحضارم؛ لجرائتهم ولكونهم أجانب لا يحترمون الوطنيين، ولأنه يخشى استبداد عامله السيد سيف بن حمد، إن ترك أزمة الأمر بيده؛ لأنه يدعيها، فقد كانت بيد أبيه قبل الإمام عزان بن قيس.

في أثناء الحرب بنزوى وصل كتاب من أمير العبريين، لما بلغهم جراح سيف واستتصال الإمام لأكثر معاقل نزوى، أنه سيصلهم بجيشه، فأجابه الإمام: إن من دخل نزوى وقت الحرب فهو حرب لنا، فكفوا عن الوصول، فكفَّ وبعد ذلك قام إلى العوابي، وسيأتي ذكر ذلك في محله.

لما أيقن عامل نزوى بفتحها للإمام انتحر غيظًا وحنقًا، في الحصن المسمى بجامع سمد نزوى، يوم الرابع والعشرين من شهر الإمامة. وكتب في ذلك كتابًا بخط يده:

«إنَّ الموت خير من الحياة، ولا يظن أن أحدًا فتك بي؛ بل قتلت نفسي بيدي والنار ولا العار».

وكان قبل ذلك قد طلب من الإمام أن ينزل على يد شيخنا العلامة المالكي، وله العفو، فأرسل الإمام العلامة أبا مالكي إليه، وكان ممن شدد الحصار عليه؛ إذ كان بنفسه رحمه الله يغدو ويروح لمراقبة الجامع. ولما دخل عليه تكلم سيف عنده، وشرط شروطًا؛ منها أن يكون الجامع لي منزلاً، وأن تكون الرويشية بيدي، وهي بستان لبنت المال، وأن ما حواه الجامع من مال وآلة حرب هو لي، إلى غير ذلك. فما رأى العلامة له وجهًا وعده به على رأي الإمام، وما لا وجه له رده عليه، ثم سأله عن آلة الحرب والذخائر التي عنده لبنت المال، فقربها إليه، وأحصاها العلامة ضبطًا، فخرجوا عنه، ووعدهم أن يأتوه غرة غد المقبل، بعد استفهام الإمام، فيما يسمح له به. وتقدم أنه جرح أول هجوم الجيش إلى نزوى برصاصة في صدره، خرجت من الجانب الآخر، وقد أثختته الجراح. وأكثر ما يحاذر سيف من أبناء الشيخ هلال بن زاهر، لما تقدم من قتله لأبيهم هلال. فلما رجع العلامة أبو مالك إلى الإمام، وأخبره بخبر سيف، أحضر نور الدين الأنصار، وتكلم عن لسان الإمام،

وأخبرهم بما جاء به العلامة أبو مالك أن سيف بن حمد عزم على النزول، وأن لكم عليه دمًا، وبينكم وإياه ضغائن. ونحن قد عولنا على العفو عنه؛ لأنه طلب منا ذلك، ولكونه جريحًا لا نرى أن نجهز عليه بعد الإذعان، وإنا لا نرى الغدر بعد الأمان، فهاذا ترون، فتقدم في الجواب الهزبر الباسل زاهر بن غصن، وكان زعيم هناة فقال: كأنك بهذا الخطاب تريدنا. فقال له: أجل. قال: إنا لم نتأخر عن سيف هذه المدة الطويلة إلا عجزًا، وقد مددنا الوسائط المتلفة والحبائل الموصلة لحثفه، فأعجزنا القدر من بلوغ الأمل وليس من شيمتنا قتل الأسير، ولا نرى الغدر به أخذًا بالثأر. ولو فعلناه فلا نخش من قبلنا محذورًا؛ إنا نحن نطلب من الإمام العفو عنه والأمان له، وهو رجل منا؛ له ما لنا، وعليه ما علينا، فسر المسلمون بجوابهم الجميل. وخرج الشيخ زاهر صحبة العلامة أبو مالك؛ ليطمئن قلب سيف، وكان في صحبتهم الشيخ العلامة عبد الله بن راشد الهاشمي، فلما وصلوا الجامع على الوعد السابق، تلقاهم العسكر، وأدخلوهم الجامع، وأعطوهم كتاب السيد سيف، وأروهم إياها طريحًا منتحرًا، والبندقية في رجله، قد وضع على مثار النار حطبة مروحة، فكان حثفه على يده؛ آخذًا بقول الزباء: بيدي لا بيد عمرو. وما كانوا ليغدروا به، ولا يرون إلا استبقاءه، ولكن قلم القضاء سبق بها كان وما سيكون، والله في عبادته أمر هو بالغه آل سعد الله، وجاء أصهاره يستفتون في الصلاة عليه، وأجابهم نور الدين: إن في الصلاة عليه قولين. ولما رجع أبو مالك، وأخبر الإمام بالواقع من أمر سيف، وذلك قبل تمام فتح نزوى حكم نور الدين أن أموال سيف بن حمد صافية، فأمضى الإمام حكمه، وأدخلها في حكم بيت المال.

كتاب الإمام لعقيد القلعة بنزوى:

بسم الله الرحمن الرحيم: من إمام المسلمين سالم بن راشد الخروصي، إلى العقيد عبد الله بن أحمد الحضرمي: سلام على مَنْ اتبع الهدى، أما بعد؛ فانزل من معقل المسلمين، وإلا فأذن بحربٍ من الله ورسوله.

حرر ليلة ١٣ جمادى الثانية سنة ١٣٣١.

لما نزل العقيد واطمأن به المجلس، سأله بعض الحاضرين: كيف خرجتم من القلعة، مع ما لكم من العدة والقوة والمنعة، فأخبر أنهم رأوا اضطراباً في أركان القلعة، وأدهشني من أول وهلة كتاب الإمام، وأخذني الرعب حين قرأته ما هو إلا كتاب سليمان إلى بلقيس، وها أنا أخرج به إلى حضرموت حتى أريه أهلها.

يذكر أهل المعادل والمقاتلة بنزوى، أنهم رأوا ما أدهش عقولهم من الأهوال، وإلى ذلك أشار شاعر العرب:

ونصرت الله حتى إنه	لك من أهل السما الجنود نزل
ولقد يجدر من أهل السما	نصرة القائم في خير النحل
تلك بدر نزلوها مدداً	وعلى بدر قياس يحتمل
وفتوحاتك سر مددهش	ظهر فيها الكرامات الأول

ويقول شاعر الجوف المر بن سالم الحضرمي:

أبادتهم جنود لم يروها	ومنها ما ترى مثل السعال
وخيلت الأفاكل في المهامي	لهم وقع الفوارس والبغال
ومن يعصي البقين جبال إنك	فأبطل للعصي وللجبال

جملة من قتل من البغاة بنزوى خمسة وأربعون رجلاً، والأساري فوق الألف، واستشهد من أصحاب الإمام خمسة رجال.

بعد تمام فتح نزوى، واستقرار الإمام بها، حكم نور الدين بهدم ما بها من القلاع والحصون والبروج التي أحدثت أيام الجور، فأمر الإمام بإنفاذ الحكم فهدمت.

لما حضرت أول صلاة جمعة بنزوى، واجتمع الناس بجامعها، حضر نور الدين المسجد فسمع ضجيج الناس بتلاوة القرآن والصلاة والدعاء، فقال: الحمد لله الذي ردّ إلينا جمعتنا، لو لم يكن لنا من هذا السعي إلا إقامة الجمعة لكفانا.

وفود القبائل إلى الإمام ومبايعتهم له

بعد استقرار الإمام بنزوى، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويميت البدع، ويحيي السنن، هُرع إليه المسلمون من كل النواحي، ولأنه لم يلبث بها بعد الفتح إلا سبعة أيام حتى خرج للجهاد، فكل من الوفود أدركه بمكان.

فأول من وصله -لما كان بتتوف قبل فتح نزوى- العلامة ماجد بن خميس العبري، حسبما ذكرناه، وعنده بعض أعيان جماعته. وكان الشيخ مطاعاً في قومه محترماً، مقبول القول، عن رأيه تصدر الأوامر والمناهي، عظمه الناس لمنزلته في العلم والسنن، ولما وقر في قلبه من الإيمان.

ثم وفد إليه الشيخ حميد بن خليفين الدرعي، رئيس النجادة من الدروع، فبايع وتكفل عن الدروع أجمع.

ثم وفد إليه بنزوى الحجريون، وفيهم جمع غفير من أفاضلهم وأعيانهم، ومعهم عدة من المال إعانة للدولة، وكان وصولهم يوم الجمعة الثاني من شهر رجب الفرد من تاريخ الإمامة، فبايعوا الإمام بالجامع بعد صلاة الجمعة، فقويت شوكة

المسلمين، وسر بوصولهم الأنصار؛ لكونهم في ذلك الوقت قبيلة واسعة، عامرة بالمال والرجال، ورأيهم إلى أفاضلهم.

وقدم إليه رئيس عبري الشيخ سلطان بن راشد اليعقوبي، فبايعه، وأذن لما يراى منه، ووعد وعدًا جميلًا، إذ كان هو عمدة الظاهرة، وما اشتمل عليها، ولأن عبري كرسىها.

ووفد إليه المجاعلة سعد بن سعيد ناصر وإخوته؛ وهم شيوخ الجنبه، بطن من مذحج، فبايعوا، وقاموا بالواجب عليهم.

ثم وفد عليه شيوخ المحاريق من آدم فبايعوا، وترادفت الوفود من أهل الجوف والسر، واضطربت عمان بأسرها. وصار لذكر الإمام في ذلك الوقت صيت عظيم، وكتب نور الدين إلى الأمير عيسى يستحثه بالقدوم إلى الدخول فيما دخل فيه المسلمون كتابًا طويلًا منه: إلى متى ثم إلى متى، ثم إلى متى، وكان قد كتب إليه منذ يوم العقد، وكتب إليه عند خروجهم إلى نزوى، فلما وصل جيرانه آل حجر قبل وصوله، كتب ذلك إليه إزعاجًا.

وعند ذلك شدد السلطان على عمان، وقطع المدد عنها، فغلت الأسعار الاقتصادية، وأخذ العمانيون في استجلاب حوائجهم بالحيلة، فلم يكن لقطع الميرة عنهم كبير فائدة لخصمهم.

فتح منح

وهي كورة واسعة، من أفخم بلدان عمان سهيلي نزوى، بينها ونزوى ثلاثة فراسخ، تجمع قرى كثيرة، يردها الوارد من جميع جهاتها.

في أثناء قيام الإمام بنزوى، بعد فتحها، وهو اليوم الثالث من شهر رجب من التاريخ المتقدم، وصل نزوى سيف بن سلطان البوسعيدي، عامل السلطان على منح، في جمع من قومه وأهل بلده، وفي صحبته أخوه شيخ البلد حمود بن سلطان، وأذعنوا للإمام وبايعوه. وكان ابن الشيخ حمود ممن قام بمن عنده لمناصرة عامل نزوى وقت الحرب، فقتل وقتل جماعة من حزبه، ولما فتحت نزوى لم يكن من أهل منح إلا الطاعة والتسليم للإمام من غير حرب، فسلم والي منح ما بيده من بيت المال، ونزل من الحصن والقلعة التي بالفيقين، ورفع يده عن كل شيء، وسأل العفو عما مضى منهم، فعفى عنه، كما هي عادته، وأرسل إليهم بعد خروجهم عند الشيخ سالم بن بدر بن هلال الهنائي لقبض المعازل من يد الوالي، فسلموها له.

فتح أزكى

وهي المعروفة عند أهل عمان بجرنان، وكانت من أقدم قرى عمان، وفي التاريخ أن عمارتها قبل نزوى بسنين عديدة ويقال: إنها سميت جرنان باسم صنم كان بها، ويذكر أهلها أن بها سفتجاجة تمثال، ولطول الدهر امتنع دخوله لأهوال يصادفها من أراد ذلك. وفي المثل العماني: ما وقعت فتنة بعمان إلا وأصلها من جرنان. وبها محلتان

مقابلتان؛ تسمى إحداهنّ اليمن، يسكن اليمانية، والثانية النزارة، يسكنها النزارية، وفي ذلك يقول شاعر العرب أبو مسلم:

وأبن أركى وطيس الحرب ما فعلت فإن عمدة هذا الأمر جرنان

كان بأركى عاملاً للسلطان السيد سعود بن حمد بن هلال رحمه الله. وكان مؤمناً ورعاً صادقاً، محباً للمسلمين. ولما بلغه اجتماع المسلمين سرّاً بذلك سروراً عظيماً، فأرسل للإمام سرّاً، ووعدهم بتسليم أركى لهم، وأنه لا يمنعه من الإعلان بأمرهم والدعاء إليه إلا العسكر الذين معه، فإنه يخشى منهم المعاجلة والتيقظ، فيصعب الأمر؛ لأن عسكره من أهالي حضرموت، فهم أشد نكاية على المسلمين، وأكثر مناصحة للسلطان، فأرسل إليه الإمام سرية، يقدمها العلامة أبو مالك عامر بن خميس، وعنده الحجريون ومن انضم إليهم، وقد بلغهم أن السيد حمود بن حمد أخا العامل سعود بن حمد وصل إلى أركى لضبطها وسد ثغورها، وكان حمود شهيداً جريئاً من أجل قواد السلطان، فيأتيه بالعدة والعدد، وما يحتاج إليه من القابلات، فخرج حمود وهو على ثقة من أخيه، فوافق خروجه من البلاد ودخول أبي مالك لها، فأحكم ثغورها، وأحرق بالحصن، فكان وصوله عوناً للسيد سعود، فاجتمع به بمسجد الجامع من حارة اليمن، وأخبره بما جاء به من قبل الإمام، فأظهر السرور وأجابهم: إني ما قعدت هنا إلا رجاء لقيام دولة تلم الشعث، وتجمع الشمل، وما أمسكت هذا المغفل إلا للمسلمين، وإني واحد منكم، فسرهم ما أبداه لسانه الصادق من النصيح، فكتب للإمام بذلك، ورجع السيد لحصنه، ودبر الحيلة لإخراج العسكر منه.

وفي ليلة التاسع من شهر رجب، من سنة الإمامة، وقت صلاة العصر بعد صلاة جمعتين بنزوى، خرج الإمام وصحبته القواد والأنصار والعلماء والأخيار، وقد استخلف على نزوى الشيخ العلامة ماجد بن خميس العبري، فصلى العشاءين بفرق

وبات بالبركة ليلة عاشر، ووصل أزكى نصف النهار من يوم عاشر، وقبل وصوله الإمام وصل السيد حمود بن حمد راجعاً من حضرة السلطان بما أحب، فتعجل القدوم إلى بلد سيدي، وهي من أعمال أزكى، وما ظن أنه أخرج خدعة، فلما وصل الإمام كتب إليه صحيفة صغيرة لا يباض بها.

بسم الله الرحمن الرحيم: من إمام المسلمين وحجة رب العالمين: سالم بن راشد الخروصي، إلى حمود بن حمد بن هلال؛ أمّا بعد؛ فإذا وصلك كتابي هذا فارتحل من سيدي، وإلا فإن الشريعة أباحت دمك. اهـ.

١٠ من رجب سنة ١٣٣١.

فلم ير السيد حمود مجالاً للقيام، ولا مقابلة عنده؛ لخذلان الرعايا لهم، فرجع إلى سمائل.

وفي اليوم الثاني عشر من الشهر المذكور، نزل السيد سعود من الحصن، وتقدم إلى الإمام بمسجد الحبيب من أزكى وبإيعه، وسلم الحصن من غير حرب؛ بل رغبة منه. فرأى الحضارم وعقيدهم عوض، أن لا طاقة لهم بالحرب، وقد قهر الحصن عليهم بنو راشد أهل القريتين، فإن السيد سعود دخلهم مستعيناً بهم في الظاهر، فأنزلهم بالقلع المشرقة على مراصد الحصن؛ وبعد خروجه أمرهم بإطلاق النار على الحضارم، إن لم يرضوا بالخروج. وإن المسلمين من ورائهم فما شعروا إلا والبنادق على رءوسهم، فخرجوا كرهاً، وتحملوا بمن عندهم.

وفي اليوم الخامس عشر، دخل الإمام الحصن، واستولى على البلاد، ودانت له حواشيها، وأصدر الأوامر بالرشاد، والنهي عن الفساد، ثم وجه الخطاب إلى بني رواحة، أن يدخلوا فيها دخل فيها المسلمون. وكان الشيخ حامد بن سيف بن أحمد

الرواحي، قد أمسك بيت القاروت، والقلاع التي بناها الوالي سليمان بن سويلم خادم السلطان لحرب ريام. وقد تجمع عند الشيخ حامد في ذلك الوقت جماعة كبيرة من سراة عبس، فخرج إليهم العلامة أبو مالك مخاطباً؛ إما الإذعان أو الحرب فتأجلوا إلى وصول الشيخ عيسى وسيد الوادي الشيخ عبد الله بن سعيد الخليلي، وإنهم لا يقطعون أمراً دونهم فأعطاهم ذلك.

قدوم الشيخ عيسى

في اليوم السابع عشر من شهر رجب من السنة المذكورة، وصل أركى الشيخ عيسى بن صالح، وفي صحبته أخوه الشيخ المجاهد علي بن صالح، وأبناء عمه حمدون وحمد ابنا حميد بن عبد الله، وأعيان جماعته الشيخ سالم بن عمير، والشيخ محسن بن عامر، ملبياً دعوة الإمام، فسرَّ به الصديق، وبوصوله انثنى كثير من الأعداء عن التعرض للدولة بالمكايد، فتلقاه الأنصار خارج البلد، وكان نزوله محلة اليمن من أركى.

وبعد الاستراحة والمفاوضة بينه ونور الدين، والعلامة أبي مالك، رحبهم الله برحمته الواسعة، أجابهم إلى البيعة.

بيعة الشيخ عيسى:

بايعناك على طاعة الله وطاعة رسوله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبايع أعيان قرصة، بعد بيعته على مثل ما بايع الأمير، ثم بايع بقية قومه. ولما انتهت البيعة ارتحل سيدي نور الدين خطبة فائقة، أظهر فيها النصح للمسلمين، وحضهم على التمسك بسيرة الصالحين، ولم تكن الخطبة محفوظة ولا مأثورة فنذكرها.

وبعد ذلك شرع الأمير عيسى في التوسط بالصلح بين السلطنة والإمام، على أن لا يتعدى الإمام حوزته التي هو فيها إلى سمائل، وشط في الوفاق على ذلك، وكادت أن تكون مشكلة، تؤدي إلى التخاذل؛ لرغبة الأنصار في الجهاد ودفع سوق البغي إلى الكساد، فقيض الله آل حجر جيران الأمير، فجاءهروه بعدم القبول.

وفي اليوم التاسع عشر شهر رجب من التاريخ الأول، قدم الشيخ حامد بن سيف الرواحي؛ لمقابلة الإمام بواسطة الشيخ عيسى فبايع الإمام، وسلم له بيت القاروت من أزكى، والقلاع التي بنيت على طريق المسلمين؛ للتضييق على التزار من غير حرب، ودخل كثير من بني رواحة تحت طاعتهم، فصارت بيعتهم من أقوى الأسباب؛ لفقد دولة الإمام إلى سمائل وما يليها، ولا طريق إلى سمائل إلا في واديهم المعروف بوادي الغربي.

أمّا بيت القاروت فكان لبني ريام، فسلبوا إياه، فاتخذته الشيخ حامد مركزاً، وأقام به إلى هذا التاريخ.

وأما القلاع فبناها سليمان بن سويلم مولي السلطان فيصل على أفلاج بين ريام وطرقهم؛ لسد المنافذ عنهم. وكان سليمان فاتكاً ذا بسالة وتجربة للحروب، يجر الجيوش السلطانية، ويقودها على من ناوأه وخالفه. وقد ضيق على بني ريام ودمر أنهارهم، وأعانه على ذلك بنو رواحة؛ لأنّ رياماً خصمهم في القسمة الشيطانية التي أهلكت عمان، هذا غافري، وهذا هناوى.

بعد أن استقر الأمر بأزكى، حكم الإمام سالم بفتوى نور الدين: أن تهدم القلاع المبنية بالبغي على طرق المسلمين فهدمت، وأن يرد بيت القاروت الذي اغتصبه

الشيخ حامد إلى أربابه، وطلب الشيخ حامد ما أنفق فيه للعمارة، وما دفعه في زيادة البناء، فلم ير له نور الدين ذلك، وأجابه أن لا عناء لغاصب.

عين الإمام سالم واليًا لأزكى، الشيخ حمدان بن سليمان النبهاني، والشيخ أبو زيد عبد الله بن محمد قاضيًا، وحجر على حمدان أن لا يقدم على أمر إلا بإذن أبي زيد.

واستراب بعض الفقهاء من تولية الشيخ حمدان. وتلك مصلحة رآها الإمام في ذلك الوقت، ثم عزله بعد ذلك.

أثناء هذه الحركة أرسل الإنكليز بطلب من السلطان شزيمة من عساكرهم الهنود؛ لحماية عاصمة مسقط، ففقدوا بيت الفلج على ثغر مطرح.

فتح العوابي

(وهي المعروفة في الكتب القديمة بسونى القديمة، وكان حصنها تحت سلطنة مسقط) أحسَّ الشيخ السياسي مهنا بن حمد العبري بانتصارات الإمام وأعوانه في جميع المواقع، فهاله قيامهم بحقوق الشعب، وأزعجه استنقاذهم الممالك من أيدي المتغلبيين في أسرع وقت، وغبطهم في إنشاء حكومة شرعية، أضاء لها المصر، وفرح بها الشعب، ولا نصيب فيها له، فأسف لتأخره، ولام نفسه على تلكؤه من الانضمام في السلك الذي جروا فيه، فحاول أن يقوم بنفوذ جديد، يجعله قطبًا في دائرة الجمهور، وامتاز بمهاجمة العوابي؛ لكونها لم تفتح بعد.

سحب هذا الرئيس كتابه إليها، وزحف بنفسه عليها، فطبق أفقها رميًا ملحًا كشهب الرجم هاج بها ارتعاء، فما كان عاملها الشريف ليطلق ذلك، وقد أخذ الأهالي

الذين خضعوا لحكمه في السابق بالضغط عليه، والانتقام منه، واضطروه للخروج من المعقل الذي جعله وكراً له غير أسفء على فقده، فما قرت عينه، ولا هنأت حياته حتى سلم الحصن، وفي مقدمة المحاصرين صف الإمام الشيخ ناصر بن راشد الخروصي، واتخذوا للحصن سرداباً، كاد أن يحرق البارود فيه، لولا خضوع من فيه، وفي اليوم السابع عشر من شهر رجب، من سنة الفتح، خرج الشريف عبد الله بن سالم الحضرمي من أهالي حضرموت، من حصن سوني وهو بيت العوابي.

تبرع الشيخ مهنا بن حمد بقيامه هذا، وجعله كفارة تأخره عن الدخول، أول وهلة فيما اجتمع عليه المسلمون، ويعدّها التاريخ له منقبة كبرى، قدمها بين يدي نجواه؛ فإنه قدم بعد فتحها، وسلمها للإمام بسمايل، وباع هو ومن بمعيته من بني عمه، فشكر المسلمون صنيعة، وفرحوا بدخوله عندهم.

ومما قاله شاعر الجوف المر بن سالم الحضرمي في فتح نزوى وأزكى ومنح والعوابي:

جنود الله هُبُوا للقتال	فثم تُشْم رائحة الغسوالي
جنود الله هُبُوا واستعدوا	بأنفسكم لنصرة ذي الجلال
جنسود الله في الجنات حور	أعدت للمجاهد والموالي
جنسود الله إن بها قصوراً	مفاتيحهن أطراف العوالي
جنسود الله إن القتل فيه	كإرى النحل شيب بما الزلال
جنسود الله لولاه بما إذا	يبين على النسفا فضل الرجال
جنسود الله قد سبقت تنوف	إلى الفضل المؤئل والمعالي
علت قلداً ومقداراً وفخرًا	وتاهت بالمحاسن والجمال
إذ انتدبت لأمر سامي	ببه يبيض مسود القذال
فحار له أولسوا الألباب حتى	رآه بعضهم مثل المحال

فتمم ما أراد وشبايعته
 بهما عقدوا الإمامة واستعبدوا
 أقساموا سالما لهم إماما
 من القوم الكرام بني خروص
 فسالما سالم من كل عيب
 وناصره ابن من ناصر حميري
 فتى من آل حمير شمري
 ولبت من هناة بنو هلال
 أقساموا سبعة الأيام فيها
 مناصحة وإنذارا لنزوى
 فلما نفعتهم الإنذار إلا
 فأمهم الإمام بأسد غاب
 ومسد لأخذ مدتهم يميننا
 ولما استفتحوا سمدا أفاضوا
 فدانت عقيرهم من بعد عقير
 أبادتهم جنود لم يروها
 وخيلت الأفاكل في المهامي
 فكس من آية ظهرت عيانا
 رمى بعض اليقين خيال إفك
 أتته من أقاصي الشرق قوم
 ولما استفتحوا نزوى وقسرت
 سرت منسه إلى مسنح سرايسا
 وفتحت القلاع لهم وحاسوا
 وبالركسب الزكي سرى لأزكى

جبال زلزلت شمس الجبال
 وهم نفر كرهط أبي بلال
 وهم نفر كرهط بني بلال
 مآثر فخرهم عدد الرمال
 وراشد راشد زاكى الخصال
 دواعي الحرب والنوب المضال
 بعيد الصيت منقطع المثال
 وكل من منهم مثل الهلال
 يدبروا الرأي والسبع الليالي
 ولم يجدوا بنزوى من يوالي
 ليعتادوا على الحرب السجال
 مصاليت أعدت للقتال
 وأحرز ما تبقى بالشمال
 على نزوى السفالة من سفال
 رأت أبطالها يوم النزال
 ومنها ما يرى مثل السعال
 لهم وقع الفسوارس والبغال
 ونادرة رأوها كالحبال
 فأبطل للعصي وللحبال
 تباعه ومن أقصى الشمال
 به عيننا وطابت بالوصال
 ترى سفك الدما منق النوال
 ذرى الحصن المشيد بسلاقتال
 مشيجا بالنجائب والرعال

أتاهم بالسهود لأن فيها
غدا لهم لفتح الحصن عوننا
فتم لهم بها نصر وفتح
وخلص حصن قاروت ودانت
وبابهم بنو عيسى فكفوا
وقام بنو خروص للعوايي
وأيدهم فتى حمد منها
فأذن حصنها وغدا ذليلاً
أدام الله نصر كيامام
وأبقى الدولة الفراء بسعد

فتى حمد سهود فتى هلال
بتفريق العساكر والرجال
وتم لهم بها حسن المآل
له القلع المشيدة في الجبال
وبال الحارب منه إلى وبال
ذو العلياً وسادات الشبال
بجنش من بني عم وخال
شريفهم بذل وارتيال
وأظهرهم على أهل الضلال
واقبال وأرغم كل قال

فتح سمايل الفيحاء

سُميت الفيحاء لكثرة فوران الماء بها وطفوحه على وجهها. تقع هذه العاصمة في إقليم ببي كبير سري، به ثغور جليلة، وبلدان جميلة، أهلة بالرجال، تحديق بها الجبال عن اليمين والشمال، فهي حمى لا يراع، ومعقل لا يستطاع، تجمع طرق المواصلات، لكثير من الجهات، محور تدور عليه رحلة الشتاء والصيف، بين مسقط والباطنة والشرقية والجوف، حلقوم عمان الذي تنفس منه، وبلعومها الذي تغص به، يصفها شاعر العرب فيقول:

وأين حلقوم ذاك الملك معقله
وأين عن أجريها منع بيضتها

سمايل فهي للسلطان سلطان
والأجر بسان بنو غبس وذبيان

فبنو عبس وذبيان القبيلتان التي تتكى عليها هذه العاصمة ذات الأسواق الرائجة، والحصون المشيدة، والعيون الجارية، تدخل دورهم، فيتصرفون بها في

قصورهم، تحف بهذه المياه بساتين ملتفة بها الأشجار، كأن الحور أعارتها قدودها وكستها برودها، تحمل ضروبًا من الفاكهة تهش لها النفس، ويجتمع بها الأنس، ولا ترى بها الشمس، كأنها عناها الشاعر بقوله:

تفرح بالشمس إذا ما بدت كف فرح السدمي بالسبب

هي أول بلد بعمان دخلها الإيمان، هي بلاد «مازن بن غضوبة العماني»؛ الصحابي الذي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم، وأسلم على يديه، وقصته مشهورة، استوفى ذكرها سيدي نور الدين بتحفة الأعيان.

لما كان عصر اليوم السادس والعشرين من شهر رجب من سنة الإمامة، خرج الإمام سالم بن راشد الخروصي من أزكى بجنوده إلى سمائل وباتوا بالقاروت، وأقالوا بالعين من وادي بني رواحة، وباتوا ببلدة هيل ليلة الثامن والعشرين، وأقاموا بها وباتوا بها إلى آخر ليلة التاسع والعشرين، فخرج الجيش من هيل، ودخل سمائل من جميع جهاتها. كان دخول الإمام وأمير الشرق وبني هناة ومن معهم، من جهة العلاية، فنزل الإمام بمحلة الجبلية من السفالة، وأمير الشرق بالإبراهيمية في العلاية، وكان دخول الشيخ الحميري ومن عنده من جهة اللجيلة، ونزل بالجبلية من السفالة، فأقاموا محاصرين لحصنها. وفي أثناء هذه الثورة تقدم إلى سمائل السيد نادر بن السلطان فيصل بأمر أبيه؛ لمقاومة الثائرين ودفعهم، فاجتمع إليه جمع عظيم من العمانيين، وضبط ثغورها، فجعل أمراء بني بو علي ومن عندهم على باب العق؛ وهو الطريق الخارج إلى الشرقية، والداخل من الشرقية إلى مسقط. وأمر الشحوح ومن عندهم أن يكونوا بدبد، وترك بقية قومه من البدو والحضر عنده بسمائل، وأكثرهم من آل وهيبة، وأقسموا له أنهم يموتون أمامه ويقاتلون قدامه يستجلبون بذلك العطا، ويبطنون لهم الخطأ، فأخذوا كثيرًا من النفقات العظيمة والجوائز

الجسيمة، حتى امتلأت عيابهم، وفاضت أوطابهم. فلما تحقق عندهم عزم الإمام العادل هُرع أولئك المتوكلون تحت ظلام الليل، وركنوا إلى الفرار وركبوا العار، ولم يفد فيهم بذل الدرهم والدينار، وأسلموا سيادتهم بعد أن أفرغوا مادتهم، وتفرقوا أيدي أيادي سبا.

وكل صداقة في غسير دين تصير عداوة عما قريب

فحاول السيد نادر أن يجمع كتائبه الحائرة الفارة، فلم يستطع، فأوجب الأمر أن يغلق باب الحصن، ويدافع جهده بما عنده ومن عنده، من بني عمه، وكانوا اثني عشر سيداً وغيرهم من الرؤساء أهل الثبات، حين لم يجد من يثق به، فيهاجم الثوار خارج الحصن. وكان دخول الإمام ضحى النهار، والحصن يقذفهم بوابل الأمطار الرصاصية، فلا تسمع إلا دوي المدافع الهائلة وقواصف البنادق القاتلة، فأظلمت الآفاق، واحتجب نور الشمس من الإشراق، وأدى بكثير من النفوس إلى الإزهاق، وقتل في تلك الواقعة من أصحاب الإمام ثلاثة أو أربعة وجرح أناس، ولا يعرف من أصيب بالحصن ولم يزل الحصار مستمراً، وجعل للحصن نفقاً، وضعوا البارود فيه، وأضرموا عليه النار، فتزلزل كثير منه، وانكسر جانب من جدران السور المحيط به، ولم ير القائد زاهر بن غصن الوثوب عليه عند مثار البارود، كما هي العادة؛ لأن ما بقي منه القوي المانع، ولأن من فيه أسود تحفزت للوثوب، فبقيت بينهم المراماة، وبسبب انهدام السور، وقع فيهم تضعضع وتسموا الإقامة، وأيسوا من المناصرة، فدخل عليهم سيد الوادي الشيخ عبد الله بن سعيد الخليلي، وأبدى لهم النصيح الواجب، فأدرك السيد نادر ضرورة القضاء إلى التخلي عن الحصن والخروج منه، حين لم يغن عنهم الدفاع المجيد شيئاً. وتعهد لهم الشيخ الخليلي أن يكون الحصن بيده إلى انقضاء خمسة عشر يوماً من يوم خروجهم، فإن صحت للسلطان استطاعة إلى إرسال نائب يقهره، وإلا فلا لوم عليه بعد ذلك إن سلمه للإمام، وأن يحملوا ما

بقي عندهم من العدة، واستأذن في هذا التعهد الإمام، وطلب الإجازة منه، فأسعفه بما أراد، لما رأوه من قدرتهم في ذلك الوقت، وتضعض أمر السلطان.

غادر السيد نادر حصن سماعيل ليلة الثامن والعشرين من شهر شعبان من عام الفتح، بعد بلاء عظيم، وجهد كبير، وقاتل عنيف، ورمي بالمدافع، وكسر جانب من الحصن بإثارة البارود، فمكث بعض تلك الليلة بسحراء محل الشيخ الخليلي، وفي آخرها خرج على طريق وادي بني جابر، وصحبه الشيخ الخليلي إلى بلد الخوض وابنه الشيخ علي بن عبد الله إلى مسقط.

احتاجت هذه الغزوة من النفقة خمسين ألف قرش فضة صرف عمان، وخمسين ألف فشقة، وبالعبرة العمانية «رمية». ولسمائل أهمية خاصة؛ فهي المنفذ الوحيد الفاصل بين الساحل والداخلية، وقد أدى سقوط وادي سماعيل إلى زعزعة مركز السلطان. وفي كتاب عمان لشركة الزيت الأمريكية ص ٨٢: وكتب برسي كوكس الوكيل السياسي بمسقط قديماً أن السلطان بغير سماعيل لن يكون أكثر من شيخ بمسقط ص ٨٦ كتاب عمان. وقد صرح الإنكليز بأنهم لم يسمحوا بالهجوم على مسقط ومطرح، وكتبوا للإمام كتاباً نذكره في آخر الفصل، فأرسلوا شزيمة من الجنود الهنود إلى بيت الفلج ثغر مطرح. وفي شهر شوال من السنة المذكورة، ضاعف الإنكليز حاميتهم ببيت الفلج خارج مسقط، وعرض الوكيل السياسي البريطاني على السلطان في نصيحته له هذه العبارة ص ٢٢ (بل الحرب العالمية) لقد كان الثوار قابضين على زمام الموقف، باحتلالهم وادي سماعيل وحصن سماعيل، اللذين كانا ضرورين لازدهار مسقط التجاري.

فتح بدبد

هي بلدة واسعة، كانت كلها بيت مال للمسلمين، وهي ثغر وادي سمائل والشرقية من جهة مسقط، فتكون أيضاً ثغر الباطنة من الشرقية، وهي البلدة التي اجتاحتها السيل العارم عام إحدى وخمسين ومائتين هجرية، فعمرت بعد ذلك.

في يوم ثاني من شهر شعبان سنة ١٣٣١ شرح الشيخ عيسى بن صالح من سمائل، وفي صحبتته السيد سعود بن حمد بن هلال ممثلاً أمر الإمام لحصار حصن بدبد. وكان فيه الحضارم عسكر السلطان فيصل، فأقام الحصار عليها. ثم بلغه أن السيد تيمور بن فيصل قدم إلى بلدة الخوض، وعنده جمع، وأن قصده الهجوم على بدبد. وكتب إليه أهل الخوض: أنا لا نقدر على منعه، ولا على الامتناع من أمره، متى أراد منا أن نقوم عنده، ونحب وصولكم، فأرسل الأمير إلى الإمام بالواقع، وأن يرسل إليه من يقوم بحصار الحصن. فأرسل الإمام طائفة من الجيش يقدمه الباسل العفيف الشيخ علي بن هلال بن زاهر الهنائي، وفيهم مطاوعة الحجريين، وآخرون من ريام وعبس. وأجمع رأي الأمير ومن عنده على مصادمة السيد تيمور، قبل دخوله وادي سمائل، فركبوا من ليلتهم، ووصلوا فنجا بعد العتمة، فنزلوا بالتصاوير؛ وهو مكان آخر فنجا من الجانب النعشي، وأصبحوا هناك إلى بعد الظهر يستفسرون الأخبار، ويطلعون ما عند السلطان، ثم زحفوا إلى بلدة الخوض. وقد خرج السيد تيمور منها، فكانت ضيافتهم ذلك اليوم عند الشيخ حميد بن عمير الهنائي؛ لأنه كبير أهل البلد، ثم انتقلوا عنه بعد تناول الغداء، وأقاموا بالجانب النعشي منها مرابطين، والسيد تيمور مقيم بالسب في مقابلتهم في أثناء حصار حضني سمائل وبدبد. وصل السيد حمد بن السلطان فيصل لبلد اللجيلة بمن عنده

من جنوده، مناصراً لأخيه السيد نادر، فما تيسر له دخولها، ثم عزم أن يهاجم بدبد ومن فيها؛ لأنّ عساكرهم بحصنها، فعطف عليها، وعطف معه أصحابه. وقد شدد المرابطون الخناق على من بها، فوصلهم الخبر قبل وصوله، فتلقاه أمير المرابطين الشيخ علي بن هلال عند بلد الوغلة، وغربي وادي الضبعون، فصدقوهم القتال حتى ردوهم إلى مكانهم الذي خرجوا منه، فرجع السيد حمد بغير طائل؛ لا من بدبد ولا من سمائل. كتب الإمام إلى بني جابر: إما أن يخرجوا السيد حمد من بلادهم، أو يتهيأوا للحرب، فأخذوا ثلاثة أيام أجلاً، يدبرون الحيلة لإخراجه بوجه حسن، حتى خرج وتوجه إلى مسقط. وفي الساعة التي انهزم السيد فيها كرّ الشيخ المجاهد علي بن هلال بمن معه على الحصن، وهو يمطر عليهم بوابل من الرصاص، ويحرقهم بالمدافع، وكان الوقت عصرًا، فكان من قدر الله أن قهروا البرج المنهدم سهيلي الباب، وهو مشرف على الماء الذي يحتاج إليه القابضون، فأوسعوهم مقاومة، وأشبعوهم مصادمة. فما لبثوا إلا قليلاً حتى طلبوا الأمان، وعزموا على الإذعان، فأعطوهم ذلك، وأخرجوهم، وقتل في تلك الوثبة خادم للشيخ علي، فكان فتح حصن بدبد يوم الخامس والعشرين من شهر شعبان من سنة الإمامة، وتم أمرها قبل فتح حصن سمائل بثلاثة أيام.

بقي الشيخ عيسى مرابطاً بالخوض إلى يوم سادس من شهر رمضان، من السنة المذكورة.

ما قيل من الشعر في فتح سمايل وبدبد

قال الشيخ عيسى بن صالح بن عامر الطيواني -وقد أرسلها سرّاً من مسقط، هي كلمة حر غيور، ونفثة ليث مصدور، وكان هذا الشيخ قاضي القضاة بمسقط:-

للحق نورٌ سناه مشرق أبداً لو أنكرته ميزان ملؤها رمداً
وإن غدا برهة بالحجب مستتراً فإنما نحسن لم نمسدد إليه يداً
تبارك الله نور الحق منبجلج فأشرق بـسناء الأرض حين بدا
فسالحق في جذل والبطل في وجل والبر في سمعد والبحر قد ركدا
قامت عُمان على ساق النجاح ولو تأخرت ردحاً ما استيقظت أبدا
قامت تدافع عن دين الإله ولم يجد مرأى سوى سد جد واجتهدا
فالعرب في دهش مما تحاوله والشرق من فرح لا يعرف الكمدا
قد كدت أقسم لولا أن ذا سرف بشأن نهضتها قد زحزحت أعدا
يا أيها القوم هبوا من سباتكم وجاهدوا باطلاً قد زادكم أودا
لا خير في عمر يمتد في رهق فلتبذلوا النفس في العلياء والتلدا
لا خير في العيش إلا أن يكسون به عز وما عيش قوم عزهم فقدا
فثم جنات عدن قد أعد بها مولاي حوزاً لمن للحق قد رشدا
دعوا التحزب فالإسلام يجمعكم إن التفرق ليسل والجميل هسدا
بالاتلاف ونبذ الاختلاف سمت فوق السماكين صحب المصطفى أبدا
أكرم بقوم غدت لله نهضتهم وصيروا الدهر عدلاً بعدما فسدا
من كالفتى ابن حميد ذي الأناة فتى قد عاش يجمع شمل الدين مجتهدا
حتى أتى حميراً زاكى الخصال وقد أسر في النفس أمراً طالما نشدا
لبسى لدعوتـه لله محتسباً لم يستمع في العلا عدلاً ولا فسدا
لما غدا حمير في الأمر مشتركا

صارت عصي الدين سيفًا قاطعًا فغدا
 هل كالفتى الحميري اليوم من رجل
 لقد حسى الدين بالهندي منصلتًا
 وشايعة ليوث من هناة هم
 فبايعوا سلالماً ما رأوه لها
 أمست تنوف بلا ريب تنوف على
 وبعد ذا استفتحوها نزوى فسال بها
 وأحرزت منحًا عظمى بهم منح
 وبعد ذاك أفاضوا بالجنود على
 وكان فيها سمود حاكماً فغدا
 وبايعته بنسو عيس بأجمعهم
 رامت سائل أن تحظى بهم فأتوا
 وجاء يسعى من الرستاق نحوهم
 وصاحبه ليوث من بني حكم
 فسانقوا الحق إذ نارت أشعته
 وبايعته شيوخ السر يقسدتهم
 هُتئت بالنصر والفتح المبين أيا
 شيدت للحق أركاناً دعائمها
 إذا ذكرتمكم اهتز من طرب
 صارت سيوف الأعداء غير قاطعة
 رام العذول أروعائي عن محبتكم
 وكيف أترك تياراً يمجج هدى
 يارب نصرًا لأهل الحق قاطبة

يقدُّ هامة من للحقَّ قد جحدًا
 فاقت مناقبه الإحصاء والعسدا
 وجاد بالمال في إعلائه مددا
 بنو هلال مصاليت بحور ندى
 إمام صدق غدا في الله مجتهدًا
 كل البلاد بهم أكرم بها بلدا
 ماء الهدى فسأزاح الجور والكمدا
 وبدلت بعد خوف عيشة رغدا
 أزكى فمدت إليهم بالسلام يدا
 للحق سيفًا يقدر الهام والجسدا
 والكل منهم تراه في الوغى أسدا
 كالسيل مندفعًا فاستفتحوها اليلدا
 مليكها أحمد طوعًا بغير ندا
 رسم المنية في أسيافهم وجدا
 أسود غاب سراهم في العُلا حدا
 أمير بهلا فتى كالليث حين بدا
 إماننا إذ نصرت الواحد الأحدا
 فوق السماك وصيرت القنا عمدا
 كأنني صادم في راحتك غدا
 لما جعلت هواكم في الوغى زردا
 وما درى أن صبري عنكم نفدا
 أليت لا أريد الضحاضاح والشمدا
 واجعل ملاكك في الهيجا لهم مددا

ولشاعر الجوف المربى سالم الحضرمي:

رجاء الإله لنا شامل
نعد صوارمنا للعدى
يظن العدو بنا أننا
رمينا ولكن قد رمى
نفسوس الأمور بتدبيره
تقوم بحق الإله السما
ومن حارب الله مستنكفا
ومن كان بالله مستعصما
فبالشرع قام فتى شارع
أيا صاح بلغ إمام المسوى
فثم سرادق من هيبة
فمهما بلغنا بيت إلى داره
أنتك البشائر يا سالم
بشائر قد ضاق منها الفضا
وتجزع منها قلوب العدى
فتحت سمائل يا سالم
بهمسا نادى في الوغى
تؤيده مثلثه سادة
وفيه مدافع صمم لعدى
فحاصر عموه بلا شدة
فما سم شهران إن أتى
ومن كان نساكهم فوقه
وخير الفتوح الفتوح النسي

وما هو عن نصرنا غافل
وسيف الإله هو الفاصل
قتلناهم وهو القاتل
ونفعل لكن هو الفاعل
ومهما نضل فهو القائل
ولا يستوي الحق والباطل
فإن الإله له خصال
فإن الإله له كافل
وبالعادل قام فتى عادل
إذا كان يُبلغه الناقل
وتلك مقام له هائل
فبشره لو كره العادل
ويا لسالي الفتى الفاضل
ويشجع من ذكرها الخامل
ففي كل قلب بها واجل
وفي حصنها البطل الباسل
لله يشهد اليأس والنائل
كرام لهم شرف كامل
صواعقها ضرم شاعل
كأن الزمان لكيم عامل
مطيحا وأعلامهم المسافل
غدا تحتته وهو النازل
أعد لها السيف والذابل

وبدبد لا بدّ من ذكرها	لأن الفتوح لها شامل
أنت بالبشائر من قبل أن	تبشركم أمها التاكمل
فصار صداقهما عاجلاً	وخير صداقيهما الآجل
لك النصر والفتح ياسالم	يدومان والشرف الطائل
ومجدك ليس له غيبة	وبحسبك ليس له ساحل
أمذك ربك من فضله	عطاماً تأمله آمل
والاك من فضله سادة	غطارفة ظلها وإبل
همو كالأساطين يسوم الوغى	وهم في الندى عارض هاطل
وهم فتية كنجوم السما	ونجم عدوهم الأنفل
ولم نسم أسماءهم إنما	بأفعاله يعرف القاعل
وصلى إليه على المصطفى	نبي الهدى ما سرى راحل

بقي الإمام سالم بعد فتح سمائل مقيماً بها؛ لتوكيد أمورها والرؤساء تفد إليه للبيعة.

وبقي الشيخ عيسى مرابطاً بالخوض إلى اليوم السادس من شهر رمضان من سنة الفتح، ثم قصد الرستاق، وكان الحاكم عليها ذلك الوقت السيد أحمد بن إبراهيم، فخاطبه في الدخول فيما دخل فيه المسلمون، وأن يتقدم إلى مبايعة الإمام فأسعفه. وكان هذا السيد من أعظم دعاة عمان، وأدراهم بأمر الرجال، فكان وصولهم سمائل يوم التاسع عشر من شهر رمضان، من السنة المذكورة، وفي اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان بايع هذا السيد الإمام، وبعد انتهاء الزيارة رجع إلى وطنه الرستاق، وبقي بها إلى أن كان بينه والشيخ ناصر بن راشد الخروصي سوء تفاهم، حصل منه شقاق، أوجب قيام الإمام عليه، وسيأتي في محله، إن شاء الله.

وفي اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان من السنة المذكورة، وصل الشيخ الرئيس أمير بهلا ناصر بن حميد بن راشد الغافري حصن سهايل مدعناً للإمام، ممثلاً طلبه، وفي صحبته الشيخان حمير بن ناصر النبھاني، وعبد الله بن هلال بن زاهر، فبايع الإمام مع أعيان قومه، ثم رجع إلى وطنه بهلا، ولم يزل بها حتى أحدث أحداثاً ناقضت البيعة؛ فقام الإمام عليه، وسنذكره في محله إن شاء الله.

في أيام حصار سهايل، وصلت كتب من قنصل الإنكليز بمسقط إلى الإمام سالم، هذا نصها:

حرر يوم سادس شعبان سنة ١٣٣١ بمسقط.

من الميجر نكس نائب الدولة البهية القيصرية الإنكليزية في مسقط، إلى جناب الشيخ سالم بن راشد الخروصي.

بعد السلام عليك؛ لا بل أنت خير يقيناً بالفتنة الواقعة بعمان سنة ١٣٣١ بينكم وبين حضرة سلطانكم المعظم فيصل بن تركي، في تاريخ جمادى الثاني سنة ١٣١٣.

حضرة سلطانكم نشر لكم إعلاناً كما سيأتي:

إلى كافة من يراه، وبعد نعرفكم بأننا وصلنا كتاب من أمير الأخليج بهذا المضمون، أنه يلي المصالح المهمة رعايا الدولة البريطانية في مسقط ومطرح، وقد عازمت الدولة على إصدار وإنذار إلى كافة مشايخ عمان، أن فيما بعد مهما يقع من الخصومات في حضرة السيد فيصل بن تركي، لا تترك الدولة المذكورة أحداً يهجم على هاتين البلديتين، فتتذركم بهذا الاشتهار، فإياكم والتعدي على مسقط ومطرح،

وكفى أخباركم بذلك، ومن حيث بين بعض منكم نسوي هذه النصيحة والإنذار.
أكرر لكم ذلك ليصير عندكم، والسلام.

صحيح الميجر ناكس نائب الدولة البريطانية البهية القيصرية الإنكليزية
بمسقط.

جواب الإمام لهذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

{وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا}.

من إمام المسلمين سالم بن راشد الخروصي، إلى حضرة الميجر ناكس نائب الدولة
البهية الإنكليزية، السلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى، أمّا بعد؛ فقد
وصلني كتابك المؤرخ سادس شعبان من هذا العام، وذكرتم فيه ما ذكرتم، وأنتم
تعلمون أن أمر عمان عند علمائها من قديم الزمان، وأن كل ملك خالف العلماء هو
خليع عند الدولة الإسلامية، منبوذ عن أمر المسلمين، لا تصرف له في دولتهم ولا
نفاذ لحكمه، وإنّ فيصلاً قد قامت عليه الحجة مراراً عديدة بعد خلعه وعزله، فأبى
أن يعتزل. وإنه قعد هذه المدة بسبيل الغلبة والقهر، والمسلمون لم يرضوا سلطته ولا
أفعاله، وأنتم معشر هذه الدولة يجب عليكم أن تكفوا عن أمر المسلمين، ويلزمكم
أن لا تعتدوا علينا. ومن اعتدى علينا، فالله يعيننا عليه، وكفى بالله ولياً، وكفى بالله
نصيراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ومن كان مع الله كان الله معه، {ومن يتوكل على
الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً}، {وإن ينصركم الله فلا
غالب لكم}.

حرر ناسع شعبان سنة ١٣٣١.

صحيح إمام المسلمين سالم بن راشد الخروصي.

وهذا كتاب آخر منه:

حرر في مسقط ٨ من أكتوبر سنة ١٩١٣ - ٧ قعدة سنة ١٣٣١ من الميجر نكس، نائب الدولة البهية الإنكليزية في مسقط، إلى جناب الأجل الأكرم الشيخ سالم بن راشد الخروصي المحترم: السلام عليكم، أمّا بعد؛ فوصلني كتابان المودة منكم، مضمونها أحوال أهل عمان، وسنعرضهما على حكومتنا العلية، ولا شك أنها سوف تتأمل فيها بحكمتها العظيمة، لكن لا شك أنه قد بلغكم في هذه الأثناء خبر وفاة صديقنا السيد فيصل بن تركي، وهو الآن حاضر أمام القاضي الأعظم الذي هو أكبر منكم ومنا والجميع، فغير مستحسن من واحد منا أن نحكم في حسنات وسيئات حياته الماضية، وأنتم فصدقتم في قولكم: إن الدولة البريطانية العظمى تحب العدالة والأمنية، فيكون عندكم اليقين بأن الدولة من أعظم مقاصدها، أن يكون الوفاق وحسن المعاملة بين حكام عمان ورعاياهم. ومما سرفي هو علمي من الخطابات الودادية التي عرضها لنا صديقنا السيد تيمور بأن عماد المذهب الإباضي الشيخ عبد الله بن حميد السالمي، لم يزل يقدم إليهم النصائح الحكيمة والإنسانية. وبهذا لنا الأمل بأن الغمام الناشئة غير مسعود بين أهل عمان وحاكمهم في أواخر عمره سترفع، والقبائل ستبلغ إلى أحسن الصلة مع خليفته عن قريب هذا. والسلام.

نص ما كتب في:

حد المعترفة بالزنى عند الإمام

في اليوم الثامن عشر من شهر شوال، من سنة واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف، في حصن سمائل، أقرت سعدة بنت مسلم العامرية، وهي محصنة بزواج، أنها زنت إقراراً أكثر من أربع مرات، إقراراً بعد إقرار، في مجلس واحد، وذلك في حضرة إمام المسلمين سالم بن راشد الخروصي، والسيد سعود بن حمد، والشيخ حامد بن سيف الرواحي، ومحمد بن سالم الرقيشي، وثنيان بن عديم البرطاني، ومحمد بن حمود الصوافي، وخميس بن حمد الرواحي، ومحمد بن عبد الله الخروصي، وسيف بن سليمان الخروصي، ورهين بن سالم الريامي، في جملة من جماعة المسلمين من الشراة وأهل البلد، والمذكورون بأسمائهم تحملوا على إقرارها الشهادة المذكورة. كتبه محمد بن عبد الله السالمي عن إملاء سيده الوالد نور الدين عبد الله السالمي، بحضرة الجماعة المذكورين، وفي اليوم الثاني، وهو اليوم التاسع عشر، أحضرناها مرة أخرى، فأقرت بالزنى مرة أخرى، وأقرت بالإحصان بزواجين رجل توبي جاءت منه بولد، والثاني حراضي طلقها ثم مات. وذلك في حضرة إمام المسلمين، والسيد سعود بن حمد، ومحمد بن سالم الرقيشي، ومحمد بن حمود الصوافي، ومحضر كبير من الشراة وغيرهم، والمذكورون تحملوا الشهادة. كتبه عن إملاء والده محمد السالمي، في يوم ١٩ من شوال سنة ١٣٣١.

بعد هذا الإقرار الثاني خرج الإمام والشهود والشراة وطائفة من أهل البلد إلى موضع الرجم، وكان قد هبئ منذ أمس بين السوق والحصن، ففعلوا فيها أمراً لله تعالى على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأقاموا عليها الحد على وفق السنة؛ فرماها أولاً الإمام، ثم السيد سعود، ثم محمد بن سالم، ثم محمد بن حمود، ثم رمى الناس أجمع من كل جهة وهم يكبرون على كل رمية، وكانوا قد لقنوها التوبة، فتأبّت

وهي في الحضرة، فأمر الإمام بها أن تخرج من حفرتها آخر اليوم، وتغسل وتكفن ويصلى عليها وتقبر، ففعل لها ذلك، والله يتقبل من المسلمين التائبين.

وكان في أيامه يأمر بتعزير من يشرب الدخان من عشر ضربات إلى عشرين جلدة. ولما كان الإمام الخليلي بعده ترك التعزير، ورأى أن يودعهم الحبس.

وجيء إليه بامرأة قد أتت بولد من غير زوج، فأمر بجلدها أربعين جلدة، وأنكر عليه الشيخ عيسى أمره بجلدها؛ يقول: إنها شبهة، فلعلها غصبت أو غير ذلك من الاحتمالات، ولم ير قبول ذلك الاعتراض. وكان قد حضر مجلسه الشيخ عبد الله العزري وعبد الله بن غابش، فقام من مجلسه وقال: إني أجلدها، فمن كان له قول فليقل. فسكت المشايخ عن اعتراضه.

وفاة السلطان فيصل

في خلال ذلك الاضطراب، وحدث تلك الزلازل، توفي السلطان فيصل بن تركي بن سعيد بن سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد البوسعيدي. وكانت وفاته بمسقط عاصمة ملكه في اليوم الرابع، من شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٣٣١ إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف.

كان السلطان فيصل جليلاً، مهيباً، باسلاً، جواداً، حليماً، متيقظاً للمكائد. وقد أخذ حماية من الإنكليز في شهر جمادى الثانية عام ١٣١٣ على مسقط ومطرح. وفي كتاب عمان لشركة الزيت الأمريكية ص/ ٦٠: «لم يعترف الإنكليز بفيصل سلطاناً على مسقط حتى عام (١٣٠٧-١٣٠٨هـ) الموافق ١٨٩٠م، وفي عام ١٣٠٨هـ

الموافق ١٨٩١ عقد الفريقان معاهدة صداقة وتجارة وملاحة، حلت محل المعاهدة المعقودة في عام ١٢٥٥ هـ، الموافق ١٨٣٩ م. ومن بين شروط المعاهدة الجديدة ما يلي:

لا تمنع أي سلعة من الدخول إلى أراضي صاحب العظمة سلطان مسقط، أو الخروج منها، ولن تفرض رسوم جمركية على البضائع التي تصدر من تلك الأراضي، دون موافقة حكومة صاحبة الجلالة البريطانية.

يستمتع رعايا صاحبة الجلالة البريطانية، فيما يتعلق بأشخاصهم وممتلكاتهم، في داخل أراضي صاحب العظمة سلطان مسقط بامتيازات خارج النطاق». وفي ص ٣١٨ مجلد ١/١١ يتشيسون (المعاهدات). بعد توقيع هذه المعاهدة بيوم واحد وقع السلطان تعهداً:

«إن السيد فيصل بن تركي بن سعيد سلطان مسقط وعمان، يعد ويتعهد على نفسه وورثته وخلفائه، بعدم التخلي عن ممتلكات مسقط وعمان، أو أي من ملحقاتها، أو بيعها أو رهنها أو السماح باحتلالها لغير الحكومة البريطانية».

(وهذا هو التعهد السري الواقع عام ١٣٠٨ هـ - ٢٠ مارس ١٨٩١ م).

ويتكلم الصحفي البريطاني لوفاة فريزر في كتاب نشره عام ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) عن زيارة قام بها لمسقط فيقول:

وحتى داخل دولة مسقط لم تكن سلطة السلطان، تكاد تمارس بأمان خارج البلديتين المتجاورتين مسقط ومطرح، وفي اليوم السابق لزيارتي مطرح كانت البلدة محصورة ومهددة من جانب عصابة من قطاع الطريق في الجبال، والسلطان فيصل بن تركي رجل رقيق وقور، يجب التصوير ولديه اهتمام شديد بالسفن الحربية، ولكن

حكمه يمتد إلى مرمى بصره، ولا شيء أبعد من ذلك. ولا يمكن لمثل هذا الوضع أن يدوم. اه كلامه، نقلًا من كتاب «التحكيم» لعبد الرحمن عزام.

وكتب لوريمر مجلد ١/ ص ٥٣١:

(لقد كانت سياسته (أي فيصل) بليدة، جعلت أكثر القبائل ميلًا له تنفر عنه، ومرد ذلك إلى إهماله أكثر منه إلى عدم كفاءته).

وفي عام ١٣١٢هـ الموافق عام ١٨٩٤م كانت منافسة شديدة بين الإنكليز والفرنسيين على مسقط عاصمة السلطان، وكانت للفرنسيين معاهدة تربط السلطان اتفق الفرنسيون والإنكليز على إصدار تعهد استقلال حاكم مسقط وزنجبار.

وفي عام ١٣١٥هـ الموافق عام ١٨٩٨م، منح السلطان فيصل الفرنسيين استخدام (الجزيرة) لشحن السفن بالفحم الحجري (والجزيرة موضع على شاطئ البحر شرقي مسقط، فقام الإنكليز بعنف على إكراه السلطان فيصل بإلغاء هذا العقد، فألغى المنحة فورًا. وكتب عن ذلك فيليب جريفز (حياة السربسي كوكس) (١٩٤١م ص ٦٢): لقد غضبت الحكومة الفرنسية، كما غضب اللورد سالزبري وفرض تقرير حكومة الهند، بأنه يجب أن لا يلزم الوكيل البريطاني نفسه في مكاتبة رسمية باقتراح، يتعلق بمسألة قائمة بين حكومة جلالته والحكومة الفرنسية، من شأنه أن يغضب الحكومة الفرنسية دون تحويله السلطة من حكومة جلالته، ثم إنه أمر مزعج للغاية، أن تعلم حكومة جلالته لأول مرة بهذا الاقتراح الذي كتبه الوكيل عن طريق السفير الفرنسي، فكان في هذه المعارضة ما يوشك أن يؤدي إلى خطر فادح، لولا انتهاء المشكلة بالتحكيم على وجه رضيه الإنكليز، وقام بهذه الخطوة الوكيل السياسي الكابتن برسي كوكس في ٨ إبريل سنة ١٩٠٤، وتم التفاهم

على تسوية المشكلة في ٢٥ مايو من نفس السنة، وقد نهج بسياسته في الخليج الفارسي كله على صورة لم يسبقه إليها غربي مثله، وقد ساعدت فرنسا العثمانيين في تهريب الأسلحة والرقيق، وكانت لها أعلام على سفن بعض أهالي صور، ولا زال الإنكليز يحاولون قمعها؛ لأن ذلك يمس بمصالحهم، وفي ص ٦٦ شركة الزيت الأمريكية.

وعلى إثر ذلك يقول (تلفت اللورد كرزون) نائب الملك بالهند - وهو الذي اختار كوكس - : «إننا نمد حاكمها بالإعانة ونملي سياستها، ولهذا فعلينا ألا نسمح بأي تدخل أجنبي في شئوننا» يعني بذلك حاكم مسقط.

كانت بين السلطان فيصل وقطب الأئمة محمد بن يوسف أطفيش المغربي رحمه الله مراسلات، وكتب إليه نصائح دينية ودينية.

طالت أيام هذا السلطان، فبقي في الملك نحو خمس وعشرين عامًا تقريبًا، كانت بينه والقبائل الداخلية حروب هائلة، فجرد خادمه سليمان بن سويلم قائدًا للجيش السلطاني لقمع من خالف أمره؛ لعلمه أن هذا القائد جريء جسر، عارف بالحروف على النسق العماني.

فمن ذلك قيامه على أهالي صور لما أزعجوا عامله من حصنه، وأنفذوه إليه، فندب إليهم هذا الوالي، فسلموا له الأمر، وأذعنوا له، فبنى القلاع في رءوس الروابي المشرفة على البلاد احتياطًا منهم، وإذلاً لهم في منع الماء عن الساحل.

وقيامه على بني غافر أهل الدريز من الظاهرة، في أيام الشيخ محمد بن سليمان الغافري؛ ولكنه لم يفز بالظفر، بل انهزم الوالي، وأصيب بجراحة في إحدى ساقه.

وقيامه على أزكى وتضييقه على بني ريام، وكبسه لفلج الملكي؛ وذلك أنهم خالفوا أمر السلطان وجاهروه، وأقاموا الحرب على عامله بحصن أزكى، حتى أنهم في أثناء الخصومة قهروا شرطياً من شرطة السلطان، فباعوه ببلدة عبرى.

وقيامه على سمد نزوى في شهر ربيع الآخر عام ١٣٢٣، والقائد لهذه الثورة السيد سيف بن حمد، وكان ذلك في وقت حصار الوالي سليمان لأزكى، وكان أمير سمد نزوى الشيخ حمدان بن سليمان بن سيف النبهاني ورث إمارتها من آبائه وأجداده، واستبدَّ بها لما كانت الحادثة عليهم من ابن عمه الشيخ حمير بن ناصر، وقد كثر ظلم هذا الأمير، وعظم غشمه، وتغلبه على الأهالي والأوقاف والأنهار، ولم يجز على الطريقة المثلى، وعادة الاستبداد ذلك، فسأمت الرعية جوره وغشمه، فتقهقروا عنه عند نزول البلاء، ولم يساعده ابن عمه الشيخ حمير، الذي كانت دولة الإمام سالم على يديه.

أوقد السيد سيف بن حمد نار الحرب بنزوى، وأيده السلطان بقائد جيوشه الوالي سليمان، واستنهض القائد آل حكم لمساعدته، فاضطروا حمدان إلى النزول من بيت السليط، وهو حصن سمد نزوى، فتخلى عنه وعما تحت سيطرته من ولاية نزوى. وقد ذكر هذه الفتوح الشيخ الرئيس عبد الله بن سعيد الخليلي، والد إمامنا الحالي، في قصيدته الدالية، وأولها:

أخا الحرب إياك أن ترقدا	ومن ترك الحزم لن يُحمدا
ولا تحقرن العدو فكسم	ضعيف رأي فرصة فاعتدا
وإياك والبغي كم رقعة	بناها فهدم ما شيدا
ألم تر أن رياثا علت	ومدت إلى من أرادت يدا
فكم سفكت من دم واعتدت	فكانت نزار لهم مرصدا
تقسم كالقيء مال الورى	وتجعل أحسارهم أعبدا

رات عــــددًا ورات عــــدة وكابرت الملك إلا صيدا

إلى أن قال:

وسيف هو السيف أنصاره بنو حكم إن سطا أو عدا
همسو دوخوا أرض نزوى فلا أسود الشراة ولا شؤدا
ولم يمرض حمدان لكنسه رأى الموت فاختار أن يخلدا
فسلم بيت السليط وما حوى من بناء وما شيدا

وهي قصيدة طويلة.

ولشيخ البيان محمد بن شيخان قصيدة في هذا الفتح، استوفى بها الأمر الموجب للقيام، فنذكر منها طرفاً فيه ذكر القضية، وأولها:

رفرفت بالنصر أعلام الرشـد فهنئاً للعلا في ذي الجـدد
قـرع الأعلام صدراً للعلا فغدا باليمين مفتوح السدد
در كذا يا دهر إن درت فقد هزت الأفراح أعطاف البلد
ولهذا الدهر كفنان فذى تكمد الأحشا وذى تُطْفِئ الكمد
أي قسوم ثبتوا في جمعهم غبطة إلا وقد راحوا بدد
كيف يلتذ بملك الدهر من هو والملـك جيمعاً يفتقد
إن للدهر لألواناً فـها ابيض في يومك يسود بغد
والفتى في تعب من دهره من يعيش يلق من الدهر النكد
غرت الدنيا فلا يعرفها صادقاً إلا الذي فيها زهد
إن سجن المؤمن الدنيا وقد خلق الإنسان منها في كبد
من يُرد أوسع عيش صافياً فعلى نهر رضا المولى يـرد
ولعمري إنما السربح لمن تسرك الفسـان واستبقى الأبد
كلهم للرزق ذو كـدح فذا جـاء عفووا وهذا آل بكـد

سحبت حمير أذيال العلا
أسلفوا العز وأعلوا هامه
ورثوا أودية العلياء عن
ولقد كانوا ملوكًا بسبأ
ثم حاز الملك نبهان الذي
نزلوا بالجبل الأخضر من
جبل مملئ الخير له
كيف أهجو حميرًا وهي التي
غير أني ذاكر أسباب ما
استطالوا يومهم أمنا ولم
نشروا الظلم وبثوا جورهم
إن أتت قافلة من بلدة
تجروا بالخر بيقا والريسا
كثر الجور وقيل العدل من
أفسدوا مذ فسدوا جهرا ولا
وإذا تخم بطعن المرء من
ما كفاهم ما جرى حتى عدوا
فدعاهم ملك العصر إلى
لم يرد حميرهم عمدا إذا
فاستخفوا أمره وامتثلوا
هزمهم بأس نزارى إذا
جرد السلطان فيهم صارما

فقدت تمتد في كل بلد
وحووه بطريف وتلبس
كبراء عن شديد عن أشد
وبصنعاء وطالوا في سمد
حل في ملك عمان وعقد
عزهم أمنع من برج الأسد
شرف طار وللنجم صعد
حازت المجد بجد وبجد
بذروا من حبهم حتى انحصد
يشكروا المولى على العيش الرغد
في البرايا وتمعدوا كل حد
نهبوها كسرا حين الجرد (١)
ولبيع الحر من ذاك أشد
أمراء حربوا سبل الرشيد
يصلح الفرع إذا الأصل فسد
قللة الأكل فمن ضعف المعد
لحمى من لا يكافوه ببرد
أن يسؤدوا ما عليهم قد وكد
أذعنوا للحق واختاروا السدد
أنفة منه وكل قد جحد
بردت نار الخصومات اتقد
من سليمان إذا همز قصد

(١) الجرداء: واد بعمان توجد به السراحين.

أي شيطان من الجنة والـ
علموا أن النزار احتجبت
إن في حد ريام شوكة
فمضوا كالطير والسوالي على
فسأوتوا أزكى بغيا شمخت
والنزار اليوم مذ ضاعت فشا
وتنصوف ربحت عيشتها
صالح السلطان فاعتز وما
هدأت أزكى وشاعت خبرا
قام للحرب بنزوى ذمرها
حكم السيف عليهم عادلا
واستباح الجيش بحرا زاخرا
فتلقت سمد طوفانه
وبهم حمدان محمود اللقا
فالتقى الجمعان ثم افترقا
فرأت حمير إن حل القضا
فتخلوا عن صياصيههم ومن
حمد البركة حمدان متى
نادت العلياء في ذورتها:
ويراعى طاب جريئا في الهنا
عتب السلطان في صمتي ولم
قلت: سوق الشعر أضحي كاسدا
يخرج الجوهر من لجته
وإذا لم يسده من لجته

إنس إلا من سليمان ارتعد
بأسود لم يقاومها أحد
منهم اليوم فإن تنبوا محمد
مقدم الجيش كرتبال ورد
سكن الجرو عليها وولد
كل ضعف في ريام واطرد
باهتدا صاحبها الرأي الأسد
كاد يختل ومن كاد يكس
وغدت نزوى كحلبى بولد
ذلك الصنديد سيف بن حمد
وبحكم السيف تقويم الأود
وغدا يقذف بالنبل الزبد
برجال قسا بلتهم مثل سد
من سليمان ونبهان استمد
إذ علا بينهما بالنقع حد
فيهم مما جنوا والأمر جد
غالب الغالب يغلب ويرد
سمد رُفت لسلطان البلد
بإسار الله لنزوى في سمد
قلت: أرخ فتحها خير بود
أنفرس لمدى هذا الممد
والأديب اليوم مضموض الكبس
وإذا ما سلمه بيعا كسد
أججت فكرته نازر الكمد

وإذا ما تليست آياتــــه
كل غمر ليس يدري الفرق من
هل زمان من بني يرمك أو
يشرق الشعر إذا ما ذكرت
حشر الكهان ذا الفتح وما
وتلاقوا زمراً في جمعهم
كل ذي سحر يبان لفظه
ورموا من صنعهم أسبابهم
ثم ألقيت عصا شعري فما
محكمات عليها من لا يعد
جلس العالم معني وقعد
من بني حمدان فينا يسترد
حضرة الصاحب والملك المضد
ساحر في الشعر إلا وورد
بين خلاس ونفثات العقيد
ياخذ الفهم ويحتاج الخلد
فسعت تمتد تحتاج المسد
شاعر إلا وطوعاً قد سجد

وفي شهر جمادى الثانية سنة ١٣٢٣ خرج الوالي سليمان على المقابيل أهل الحلتي، لما هاجموا المركز السلطاني فاستحلوه، فبعث الوالي إليهم سرية، فاستردته منهم، فأصابوا غرة من صحبه، بعد انقيادهم لأمره وإذعانهم له، فجهز جيشاً، وخرج إليهم، فاسترد ما أخذوه وعاقب من نكث. ولشيخ البيان في هذه الغزوة قصيدة استوفى القضية بأسرها، في أولها:

نفح النصر فملىوا طرباً
هكذا تُبْدي الليالي عجباً
وإذا السعد بسداً كوكبه
ليس تشبهه العمالي والظبا
ولمن قام على المجد فلا
لوم أن يعلو الثريا مركباً

وفي شهر ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ جهز السلطان جيشاً على آل المسيب، أهل نفعاء، عقد لواءه على ابنه السيد نادر بن فيصل. والسبب الداعي إلى ذلك، أن الوالي سليمان بن سويلم يتهم حمد بن سليم السيابي، بتهديب الأطمعة لبني ريام، في أوان حصاره لبلادهم أزكى، وتضييقه عليهم في عام ١٣٢٣، فقبض على قافلته، فاعتذر حمد: أن المتاع حمل لتزوى، وكان الوالي حرداً لجوجاً، فانتهر حمد وكذب لحيته

البيضاء، وأشار إليها، وكان حمد شيخاً مسناً، فخرج قابضاً على لحيته، وهو يكتم صيحة العار، ويمزق حديد النار، لما كان يراه العمانيون للحية من قدر وعظمة، يود أحدهم أن يقضي عليه ولا تذكر لحيته، فأقسم على أبنائه أن يأخذوا بثأر لحيته، فحذره قومه أن يعكر صفوهم، وأن تصبح لحيته لهيب فتنة، فتحرق صفوفهم، فكتم رأيه إلى أواخر ذي الحجة من عام ١٣٢٤.

كمن أبناء حمد برأس جبل من جبال وادي العق الشاهقة، يرقبون رجوع الوالي من زيارته للشرقية، وقد بلغهم أنه استصحب أعيان القبائل، وفيهم إمامنا الخليلي قبل العقد عليه، ورؤساء الحرث، وشيخ بني جابر الطوسيف بن سليمان وغيرهم، وقد دخلوا هذا الوادي ضحوة النهار، فبينما هم في وسطه أثار أبناء حمد النار، فنشروا مخايل الرصاص على صدر الوالي العنيد، فسقط من ظهر جملة قتيلًا، وأردفوه خادمه صريعًا، ولم يعتبروا من عنده، ولا ما يكون بعده؛ امثالاً لأمر أبيهم وبراً لقسمه، وانتقاماً للحية الشاية، قامت قيامة الأوتاد الذين صحبوه؛ لكونه في خفارتهم، وأصروا على الأخذ بثأره، والقيام على آل المسيب، فمنعهم نور الدين السالمي قائلاً: إنه قائد البغاة ويد الجبار. ولا سبيل لكم عليهم؛ بل لا يحل لكم أن تخفروه بقي الرؤساء بين أمرين، وكلاهما مُر؛ إما اقتحام الأخطار، أو الوقوف على العار وحمي الحقد، وموجة الانتقام تقذف بشررها، لما يروونه من انتهاك حرمتهم، وإهانة كرامتهم، فكتبوا لقطب الأئمة المغربي أبحاثاً في الموضوع، فكان من جوابه كجواب نور الدين هنا، كان الحاجز دينياً لا يستطيع انتهاكه، أما الشيخ الجابري لكونه من العتاة، فأبى إلا التعصب بالباطل، فقتل من السيايين رجلين يسدد بهما خطاه من العار العربي، ولم يلتفت لما وراء ذلك لكونه من العتاة.

دبر السلطان الأخذ بثأر واليه، بواسطة رجلين معمرين وهنائي، ففتكوا بالشيخ سيف بن محسن رئيس آل المسيب، وقنع في الظاهر بذلك، ولكن جرة الحقد لم تطفأ من الجانبين، بقيت نارها في الصدور، حتى خرج السلطان متفقداً مملكته، فعسكر ببلدة نخل، وفي الليلة الثانية من وصوله عند السحر، كان دوي البنادق على رأس الشيخين سالم بن مرهون وخليفة بن عبيد المعمرين من أعيان أصحاب السلطان ورؤساء جماعتهم، تقرر عند السلطان أن آل المسيب أخذوا بثأر رئيسهم الشيخ سيف بن محسن، فغضب لذلك، وجهز ابنه السيد نادر لحربهم، فخرج بجيشه، وأقام (ببديد) واستعد آل المسيب استعداد ضعيف لقوي، وقد تجمعت للسلطان قوة فوق العادة، فأشفق عليهم جيرانهم بنو جابر، فتوسطوا على أنهم يؤدون الطاعة، وأن يقبل السلطان إلزام رئيسهم محسن بن زهران، فقبض عليه، وأرسل به مكبلاً بالحديد إلى مسقط، وهدم بنيانهم الشامخ.

ما قيل من الشعر في مدح السلطان فيصل

قد مدح السلطان فيصل شعراء عصره وأكثروا؛ بيد أنه أحرز قصبة الرهان شيخ البيان محمد بن شيخان، فإن له ديواناً ضخماً فيه من المدائح الفائقة، وذكر حروبه، ومدح أنجاله الكرام، ما قصر دونه البلغاء. فمن معلقاته البليغة هذه القصيدة الفريدة التي أودعها كثيراً من التورية:

ألقى إليها النهى طوعاً معولها	شمس من الأنس صار الحسن هيكلا
صبحية الخد تعنو النيرات لها	رغبة القد بطاشية خلقا
أهلي الغراء ولا ذنب فيحملها	نيّة شرعها سفك الدماء على
إلا أصابت من الأبواب مقتلها	ما فوقت لحظها في الناس رامية
تبلى بحكم الهوى إلا وقمن لها	ولا سرى نشرها المسكي في رمم
سقيت من صفوة اللذات سلسلها	يا بانه في رياض الحسن قد نشأت

نسيم عتبي يا سمراء مرّاً بكم
هل أن ميلك نحوي يا نسيم فمن
ما قيدت مهجتي حسنى حديثكم
يا نعم أيا منّا بالرقمتين بكم
من يشتري مهجتي دهرًا بيومكم
أنت صروف وحالت دونكم دول
والدهر من طبعه لم تصف منزلة
لما نبت بي أحوال الزمان ولم
وأحدثت بي ديون أثقلت عنقي
والناس صنفان إما حاسد نعمي
نفس التقى وإن هانت على سفل
إن الأفاضل عسودون نعمتهم
وقادني دعوة ممن مكارمه
كساني الله رأيًا أن أجشمه
عمدت عمدة عقبانًا معمرة
نعالي الصخرة العظمى وهامتها
كانتني في تعالينسا بسذرتها
قد جبت عقبانها المستشرفات على
ومن يجب أوعر الأشياء في طلب العلياء
وصفو دنياك مستور بأكدرها
حتى أناخت بي الآمال كارعة
يا من لمسقط قد طارت به هم
إن رمت للحاجة السوداء فيصلها
ملك به شيم الإحسان مجملته
والسيل إن فتحت أبواب مخرجه
إني لأرحم هاتيك البحور على
وأرحم لأنفس الهلكى بصارمه

والسمر أعد لها ما كان أعد لها
عاداته للعوالي أن يميلها
إلا روت مقلتي بالدمع مرسلها
وخير أيا منّا ما كان أولها
لله ما كان أغلاه وأسهلها
وأرسلت نوب الأيام جحفلها
للمرء لم يرض إلا أن يبدلها
يكن بكفي ما يتئل أنملها
لم ألف من فضله عني تحملها
أو مستهين بنفسي إذ تغللها
لا تستهان لأن الله ففضلها
وبالأراذل تدري الناس أنضلها
تحمل عن عنق المأسور أكبلها
مصاعب الأمر كي أرتاد أسهلها
بالسحب أجبلها تغتال أجدلها
الشعري أكليها بالتاج كللها
على المجرة أوردناك جسدوها
عقبان عزم يقوي الله أرجلها
لا بد أن يجتاح أسهلها
لم تحمل إلا إذا جرعت حنظلها
في لجها ضاريات فيه كلكلها
بشراك بوأت للحاجات منزلها
فيمن ذا اليد البيضاء فيصلها
لكن يشن على الدنيا مفضلها
عم النواحي أعلاها وأسفلها
دأمانها إذ ندى كفيه أخجلها
لما أثارت شهود الموت جحفلها

ما استقبلت هامة للفقر في جهة
 شديد بطش تقود الأسد سطوته
 كبير حلم بلا ذل ولونشرت
 ما جاءه أحد يوماً بمعصرة
 ومن ترقى بمرقى الحلم ما عرضت
 ميسور سمي ترى الآمال واقفة
 إذا سوارى العلا مالت أعد لها
 بقي عُمان بالطاف السياسة من
 قسوي عزم إذا خطب ألم على
 سهران طرف على تدبير دولتهم
 يقظان قلب يسوس الملك مجتهداً
 مدبر مارمى يوماً بداهية
 عباد عيسى النبي صاغوا محاولة
 أهل الطواشي صبيحاً راعهم بحمى
 لا بوركوا في مساعيتهم ولا نهضت
 يا أيها الملك المعمور دولته
 أولاكها الله إنعاماً تحل فقيه
 ما كان من دأبي الأشعار متمدحاً
 إذا كليبُ القوافي أهلكته ضبا
 خذها بديعة حسن قبله للو
 حازت من الحسن أقصاه وغايته

إلا بماضي الندى في الحال جندها
 ولو سرى ذكره في الشَّم زلزلها
 دنياه نكبتها فيسه تحملها
 من زللة زلها إلا تقبلها
 في قصده حاجة إلا وحصلها
 له فيلبس منها فيه أجلها
 تمكين عز فسواها وعندها
 زلازل السشر أن تجتاح مقلها
 أملاكها رده قسراً وأثقلها
 وهم نيام فما أغفى وأغفلها
 في حفظه بمقامسات تأملها
 دهباء إلا رمى بالكشف معضلها
 في ملكه فسانثوا يبرون أنملها
 دار ابن لقمان لما شد أرجلها
 قناتهم لا ولا لاقوا مؤملها
 شكرًا لمن عزز الأشياء وذلها
 سدا بشكر طويل تُعْطَ أطولها
 لكن فتحتم لنا بالوجود مقلها
 ع البخسل إني بكم أغدو مهلهلها
 ك الشمر والله أدعوه ليقبلها
 وحُزرت من ركب العلياء أكملها

ارتقاء السلطان تيمور بن فيصل سلطنة مسقط

ولي الحكم في اليوم الذي توفي فيه أبوه السلطان فيصل، وكان قد رشحه في حياته لمهمات الأمور، وجعله من بعده ولي عهده؛ لكونه أسنَّ إخوته، ولما يتخيله فيه من الصلاح، لتوقد ألبعته، وعلو همته. فقام بالأمر، وأحكم ثغور مسقط ومطرح والباطنة، حذرًا من مهاجمة العمانيين، فوجد الإنكليز لهذا التحزب غيرة وافقت مرادهم، فأظهروا العصبية للسلطان، والحماية له، والمدافعة عنه والقتال دونه، على شروط أخذوها منه، فكانت منهم تعديات برميهم المسلمين في بركا وقريات والوطية، فرأى المسلمون التأخر ذلك الوقت عن القيام على السلطان؛ حذرًا من اتساع الخرق، وأن يجد الخصم بغيته، فبقيت المنافسات والمجادبات، كما هو مفهوم من حال الضدين، حتى وقعت بينهم المعاهدة المعروفة بمعاهدة السيب، في عصر الإمام الخليلي. وسنذكرها في محلها «وفي ص ٩٣» كتاب شركة الزيت الأمريكية.

وقد زار اللورد هاردنق (نائب الملك في الهند مدينة مسقط في خلال شهري ربيع الأول وربيع الثاني عام ١٣٣٣هـ) الموافقين لفبراير (١٩١٥م) ونصح السلطان بمسألة شعب الداخل؛ لأن الإنكليز لن يستطيعوا أن يظلوه بحمايتهم إلى أجل غير محدود، وقد بسط الوكيل السياسي في مسقط العقبات، التي تقف في سبيل الوصول إلى اتفاق يرضاه السلطان، وهي:

١- إن العصاة قابضون على مفتاح الموقف، فإنهم يحتلون وادي سمائل وحصنه، اللذين كانا لا غنى عنهما لازدهار التجارة في مسقط.

٢- إن الثورة قد اتسمت بطابع ديني، وأن الإمام يدعو إلى الجهاد. وأكثر من هذا، فإن كثيرين من الثوار لقوا حتفهم على يد قوات الإنكليز في الهجوم الفاشل

الذي شنوه في شهر يناير، وفضلاً عن هذا، فإنّ شعور السخط قد بلغ مبلغاً أصبح من العسير إزالته.

٣- إنّ الغرض الخاص بمنح إعانات للقبائل ليس خليفاً أن يكون وسيلة مغرية لإقناعها؛ ذلك لأن الإمام قد يحرم من قبول الإعانات بوازع ديني، وأن الزعيمين الآخرين ينعمان بدخل كبير من مركزيهما الحاليين، ومن أراضي الدولة التي قد قبضا عليها في الداخل.

٤- إنّ خفض عدد رجل الحامية إلى العدد العادي سيترك السلطان دون مساعدة يعتمد عليها؛ ذلك لأن السفن البريطانية في زمن الحرب يغلب أن تكون على بعد غير يسير من مسقط؛ بخلاف ما تكون عليه الحال في زمن السلم. وذكرت هذه «الحرب العربية ص ٢٢».

وكتب المؤرخ المسيحي في كتابه المسمى (عمان) لشركة الزيت الأمريكية ص ٩٤: في الفترة الواقعة بين أواخر شهر جمادى الأولى وشهر شعبان عام ١٣٣٣ هـ؛ أي بين أبريل ويونيه ١٩١٥ م ظلت الرسائل والمباحثات متصلة بين زعماء الإمامة وممثلهم من ناحية، وبين الوكيل السياسي البريطاني بوصفه وسيطاً من ناحية أخرى، وقد تمخضت هذه المباحثات عن الأسباب الجوهرية للعداوة التي يحس بها أتباع الإمامة حيال السلطان، وهي:

١- إن قمع تجارة الرقيق يعد أمراً غير مشروع؛ لأن هذه التجارة تسمح بها أحكام الإسلام.

٢- إن تجارة الأسلحة والذخيرة ينبغي ألا يسمح بالتدخل فيها.

٣- إن السلطان كان فاشلاً في تطبيق شريعة الإسلام، فيما يختص بكل القضايا المدنية والجنائية.

٤- كان السلطان يسمح باستيراد التبغ والخمور، وهذا مما تحرمه أحكام الإسلام.

٥- كان السلطان يعتمد على تأييد جنود الإنكليز؛ مع أن الواجب يقضي بإقصائهم.

٦- كان السلطان يفرض حصاراً على الداخل؛ بأن يقطع عنه تيار الواردات المألوف.

٧- ادعى الإنكليز سيطرتهم على البحر؛ مع أنه ينبغي أن يكون مشاعاً للجميع. ثم كتب بعد ذلك ص ٩٥.

وقد بعث بالإمام بكتاب الوكيل السياسي أكد فيه، أنه لن يستطيع أن يجري أي إجراء، يهدف إلى عقد صلح دون استشارة نواب شعبه، الذي يقطن أفرادُه المنطقة الممتدة من الشرقية إلى نزوى كلها.

وفي شهر شوال عام ١٣٣٤هـ (الموافق لأغسطس ١٩١٥م) تلقى الوكيل السياسي كتاباً بتوقيع الإمام، وعيسى بن صالح، وحميز بن ناصر، وقاضي الإمام، وقد طلبوا إليه فيه، أن يجتمع بعيسى بوصفه ممثلاً للإمام على مقربة من السيب على الساحل. واستصحب عيسى قاضي الإمام إلى هذا الاجتماع الذي تمَّ في شهر محرم عام ١٣٣٤هـ (الموافق لسبتمبر ١٩١٥م) وإذا تقدمت المباحثات، أحس الوكيل السياسي أنه بات ممكناً الوصول إلى حل وسط، وكانت النقطة الرئيسية مثار

الخلاف، إصرار السلطان على أن تجلو قوات الإمام لمصلحته عن الاستحكامات القائمة عند سمائل، ويبدو أن عيسى كان يوشك أن يقبل هذا، لولا أن تدخل القاضي، مؤكداً أن الاستحكامات المذكورة لن تخلى ما دام الإمام حياً. اهـ كلامه.

وفي أيام هذا السلطان كثرت الشعابث واضطربت الأحوال، وعاث اللصوص في الباطنة والشميلية، حتى إن الفرد لا يستطيع الخروج من بلد إلى بلد آخر إلا بجماعة تحميه، وتناولت أيدي المردة كل من صادفته. وبلغ الأمر أنه في عام ١٣٤٤ خرج من صحار السيدان خالد ومحمد ابنا محمد بن تركي، ابنا عم السلطان تيمور بن فيصل بن تركي، فقبض عليهما الحراسيس، وخليفة بن الحبل القتبي في سيح السميني فباعوا أحدهما على سيف بن راشد النايلى بالبريمي، والآخر على العوامر، فجلبوهما إلى ضنك ففكهما الشيخ حمد بن أحمد اليحيائي عن ألف وستائة قرش، فأرسل بخالد إلى والي صحار يعرب بن قحطان، فاستلمه منه، وبقي محمد عند الشيخ اليحيائي ثماني سنوات، وبعد ذلك أرسل به ابنه خليفة إلى السيد حمد بن فيصل فسلمه إليه. وما سبب هذا كله إلا الإهمال، واختيار السلطان للعزلة والسياحة بأرض الهند، وتركه سياسة الأمر إلى الوزارة بالنيابة عنه.

خروج سيدي نور الدين من سمائل إلى الشرقية

في شهر ذي القعدة من عام ١٣٣١ بعد وفاة السلطان فيصل، خرج سيدي نور الدين من سمائل، وفي صحبته السيد سعود بن حمد بن هلال، والتقى بالرئيس المطاع حمير بن ناصر بأزكى؛ لوعده سبق بينهم في معارفة قبائل الشرقية، والاجتماع بهم في مهمات الدولة، ومناصرة الإمام، وإطفاء الفتن القديمة بينهم. وقد فوض الإمام

سالم الأمور في يد سيدي الوالد تفويضًا مطلقًا، فيما يراه من المصالح العامة، فهو يمضيها باسمه ورسمه.

فلما نزلوا بالخضر من وادي عند أم أصلحوا ما بين أهلها من الرواشد والشروج، وكانت بينهم حروب منذ بضع وثلاثين سنة.

فكان من رأي نور الدين أنَّ ما سفك من الدماء، ونهب من الأموال بين القبائل، في الحرب الماضية، قبل دخولهم تحت طاعة الإمام ويبيعهم له يسكت عنه، ومن تعدى بعد ذلك يؤاخذ بجنائته؛ إذ لا يتهياً الحكم بينهم؛ لعدم الحجة العادلة على الباغي، بل أكثر حروب أهل عمان بغى بعضهم على بعض، فأعلن للرواشد والشروج عن ذلك، فقبلوا قوله، وامثلوا لأمره، ففتحت طرقهم بعد أن كانت مسدودة، وقامت سوقهم بعد ما كانت عاطلة، ودخل بعضهم عند بعض، وأعلن لبني رواحة وبني ريام والحارث والمساكرة بذلك، ثمَّ خرجوا من الخضر إلى سمد الشان، وأصلح ما بين أهلها. وأمر أن يرفع علم الإمام بحصنها وترك الشيخ سالم بن سيف بن سعيد البوسعيدي واليًّا، وقلده القضاء عليها، ثم انتقلوا إلى إبرا، وأصلح شأن المساكرة والحارث وانحسمت المخاوف القديمة بينهم، وبركة العدل صار هذا الصلح هادماً لما قبله من الضغائن والأحقاد، التي ورثها الأبناء عن الأجداد، وتلقاهم الشيخ عيسى بإبرا. ثم توجهوا لزيارته بمعيته إلى مركزه بالقابل، فقابلهم بالبشر والحفاوة، والتقوا ببعض آل حجر، وطلبوا زيارتهم، وكانوا في ذلك الوقت أهل فضل ودين، فأسعفوهم، وفي بدية وافاهم أعيان الهشم الكرام، وأخذ منهم نور الدين البيعة للإمام. وبعد انتهاء الزيارة لبدية خرج الشيخ حمير إلى جعلان زائراً أمراءها على بن عبد الله ومحمد ابن أخيه بن ناصر بن عبد الله آل حمود، فاستقبلوه بحفاوة واحتشام، وقابلوه بما هو أهله من الاحترام، فأبدى لهم بعد تمام

الزيارة ما جاء به من الكلام، وليعرف رأيهم بعدما طلب منهم أن يدخلوا فيما دخل فيه المسلمون من النظام، فتأجلوا في الدخول نظرًا للمستقبل، والمستقبل كليل، ووعدوه في حاضر الوقت لزوم الحياد، وأن يكفوا عن مناصرة السلطان، فقبل ذلك، واكتفى به أمراء بني بو علي رؤساء على غافرية الشرقية، يقر لهم قومهم بذلك، ويرون لهم حقًا عظيمًا وخطرًا جسيمًا، يقفون عند إشارتهم، ولكونهم أنصار السلطان من قديم الزمان، وتحت قيادتهم جمهور كبير، كان من رأي الإمام وأنصاره مسير الشيخ حمير إليهم، لاستفسار حالهم، وأداء النصيحة الواجبة على المسلم لأخيه، وإن للتحزب الباطل بعمان أثرًا عميقًا؛ فلكونهم يعتقدون أن الشيخ الحميري من ملوك الغافرية؛ كان ذلك أرجى للقبول منهم.

فوفوا بما وعدوه به، وأتموا ما تعهدوه له، فلم يطرخوا باب السلطان اثني عشر عامًا، حتى طرده أعيان عمان، وكانت كتب السلطان إليهم متوالية؛ ولكنهم رأوا الوفاء من شيم الأحرار.

تدخل الشيخ حمدان بن زايد الفلاحي

بالصلح بين الإمام والسلطان والاجتماع بالسيب

في أيام عيد الأضحى من سنة ١٣٣١ وصلت كتب من الشيخ حمدان بن زايد آل خليفة الفلاحي الياسي، حاكم أبو ظبي للشيخ عيسى بن صالح والعلامة نور الدين؛ إذ كان نور الدين ذلك الأوان بالشرقية، ذكر أنه مخيم ببلد السيب من الباطنة، ويحب وصولهم إليه، فهو يأمل التوسط بالصلح بين الإمام سالم والسلطان تيمور؛ لأنها كانت بين بني ياس وملوك مسقط مواصلة ومعاضدة، فلما رأوا تفاقم الأمر بين العمانيين أحبوا أن يدخلوا بينهم بالصلح؛ لحسم مادة الشقاق فخرج

الشيخان ومن عندهم من الأعيان، فكان وصولهم سمد الشان في اليوم السادس عشر من ذي الحجة عام ١٣٣١ هـ على طريق وادي العق. ولما أن خرجوا من الوادي توجه الشيخ عيسى ومن معه إلى السيب للاجتماع بالشيخ حمدان، وقصد نور الدين والعلامة أبو مالك ومن معهما إلى سمائل، وكان الإمام سالم بها، فعرضاً عليه ما كتبه لهم الشيخ حمدان، وما خرج به الأمير الشيخ عيسى، فكان من رأيه عدم قبول الصلح ورضاءه به؛ إذ كان رحمه الله لا يرى إلا المناظرة حتى يحكم الله بينه وبينهم، فأجمع رأيهم أن يرسلوا للأنصار بأن يحضروا ليعرفوا رأيهم. فلما اجتمعوا أجمعوا على عدم القبول، فأرسل الإمام شيخنا العلامة أبا مالك إلى السيب؛ ليخبر الأمير بما اقتضاه نظر العمانيين.

وكان رأي الشيخ عيسى إطفاء نائرة السلطان، واستبقائهم وتركهم وما بأيديهم؛ شفقة على العمانيين من التضييق، فهو يخشى أن يشتد على العمانيين البلاء، فيكون منهم الخذلان للإمام، فبقي الأمير مصرّاً على رأيه، ولم يثنه عن قصده ومراده وصول العلامة أبو مالك، ويرى أن له النظر المطلق في مصالح الإمام والإسلام.

ثم طلب الشيخ حمدان من الشيخ عيسى، ومن معه من الأعيان الوصول إلى بيت السلطان بمسقط؛ لإتمام المعرفة، وتجديد الصداقة؛ فساعفه الأمير، ولكن أهل الرأي لم يروا للأمير ذلك خوف غوائل الملوك، وما يؤثر من خداعهم ودهائهم، فلم ير الشيخ عيسى إلا إتمام ما أجابهم إليه.

فركبوا (نور البحر) باخرة السلطان ومع الشيخ حمدان إخوانه الذين كانوا بصحبته، وذلك في شهر المحرم في سنة ١٣٣٢ هـ فما أن وصلوا مسقط حتى تلقاهم السلطان، وقابلهم بالحفاوة والإكرام وضروب الجوائز، فلبثوا إلى عصر ذلك اليوم، ثم رجعوا إلى السيب، ومنها إلى سمائل، فعرض الشيخ عيسى على الإمام ما جاء به

من الصلح، وهذا نصّة: اشترط الشيخ حمدان بن زايد على الأمير شروطاً، واشترط له شروطاً:

الأول: أن لا يتعدى الإمام الحوزة التي هو فيها وملكه على عمان الداخلية، وأن يرد للسادة حصنى بدبد وسهائل، فيكونا تبعاً لحصون الباطنة، وأن لا يضر بعضهم بعضاً، وأن الداخل من الطرفين آمن.

الثاني: أن لا يسلم السلطان شيئاً من المملكة العمانية للإنجليز.

الثالث: أن لا يأوي محدثاً على الإمام ورعاياه.

الرابع: أن لا يسعى لهم بضر ظاهر ولا باطن.

الخامس: أن السلطان يقيم العدل على نهج الشريعة ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويرفع المظالم.

السادس: إن العشور بالجمارك السلطانية في المائة خمسة على القاعدة ويرفع ما زاد.

السابع: أن الصناديق النازلة بجمرك صور لا تفتش أصلاً.

الثامن: أن يرفع العشور عن الرُّمان النازل بالجمارك السلطانية.

أجابه الأمير: إن رد الحصون متعذر، ولا يجوز لنا أن نساعفكم على ذلك، وليس للإمام أن يرد معاقل المسلمين إلى الجبابرة؛ أمّا بقية الشروط فنعرضها على الإمام، فبيده الحل والعقد.

عرض هذا الصلح على الإمام؛ فرفضه وأبى من قبوله، وكثرت الأنظار مع الأنصار، وخافوا الفرقة في بدء الأمر، إذا رد على الأمير ما جاء به، وسعى فيه وهو يراه من أعظم المصالح.

فأرأوا أن يسكت الإمام في الحال، وأن يتأجل في الإتمام إلى مناظرة أنصاره؛ لأنهم تفرقوا قبل رجوع الأمير، وأن يرسلوا إليه بالجواب بعد مفاهمة الأنصار. وبعد وصولهم نزوى أرسلوا إليه الشيخ حامد بن سيف الزواحي، فوافاه ببلد الظاهر، وأخبره أن الأنصار أبوا من قبول الصلح، وأن الإمام لا يرى إلا موافقتهم، ولا يرى إلا المنابذة.

وفي وقت هذا الاجتماع بالسيب اتفق اجتماع الشيخ عيسى بالشيخ العالم الفقيه راشد بن عزيز الخصيصي، الرجل الماهر الداهلية الذي كان عظيم المديرين للدولة السلطانية، والمناضل عنها بسياسته وتدبيره، وهو ممن له في العلم القدح المعلى بين أهل عمان. وقد عرف هذا الشيخ بالكرم والجود، وشهر بالسخاء والبذل وزاره كرمه نفوذاً في تمثيله أوامر السلطان. ولم ير بدءاً من ملازمة الملوك؛ لأنه نشأ في بساط فضلهم، وتربى في مهد جودهم. ولما ظهر العدل وعقدت الإمامة، لم يكتب التوفيق له تجاه دولة المسلمين، فأظهر للناس أن هذه فتنة صماء عند أهل عمان، وأنهم ليسوا على الحق، وبث كتبه في أقطار الأرض، وشنع على المسلمين، وأرجف بهم، فعاتبه الأمير على ذلك، فاعتذر أنه في تقية، ولا يمكنه إلا ذلك، وأن مقامه عند السلطان هو لإرشاده من ذهاب المملكة بيد الإنكليز، ونحو ذلك من الأعذار، وأنه لو دخل مع المسلمين لم يقبلوه، لما بلغه بأنهم أهدروا دمه. واعترف أن الإمام محق، وأن دولة المسلمين على هدى، فقال له الأمير: ألم تقل: إنها فتنة؟ فأجابه: إن الله يقول: {ونبلوكم بالشر والخير فتنة} فتخلص بها، وكان منطقياً داهية، عنقفيراً. وطالت

المحاورات بينه وإياه، فأحسن التخلص منها، وأجاد الجواب عنها، ثم صار اجتماع آخر بالسيب بعد الاجتماع الأول، كان دائرة عقده الشيخ سلطان بن محمد بن علي النعيمي حاكم البريمي، حضره جم غفير من رؤساء العمانيين. ورام هذا الشيخ أن يعقد صلحاً بين السلطان والإمام، فما تم فيه أمر ورجع كل إلى وطنه.

وفي ذلك الوقت وصل أعيان معولة بن شمس، يرأسهم سيف بن سالم بن سيف، وعنده حمد بن سعيد، وسعيد بن خلفان الشاعر وسعود بن حمد بن سيف، وراشد بن نبهان، ورهط من جماعتهم، فواجهوا الإمام سالم بسائل، وبابيعوه، وطلبوا منه أن يتصل بهم لقهر واديهم، فوعدهم. وسيأتي ذلك إن شاء الله.

جعل الإمام والياً على سائل الشهم الفيصل الزاهد سعود بن حمد بن هلال البوسعيدي. وفي اليوم الثلاثين من شهر المحرم سنة ١٣٣٢ خرج الإمام من سائل على طريق وادي الغربي، وفي صحبته الأمير عيسى. وهذا كتاب الإمام ونور الدين لإخوانهم في تبصرة من إفريقية يتضمن الفتوحات.

بسم الله الرحمن الرحيم

من إمام المسلمين سالم بن راشد الخروصي، وعبد الله بن حميد السالمي، إلى حضرة المشايخ الكرام الإخوة: ناصر بن سالم، ومحمد بن سالم، وسيف بن خميس، وسالم بن ساعد، وسالم بن جمعة، وكافة الإخوان العمانيين، وغيرهم من كافة المسلمين النازلين بنواحي تبصرة، سلام عليكم، فإننا نحمد الله إليكم، ونشكره على ما منَّ به علينا، من إقامة كتاب الله، وإظهار دين الله، فقد أتمَّ الله علينا نعمته، وجمع شتاتنا، وألف بين قلوبنا، وقام أكابر عمان ورعاياهم قومة واحدة، على نية واحدة، فمنحهم الله الفتح المبين، والنصر العزيز. عقدت الإمامة بتتوف آخر اليوم الثاني

عشر والإثنين من جمادى الثانية في ساعة الشمس، وانتقلنا إلى نزوى، في تلك الساعة من الإثنين القابلة من يوم ١٩، ودخلناها وقت السحر، وهي في أمتع ما يكون عدة وعدداً وبأساً وشهامة، فمنحنا الله أكتافهم للأسر ودماءهم للقتل بنصر من الله وإعانة، وآتاهم الله من حيث لا يحتسبون، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم، فأنزلهم الله منها، وواجه والي منح، وسلم البلد، وواجه سلطان عبري وبائع، وواجه شيوخ الجنبه وشيوخ أوم وبائعوا، وانتقلنا إلى أزكى يوم تاسع رجب، بعد صلاة جمعيتين بنزوى، ففتحها الله لنا ببركة واليها الحميد سعود بن حمد، وانتقلنا منها إلى سمائل في يوم ٢٦ من رجب عصيراً، وأحطنا بحصن سمائل صبح ٢٩، بعد احتجاج ونصائح، وفيه نادر بن فيصل، وحمود بن حمد بن هلال، وحمود ابن الإمام عزان بن قيس، وغيرهم من سادة القوم عشرة، وهو في أتم عدة، فقام الحصار عليه سبعة وعشرين يوماً، ونزلوا ليلة ٢٨، وكان الشيخ عيسى ومن معه قد نزل بالخوض لمرابطة فيصل وأولادهم، وهم بالسيب، وطائفة أخرى من الجيش فيهم علي بن هلال بن زاهر، ومطاوعة الحجريين وآخرون من ريام وعبس، وقد حاصرت حصن بدبد، وفتح يوم ٢٥ شعبان. وها نحن منذ فتح الحصنين لم نفارقهما، أقمنا لإظهار العدل في البلدين وتوابعهما، مرابطين للعدو، ومنتظرين لفرصة النهضة على مسقط. وقرىباً - إن شاء الله - نزحف إليها، ونسال الله وصول كتابنا هذا إلى حضر تكم، وأنتم في أتم نعمة، وعرفونا بوصوله إذا وصل. كتابك أيها الأخ ناصر وصل، وإعانتكم الأولى لم تصل، والثانية لم يأتنا فيها بيان، ولعله لانقطاع الطريق، والسلام.

كتبه عن إملاء والده محمد بن عبد الله بيده، يوم ثاني ذي القعدة سنة ١٣٣١. وحينما نحن مقيمون بأزكى ثار بنو خروص والعبريون على حصن العوابي، فخلص يوم ١٧ من شهر رجب. اهـ.

وفد معولة بن شمس إلى الإمام بسائل

ولما أراد الله أن تنتظم بلادهم في سلك نظام الإمامة، ألقى الله في قلوب معولة حب الإيمان، فخالقوا رئيسهم الشيخ سليمان بن ناصر بن محمد؛ إذ كان هواه مع السلطان، فخرج قسم منهم إلى الإمام على طريق عقبة، ألقت إلى سائل بعد فتحها، وكان خروجهم في شهر المحرم سنة ١٣٣٢، فاجتمعوا بالإمام، وأخبروه بما جاءوا إليه، من استعدادهم للمناصرة، وفرارهم من أئمة الجور، وطلبوا منه المساعدة على خصمهم، وحماية بلادهم، فوعدهم جميلاً، وجعل لذلك أجلاً يوافقهم عليه، وأكثر الخارجين من أهل مسلمات. وكان أمير القوم سيف بن سالم، وهم نيف وأربعون رجلاً، فناداهم نور الدين: يا آل شمس، هل من مبايع؟ فأجاب القوم: ما جئنا إلا لذلك. وتقدم أبو البركات سعود بن حمد بن سيف، فمدّ يده للبيعة، وهو يتلو الآية الكريمة: {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه} ثم بايع بقية القوم، وأقاموا سبعة عشر يوماً في ضيافة الإمام. وبعد انقضاء لوازم الزيارة، استأذنوا الإمام في الرجوع، فأذن لهم، فرجعوا ملتزمين بالأمر والنهي في بلادهم، وبالقيام على كل من لم يدخل في طاعة الإمام من قومهم، وعلى أن يقوموا مع الإمام لحرب نخل. فلما وصلوا هموا بما كانوا أملوا به، وعارضهم رئيسهم الشيخ سليمان بن ناصر، فكتبوا للإمام بما كان من أمره، فأجابهم أن لا تعجلوا، وهمّ سليمان أن يشرّد بيني خروص وأتباعهم من وادي معولة عناداً للحق، فمنعه المقدام سيف بن سالم، وكان مناصحاً للإمام مجتهداً. ولما شق عليه الأمر، خرج مرة ثانية إلى الإمام في اثني عشر رجلاً من قومه، واقتحم الجبل الأخضر، طالباً من الإمام المساعدة على أمره، والوفاء بالوعد الأول.

فتح نخل

في اليوم السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٢، وصل الأمير الشيخ عيسى بن صالح نزوى، مليئاً دعوة الإمام، وقبل وصوله وصل شيخنا العلامة أبو خليل محمد بن عبد الله الخليلي، فتناظروا فيمن يخلف نور الدين السالمي، فأجمع رأيهم على أن يكون العالم العلامة عامر بن خميس المالكي مديراً لشئون الإمامة، كما كان عليه نور الدين السالمي، فهو خليفته في العلم والعمل، وتشاوروا في أمر نخل، فأجمع رأيهم أيضاً في الخروج على أهلها، والوفاء بالوعد السابق للمعاول، فخرج الإمام سالم، وفي صحبته الشيخ أبو خليل عن طريق الجبل، وصحبهم الأمير عيسى بن صالح إلى تنوف مشيئاً وزائراً للشيخ حمير بن ناصر، فنزل الإمام بلدة العواوي، وركب منها إلى بلدة المعاول، واستخلف الإمام على نزوى العلامة المالكي، وكان قواد هذه الغزوة الرئيس المناصر حمير بن ناصر، والشيخ سعود بن بدر بن هلال الهنائي، والشيخ العلامة ناصر بن راشد الخروصي في جماعته، فنزلوا بمسلمات من بلدان وادي المعاول، وتصدى الشيخ حمد بن سعيد بن أحمد المعولي، لنفقة الجيش ومدد الإمام، وقام بالواجب خير قيام.

أمّا الشيخ سليمان بن ناصر أمير معولة، فقد امتنع عن الانقياد في أول الأمر، فقام عليه بجماعته، فلم ير بداً من موافقتهم، فانتقاد وأذعن وبائع، وسلمت معولة الأمر للإمام.

وكان رئيس نخل في ذلك الوقت الشيخ أحمد بن ثنيان الحراصي، وقد أقره السلطان تيمور بن فيصل والياً على حصنها، وملكه أزمة أمرها، فخاطب الشيخ الحميري أعيان نخل، في الانقياد للحق، والإذعان للإمام؛ لأن أهل نخل ميلهم إلى

الحميري، وبها كثير من قومه، فأجابوه بما يجمل ويحسن، فخرج إليهم ليلاً، وأصبح بجامعها وواجهه أهلها، إلا الشيخ أحمد بن ثنيان، فإنه قد ترفع بحصنها المانع، ومعه السيد حارب بن سعيد بن حمد البوسعيدي، أخو السيد سيف بن حمد الذي قتل نفسه بنزوى، فأرسل الأمير الحميري إلى الشيخ أحمدك، إما أن تنزل على ذمتي، أو تكون مخالفاً، فطلب أحمد مهلة إلى أن يكتب للسلطان في قبض أمانته، وإلا فلا تبعه عليه، فأعطاه إلى وصول جواب كتابه.

وبعد أيام وجيزة وصل الجواب من السلطان لأحمد بن ثنيان: إن لم تكن لك قوة على الحرب، فاعمل ما شئت. فأذعن أحمد بن ثنيان من غير حرب، وطلب أن يسمح له بذخائر الحصن، فأعطاه الحميري ذلك. ولما عرف السيد حارب، عزم الشيخ أحمد، وما انطوى عليه، خرج ليلاً، وتوجه إلى السلطان ببركا، ودخل الإمام حصن نخل، وأقام به، وأصلح الفاسد، وأدب المعاند، وجعل الشيخ العلامة سيف بن أحمد الكندي قاضياً عليها، والشيخ العالم على بن ناصر اليمحمدي قاضياً بوادي المعاول.

هذا وقد أمر الإمام سالم بقبض أموال السيد محمد بن أحمد الغشام، التي هي بوادي المعاول، لاستغراقها في المظالم، فهو لأهله المظلومين، وهم مجهولون، يعتذر الوقوف عليهم. وحكم المجهول لبيت المال. وبهذا حكم الإمام المحقق الخليلي رحمه الله في عصر الإمام عزان بن قيس.

صفة حكم الإمام

حكم الإمام سالم بن راشد الخروصي، بإشارة العلماء الذين معه، كالشيخ عامر بن خميس المالكي، والشيخ العالم ناصر بن راشد الخروصي، ومن عندهم في أموال السيد محمد بن أحمد بن ناصر الغشام، والشيخ العالم راشد بن عزيز بأنها صافية؛ لكونها عاملين للجبابة بجبيان لهما الخراج، ويقودان لهما جيوش البغي على المسلمين، وأن أموالهما مستغرقة في مظالمها، وأن للإمام حوزها، وجعلها في عز الدولة اقتفاء لما مشى عليه الأئمة -رضوان الله عليهم- من عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إلى عهد عمر بن الخطاب الخروصي إلى الإمام عزان بن قيس -رضي الله عنهم- فأمر الإمام سالم بحوز هذه الأموال، وإنفاقها في عز دولة المسلمين.

ولما بويع الإمام الخليلي، نظر إلى حال العمانيين، واضطراب كلمتهم، وضعف همهم التي كان عليها الأولون، وأن سلاطين مسقط كثر ظلمهم، وعظم عسفهم وغشمهم، فصالحهم على الكفاف، وتأمين البلاد، وعلى أن يسكت عن تلك الأموال، لا ردًا لحكم الحاكمين ولا إبطالًا، وإنما سكوته لمصلحة رآها. وحضرت مجلسه ذات يوم، وقد باحث القاضي سفيان بن محمد الراشدي في القضية، فأجاب أن الحكم صحيح، وأن تلك الأموال بيت مال؛ وإنما سكوتنا عنها لمصلحة تحريناها، وهي تخفيف الظلم وتأمين البلاد، فكتب ذلك عنه القاضي سفيان بغرفة الإمام من حصن نزوى.

بقي الإمام سالم بوادي المعاول ونخل لتسكين حوادثها، وقد كثر بها الرهج والغيلة، وفشا بها قتل الصلحاء، فقتل من المعاول جملة رجال غيلة. ومن جملتهم

الزاهد الشيخ عبد الرحمن بن خميس بن أبي نبهان الخروصي وابنه، وقتل من الفضلاء بنخل العلامة الولي سيف بن أحمد الكندي، وهو شيخ كبير يناهز السبعين قتل ببيته هو وزوجته نائمين، والشيخ العالم محمد بن عبد الله السلامي، والثقة الفاضل ناصر بن سعيد الخروصي، والشيخ الزاهد سيف بن محمد السلامي، والشيخ العارف سعيد بن سالم العرفاني وابنه، وغيرهم من الأفاضل كثيرون، ومن العامة جم غفير. أمّا الواقع في نخل، فالسبب فيه أن الإمام سالم أمر بقتل شيخ أهل نخل أحمد بن ثنيان الخراسي، لما حدثت منه أحداث منه أحيانًا تخالف الشرع، فقبض عليه الإمام وصفده بالحديد، وأرسله إلى مطمورة نزوى، فلبث بها طويلاً، ثم أطلق بشفاعته أنه نادم وتائب، فما هو إلا أن رجع إلى ما كان عليه، فأمر الإمام بقتله، فقتل في مجلسه أمام المسجد الجامع بنخل وقت صلاة العصر، فقام أخوه خلفان بن ثنيان وابن أخيه حمود بن سالم بن ثنيان، يطالبون بثأره. أمّا خلفان جمع اللصوص والمقاطيع، وأقام بالرميس من الباطنة، وكانت حكومة مسقط ظهرًا له، فشن الغارات على نخل، وقتل أنفسًا كثيرة ظلماً وعدوانًا، وأكثر المصايين بالقتل السلاميون، وبنو خروص جماعة الإمام، رحمه الله.

وأمّا حمود فبقي عيتًا لهم بنخل، يدهم على عورات المسلمين. وفي اليوم التاسع من ذي الحجة؛ أمر الإمام بالقبض على حمود بن سالم، فهرب إلى جماعته بجها، فأمر بهدم بيوته، وحرق منازلها التي هي مأوى البغي.

وخلفان بقي بالرميس على تلك الحالة دهرًا، حتى رجع إلى نخل، في عصر الإمام الخليفي، ظنًا منه الخير في استئلافه، وأنه رئيس. فلعل المروءة تقوده، فما كان إلا كقوم موسى، اختار منهم سبعين، فعبدوا العجل، واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أبي سرح كاتبًا؛ فارتدّ. وكاد خلفان أن يتغلب على البلد وعاملها،

فأرسل الإمام الخليلي عصابة من عسكره إلى عامله بنخل، وأمره بالفتك به، بعد إقامة الحجة عليه، فاستخف بهم، وأعارهم أذنًا صماء، ففتكوا به ضحى في مجلسه بحضرة قومه، وقتل عنده خادمه، ولم يصب أحد من عسكر الإمام بئأس ولا أذى. وسيأتي بيان ذلك في سيرة الإمام الخليلي، إن شاء الله.

ثم رأى الإمام سالم أن بقاء مثل هؤلاء الرؤساء من الجبابة والبغاة داعية الفساد في الأرض، فأمر بقتل رئيس المعاول، وهو الشيخ سليمان بن ناصر المعولي، وكان أيضًا ممن كثر عسفه وغشمه، وقد تمتع عن الإمام بعد رجوعهم من بركا، فهو ممن يبطن الصداقة لحكومة مسقط، ويترقب الدوائر بالمسلمين، فهجم عليه العسكر في بيته ليلاً بين عائلته وعسكره وإخوته فأصبح قتيلاً، وقام بعد ذلك إخوته للأخذ بثأره؛ لكنه قيام أعرج؛ لأن جماعتهم خذلوهم فبقيت دسائس ضاعت بسببها البلاد وخاف البرى، واستمرت أمورهم على هذا ردحاً من الزمن حتى ولي الأمر الإمام الخليلي، فضغط عليهم إلى أن نكصوا عن سفستهم، فنصب في المعاول أميراً الشيخ خلف بن ناصر المعولي أخا المقتول سليمان؛ لأنهم بيت رياستهم، وكان هذا الشيخ عاقلاً حصيماً، أريباً، عارفاً بالأمور.

ذكر خروج الإمام إلى بركا

وذلك على إثر فتح نخل، وكان عامل السلطان عليها السيد هلال بن حمد السمار، وقد جمع السلطان جيشاً عظيماً، وتقدم إلى بركا مناصراً لعامله؛ مخافة المهاجمة عليها، وقد أحضر القوات السلطانية، فكانت مهاجمات بين الفريقين؛ إذ كل منهم قريب من الآخر، فرأى الإمام أن تكون بنو هناة وبنو خروص ببلد حبرى من وادي المعاول لمراقبة بها، وبقي الإمام بمن عنده ببلد نخل، فخرجت خارجة من قوم

السلطان وعليها السادة: محمد بن حمد راعي طيبة، ومحمد بن أحمد الغشام، وهلال بن أحمد السمار، ولا يخلو القوم من عين تغريهم، فوصلوا إلى بليدة العريق من أعمال حبرى، فكانت بينهم وبين البادية الذين كانوا حولها مرامات، فانهزم الخارجون من غير مفيد. ثم جاء الخبر إلى الإمام أن السلطان وصل إلى وادي المعاول، ولكن بعد ذلك تبين للإمام أن الخبر عارياً من الصحة، وإنما ذلك هو أن الشيخ حمد بن هلال السعدي رئيس آل سعد جاء ليتوسط بالصلح بين الإمام والسلطان، فتواصل الصريخ قبل استكشاف صحة الخبر، فما وقف الجيش حتى هجم على بركا، فتفوق جيش السلطان الذي جمعه لأن أكثرهم لم يخرجوا إلا طمعاً، وما لهم بالقتال من حاجة، وكان نزول الإمام بمحلة نعمان من الثرامد، والتجأ السلطان ومن معه من السادة وأهل الثبات بحصن بركا للمحاماة، فكانوا يخرجون لمقاتلة الثوار، ويرجعون إلى حصنهم، ووقع بينهم ذات يوم قتال عنيف على (البنك) وهو بيت الوالي سليمان بن سويلم، واستشهد في تلك المعركة من أصحاب الإمام الشيخ سيف بن سالم المعولي، وهو المقدم الذي استعان بالإمام، وقتل سليمان بن حمدان المعولي، وجرح كثيرون، ولا نعلم من أصيب من جند السلطان وأعوانه.

وفي أثناء هذا الحصار طلب السلطان تيمور من الإنجليز الدفاع عنه، لما رأى أن العمانيين خذلوه، فأقبلت بارجة حربية إنجليزية، وجعلت ترمي بنيران مدافعها جيش الإمام وثكناته. فلما رأى الإمام ومن معه أن الأجنيبي قد تدخل في القضية، أجمع رأيهم على الرجوع إلى وادي المعاول، وهناك عسكر الإمام، وأصلح شئون البلاد والعباد أثناء قيامه بها.

خروج الإمام سالم بن راشد إلى الوطية

في منتصف شهر صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألف سنة ١٣٣٣ هـ، خرج الإمام سالم بن راشد الخروصي؛ لحرب مسقط بمن معه من الأمراء، وفيهم الأميران؛ الحميري والحارثي، والعلامة أبو مالك.

كان من رأي الإمام عدم التأخير عنها؛ إذ لا ينتظم ملك عمان إلا بقهر العاصمة، لاختلاف أهواء العمانيين. أما رأي الشيخ عيسى بن صالح الحارثي، فهو عدم التعرض للسلطان، فيما بقي بيده من المراكز والبلدان؛ ولكنه لا يرى مخالفة الإمام.

وما كانت مسقط لتنجو من السقوط لولا قوات بريطانيا.

اجتمع الإمام رحمه الله ومن معه من الأمراء بفنحاء، فخرجوا منها، وقصد الإمام بمن عنده طريق بوشر، وقصد الشيخ عيسى ومن عنده، عن طريق الخوير، واجتمع الكل بالوطية في اليوم الثالث والعشرين من شهر صفر.

من خبر الشيخ الأمير عيسى، لما وصل بلدة سرور، كتب للسلطان كتابًا يتضمن نقض الذمة بينهم وإياه، وأنه لا يرى إلا امتثال أوامر الإمام.

فأجابه السلطان بكتاب، وأنشد فيه قول أبي الطيب المتنبي:

ولا بدّ من يوم أغر محجل يطول استعاعي بعده للنوادر

ولما تحيز المسلمون عن الوطية، ورد كتاب آخر من السلطان للأمير أيضًا كتب

فيه:

ورب مريد ضره ضر نفسه وهاد إليه الجيش أهدي وما هدي

إن من خبر هذه الغزوة لما وصل الجيش العماني الوطية، قبيل المغرب، من مساء يوم الثالث والعشرين عزموا على الهجوم على العساكر الإنكليزية الذين هم براء وس الجبال، فوثبوا عليهم واستحلوها. وكان مقدمة جيش السرية الزعيم المجاهد علي بن صالح.

فأصبح الزعيم بمن عنده قاهرًا لتلك الجبال، وحيث إنه لم يكمل وصول الجيش، وإنما وصلت بوادره، ولم يكن عند المسلمين شيء من أمر الحرب على النظام الجديد. ولا شيء من السلاح الجديد، وإنما هم على العادة العربية، ورأوا أنهم قد أجلوهم في أسرع وقت، داخلتهم النخوة العربية، وبادرة الطيش، وما عرفوا أنه الداء العضال الذي نهى الله عنه، {ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم}، فما لبثوا إلا ليلتهم تلك. وحين أصبح النهار، أقبل الجيش النظامي من بيت الفلج الذي أعده السلطان معسكرًا، وفيه ضباط الإنكليز بمدافعهم الرشاشة والبنادق الجديدة، فجعلت ترميهم من وجوههم والسلطان يرميهم بالقنابل من البحر، فما لبث المسلمون على هذه الحال إلا يسيرًا حتى انجلوا من الجبال، وانجلى الناس، وثبت الزعيم المجاهد علي بن صالح بمن معه. فلما رأى الإمام ذلك، سل سيفه وتقدم متعرضًا للشهادة، وعنده السيد سعود بن حمد والشيخ عيسى، والعلامة المالكي وغيرهم من أفاضل المسلمين، فتبعوه ساعة يقفون أثره على الموت، ولحقهم جماعة من المسلمين، فأمسكوا الإمام وقالوا: لا نرى فائدة في إلقاءك لنفسك، وهذه العصاة القليلة إلى العدو؛ فإن في ذلك وهنًا للإسلام، فأجابهم: إني لا أرجع إلا أن يفتح الله لي أو أموت، والرجوع لا يجوز لي، والفرار لا يحل.

وردت الفتوى إلى أهل العلم، ثم رجعت إلى أبي مالك، وكان مرجع العلماء في وقته، فأفتاه أنك متحيز إلى فئة من المسلمين، وليس هذا هو القرار من الزحف؛ لأن أصحابهم انحازوا تحت جبل السليعة، فأحبوا أن يتداركهم، ويدبروا رأيهم، ويجتمع جيشهم، ويصل بقية أصحابهم، وبقي جماعة من المسلمين في رءوس الجبال، لم يعلموا بالواقع، فقاتلوا إلى الليل حتى نفذ ما عندهم من قوة، وقتل أكثرهم، واستولى على بعضهم، فكان جملة من قتل وفقد من المسلمين نيفاً وخمسين رجلاً. ولا نعرف القتلى من جيش السلطان، والناقل بين مقلل ومكثر. وحمل الجيش السلطاني من وجدوه جريحاً، وداووه حتى شفي ووده إلى أهله. وكان فيمن أصيب من المسلمين الشيخ الغيور محمد بن سليمان بن حميد الحارثي، رحمه الله.

حوادث سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألف

ثم إنه تحرك السيد محمد بن هلال البوسعيدي، المعروف بصاحب المدفع، وهو عامل السيد تيمور على بلد السيب، فجمع اللصوص، وآوى قطاع الطرق، من أهل الطو وغيرهم، فكانت الطو مأوى للبغاة؛ لعجز أعيانها من طردهم، فسفكوا الدماء، وأخافوا السبل، ونهبوا الأموال، وتجمع إليهم كثير من السفهاء، فاغتروا بجمعهم، فعزموا على مهاجمة بلدة الآجال، وهي بلدة تسكنها قبيلة النعب، تابعة لوادى المعاول، فأرسل الإمام سرية من آل معولة بن شمس الشاعر، يقودها سعيد بن خلفان المعولي؛ للمحافظة على الآجال، وتثبيت أهلها، وأن يكون رباطهم بها حتى يأتيهم أمره، فحينما نزلوا بها، وثبتت أقدامهم على منافذها، وكان وصولهم قبيل الفجر، أقبل البغاة عند طلوع الشمس بقضهم وقضيضهم وخيلهم ورجلهم، فكانت بينهم مناوشات من بعيد، فولي جيش البغاة منهزماً، ثم عزموا على الكرة،

فثبت لهم القائد سعيد ثباتًا لا تقا بمقامه، فانهمز البغاة مرة ثانية بعد قتل ذريع، وجراح فاحش. وما كان بأصحاب الإمام إلا جراح خفيفة في بعضهم، فمنها الخبر إلى الإمام، وكان بوادي معولة، فلم ير بُدًا من حسم هذه المادة، واستتصال هذه الجرثومة الفاسدة المقيمة بالطو، فخرج إليهم بجيشه، فاستشعروا العجز عن المقاومة، وأخرجوا السيد محمد المذكور، من بين ظهرانيهم، وسلموا الأمر للإمام على واسطة الأمير الحميري، وأقبل أعيانهم إلى الإمام مدعين سالم بن زاهر، وناصر بن سالم، وحامد بن حمد، فعفا الإمام عنهم، وألحقهم بإمارة والي نخل.

حكم الإمام في أموال قائد البغاة السيد محمد بن هلال أنها صافية؛ لما اقترفه من ظلم العباد، وما عاث به في الأرض من الفساد، من إزهاق الأنفس، وإتلاف الأموال، فأدخلت هذه الأموال في جملة أموال بيت المال، ثم بيعت في مصالح الدولة.

ثم كثرت الأراجيف بعد هذه الحادثة، واضطربت الأمور، ونجم النفاق، فاجتمع كثير من زعماء وادي سمائل، ورغبوا السلطان في قبض بدبد وسمائل، وأملوه بذلك وأغروه فأغروه، فأرسل الإمام إلى الزعيم المجاهد علي بن صالح الحارثي، فكان وصوله مسلمات في أوائل شهر شعبان من سنة ١٣٣٣ فجهزه إلى سمائل لتركيز أمورهما، وتسكين حركتهما؛ إذ كان يعرف وادي سمائل باسم الرقاص، فخرج الزعيم علي وصحبه السيد الفاضل سعود بن حمد، وعندهم نزر قليل من المؤمنين، فاخترأوا أن يكون رباطهم بالتصاوير من فنجا، وهو أول مدخلها من جهة النعش، وأيدهم بالشيخ سلطان بن سالم الرحبي الهمداني في رجال من قومه، وكان هذا الشيخ مؤمنًا مناصحًا للمسلمين.

وفي شهر شوال من السنة المذكورة، خرج الإمام سالم من وادي المعاول إلى وادي سمائل؛ لقمع المنافقين والمفسدين. وأقبل الرئيس الحميري بجنوده، فأقام الحميري ببديد، وأمر بقبض نجد الورس المعروف بنجد السيايين، فخرجت من أعوان السلطان خارجة، يقودهم الشيخ العلامة راشد بن عزيز، فنزلوا بالرسيل، فأرسلوا رائدهم الصنديد سعيد بن أحمد الجابري الملقب العفريت، وكان كاسمه ليتجسس لهم الأخبار، ويرصد النجد، فقبض عليه أصحاب الشيخ الحميري في نجد الورس، وأوثقوه بالحديد. فلما بلغ الشيخ راشد رباط الحميري ومن معه ببديد، وقبضهم للنجد، وأسروهم للعفريت، رجع بمن عنده من غير حرب.

أمر الإمام بقطع عنق العفريت، فأخرج إلى وادي الضبعون، وأنفذ الحكم فيه.

ثم وصل الشيخ عيسى ملبياً دعوة الإمام. وبعد أن حضر جيشهم، وجه الإمام الخطاب لبني جابر، وآل المسيب بالإذعان أو الحرب؛ لأنهم جرثومة الفساد، وبيت العناد، فلم يروا إلا الإذعان والتسليم، وانقادوا بواسطة أعيان المساكرة سعيد بن نصير، وناصر بن سليمان وجماعتهم، وسلموا لأمره، فحملوا على الأصفاد، وأرسل بهم إلى سجن نزوى، وهرب أمير آل المسيب إلى مسقط عاصمة السلطان. وكان كرسي ذلك الجمع بلدة سرور.

وبعد ذلك توجه الإمام إلى الشرقية، وفي صحبتة الشيخ عيسى، فكان طريقهم على وادي الغربي، ثم على عقبة الصفرية، ثم على وادي عندام، وبالعلية من وادي عندام قبض الإمام على محمد بن بخيت السلمي أحد رؤساء قطاع الطرق، فأمر بإنفاد الحكم فيه فقتل.

وفي أوائل ذي القعدة من السنة المذكورة، وافاهم ببلد العلية من عنداء، رسول من كرمل الدولة الإنكليزية بمسقط يطلب الصلح بين الإمام والسلطان تيمور، فأرسل الإمام الشيخ عيسى، فخرج إليه. وكان قد اجتمع به قبل هذه المرة بالسيب، فلم تكن نتيجة، وحضر هذا الاجتماع الثاني الشيخ العلامة سعيد بن ناصر الكندي، فاجتمعوا بالكرمل الإنجليزي بالسيب، ورجع الأمير للعُمانيين بشروط وافرة، فعرضها على الإمام، فرفضها الإمام لحدته على السلاطين.

جعل الإمام في غزوته هذه واليًا على سمد الشان الشيخ أحمد بن سليم بن المر العريمي الجنيبي، وعلى سناو الشيخ سلطان بن محمد بن رشيد الحبسي. وفي يوم ثاني من ذي الحجة الحرام من السنة المذكورة، أقبلت وهيبة بأفلاذ كبدها، يقدمهم المشايخ سلطان بن منصور، وعلي بن سلطان، وسعود بن حمد آل بو عفيفة، وسعيد بن راشد، ووي بن سلطان، وسالم بن حمود الجحاحيف وغيرهم من الرشداء في أربعمئة راكب، وأذعنوا للإمام ودخلوا تحت طاعته، وبايعوه على السمع والطاعة.

ثم خرج الإمام إلى بديّة، وهي بلدان آل حجر، وأقام بالمترب؛ لنشر العدل والإنصاف، وتأديب أهل الجرائم.

جعل الإمام واليًا على بديّة السيد محمد بن سليمان البوسعيدى، المعروف بالكراخ، وعنده الشيخ أبا الخير عبد الله بن غابش قاضيًا، ثم رجع إلى نزوى.

وفاة الشيخ المكي

وفي سنة ١٣٣٣ توفي بالرستاق الشيخ العالم، مدار الفتيا بالديار الرستاقية، ورئيس قضائها راشد بن سيف بن سعيد المكي رحمه الله، وكان له من العمر إحدى وسبعون سنة.

حوى هذا الشيخ من العلوم الثقلية والعقلية ما سبق به أقرانه، وكان ممن عاصر السادة العباehl حكام الرستاق: إبراهيم بن قيس، ثم سعود بن الإمام عزان رضي الله عنهم، ثم حمود بن عزان، ثم سعيد بن إبراهيم، ثم أحمد ابن إبراهيم. وكانت وفاته في عصر السيد أحمد بن إبراهيم، لما كان حاكمًا على الرستاق.

ولد رحمه الله عام اثنين وستين ومائتين وألف بمحلة قصرى من الرستاق، فنشأ بها، وتعلم العلوم. وكان ملازمًا للسيد الزاهد فيصل بن حمود بن عزان، والشيخ العلامة ماجد بن خميس العبري، وبقي مدرّسًا في فنون العلم، بمسجد قصرى من الرستاق، حتى كان جملة من اجتمع إليه من التلامذة، يسرّج لهم في مسجد قصرى، بسبعة مصابيح.

تخرج عنه جملة من العلماء، منهم أخوه الشيخ سالم بن سيف، والعلامة نور الدين السالمي، والشيخ العلامة الزاهد محمد بن شامس الرواحي وغيرهم كثير. ولم يزل رحمه الله يحرض الأغنياء على المسابقة إلى الخيرات، وببركته تبرع كثير منهم بحبس الأموال على المتعلمين وأبواب البر.

تأليفه: مجموع مسائل في مختلف الدعاوي والأحكام والديانات، وله منظومة في السلوك، وأخرى في التحريض على نشر الحق، ومنظومة في فضائل العلم، وغيرها في المواعظ والحكم. وله خطب وأوراد، ورسالة سماها: «المسالك في علم المناسك».

وكان هذا العلامة من أعظم النصحاء لدولة الإمام سالم، رحمهم الله.

كان بنو الملك بوادي السحتن من أودية الرستاق، ولهم بهذا الوادي البلدتان: الطباق والخضراء. وكانوا أهل صولة وقوة، حتى إنهم تجرءوا، فقتلوا الشيخ محمد بن علي بن مسعود العبري، أحد ولاية الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، أرسله الإمام ليقبض على أحد البغاة منهم، فغدروا به ليلة وصوله، فقام عليهم الإمام. فلما رأوا عجزهم عن المقاومة، انقادوا من غير قيد ولا شرط بواسطة أعيان اليعز، فصعد الإمام من شاء من أعيانهم، وأودعهم السجون وأنفذ فيهم الحق، وهدم حصونهم التي أشادوها بذلك الوادي. وقد ذكر القضية الشيخ عبد الله بن خلفان بن قيصر الصحاري في سيرته، وتعقبها بهذه الآيات:

لقد ظفر الإمام على الأعادي	بهدم حصونهم في كل نادي
فذلك بعد عز واستكانت	وقد كانت لها خير البلاد
مضى للمكي مأسورًا بقصرى	قصير الخطو من سوء العناد
فكان قراهم قتلًا فسحقًا	لقوم خالفوا سبل الرشاد

وفي هذه السنة ١٣٣٣ توفي بنزوى الشيخ العلامة محمد بن خيس بن محمد السيفي، أحد علماء الأسرار، كانت له اليد الطولى في ذلك، يقصده الوفود من كل جهة للاستفادة منه، فيعطي كلاً طريقة على قدر حاله.

وكان عليه مدار القضاء بنزوى، في زمن الشيخ هلال بن زاهر، والسيد سيف

بن حمد.

وكان هذا الشيخ قد جمع أجوبة الشيخ أبي نيهان جاعد بن خميس الخروصي في سبعة أجزاء، وسماه «العقد الثمين»، وجمع أجوبة المحقق الخليلي في أربعة أجزاء، وسماه: «التمهيد في أجوبة الشيخ سعيد». وله شرح على قصيدة الشيخ أبي نيهان والعشري في سير الأئمة. توفي وله من العمر اثنان وتسعون سنة، بعد أن كف بصره.

خير بني بطاش

بنو بطاش بطن من طييء، وهم قبيلة واسعة، عرفوا بالسخاء والكرم واليسالة، وأثنى عليهم الشعراء. ويقول أبو مسلم في نونيته:

وأين عنها بنو بطاش أين هم	من لي بهم وهم للحرب أخدان
طال الرقاد بكم هبوا فديتكم	فالشمس طالعة والسييل أرعان
عادات طييء تخضب السيوف وإر	واء المثقف وهو اليوم عطشان

إن من خير بني بطاش، لما بلغهم خروج الإمام إلى بركا، دبت فيهم الروح بحب العدل، وتشوقت نفوسهم إلى الانضمام، في سلك الاجتماع، وأحبوا السعي إلى الجهاد، والدفاع عن الوطن، فوثبوا على قريات، من ممالك السلطان، وكانت بجوارهم فحاصروا حصنها تسعة أيام، فأرسل إليهم السلطان باخرة حربية مملوءة رجالاً وأسلحة، فكمّنوا له حذاء جبل دغمر، فكانت المراماة بينهم، من طلوع الشمس إلى منتصف النهار، فجاءهم في أثناء تلك المقاتلة جنود إنكليز، فجعل يرميهم بقنابله الضخمة ومدافعه العظيمة، فنزلوا من الجبل، وتحيزوا إلى بلدانهم. فلما آنس المحصورون بالحصن أن القوم خرجوا من البلاد، فتحوا حصنهم، وخرجوا فخربوا البلاد، ونهبوا البيوت التي جعلوا لحمايتها، فصار رعاتها ذئابها،

وهرب الأهالي من قريات، كل على وجهه، لما وقع بهم، فبقيت قريات وعفا خاليتين، عليهما العفا. وعند ذلك طلب بنو بطاش من الإمام واليًا يقوم بأمرهم، ويتحمل أعباء مهماتهم، فانتخب لهم الشيخ أحمد بن سليم العريمي الجنيبي، فكان قيامه ببلد جبل الغاف؛ فأظهر فيهم العدل والإنصاف، فاشتدت وطأة السلطان عليهم فبقيت الحرب بينهم سنتين؛ وهجم قوم السلطان على دغم مرتين، فتقهقروا منهزمين، ورجع أحد قواد الجيش الشيخ حارب بن محمد الهشامي بمن عنده، بعد أن أصيب بجراح، انصلمت منه إحدى يديه، وبقي السادة في حصن قريات ورباط بني بطاش في دغم، وشرذمة منهم بمنزيف، وبعضهم بالقحمة.

ولما تحقق عند السلطان عزم الإمام على مهاجمة عاصمته مسقط، خرج من قريات في أوائل سنة ١٣٣٣هـ، وزحف بنو بطاش على إثره مناصرين للإمام، فلما وصلوا حاجر الخفيجي بلغهم رجوع الإمام، فرجعوا إلى أوطانهم، وبقي أمرهم نافذًا من حدود الحاجر إلى دغم وجبل الغاف وما تعلق بذلك، وكلها تؤدي الطاعة لعامل الإمام.

وفي أثناء هذه المدة أغار بنو بطاش على الجنود الإنكليزية، الذين بجبال الوطية حامية السلطان، فقتلوا رجالًا، وأخذوا سلاحًا ورصاصًا. وذلك بعد واقعة الوطية، ثم أكثروا شن الغارات وضيقوا المسالك على رعايا السلطان، فجمع جموعه ممن كان تحت طاعته من القبائل وسار إليهم، وكان في جيشه الشيخ خلف بن سنان العلوي وبنو أبو حسن وبنو عمر وبنو أبو علي وأكثر جنوده من الغافرية، فاجتمع الجيش بقريات، وأرسل بنو بطاش للشيخ عيسى يستنجدون به، وقد تجلدوا للحرب وأظهروا التصلب، فلما رأى الشيخ خلف بن سنان الجند من الفريقين، وخاف على بني بطاش من كثرة جنود السلطان، وكان ميل خلف إليهم، ولم يبلغه وصول نجدة

من الشيخ عيسى ولا قيام الإمام، وحاذر المعاجلة كلم السلطان فيهم فأبى عليه، فاجتهد في مناصحته عن حربهم، فلما أكثر عليه فوّضه، فخرج إليهم وجاء برئيسهم الشيخ سلطان بن محمد بن شماس، ومن عنده من الأعيان فسأهم السلطان وعفا عنهم، ووقع بعد ذلك الأمان من الطرفين، وكان ذلك في سنة ١٣٣٤هـ.

وبعد تمام هذا الصلح استعفى الوالي الشيخ أحمد بن سليم العريمي من ولاية بلادهم، فسألوا الإمام واليّا، فأرسل إليهم الشيخ القاضي قسور بن حمود الراشدي، فبقي عندهم زماناً.

ثم حدثت بعد ذلك ثورة عليهم من السيد نادر بن فيصل، وكان أحد أعضاء المجلس الرسمي بالنيابة عن أخيه السلطان تيمور، والسبب أن ابنة راشد بن محمد القاسمية تطلب من الشيخ حبيب بن سليم الضنكي مالها، الذي باعها ابن عمها عبد الله بن علي القاسمي، وهو تركة أبيها لما كانت يتيمة، فطلبت منه الحكم الشرعي، وامتنع حبيب من ذلك، واستغاثت بحكومة مسقط، فما أسعفتها، فوصلت المرأة إلى الشيخ سلطان بن محمد البطاشي مستجيبة، وطلبت منه أن يقوم بحقها، فرأى ذلك من الواجب عليه، مع قدرته على إغاثتها، فخاطب الضنكي، فامتنع وتغلب. وبعد أن قامت الحجة عليه بتغلبه، قبض عليه الشيخ سلطان من بلد الخيل، وكرّله بالحديد، وأرسله إلى بلدة المزارع مربوطاً على ظهر جمل، من رأسه إلى عنقه، حيث إنه امتنع من الركوب، وأبى من الامثال.

فلما طال سجنه أرسل إلى الشيخ عيسى، أنه مذعن للشرع على يديه، فأمرني الأمير عيسى أن أقوم بالصلح بينه والمرأة، وأن يفكه من سجن الشيخ سلطان، فطلبت من الشيخ أن يفكه قبل كل شيء؛ ففكه ساعة وصولي، ثم شرعت في الصلح، فأصلحت بينهم على تسليم خمسة الآلاف قرش، يدفعها حبيب للمرأة

المدعية صلحاً لا حكماً قطعاً للخصام، وبراءة لحبيب من الشبهة في شرائه لمال اليتيمة. ورضي الخصمان بذلك. وجعلت لحبيب أجلاً في أداء الحق، وكتبت بينهم صلحاً فيه صفة الدعوى، وصورة الصلح؛ ليكون وثيقة محفوظة بينهم، وأعطيت كل واحد وثيقته. فلما رجع حبيب إلى مسقط، ذهب إلى بيت القنصل مستنجراً، وربط نفسه بعصابة على العلم الإنجليزي. يقول: إنه مكره، وما أذعن للصلح إلا جبراً، فطولب بإحضار الوثيقة المتضمنة صفة الصلح، فعرضت على العلامة الكبير سعيد بن ناصر الكندي، فرأى ثبوت ذلك الصلح، وصدق عليه، ثم لم يستكف حبيب، فأرسل القنصل إلى الشيخ عيسى بالصلح، فرأى إثباته، فلم تلتفت القنصلانية إلى قوله بعد ذلك، ورفضت دعواه، فبقيت مراجل حقه تغلي، فشكا إلى السيد نادر بن فيصل، ودلس عليه، فرأى مناصرته، فجمع جنوده وركب البحر حتى نزل قريات، وقصد منهي في وقت الظهيرة، جبل الغاف بتاريخ يوم عاشر ذي القعدة سنة ١٣٣٤، وقد بلغ بني بطاش خبره، فالتقوه بالقحمة؛ موضع بين جبل الغاف وقريات، فكانت بينهم صدمة وقتال، ثبت كل لصاحبه إلى بعد صلاة العصر من ذلك اليوم. فانهزم السيد نادر إلى قريات، وقد خلف بالمعركة صناديق الرصاص والأثاث، وثمانية جمال، وأربعة رجال من قومه قتل، وثمانية جرحى. وجرح من بني بطاش الشيخ عبيد بن محمد، وآخر توفي بعد ذلك، فأرسل السيد نادر إلى مسقط يطلب المدد، فلم يصله أحد، وأقام بقريات. وفي رابع يوم من وصوله أتت باخرة إنكليزية، فحملته إلى مسقط.

وفي اليوم الخامس عشر من شهر المحرم سنة ١٣٣٥، وصل رسول من الإنكليز إلى بني بطاش، يستفهم صفة الواقع بينهم، والسيد نادر، ويطلب وصولهم إليه للصلح بينهم، فأجابوه بالقبول، ووصلهم نائب الدولة يوم سادس صفر من العام المذكور بقريات، وخاطب الشيخ سلطان بن محمد. وبعد طول كلام أبى النائب من

إنعام الصلح إلا بوصولهم مسقط، فوعده الشيخ بذلك، ثم أرسل الشيخ محمد بن عمرو البطاشي نائباً عنه، واعتذر من عدم الوصول. وكان هذا الصلح بسفارة خان بهادر نصيب ابن محمد البلوشي، أكبر تاجر بمسقط، على أن يرد بنو بطاش ما بقي بأيديهم، مما أخذوه، في تلك المعركة، وانتهت المشكلة.

وفي شهر شعبان سنة ١٣٣٤ حضر أهل سفالة بهلا عند الإمام سالم، فادعوا بادة ماء من فلج كيد لمسجد الجامع، وأظهروا ما بأيديهم من النسخ القديمة والحجج القوية، فأحضر الإمام القضاة، ليعرف رأيهم. وجمع الحكام للفصل؛ فلم ير الإمام ومن عنده من القضاة بعد إحالة النظر ردها للجامع لطول العهد، ولأن من قبلهم من أئمة المسلمين، من لدن الإمام ناصر بن مرشد، فمن بعده إلى الإمام الجليل عزان بن قيس -رضي الله عنهم- ولم ينقل عن أحد منهم أنهم تعرضوا لها، ولا حكموا بردها للجامع، وكفى بهم حجة لمن جاء بعدهم، وأنه يسع من بعدهم ما وسعهم، ولا تكون الأوراق القديمة التي خلاها أكثر من ثلاثمائة عام أقوى من اليد، وما كان فيه محتمل فلا يحول. وإن كانت هنالك ظلامة، فعلى من ارتكبها.

والأصل في هذه البادة ما ذكره بعض المتقدمين: أن بادة ماء من فلج كيد كانت لجامع بهلا، وأنهم لا يعلمون ما حولها عن ذلك. وفي بعض الكتب أن الإمام بركات بن محمد بن إسماعيل، حكم بهذه البادة لهذا الفلج، ثم لم تترك له بعد ذلك. وقد جهل الأمر الذي منعها وحولها عن كونها وقفًا، وبقيت منذ ذلك الزمان لفلج الجزين أحد أفلاج بهلا، مع جملة ماء ذلك الفلج، فترك المسلمون المكتبة في ماء فلج كيدًا لهذه الشبهة.

ترجمة الشيخ ناصر بن حميد الغافري أمير بهلا

هو الشيخ ناصر بن حميد بن راشد بن حميد الغافري، نسبة إلى غافر، جد لهم، وهو من نسل الإمام محمد ناصر بن عامر بن رمسة بن خميس، من بني سامة بن لؤي. توفي جده الشيخ راشد بن حميد في يوم ١٦ شوال سنة ١٢٧٩، وقد توفي أبوه حميد بن راشد في حياة أبيه. ولم يكن لراشد عند موته إلا أحفاده أولاد ابنه حميد؛ وهم: برغش، وراشد وناصر، فصار الأمر بعد ذلك إلى برغش؛ لأنه أكبر إخوته، ولم يراهم الحلم، فصار يدبر الأمر خادمه عبيد بن سرور، ويرجع في المهمات إلى الشيخ محسن بن زهران العبري، فبقيت الحالة كذلك على سنة ١٢٨٣، ثم تغلب عليهم بنو شكيل، وأعانهم الشيخ هلال بن زاهر؛ لكن الرياسة لأولاد حميد بن راشد، إلا أن التدبير انصرف عن الشيخ محسن، وبقيت كذلك، حتى استولى على بهلا إمام المسلمين عزان بن قيس، لما قبض على الشيخين هلال بن زاهر ومحمد بن علي بن سمح الشكيلي، حتى أذعنا، وسلمنا له حصن بهلا. وبقي أولاد راشد بن حميد يبيرين، ثم تغلب على بهلا برغش بن حميد بعد الإمام عزان، وبقي بها إلى أن قتله أخوه ناصر بن حميد، ثم أردفه بأخيه راشد حميد، فاستأثر بها، وبقي عليها إلى أن أخرجه الإمام سالم بن راشد الخروصي.

فتح بهلا

وهي من أشهر قرى الجوف بعمان، وكان أميرها الشيخ ناصر بن حميد الغافري المتقدم ذكره، وكان فتحها في اليوم الثالث من شهر شعبان من سنة ١٣٣٤.

صدرت من أمير بهلا أحوالاً مناقضة لبيعته التي بايعها الإمام بسائل، ونقمت عليه أمور أغراه رؤساء قومه بها، حتى أخذ يبحث عن وسيلة يتدخل بها في نقض الإمامة وانحلال المملكة، فولي وجهه شطر بيضة الإسلام نزوى، وأخذ يرتب كيفية الهجوم عليها. ويحاول -إن نبا عزمه عنها- أن يتناول قلعة منح وحصنها، فنجم من هذه أحقاد ومنافسات، أوجبت إشعال حرب عليه، حتى قامت، فكانت سبباً لسقوط إمارته. وكان الإمام في ذلك الوقت بوادي المعاول، فعجل بإرسال رابطة إلى منح؛ لقطع عرى الآمال عنها. وأبرص قوام الدولة النيات الخفية من المتهمين، بمخابرة أمير بهلا عن أسرار المسلمين، ففكروا في إحباط ما ترمي إليه أهدافهم. وكان الذي يعالج المسائل الإدارية متفقاً عليه العلامة أبو مالك عامر بن خميس المالكي، فأمر بسجن ثلاثة من أعيان نزوى: ناصر بن خميس السيفي، وحمود بن سالم العفيفي، ومحسن بن سالم آل صباحيه. وأرسل الإمام إلى أنصاره من الشرقية، وكان على رأسهم الشيخ عيسى بن صالح، فقدمت إليه عصابة من آل حجر.

شعر أمير بهلا أن الروح الدينية هبت في القواد، والعناية الإلهية ساعدتهم، فاستنهض أتباعه من أهل الحجر وأعوانه من الظاهرة، وعلل نفسه بالأمان؛ ليدرك بها نشاطه، فكتب إلى سلطان مسقط يستنجده، فهاج السلطان نبأ القيام على هذا الأمير، فسلح خادمه الوالي مظفر بن سليمان، وجهزه بالعدة والعدد، وأمره بجمع أهل السر من الظاهرة، وأن يقوم بما يحقق الآمال، وأصيب السابقون إلى الجهاد من أهل الشرقية بأمراض من وخم نزوى؛ لأن دارهم كالبادية، وستموا الإقامة بنزوى في انتظار الشيخ عيسى، فاستأذنوا الإمام في الرجوع، فأذن لهم وبسبب رجوعهم أيقن أمير بهلا بتفرق جيش الإمام، فأذن لأكثر جموعه، وبقي أعيانهم عنده، وهم نفر قليل، أقاموا لقهر الحصن وثغور البلد؛ خوف مهاجمة الإمام. ولم يمض وقت قصير حتى خرج الإمام في اليوم الثالث عشر من شهر رجب سنة ١٣٣٤ بالكتائب عليها

الشيخ الرئيس حمير بن ناصر، فغشيهم غيم سحاب في الطريق. وعصر ذلك اليوم وصلوا نهر المحمود من ناحية بهلا، واستراحوا فيه قليلاً، فوافقتهم هناة بجموعها وقت المغرب، من ذلك اليوم. وخرجت الأعلام من المحمود بعد العتمة من تلك الليلة تحت شآبيب المطر المؤذن لهم بنيل الوطر، وحصول الظفر يسوقهم الرعد، ويدلهم البرق، وقد أعدوا حملة هائلة، لاصطدام من قابلهم واقتحام سور بهلا، حينما خبروا بسالة من بها. ومن الكرامات التي تزين التاريخ خفة المطر عند المجاهدين المهاجمين، وغزارته على البغاة، حتى أنزلهم من صياصيمهم، فأدركوا أن لا يقدر الثوار على مهاجمتهم في ذلك الوقت، وتركوا الحرس، ولم يعجز المسلمون ذلك، فافتحموا سور البلد، فوجدوه خالياً، فلم يقفوا عند حد ما اكتسحوه حتى فتحوا أبواباً جديدة، فافتحموا جميع العوائق، وقطعوا كل العلائق، فهجموا على حرس الأمير ناصر وهزموه إلى ورائه، فجمله الأمر على طلب النجاة، وأن يتحصن وأعيان قومه بالطماح، وهو قصر بهلا، وكان أحد قواد الجيش شيخنا العلامة أبو مالك، فأصيب بجراحة في فخذه، فعافاه الله منها بعد مدة.

وبعد مضي أيام، والحصن محصور، لا يدخل عليه أحد، ولا يخرج منه خارج، أقبل الشيخ عيسى بجموعه، فبصر بها حاق بالبلد من الأخطار، وكان يفضل التمتع بالسلم، مع استعدادة لمقاتلة أعدائه، فاستأذن الإمام رحمه الله لمخاطبة الأمير المحصور، فأذن له، واختار أن يكون رسوله أبو هشمة سعيد بن عبد الله الهاشمي، لعلمه به أنه باقعة داهية. وأمرني أن أكون عنده، فشاهدته. وقد جرى في داخلتهم بدهاء ورشاء، حل أبو هشمة من الأمير عيسى كتاباً للشيخ ناصر وآخر للوالي مظفر بن سليمان خادم السلطان، فأبدى لمظفر كتاب ناصر وستر عن ناصر كتاب مظفر. ولما حصلت له الخلوة بمظفر، أعجله في أخذ الأمان له ولمن عنده، ودلس عليه أن ناصرًا قد أخذ وجهًا على يدي. وهذا جواب الشيخ عيسى له. وإني أخشى أن يغدر

بك ويسلمك إليهم، إن كان لم يخبرك بذلك، فحمس قلبه وأوغر صدره، حتى تشوش فكره، فتأثر من ذلك وخالطه الوهم وتبين الغضب في وجهه، ثم تريث. فلما لبث أن كتب كتاباً إلى الشيخ عيسى، يطلب الأمان من الإمام له ولمن معه، فرجع أبو هشمة جذلاً يحمل كتاب مظفر إلى ناصر، فأسر إليه أن مظفراً عزم على الخروج عنكم، وهذا كتابه، فاستشاط ناصر غيظاً، وقال: إن فعل لأوقعن به. فنشأ من ذلك شحنة بسببها تفاقم الأمر، حتى تعصب المحصورون بالحصن كل لفريق، فكان أبو هشمة شؤماً على أهل القصر؛ إذ كان هذا الانقسام بسببه، والحرب خدعة، وأدرك من هذه السياسة التي نسجها أن خدع مظفراً حتى بقي عاطلاً من انتصاراته، فذهبت هباء، وأصبح أمله وزيدته جُفاء، فاستسلم لينقذ حياته، وانصرف قانطاً لا يلوي على شيء، بعد أن سمح له الإمام بالأمان، وأمرني أن أصحبه إلى بيرين خوفاً عليه من معرفة الجيش، فصحبته ولم ينلهم سوء، والحمد لله. وبقي ناصر وبقية قومه بالحصن، ينتظرون قدوم الشيخ محمد بن ناصر بجيشه الذي جمعه؛ لينقذهم من ضيق الحصر.

وفي صحوه النهار زحف الشيخ محمد بن أمير بهلا، قام بجنوده الذين جمعهم من أرض الظاهرة للإفراج عن أبيه؛ رجاء أن يخلصه من ضيق الحصر، فالتقت بهم طائفة من جيش الإمام سهيلي عند سور بهلا؛ فدارت بينهم أشد المعارك، حتى خانهم الحظ، فهزمت كتائبهم شر هزيمة، فرجعوا إلى جماع ومنها إلى بيرين.

كان من رأي الشيخ عيسى، أن يكرر النصيحة إلى الأمير المحصور شفقة عليه من مغبة العناد، فأرسل إليه ثانية الشيخ سليمان بن سنان العلوي، فعرض عليه ما أملاه الأمير إليه، فلم يصغ لقوله في أول الأمر، فدب الشيخ العلوي إلى تفريق الرؤساء الذين حضروا عنده، ومشى فيهم بخداع ومكر، وتعهد لهم بجزيل العطاء،

وما هو إلا الرشا، فتطرق الوهم إلى أذهانهم، وطمعوا في وعده، ورفضوا أميرهم، وتنافسوا في إكراهه، فألزموه الاعتراف بالخضوع، فخرج ليلة الثالث والعشرين من شهر شعبان من سنة ١٣٣٤، وتوجه إلى حصن يبرين، وطلب أن يبقى هذا الحصن بيده والبلد وفلج الأجرد، ما دام تحت الطاعة، وما لم يحدث حدثاً، فأسعف الإمام له بذلك بعد مشورة العلماء، فبقي به ولم يحدث منه ضرر أيام حياته، حتى كان بعد موته، تخالف بين أبنائه في عصر الإمام الخليلي، فاجتهد في إصلاح ذات بينهم، فما قدر الله أن يقفوا، فأمر بفض الحصن منهم، وإخراجهم عنه، وتوسلت إليه أمهم ابنة الشيخ الجبري، أن يردهم فيه، فما رأى الإمام ذلك، وأجاب أن من صلاحهم وإبقائهم على أنفسهم النزول منه، وأن تكون مساكنهم في خارج الحصن، وأبقى لهم البلد وفلج الأجرد، وكانت مدة الحصار لحصن بهلا تسعة عشر يوماً.

ولما استقر الأمر، ردت المظالم والغصوب، وأجرى الأمر والنهي.

حكم شيخنا العلامة أبو مالك في أموال سليمان بن عبد الله المحروقي، المعروف بابن شيخه، بأنها صافية، لما صح من معاملته بالربا، وجمعه المال من الحرام، وأكثرها من مظالم العباد التي عاضده عليها الشيخ ناصر، من تغريم الناس الذين تحت رعايتهم بغير حق، وغصبه لأموالهم، وحيازتها عليهم قسراً. وكان سليمان هذا صهر الشيخ ناصر بن حميد ووزيره، وكان موسراً كثير الأموال بنزوى وبهلا ووادي بسيا وأمضى الإمام ذلك الحكم. وفي ذلك يقول شيخنا العلامة المفضل أبو مالك:

لمال ابن شيخه المحروقي	قد حكم الإمام بالتفريق
مسكنه بهلا بسلا اشتباه	وهو سليمان بن عبد الله
فتى حميد ناصرًا جهارا	لكونه قد وازر الجبارا
بكل ماله من الحباية	غرقه بكونه جبايسة
وهو الربسا في عرفنا المعهود	وبيعه أكثره بالسود

قضت بذلك شهوة لا تنكر وأمره في عصرنا مشتهر
فبالله جميعه مستغرق طريقه والتاليد المحقق
في عام دغشيل بعد الجمل والحق في ذلك ظاهر جلي

جعل الإمام ببهلا عند خروجه منها واليًا ذلك الهزبر الضاري، أبو زيد عبد الله بن محمد بن رزيق الريامي الأذكوى، تحمل بوظيفتي الولاية والقضاء، فأجرى فيها العدل والمعارف الإسلامية، ورد شوارد القلوب الخائفة، من اضطهاد الظلمة إلى أوكارها، فهو واليها في عصر الإمام سالم، ثم عصر الإمام الخليلي، إلى أن توفي رحمه الله في عصر الإمام الخليلي، والمسلمون عنه راضون.

خروج الشيخ عيسى الرستاق

وبعد فتح بهلا خرج الشيخ عيسى إلى الرستاق، وكان حاكمها ذلك الوقت السيد أحمد بن إبراهيم، وقد ذكرنا آنفًا بيعته للإمام بسائل، وأن الإمام رده إلى مملكته، وأقره عليها أمرًا نهائيًا، ثم رفع للإمام عنه أشياء، أنكرها عليه كما هو دأب الملوك، فرغب الشيخ في عتابه، وإلقاء النصيح إليه للصدقة السالفة بين آبائهم وبينه وإياه، فلما وصل الرستاق قابله السيد أحمد بالإكرام والاحترام، وأظهر السرور والابتهاج بوصوله، وقبول ما جاء به، وكان هذا السيد حوًّا عنفقيًّا، نهاية في الذكاء والفطنة والدهاء.

فمن دهائه لما نزل الشيخ بعقوته، فوض إليه الأمور الرستاقية، وخلع في يده جميع الوظائف الدينية والدنيوية، ورفع يده عن المالية، فكان لا يبرم أمرًا دونه، ولا يستبد عنه برأي مدة قيامه في دار ضيافته.

ولا ريب فإنه يضمّر تتبع سياستهم فيه، ويحذر من نكايتهم عليه، ويحوطهم بعين اللاعب المازح، ويتفقدهم في القريب والنازح. وفي شهر شوال سنة ١٣٣٤ هـ خرجت من قصره خارجة من ذويه شقيقته السيدة ذات الحسب والحشم، أصيلة بنت إبراهيم، وهي أحزم من كاد ومكر، فقهرت حصن الحزم من تحت أجنحة العقبان وانتزعت الفريسة من فم الثعبان؛ إذ خافت أن يصبح ملكهم دعوى، وعافيتهم بلوى، وبقيت فيه. ولما حوَصر أخوها أحمد، طلبت النجدة من سلطان مسقط، فأسعفها بجيش يرأسه حمد بن فيصل، كما سيأتي في محله، وكان برفقته الشيخ عيسى؛ الشيخ اللسن الفصيح سيف بن علي المسكري. ولما عزم الشيخ علي الرجوع إلى وطنه في أواخر شوال، رأى أن يخرج السيد أحمد بصحبته إلى الإمام بوادي بني معوله، فأسعفهم وامثل. ورافقه أمير العبريين الشيخ مهنا بن حمد، فاجتمعوا بالإمام سالم، واعترف السيد أحمد بجميع ما طلبه الإمام من الشروط، وسلم زمام ما بيده إلى الإمام الظاهر، والغيب لله، ثم رجع إلى الرستاق، وكان ذلك في شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٣٣٤.

قيام الإمام مرة ثانية على البغاة من أهل الطو

وفي ذي القعدة من سنة ١٣٣٤ تحرر بنو جابر أهل الطو، وشنوا الغارات، وقطعوا السبل، وجعلوا مغارتهم الموضع المعروف (الكثيب) غربي بلدة الخوض، وقرى من بلادهم، وقواهم على أفعالهم هذه السيد محمد بن هلال، والي السلطان على بلد السيب؛ لرجوعه الأول خائباً من سعيه بمهاجمة الآجال، فنكث القوم العهود، ورأى الإمام القيام عليهم من الواجب، فضيق عليهم المنافذ، وحصر بلادهم. وكتب للشيخ المجاهد علي بن صالح أن يقوم على جماعتهم المساعدين لهم

من أهل اللجيلة، فيشغلهم عن مناصرتهم حتى يذعنوا للحق، فخرج الشيخ علي بمن معه، ونزل بالفلجات بلدة بواديهم، وضيق عليهم من الجهة الشرقية، فكانوا يترامون بالبنادق من بعيد. وما المراد إلا إشغالهم. فلما خشيت بنو جابر أن تدور عليهم الدائرة، وأن يقتحم المسلمون عليهم بلادهم المنية بالجبال المتحصنة بالرجال، فكروا لهذه الحادثة الوشيكة الوقوع، فأجمع رأيهم أن يذعنوا للإمام، وأن يسلموا أمرهم إليه، فعسى أن يعطف عليهم بخنوه، فيعفو عن إساءتهم قبل قدرته عليهم، كما هي عادته، فأقبلوا إليه بواسطة قائد الجيش الشيخ حمير بن ناصر النبهاني، فقبل الإمام إذعانهم، وعفا عن مجرمهم، ودخل بلادهم، فركد أمرها، وأنفذ الأوامر الشرعية فيها، وجعل أمرهم تحت نظارة عامله بنخل.

فتح الرستاق

هي كورة تشتمل على بلدان جهة، من أفخر بلاد عمان، بسفح الجبل الأخضر من جهة النعش، احتوشتها الجبال من كل الجهات، وتخللها الأودية؛ بحيث تجتمع إلى أن يظهر وادها ممتدًا إلى الباطنة، ولها توابع، وسوقها كبيرة، وأمنارها غزيرة؛ فمنها حمامات لا يستطيع دخولها، ومنها باردة مثلها، ومنها متوسطة.

تجلب إليها الفواكه البرية والبحرية والجبليّة في كل غداة، تتصل بها السيارات من ساحل دبي وعاصمة مسقط.

كان الحاكم عليها السيد أحمد بن إبراهيم بن قيس.

سبب الثورة

ثقل على الإمام تردد الشعب الرستاقى، يستصرخه ويستنهضه؛ لكشف الاضطهاد، والتضييق الواقع عليهم من حاكمهم السيد أحمد بن إبراهيم، وأنهم يسامون الخسف. ودخلوا عليه بمهارة، أتقنوا فيها العبارة، قدموها إلى صنوه الشيخ ناصر بن راشد الخروصي، فأوغروا صدره، ورأى أن لا محيص عن القيام بحقهم. وكان إذا دهمه الأمر لا يبرمه قبل مشورة المسلمين، فجمع العلماء وأعيان دولته واستشارهم، فكلهم رأوا إجابة صوتهم، وتلبية دعائهم، والناس تبع ما أخذ به الإمام من رأي أولي الرأي. فخرج من نزوى يوم ثاني جمادى الثانية سنة ١٣٣٥ هـ وتسلم ذروة الجبل الأخضر بمن خف معه، داعيًا أتباعه إلى أتباعه، راجيًا من الأهالي الرستاقيين، أن يضحوا بأنفسهم شفاء لما في صدورهم من حرص وحقد، فخيم معسكره بالعوابي. وكتب للسيد أحمد يشعره بنتيجة ما قام لأجله، وأن يتنازل عن إمارته التي ورثها من آبائه ومجده الذي رضع ألبانه، وبساطه الذي مشى فيه، وقصره الذي نشأ به، فصعب على الهزبر أتباعه، وامتنال أمره، وشق عليه تأخره عن تلك المنزلة السامية التي هو بها، ولا يدري ماذا يكون حاله بعد ذلك، وفسح له المجال شبهً وجدها أمامه حسنت له الامتناع، فأبدى حزمًا فائقًا، وعزوفًا عن الترف والزخرف، وأيقن خذلان قومه له، وركون رعاياه إلى الإمام، ولم تنفق له حامية للصراع خارج البلد، حين باغته المسلمون وخاب رجاؤه في القبائل الذين أعدهم في السلم للحاجة، فلبس درع الصبر، وشرب حميا الوطيس، وأرغم أن يوصد باب الحصن والقلعة المشهورة بقلعة كسرى، وهما في غاية المنعة، وصعوبة المرتقى؛ يقال: إن القلعة من بناء كسرى أنوشروان في زمن الفترة.

اختار من الرماة أربعين رجلاً يكونون عنده، وأحب منادمة البحر الأسود الشيخ عبيد بن فرحان صاحب السر، فاجتباه إليه. تقدم الإمام إلى الرستاق، وعسكر جيشه ببرج المزارعة، وتمكن من تخومها، وسد الجيش منافذها، واقتحم عسكره سور الحوش الذي دار بالحصن، بعد ما غيمت السماء بدخان البارود، وصمت الأذان بصعقات المدافع، ولم تزل جموع الإمام في زيادة ونشاط، وجلد خارق للعادة، مناف لما يحصل من الضجر والتعب، وفوقوا المدافع على الحصن لهدم ما قوى من بنيانه، وهو يدافعهم بأعظم مما يراه، حتى إنه هاجهم خارج الحصن مراراً، واختلس البارود الذي وضع لهدم الحصن، حيث إنه قابله بنفق مثله من داخل. واختلف النصحاء إلى السيد أحمد يسألونه الفرق بنفسه وبالمسلمين، ومع اختلاف الأهواء لم يجد في بدء الأمر قبول النصيح، وأنشدني شيخ البيان بيت شعر في حالة صواعق، حضرتها وقت الحصار:

ضربوني عمداً ليستنطقوني وجدوني على البلاء صبوراً

وأنفذ العون إليه ابن عمه سلطان مسقط خميساً جزاراً؛ زوده العدة القوية، وجعل أميره أخاه السيد حمد بن فيصل، وعضده بأعيان دولته السيد محمد بن حمد راعي ظبيه، وخادمه مظفر بن سليمان، والشيخين: سلطان بن محمد النعيمي، وخلف بن بستان العلوي، فعسكر جمعهم بحصن الحزم، ووجهوا إلى مختلف الأنحاء كتائب مفرزة؛ لتستولى على أهم المدن، فندب الإمام لبعض جمعهم سرية، أكثرها بنو حراص، والتقى الجمعان بفلج الشراة، وطال الصراع، وكثر القتل، وأثخن الجراح، ثم شد المجاهدون شدة، صدقوا فيها الحملة، فانكشف الجيش السلطاني، وانتهى الفوز لجند الإمام، ولم تكن بعدها إلا مناوشات، أسفرت عن فجر النصر للإمام وجنده.

لبث الهزبر في الحصار خمسة أشهر إلا خمسة أيام، نفذ فيها ما ادخره من عدة الحرب ومادة الأكل، ولم يكن ليعلم ذلك القصر إلا رغماً، فأرغمه الاضطراب إلى تسليمه في اليوم الثالث والعشرين من شهر شوال من سنة ١٣٣٥ هـ وألقى مقاليد الأمر بواسطة الأمير حمير بن ناصر، على أن تترك له الحزم مأكلة، واستطاع أن يأخذ منه ذخائره وأمواله التي حواها القصر، فذهب مع حاشيته ليقيم بها، وكان يطمع في وصول الشيخ عيسى ليخلصه من الإمام، فيفوز بأوفر السهام للصدقة الودية بين آبائه الكرام وبينه وإياه في الوقت القريب، فما قدر الله نجاح ذلك الأمل.

قام بمصرف هذه الغزوة الشيخ محمد بن طالب بن محمد الحراصي إلى مدة شهرين، ودفع فيها ما احتاجت إليه من نفقة ورصاص، كل ذلك صدقة من ماله، ولا بد أن تكون هنالك موجدة أسرها، ودأب العمانيين ذلك.

ومن العجيب أن هذا الشيخ بعد تمام الفتح خرج مودعاً للإمام، قافلاً إلى وطنه جماً. وحينما وضع إحدى رجله على الراحلة لم تساعفه الأخرى، فسقط ميتاً ولم يكن به مرض من قبل.

فقد المسلمون في أيام الحصار خمسة عشر رجلاً، مضوا شهداء إلى ربهم. وجرح كثيرون. ومن جملة الشهداء: الزاهد الفاضل عبد الله بن محمد بن علي الذهلي. ولا نعلم من أصيب بداخل الحصن. وفي وقت الحصار أنشد ابن شيخان الشاعر قائلاً:

هذي هي الرستاق أبدت لكم	أسرارها كاشفة البرقع
جيوش حق قد أحاطت بها	إحاطة الخاتم بالأصبع

ما قيل من الشعر في فتح الرستاق

قد أكثر الشعراء من التهاني بفتح الرستاق، كما أكثروا في غيرها؛ ومن ذلك ما قاله شيخ البيان، شاعر عمان على الإطلاق، محمد بن شيخان السالمي:

كسا الألوان هذا الفتح بشرى	وعطر منسكه برًا وبحرا
أيا فلکًا جرى بالخير هذا	زمانك فاجر قد وافقت مجرا
وفي الدنيا عجائب لسياس تفنى	إذا إحدى مضت جاءتك أخرى
تؤلف هذه الأيام فينا	صحائف عبرة بالقلب تُقرأ
وفي طيبي القضاء بديع سر	تبوح به عوادي الدهر جهرا
إذا اشتدت أمور الدهر فاصبر	فإن الدهر لا يستطيع صبرا
فلا تستبط فالأيام تُوفي	وتأخذ حقها المبخوس وفرا
ومن طلب القرار بأرض قوم	يصانع دهرهم حلوا ومرأ
وذو التقوى وإن ضعف ابتداء	فإن مقامه يزداد قسدا
وذو الدنيا وإن طالبت يده	فإن أموره ترتد خسرا
لواء الملك معقود بهال	وجند دوخوا سهلا ووعرا
فلا جند بغير المال يُغني	ولا بالعكس نيل الملك يُذرا
ومن يستغن عن جند بهال	يعش في الذل عمقوتنا معرأ
ومن قطع القبائل عنه لا قسى	بيوم ما هوائنا مستمرا
ومن ينقض عُرى الحزم انكالا	قضى أسفا إذا المحذور كرا
ومن في الناس سيرته بمكر	يلاقي منهم خدعا ومكرا
ومن في الناس سار مدى بعنف	ذراعنا منه لم يقفوه شبرا
وذو الوجهين لا يصفو لخلسق	ولم يُحسن به ظن فيبرا
ومن سلك الطريق بلا دليل	تخبط هسوة واشستاك شرا

زمام الأرض نشر العدل فيها
 تفانى الناس في الفاني ضلّالاً
 بهم حُبُّ لزهركه مسضّر
 وصار البغي بين الناس طبعاً
 ليس الأمر بالمعروف فرضاً
 تعالى الله صار العلم جهلاً
 مضى زمن بعزان بن قيس
 فقد زهرت به الدنيا وطابت
 ومرت بعده سنوات جور
 إلى أن بان فجر الحق ممن
 وكان بغابر الأزمان سرّاً
 إمام عادل غوث البرايا
 نمته أئمة سلفوا وعمت
 كأن بني خسروص في البرايا
 وسالم الإمام من الدنيا
 كريم أريحسي البذل أسخى
 شديد للأعداء ليّن للـ
 وسالم الإمام ذا بمصر
 لقد فتح المعازل من عُمان
 وما استكفى بملك العرب حتى
 وما الرستاق إلا عرش ملك
 دعت له لنفسها الرستاق كُفوا

وقائد أهلها للخير دهر
 وما خلقوا له ولّوه ظهراً
 محبة عُروة العُذريّ عَفراً
 فبعضهم على بعض نجراً
 فيدراً عنهم بُغضاً وضراً
 وصار العدل والإحسان نكراً
 إماماً مرتضى عدلاً وبرّاً
 شمانها به زمتاً وقطراً
 قُرت أبنائها نابياً وظفراً
 تبسدى في سماء العدل بسدراً
 فنقله القضاء فصار جهراً
 خروصيّ علا شرفاً وقدر
 عاسسهم وطابوا السدمر ذكراً
 فصوص خواتم يتفخن عطراً
 وناصر المسام الدين نصراً (١)
 بفيض ندى من المنهل قطراً
 أصادق بحر علم سار در
 نتيه به على الأعصار فخراً
 وقسام بحقه عدلاً وبراً
 تسنم صهوة من ملك كسرى
 عليه يستوي المسعود قهراً
 وكانست في جمى الماضين بكراً

فَصَدَّقَهَا بِمَا تَشْكُو إِلَيْهِ
وَلَبَّاهَا بِجَيْشٍ لَوْ يُلَاقِي
بِمَنْبِتٍ تَقْصُصُ الْأَرْضُ مِنْهُ
يَطُومُ كَأَنَّهُ طَوْفَانُ نُوحٍ
تَلُوحُ عَلَى بَسَاطَةِ الْمَنَابِيَا
رَجَالُ كَمَّلَ اللَّهُ بِبَاعِعُوا
فَكَمْ سَمِعُوا الْإِمَامَ وَكَمْ أَطَاعُوا
فَمَا أَصَابَهُمْ عَنْهُ لَجِينٌ
دَعَاهُمْ دَعْوَةً فَاتَتْهُ وَثُكَا
فَجَاءُوا مِثْلَ سَدِّ مَنْ حَدِيدٍ
عَلَيْهِ رَفَرَفَتْ رَايَاتُ عَدَلٍ
وَبِالرَّسْتَانِ قَدْ نَزَلُوا وَسَدُّوا
وَأَحَدُ نَجَلِ إِبْرَاهِيمَ فِيهَا
عَرِيقُ الْمَجْدِ مَتَفَرِّدُ الْمَزَابِيَا
أَشَدَّ النَّاسِ صَبْرًا فِي الْبَلَايَا
وَأَصْحَابُ لَهُ كِبَرٍ وَفِي خُطْفٍ
أَسْوَدُ الْحَرْبِ وَرَاؤُهَا الْمَنَابِيَا
كَثِيرٌ وَالْفَعَالُ نَدَى وَبَأْسًا
وَلَمَّا لَمْ يَسِرُوا قَبْلًا عَلَيْهِمْ
وَكَمْ خَيْرٌ يُجْرِي إِلَيْكَ ضَيْرًا
فَأَحْدَقْتُ الْجِيُوشُ بِهِ وَصَارَتْ
كَأَنَّ الْقَلْعَةَ الشَّهْبَاءُ لَمَّا
كَمَصَّصِمِ ذَاتِ حُسْنٍ حَلَّ يُسْرًا
وَشَبِثَ نَارُهَا الْحَرْبُ اضْطَرَامًا

وَأَصْدَقَهَا رِضَاءَ اللَّهِ مَهْرًا
صُرُوفَ السَّيْفِ وَلَسَتْ عَنْهُ حَسْرًا
يُؤْجِجُ جَانِبَاهُ الْمَاءَ جَمْرًا
تُصَادِفُ أَيْنَاهُ يَمَمَتَ بَحْرًا
فَتُورِدُهُمْ حِيَاضَ الْمَسُوتِ مُحْرًا
نَفُوسُهُمْ بِهَا الْجَنَاتُ تُفْتَرَى
وَكَمْ نَصَحُوا لَهُ سِرًّا وَجَهْرًا
وَلَا ذَهَبٌ وَلَا نَظَرٌ وَهْ شَزْرًا
كَأَمْطَارِ حَدَثَاتِ الرِّيحِ عَصْرًا
تُخَفُّ بِهِ الْعَنَابُ أَيْنُ مَرَا
بِهَا كَتَبَ إِلَهُ النَّصْرِ سَطْرًا
مَتَافِئُهَا وَعَمَّوْا الطُّرُقَ حَجْرًا
هَزَبَرًا فَارَسَسَا لَاقِي هَزَبَرًا
عَظِيمِ الشَّأْنِ أَدهَى النَّاسِ خَبْرًا
وَأَوْسَعَ فِيهِمْ كَفًّا وَصَدْرًا
يُصَيِّبُونَ الْفَضْلَ خَيْرًا وَشَرًا
رُمَاةٌ يَفْقَهُونَ الطَّرْفَ نَقْرًا
وَكَانُوا عِنْدَنَا فِي الْعَدَدِ نَزْرًا
مُبَارَزَةً أَصَارُوا الْحَصْنَ ظَهْرًا
وَبَعْضُ الشَّرِّ يَدْفَعُ عَنْكَ شَرًا
جُنُودُ اللَّهِ نَحْنُو الْحَصْنَ تَثْرَى
أَحْصِي بِهَا وَشَاجَ ضَمَّ خَصْرًا
أَحَاطَ بِهِ سِوَارُ ضَاقِ عُسْرًا
وَأَبَدَتْ نَابَهَا الْهَيْجَاءُ كَشْرًا

بِرُوجِ القَلْعَةِ اهْتَمَزَتْ دَلَالًا
 إِذَا بُرِجَ الْحَدِيثِ أَضَاءَ بِرُقَا
 وَفِي بَرْجِ الشَّيَاطِينِ الْمَنَاسِكَا
 وَكَسَرَى مِنْ عَوَائِدِهَا إِذَا مَا
 وَذَا شَيْءٍ أَتَى يَرْبِسُو عَلَيْهَا
 تَبَاعَدَتْ الرُّبَى عَنْهَا وَأَبَدَتْ
 وَكَمْ قَدْ أَنْفَقُوا نَفَقًا مَلِيًّا
 وَأَلْسِنَةُ الْمَدَافِعِ كَلِمَتَهَا
 فَبَانَ الْخَطْبُ عَنْ قَتْلِ وَجَرَحَى
 وَفِي فَلَجِ السُّرَّةِ سُرَاةٌ مَوْتِ
 فَفَاضَ مِنَ الْإِمَامِ خِضَمٌ جَيْشِ
 وَعَمَاقُ الصَّبْرِ جَمْعًا وَاسْتَمَرَا
 وَقَدْ يَشْسُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ مِمَّنْ
 وَأَيُّقِنَنَّ أَنَّ أَمْرَ اللَّهِ جَارِ
 وَكَيْفَ يَغَالِبُ الْغَلَابَ قَوْمِ
 وَقَدْ بَلَّغَتْهُمْ الْآيَاتُ مِنْهُ
 وَحَالَتْ حَالَهُمْ شَيْئًا فَشَيْئًا
 فَمَا لَوْ لِلْخُرُوجِ لِمَا رَأَوْهُ
 وَأَحْمَدُ صَارَ أَحْمَدَ لِلْيَاكِي
 وَأَقْبَلَ أَخَذًا بِالْحَزْمِ يَسْعَى
 وَخَمْسَةُ أَشْهُرٍ إِلَّا قَلِيلًا
 أَوَّخِرَ شَهْرَ شَوَّالٍ فَتَوَّحِ
 لَقَدْ فَتَحَ الْمَعَاقِلَ مَطْلَقًا مِنْ
 بِهِ الرِّسْتَاقَ قَدْ مَالَتْ دَلَالًا

وَزَادَ كَلَامُهَا الْأَسْمَاعَ وَقَرَا
 فَبَرَجَ الرِّيحِ أَبَدَى الرَّعْدَ جَهْرَا
 سَحَابَ تَمْطُرُ الذِّفْيَانَ قَطْرَا
 أَتَى جَيْشَ الْعَدَى أَوْلَتْهُ كَسْرَا
 وَذَاتَ الشَّيْءِ بِالْأَقْسَادِ أَدْرَى
 مَنَافِدَ تَفْسُزِعُ الْأَرْجَاءَ خَطْرَا
 مِنَ الْبَارُودِ فَاخْتَلَسَتْهُ قَسْرَا
 بِهَدٍ وَهِيَ تَعْلُو ذَاكَ كَسْرَا
 مِنَ الرِّصْدِينَ كُلُّ غَالٍ شَطْرَا
 لِقَوْمِ أَحَدَثُوا فِي الْحَزْمِ أَمْرَا
 فَشَرَّدَ جَمْعَهُمْ عَقْلًا وَعَقْرَا
 وَضَاقَ الْأَمْرُ ذَرْعًا وَاسْتَحْرَا
 تَرَجَّجَى فِي الْحِمَى نَفْعًا وَضْرَا
 بِهِ أَجْرَى لِأَهْلِ الْأَرْضِ أَجْرَا
 وَسَرَّ اللَّهُ يَعْلُو الْخَلْقَ طَوْرَا
 وَأَنَّ لِمَنْ مِنَ السَّرْحِ سِرَا
 وَطَالَ أَوَّلُ الْهَدَى جَسْرًا فَجَسْرَا
 وَقَدْ نَفَسَ الَّذِي عَدَّوهُ ذَخْرَا
 وَأَرْجَى لِاسْتِنَادِ الْأَمْرِ يَسْرَا
 لِحِصْنِ الْحَزْمِ وَفَنَسَا فَاسْتَنْقَرَا
 قَضَى حَقًّا لِكَسْرَى صَارَ عَذْرَا
 بِعَامِ بَطِيَّيْبِ الرِّسْتَاقِ بِشْرَى
 نَهَى وَقَرَى بِهَا وَهَلَمَّ جَرَا
 كَخَوْدِ أَقْبَلَتْ فِي الْقَصْرِ سَكْرَى

إمام المسلمين أتتك طوعاً
ملبيقة فصنع الله شـكراً
لقد نلت السعادة في المغازي
تدين لك القرى برأ وبـحراً
ولا زلت الدليل لكل خير
يفاث بك الوري دنيا وأخرى

انتهت القصيدة الغراء، وقد أوفت بالمقصود، وحصرت الغزوة المباركة، ونكتفي بها عن الزيادة من ذكر الأشعار.

وفي عام ١٣٤٧ هـ نشرت الصحف أن السيد أحمد بن إبراهيم كتب على أبواب حصنه بالحزم، وباب ولايته بالسويق من الباطنة: إنَّ من كانت له مظلمة عنده فليحضر للخلاص منه، والتخلص إليه من التبعات الموبقة، وأبدى التوبة والرجوع إلى الحق، وزار الشيخ عيسى بالقابل في هذا العام، فسر الجميع بذلك وتفاءل الناس بالخير، وبهذا كان في رأي بعضهم أن يستبدلونه إماماً، وبعد خروجه عنه عزم المشايخ: صالح بن أحمد، وحمد بن عيسى ومن معهم، وكنت في صحبتهم، فتوجهوا إلى الإمام بسمايل، فأدركهم الخبر بالطريق، أنه قدم إلى نزوى، فخرجوا إليه. ولما نزلنا بمسجد السنود بنزوى، وصلني رسول سري من الإمام، وقد بلغه خبرنا، وقد خبرنا، وما نرملق إليه، فسألني ماذا عندكم، فأخبرته وأصدقته، فأحضرنا صبح اليوم الثاني من وصولنا، وقد أحضر الباشا الباروني والعلامة سعيد بن ناصر الكندي بغرفة الصلاة من حصني نزوى. سألنا: لماذا جئتم؟ وماذا عندكم؟ وماذا تريدون؟ قالوا: إنه صدر عدم اهتمام بشئون الدولة وإهمال في الأمور، وتساهل أدى إلى انتهاك الحرمات، وحدث من الفساق تجرؤ لا يطاق، وهذا شيء لا يمكن السكوت عنه فإما وإما. أجاب رضي الله عنه: سمعنا مقالكم، فهل عندكم غير ذلك؟ أجابوه: إن هذا الشيخ صالح وصل إليك ليعذر إلى ربه، وليكون قد أبلغك ما عنده، فقال: أعذر صالح إلى ربه، فماذا بعد؟ فأفحمهم وعرض لهم عن قصدهم، ثم بين لهم مرماهم، فرجعنا بخفي حنين، ورضينا من الغنيمة بالإياب.

حوادث سنة ١٣٣٦هـ

وفي ليلة الخامس من شهر ربيع الثاني من سنة ١٣٣٦ توفي الشيخ العلامة ناصر بن عامر بن سليمان بن محمد بن خلف بن حسن بن سليمان بن محمد بن خلف الريامي، وكان عالماً فاضلاً، أديباً شهيراً، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، يسكن حارة التزار من بلد أزكى، وهو أحد العلماء الذين قاموا ببيعة الإمام سالم بن راشد الخروصي، وخرج للجهاد عنده، وهو شيخ كبير ابن ست وستين سنة، وولي له القضاء، وكان أديباً محباً للشعر، وله ديوان كبير، مزقه في حياته إلا ما بقي من القصائد التي فاتته بأيدي الناس، وكان له من العمر يوم وفاته سبعون سنة.

وفي اليوم الحادي والعشرين من شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة، قتل الشيخ أحمد بن سليم بن المر العريمي الجنيني، عامل الإمام سالم على سمد والمضيبي وتوابعهم. وكان قد عمل قبل ذلك له على بلدان بني بطاش، ولما بلغه انتقال الإمام على بني جابر، والاجتماع ببلدة سرور، وفد إلى الإمام رغبة في الجهاد وعنده رئيس بني بطاش سلطان بن محمد البطاشي، وبعد فراغهم من تلك الغزوة، طلب أهل سمد من الإمام أن يولي عليهم الشيخ أحمد. وكانت سمد وبلدان الحبوس من أجل مراكز الشرقية، فأسعفهم على ذلك، وأكد المساعدة رفق الإمام ببني بطاش، لما أصابهم من الاضطهاد من حكام مسقط، بسبب قيام العامل عندهم. وكان أحد من أعظم قواد دولة الإمام سالم، وأمضى سيوفها، بطلاً غيوراً، شهيراً لا تلين قناته، وهو من بلدة (واد) من بلدان وادي منقال وجماعته، وقومه هم أهل ساحل صور. وقد خالف مذهبهم، ورغب في مذهب أهل الاستقامة هو وأولاده وحاشيته وقومه على مذهب الإمام الشافعي. وكان قبل الإمام يزور الشيخين: عيسى ونور الدين، ويردد إليهما للتعليم.

خرج رحمه الله إلى صور لبعض لوازمه الخاصة، وحذره الإمام وأعيان الدولة ما يخشون عليه من عامل السلطان على صور، فلم يلتفت إلى قولهم؛ لأنه يظن عجز الوالي عنه باستطالة جماعته، وقوة قومه في بلادهم. وإذا نزل القدر عمي السمع والبصر، فخرج وفي رفقته ابن عمه الفاتك المشهور علي بن ناصر العريمي، فنزلوا في بيت صهره الشيخ القاضي ناصر بن جمعة الشيعي، وقد سمع الوالي حمود بن حمد بمقدمه قبل وصوله، فتهياً للفتك به. وفي الساعة التي نزل فيها، أرسل إليه الوالي جماعة من عسكره يدعوه بالوصول إليه، فامتنع من صحبتهم، ثم عززهم بمائة جندي، فما شعر أحمد ومن عنده إلا وقد أحيط بهم من كل جانب، وهجموا عليهم، وهم في حالة استهانة بهم، واستخفاف بأمرهم، فأثاروا الرصاص على أحمد أول الأمر، ثم على علي بن ناصر، بعد أن قتل منهم عقيد العسكر وآخر غيره، وجرح كثير من عسكرهم، ووقع جراح في أصهار أحمد بن سليم وزوجته، وما كان من جماعة أحمد الذين يرجوا منهم النفع شيئاً لا في بدء الأمر ولا في آخره، {ولله الأمر من قبل ومن بعد}.

حوادث سنة ١٣٣٧هـ

في هذه السنة نزل وباء بعمان وأمراض، فاجتاح جمًّا غفيرًا من الناس، وفيهم جماعة من أفاضل العمانيين وفقهائهم.

منهم السيد الفاضل المقدام سعود بن حمد بن هلال، وكان هذا السيد من أقوى أركان الدولة، وتقدم ذكر نصحه في فتح أركي، وأنها كانت في يده للسلطان، فسلمها للمسلمي، وما فتئ رحمه الله ملازمًا للإمام، معاضدًا له في جميع الأحوال، وانتقل بعد فتح أركي إلى نزوى، وسكن بمحلة العقر منها؛ وأبى أن يتقلد شيئًا من

الأعمال، والتزم بمؤازرة الإمام وطاعته ومناصرته، إلى أن توفي رحمه الله والمسلمون عنه رضوان، وكانت وفاته في ليلة الرابع عشر من شهر صفر سنة ١٣٣٧ هـ.

ومنهم العلامة الزاهد الشيخ القاضي سليمان بن محمد بن أحمد بن عبد الله الكندي؛ كان قاضياً للإمام على نزوى وما حولها، وهو ابن عم الشيخ العلامة سعيد بن ناصر الكندي، علامة ذلك الوقت وابن أخته. كان سليمان هذا يسكن مسقط، ولما كانت الإمامة بعمان الداخلية، أصابهم تضيق من قبل السلطان باتهامه ميلهم إلى دولة المسلمين، فخرج هذا الشيخ إلى نزوى مع رجال من بني عمه وإخوته، فكانوا في رجال الدولة وأنصارها، فبقي سليمان قاضياً على نزوى وأعمالها، حتى توفي ليلة ١٤ صفر من عام ١٣٣٧ هـ. كان رحمه الله عالماً جليلاً، ناسكاً ورعاً، غيوراً، وآثاره جميلة في حال قيامه بنزوى. وقد شرع في التأليف، وله شرح مبهم سماه: «بداية الإمداد على غاية المراد» في نظم الاعتقاد، وهي أرجوزة جلييلة لسيدى الوالد نور الدين، وله أجوبة مسائل نظماً ونثراً، وكانت وفاته والسيد سعود بن حمد في ليلة واحدة.

ولد هذا الشيخ سنة ١٢٩٨ هـ فيكون عمره تسعاً وثلاثين سنة رحمه الله.

محاصرة الإمام لحصن الحزم

وفي شهر شعبان من عام ١٣٣٨ هـ أمر الإمام سالم بن راشد أخاه العلامة ناصر بن راشد الخروصي، بحصار حصن الحزم، وكان فيه السيد أحمد بن إبراهيم آل بوسعيد؛ لما صدرت منه أحداث أوجبت ذلك.

والسبب في ذلك اتخاذ الشيخ ناصر بن راشد الغافري وجماعته عند السيد أحمد بن إبراهيم، وتضعفهم من الشيخ ناصر الخروصي، في أحكام أجراها بينهم وجيرانهم الشراينة، وظنوا أنه شطط في حكمه عليهم، وكانوا في أيام ملوك الرستاق لهم اليد الطولى، في تناول رعاياها، والتدخل في شئونهم. فلما صارت في يد الإمام، وأجرى العدل فيها، كفت أيديهم، وذهب ما ألفوه من التمكن والظلم فيها، فأضمر الكيد والخبث للشيخ الخروصي. وكان هذا الشيخ صعب الشكيمة، شديد الغيرة، لا يرى المداينة في الأمور، فأنقلب هو بنو غافر إلى السيد أحمد، وغرهم جرائتهم وسطوتهم، فانتهاز السيد أحمد هذه الفرصة بانحرافهم وهم بحرب الإمام، وظهرت منه بوادر الخلاف، وتعلق بالإنكليز وصدرت مكاتباته بذلك، فهجم ذات يوم وقت الظهر على المسفاة بلدة قريبة منه، كانت معقل لرباط المسلمين، جعل الإمام عليها السادة علي بن بدر وابنه هلال بن علي، وعندهم نزر قليل من خدمهم، فوقع بينهم القتال ساعات من النهار، أبلى السادة في ذلك الموقف بلاء حسناً، وثبت كل لقرنه، ولا شيء يقيهم حرارة الشمس، والوقت حمارة القيظ، والأرض رمال، وزحف كل على صاحبه بلا رحمة. فما كان إلا أن خاف السيد أحمد زيادة القوة لبني عمه؛ لقرب الإمام منهم، فترك موقفه، ورجع إلى الحزم، وكان الإمام سالم بالرستاق، وعنده الجيش، فتمى الصريح إليهم، فزحفوا عليه، وحاصروه بحصن الحزم، وضيقوا عليه، ونضبت آبار الحصن حتى خرج بنفسه بين الرصد، يستقي الماء من الباطنة على جواده مراراً، وأدخله عليهم، واستعان ببني غافر، فتراخوا عنه، واستنجد بأل سعد فخذلوه، واستظهر بالإنكليز، فما حصل منهم على طائل.

وبعد طول المدة، وكما هو الحصار، توسط مشايخ بني هناة، على أن يترك الإمام حصن الحزم لأولاد السيد سعيد بن إبراهيم ابني أخي السيد أحمد، وأن يخرجوا عنهم منه، ويمنعوه من دخوله فرضي الكل.

ثم دخلوا مرة ثانية بالصلح بين الإمام والشيخ ناصر الغافري وجماعته، على أن يكفوا عن مناصرة السيد أحمد وعداوة المسلمين، ولا يخيفوا آمناً، وأن يتأخر الإمام عن حربهم، فقبلوا وأتموا ما وعدوا به.

وهذا كتاب من الإمام لبعض إخوانه بعد حذف أوله:

«سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إني أحمد الله إليك. لا زلت في أتم الخير، والذي نعرفك به: اعلم أن المسلمين توجهوا على حرب أحمد بن إبراهيم، بعد ما طغى وبغى، وعزم على أن يقوم الإنكليز على حرب أهل عمان، ويدخل في حمايتهم -قاتله الله- فقد دمرنا فلج الحزم، حتى لا تندى منه قطرة، فيها هو متحصن في حصنه، والمسلمون مُخَدِّقُونَ بالحصن من كل جهة. والله نسأله النصر والتمكين، وأن يقصم رقاب الطغاة الباغين بمنه وكرمه». والغافري الآن يخاطبه الأنصار، يطلبون منه الإذعان لحكم كتاب الله، والكفاف عن حرب المسلمين، إن تيسر منه، وإلا فلا بد من حربه، والله ولي التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل. والسلام في ١٩ شعبان سنة ١٣٣٨ هـ.

وفي ذلك يقول شيخ البيان، مفخرة شعراء عمان: محمد بن شيخان، في تفصيل هذه الحادثة:

لا يزال الحق فينا مذهباً	رَضِيَ الخصم علينا أو أباً
ما بقينا فعلى الحق وإن	نقض أحسننا به المتقلباً
إنما سيرتنا العدل ولا	نشتي عن نشره أو نذهباً
نحن من قمنا على السلطان إذ	جسار لا تركه أن ينكبنا
إنما البغي وظلم الناس لا	يثبت الملك عليه مركباً
قومنا اضطروا إلى مذهبنا	عزلوا سلطانهم مستوجبا

فسيهما المعوج والمضطربا
 مثل قوم عظموها طلبا
 كيف إن ولت وساءت حَقَبَا
 فاقض منها يا فتى ما وجبا
 ما عداها المجتنبى والمجتبى
 وجسوم فيه تشكو النَّصَبَا
 في رضى المولى ونوْثى المطلبَا
 قد أثارَت صاعقات بالظبَا
 صَحَبَ الحسق وإن قسَلْ ربا

نحن قومنا وسكننا بما
 ليس للدنيا لدينا قدر
 رفضنا الدنيا وإن برَّت بحر
 إنما الدنيا حطام زائل
 تعلم الدنيا وإن راقى لنا
 نعمت فينا قلوب للهدى
 لا نبالي إن بذلنا أنفسنا
 لم نرَّ عننا بارقيات لمعت
 كثرت أعمداؤنا لكن من
 شأننا الإنصاف في الحكم ولا

نلج الرشوة أو باب الرِّبَا

كان منا أبعدًا أو أقربا
 ما حيننا لا نقول الكذبا
 صولنا زلزل أركان الربا
 نجعل المنكر والجور هبا
 وترد الظلم ممن ركبنا
 نشرق الدنيا ونسمو رتبنا
 حرجنا أو كدنا أو معتبنا
 سالما ذاك الإسمام المجتبى
 يقطع الكفر ويجلو الغيبنا
 والبرايضا فترقى منصبا
 سمع به حيث أنسى أو ذهبنا
 وهو وضاح الصحاري والربا
 أهلته وافق دهرًا طيبا

نصف العاجز من ذي قدرة
 فإذا قلنا فعلنا أبدا
 قولنا أنفسنا من صول وكم
 جذبتنا نفحة وهيبة
 خرجت في الأرض تمحو بساطلا
 دولة غراء كالشمس بها
 سهلة بيضاء لم تُلف بها
 وهب الله لها من لطفه
 سلَّه الله حساما لامعا
 بايعته العلما والأمرا
 قام بالأمر فكان السُّيْمَن في
 فهو فتاح الصياصي والقرى
 زهت الدنيا به كالعيد في

وبه لطف كبر الماء من
فهو الماء جرى عند الرضا
دائماً الصبر حول للأذى
أمره شورى فلا خلف لما
خاف بالنصر لما يقصده
ما عناء أصعب إلا وقد
راشد الأمة مأمون النبا
سالم الجانب ممدود المدي
آمن المرصد ميمون اللقا
وأخوه الناصر الشهم الذي
باسط الراحة ممدود العلا
يا حاة الدين يا أهل الوفا
أيدوا هذا الإمام المرتضى
وانزعوا الأحقاد منكم واسلكوا
واجمعوا الأمور ولا تختلفوا
واطلبوا الألفة وارعوا دهركم
وابذلوا الفاني بالبساقى فما
هذه دولتكم يدري الورى
وعجيب أصلاها منا ولم
راقبوا مولاكم في دينكم
يا بني الإسلام هل من غير
تلك عبادة المسيح اختسرت
فإذا ما استضعفوا أمركم
وإذا ما استصعبوا أمركم

كبد الظمان يُطْفِئ اللهيا
وهو النار يُرى إن غضبا
قائم الشكر يُجلى الكُربا
يرتضيه العلاء النقبيا
وببرهان يزيل الحجبيا
سهل الله إليه الأصعبا
واقعد الهمة مسنون الشبا
طاهر الحجة معقود الحبيا
صاعد المقصد يعطو الشهبيا
قام في سبيل الهدى محتسبا
واسع الساحة مأوى الأدبيا
يا كرام الناس قوموا غضبا
واعمروا بالعدل هذا المذهبيا
سبل الخير وداووا الوضبا
واحدروا يحكم أن تذهبيا
واذكروا إذ كنتم أيدي سبا
يطلب الأشراف إلا النجبيا
إنكم أركانها والخطبيا
نعتلىق منها بأذنى سبيا
واحفظوا دنياكم والأدبيا
تسنعش المقعد والمنقلبيا
أمركم هل طال سعيًا أم كبيا
جعلوكم مغنما أو منهبيا
أدبروا عنكم وصدوا هربيا

هذه حالنا لم تختلِف
 حالنا قد بهرت أعلامنا
 فليروا منا خيلاً لجباً
 وليروا منا سيوفاً رهيباً
 وليروا منا رجلاً كَمَّلاً
 قد سمعنا رنسة صافرة
 لم يكن كل صدى تسمعه
 هب صدى السيف فإننا عَرَبٌ
 نحن نهوى الموت في ذلك العلا
 فإذا الحرب علت أصواتها
 أو لم يدرب بنو الكفر على
 نحنسي من أرءوس القوم الطُّلّا
 وهو أكثر منا عدداً
 غير أننا عندنا الحق ومن
 ولقد نزل في الذكر لنا
 عبدوا عيسى وقالوا: إنه
 حاش لله فلا يخذل من
 وابسن إبراهيم أبدي أنه
 وتحدي بهم مستظهراً
 ورمى المسفاة حرباً فرأى
 فأثار الناصر الدين على
 جيش صدق سقيت أنصله
 فأحباطوا بجهات الحزم لا
 والمقاديم يشبون وغى

ومحال حالنا أن تُغلبنا
 وفرفت النصر فيها كتبنا
 عجباً لا يحمل مؤثماً عجباً
 قطفت منهم رؤساً حبجياً
 بالخصى ساووا التَّهَى والذهبا
 من بني الكفر فقلنا هبها
 صلة السيف ولا صوت الطُّبّا
 بذباب السيف نقضي الأربا
 ولأن الموت حكم وجبنا
 لا تلمنا إن رقصنا طربنا
 قلنا أننا كثيرٌ حسيبنا
 ونعد الضرب فينا ضربنا
 وهو أكثر منا نشبنا
 عنده الحق علا فوق الرُّبّا
 كم قليل لكثير غلبنا
 ولد واعتقدوا الله أبنا
 صار في توحيد متدبنا
 مستعين بهم كي نرهبنا
 أمره فينا وبث الكتبنا
 سيثاً نسم اثنتي محتجبنا
 حربيه جيش منون لجبنا
 سُم شجعان تذيق العطبنا
 يجد الخصم إليهم مضربنا
 ويدبون عليه كالمدبنا

وَعُثِمَانُ حَرَكْتَ أَرْجَاءَهَا
فَأَمْسَاتُوا نَهْرَهُمْ كَبُشًّا وَلَمْ
وَأَمْسَامُ النَّاسِ فِي رَسَنَاتِهِ
وَمَضَى أَحْمَدُ يَسْتَجِدُّ مَنْ
أَيُّعَادِي مُسْلِمٌ ذُو نِيَّةٍ
وَالنَّصَارَى فِي الَّذِي لَيْسَ لَهُمْ
ظَنُّ مَاءٍ وَهُوَ أَلٌّ وَاعْتَلَا
وَأَتَى مُسْتَرْضِيًّا بِالصَّلَاحِ فِي
لَمْ يَزَلْ فِي عَمْرَةٍ مُلْتَهَبًا
صَاحِبُ الْحَزْمِ نَرَاهُ لَمْ يَكُنْ
غَالِبَ الْأَيَّامِ فَانْحَطَّ وَذَا
مَا دَرَى أَنَّ الْعَادِي طَرَقَتْ
لَيْتَهُ أَضْمَرَ طِيًّا وَخَلَا
مَا عَلَيْهِ ثَائِرٌ مِنْ أَحَدٍ
أَيُّنَ ذَاكَ الْعَقْلُ مِنْهُ وَالذِّكَا
مَا اقْتَفَى أَبْسَاءَ الضَّيْدِ الْأَوَّلَى
فَهُمْ غَوَتْ الْوَرَى لِبَيْتِ الشَّرَى
وَبَنُو جَنْسِيٍّ بِرَأْيٍ غَلَبُوا
أَهْلَ عَقْلٍ وَسَكُونٍ قَدَرُوا
صَالِحُوا فَارْتَفَعُوا مَنْزِلَةً
بِأَيِّامِ الْمُسْلِمِينَ اسْتَعْمُوا
تَجَدُّوا سَحْرًا حَلَالًا ضَمَّهُ
أَطْلَبُ الْأَجْرِ مِنَ الْمَوْلَى بِكُمْ

وَعُدَّتْ تَجْسِرِي دَبُورًا وَصَنَّا
يَسْأَلُونَ فِيهِ لَطْفًا لِي مَشْرَبًا
يَتَوَالُونَ إِلَيْهِ رَغْبًا
أَلَّ سَعْدٍ وَالنَّصَارَى طَلَبًا
دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ قُلٌّ لَا مَرْجَا
فِيهِ نَفْعٌ لَمْ يَكُونُوا سَبِيًّا
بِجِبَالٍ مَدَّهَا وَهِيَ هَبَا
أَلَّ جَنْسِيٍّ لَا رَضًا مُسْتَعْقَبًا
وَعَلَا ثَمَّ غَلَا ثَمَّ رِيَّا
صَاحِبُ الْحَزْمِ وَلَا مِنْ جَرِيَّا
شَأْنٌ مِنْ قَامِ يُعَادِي الْأَغْبَا
حَوْلَهُ لِمَسَادِعَاهَا كَثَبَا
مُورِدًا وَاعْتَادَ قَوْلًا طَيِّبًا
لَا وَلَا كَسَانٌ لَهُ مَرْتَقِيَّا
وَالْمَدَّهَا وَلِيٍّ وَأَنْسَى ذَهَبًا
دَوَّخُوا الْأَرْضَ وَهَادَا أَوْ رُبَا
عَدْلُهُمْ شَرَّقَ حَتَّى غَرَبَا
الْجَنِّ وَالْإِنْسِ وَرَامُوا مَطْلَبَا
مَيْلَهُمْ لِلصَّلَاحِ فَسُورًا أَصُوبَا
وَهَمُّوا جُودًا فَبَارُوا السَّحْبَا
بَلْبَلًا يَصْدَحُ فِي دُوحِ الرُّبَا
مَنْطَقٌ جَزَلٌ وَقَوْلٌ عَذْبَا
وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْتَمَّ الْمَطْلَبَا

وكان غام نظمها في شهر رمضان المبارك من سنة ١٣٣٨.

وقد كتب الشيخ العلامة ماجد بن خميس العبري للإمام سالم رحمه الله لما استنهض آل حكم إلى الجهاد، وألزمهم القيام معه في هذه الحرب، كتاباً أغلظ فيه الخطاب، يؤنبه من قبل أخيه الشيخ ناصر بن راشد الخروصي، تحامل فيه على الإمام تحاملاً عظيماً، وكان هذا دأب علمائنا -رحمهم الله- متى استنكروا من القائم أمراً، لم يتضح لهم صوابه، لم يسامحوه، ولا يرون إلا محاسبته ومناقشته، حتى يخرج بوجه حق، فشأنه عندهم شأن أي إنسان يتعرض للخطأ.

وردت هذه القصيدة من شاعر العرب بإفريقيا، أبي مسلم ناصر بن سالم بن عديم الرواحي، لحضرة الإمام سالم بن راشد الخروصي في شهر شوال من عام ١٣٣٨ فها هي بنص حروفها وجدناها في هيمان الإمام، بخط ناظمها، بعد وفاته بيوم، ببلد الخضراء، من وادي عندام. وكانت وفاته ليلة خامس من ذي القعدة من سنة ١٣٣٨ المذكورة.

مولاي أبشر لن تزال مجيداً	حفظ الإله مقامك المحموداً
إقبال دهرك بالبشائر مؤذن	تُرْجِي جدوداً أشرققت وسعوداً
نظرت إليك من السعادة عينها	فارفع يدك لتشكر المعبوداً
وعُدَّ تحققه المشيئة قد أتى	ولسوف تعرف ذلك الموعدوداً
قَرُبَ الزمان وأشرققت أيامه	ليس الزمان بسا أقول بعيده
سترى العجائب مسرعات ترمي	تحيي جهاراً ميتاً مفقوداً
فخذ الإشارة من لسان صادق	حتى تشاهد يومك المشهوداً
ولقد أتيتك قبلها بإشارتي	وأظن أنك تذكر المعهوداً
أبدي الزمان بما يكن ضميره	وترى زماناً بعد ذاك جديداً
أخليفة الرحمن أيقن بالقضا	ليس القضاء بحيلة مسروداً

يا من أضلَّ بعيره بمضيعة
فإذا انقضى خساء ودال بعدها
ستفور من قعر البحار جهنم
ويعود مبيض السحاب أسوداً
ستبيد خضراء الجراد فلا ترى
فإذا انقضت يس طه بعدها
وإذا انقضت حاميم قام محمد
هذا كتابي قد تركت لذي الحجي
وأراك فاتحاً وخسازن سره

أبشر وجدت بعيرك المنشودا
ألفان لام فارقب المعسودا
وتصير هاتيك البحار جليدا
ترمي الأفاعي جنسداً وحديدا
فوق البسيطة للجراد وجودا
أسقطت بنسداً إذا رفعت بنودا
للاستقامة طالعا مسعودا
مفتاحه في قفله معقودا
عش في السعادة والجلال مجيدا

وفاة الإمام سالم

لما كانت الساعة الخامسة، من ليلة خامس، من شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٣٣٨ ثمان وثلاثين وثلاثمائة وألف، عرجت النسمة الطاهرة التي عشقت الكمال، فعشقها الأدب والحياء، وانغمست في بحر المراقبة، ففاضت إلى ربها آمنة مطمئنة، فنالت الدرجة السامية، والمحل الأعلى الذي أعده الله للشهداء من عباده، فألهم الله الأمة العمانية الصبر والجلد، على الرزء الفادح، والمصيبة العظمى في العلم الذي نهض بهم، حتى أبلغهم مقامات الرجال، ونهج بهم طريق صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم، فلطالما سهر في إحياء هذه الأمة الخاملة، وتعب في راحتها، وبذل نفسه الطاهرة في الذبِّ عن حوزتها، وإنقاذ بلادها من يد الاستعمار. قام بأمر الجهاد بعد ما فقدناه، وأحيا الحدود بعد اضمحلالها، وأمات الجور بعدما شمخ أنفه، وقذف الرعب في قلوب الظلمة. فرحم الله روحه الطاهرة، وأفاض شآبيب الرحمة على تلك الأوصال.

سبب وفاته: أنه خرج رحمه الله من نزوى في عسكره لإنقاذ الحكم في وهية. وكان قد دعاهم، فامتنعوا عليه، فنزل بالخضرا من وادي عندام، فنام بين أصحابه في صفحة واديهما، ولا يحس من أحد بشر، آمنا غائلة الرعية؛ لإنصافه الحكم بينهم بالسوية، جعل الكبير أبًا، والصغير ابنًا، فاغتاله أعرابي فزارى، يقال له: سطين ولد التويلي، كنيته أبو بسرة. وكان هذا الأعرابي من المطلقين للإنصاف، فأغراه سفهاء قومه على فعله.

وانتقم منه بالقتل في بلد عبري، بأمر من الإمام الخليلي، وما ذا عسى أن يرد الفأث؟!

فليتها إذ فدت عمراً بخارجة فدت علياً بمن شاءت من البشر
كانت مدة إمامته سبع سنين وأربعة أشهر واثنين وعشرين يوماً، ودفن رحمه الله في سفح الجبل شرقي بلد الخضران، وقبره بها معروف.

كتبه لعماله

إن له كتباً إلى عماله، فيها مرشد وزجر ونصائح عن التهور والجور على الرعايا، فنذكر منها كتابه لأبي زيد عبد الله بن محمد الريامي، عامله على بهلا، وكفى به دليلاً على غيرته، وصلابته وشدته. فإذا كان كتابه لأبي زيد رحمه الله فما أدراك بغيره! وأبو زيد ممن شهر عند العمانيين فضلاً وزهداً وعلماً وورعاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

من إمام المسلمين المعتصم بالله: سالم بن راشد الخروصي، للشيخ الأكرم الفاضل أبي زيد عبد الله بن محمد الريامي - حرسه الله تعالى - سلام عليك ورحمة الله

وبركاته، إني أحمد إليك الله الذي عظم شأنه، وجلَّ سلطانه، وقام برهانه، وعلت كلمته، ووضحت حجته، وبين السبيل، ورزق عباده العقل والدليل؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، وكان الله سميعًا بصيرًا لطيفًا خبيرًا. أمّا بعد؛ فقد ورد إليّ كتاب من شيخنا الأجدد البصير العالم الشهير: ماجد بن خميس العبري، ينقم عليك أشياء في أحكامك، ويعيب عليك في أفعالك وعقوباتك. وما جعلتك واليًا في تلك البلاد إلا لتقوم بالعدل بين العباد، على وفق ما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم، وتتبع سبيل الخلفاء الراشدين، فما ينقمه عليك ذلك الشيخ، جلبك دواب الناس إلى الحصن من المسافات البعيدة، ومنعك أربابها عن الكسب عليها، وتحكمك عليهم في الإنفاق عليها. وكل ذلك العدل والأصلح لك تركه والأسلم في الدين؛ إذ لو صح لك الحبس لأربابها بتركهم لها في ذلك المكان الذي يقولون: إنه حمية فحجة التهمة تقوم بغير جلب الدواب إليك. أرأيت في عقلك وعقل كل ذي سليم، أن جلب تلك الدابة إليك هو الذي يقوم الحجة على صدق مقالة جالبها، أنه وجدها في تلك الحمية، فإن قلت: نعم، فجميع إخوانك المسلمين، وأهل العلم في الدين ما أظن تلقى من يقول منهم بذلك، فتبقى وحيدًا على فعلتك، وإن سلمت أن لا يقوم ذلك بحجة؛ غير أنه أقوى دلالة، قلنا: فحيثئذ ما الحاجة عليه إلا منع الدواب عن أربابها، والانتفاع بها. واعتبر بعقلك هل يصح الحبس إلا على الجنایات، وأنت من جاءك يقول: إن دابته منطلقة عليه، وهو غير معتاد يطلقها لم تصدقه، فإما حبسته أو منعت دابته ورجع عنك بدونها، فعزيمة عليك. أخبرني ما هذا الجرم الذي فعله صاحب الدابة المنفلتة عليه، وأنت تعلم أن المسلمين محمولون على حسن الظن، إلا من نظر منه الحاكم الاعتياد، وعرف منه تكرار الفساد، يطلقه الدواب في الحروث، وبعدم مبالاته بحجر الحاكم الذي يجوز له الحجر فيه، مما يثول إلى الإفساد بين العباد. وهذا الذي وصفته لك في الحروث التي يحرقها الناس

بأنفسهم، ويسقونها بأنهارهم، فكيف بما يسقيه المطر الذي اشترك فيه الناس جميعهم، بنص الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإن قلت: إن الحميات للبلادين قد تقدم من تقدم من أهل العلم بالكلام فيها، ونصبوا للناس حدودًا؛ لئلا يعدو بعضهم على بعض، وفي ذلك مكاتبات وأوراق، يشهد بها من وقف عليها. أترى ما صنعوه باطلاً أم تقرر بعدله، يتعرف ما فعلناه حقًا وصوابًا. قلنا: إن الذي فعله أولئك الأئمة والعلماء، عدلهم غير منكور، وحقهم مخبور، وسيرتهم بالعدل أشهر من نار على علم؛ غير أنه يخرج على وجوه كلها لاثقة مستحسنة جائزة، منها أن ذلك فعلوه إصلاحًا بين العباد، لا حكمًا جازمًا. والصلح جائز على التراضي؛ لدفع الإفساد، حسماً لمادة ما تعودته الجهلة من التناول على بعضهم بعضًا، وكل منهم أعطوه في ذلك الصلح بقدر نصيبه، على وجه التراضي من تلك البقاع، للانتفاع منها. وما جعلوا ما كان مما يخص الغير من تلك الفلاة محرماً كالحرم، يعاقبون عليه العقوبة الشديدة، ويتوغلون في حجره كل التوغل. وما اشتهر لنا عنهم إنها أتاه من دواب الناس في تلك الفلوات، يساق إليهم إلى حصنهم من المكانات النائية البعيدة، يعاقبون ويحبسون الدواب على أربابها، ويسلبوهم أسلحتهم رغماً عليهم؛ إلقاء لهم على العقوبة، بما يرضى القائم من المدة التي تخالف سيرة العدل، من طول المكث في الحبس. وعلى تقدير إنها فعلته ليس خارجاً مخرج الخطأ في الدين، إلا أنك خالفت فيه سيرة أهل العدل، من إخوانك المسلمين، ولم تصغ لنصحهم، ولم ترغب فيما رغبوا، وفيهم من هو أنفذ منك بصيرة، وأكثر اطلاعاً على أثر السلف، وأغزر علماً وأوسع دراية، وأعدل سيرة، وأقدم هجرة، وأترك للدنيا وحطامها، وسيرته بالعدل والزهد أشهر من أن يصفها الواصف، وهو الذي بلغك النصائح، حتى مللت نصحه، ولويت عنقك عن قبول ما أراد منك الرجوع عنه، فكفى بذلك دليلاً على ارتكابك المعيب، وتخبطك العشواء، وميلك على ما تهوى، على تقدير أن ما فعلته غير خارج

خرج التخطيط بالإجماع، وأنت على ما رفع لنا الأمانة ما اقتصرت على ذلك، حرمت على الناس الحلال، بفتواك في مسائل مما لا يخص من فتاويك، باعتقادك الفاسد، أنك من أهل الاجتهاد، وأهل الاجتهاد ما أباح الله لهم باجتهادهم عدم المبالاة، وما أحل لهم يقولون ما لا يعلمون؛ بل إن اجتهدوا في مسألة استنبطوا الدليل من محله، أو قاسوها على غيرها من المسائل، حتى ترجع إلى أصل صحيح، فقالوا باجتهادهم فيها، لا عن هوى، ولا عن ما يستحسنه الهوى. فاقنع أنك لست من أهل تلك المرتبة، واعرف قدرك، ولا تطاول فوق معرفتك، فما أراك إلا من أهل المنزل لأولى. وإياك ثم إياك أن تقول في مسألة باجتهاد منك، وقد ألزمتك أن تحكم بما تجده في أثر المسلمين والأئمة في الدين، وحكمك يكون جرياً على حكمهم في المسألة التي تعرف حكمهم بذلك الحكم لا غير، بشرط معرفتك عدله وحقه وصوابه، وإلا أرجعهم إلى إخوانك الذين هم أعرف منك. وهنالك جارك، ذلك الجبهة البصير الشهير ماجد، فردّ الخصوم إليه. وإن رأيت في الأثر أن الحاكم إلى نظره أحوج منه إلى أثره، فذلك في حق قوم لا أنت منهم. اللهم إلا أن تشهد لك العلماء أنك منهم، وتحقق ذلك من نفسك يقيناً؛ لأن في الحديث: ((استفتت نفسك...)) إلخ، فهذا كلام يخرج على وجهين: إلى نظر اجتهاد في الرأي، أو إلى ترجيح في مسائل الرأي. وعلى كل حال، فأنت لست من أهل المرتبة الأولى، والإباحة لك في الثانية. إن رأي العلماء أنك من أهل الترجيح، فنب إلى الله من تخليطاتك؛ فإن المخلط في دينه لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، وأنت تعلم أن الدين ليس كاملاً، إن أفسدت في بعضه انهدم كله، فإياك ثم إياك يا أبا زيد: احرص في حركاتك وسكناتك، وقدم للسؤال جواباً، وتدارك نفسك ما دام العمر ممدوداً، وباب التوبة غير مسدود. الله الله! اتق الله تعالى، وأوصيك ونفسي بتقوى الله تعالى، وإن رأيتم من المبلى^(١) عيباً فخذوا بيده، وأنزلوه

(١) المبلى: الإمام، يعني نفسه.

منزلته التي أمركم الله أن تنزلوه فيها، والحق يعلو ولا يُعلى عليه، وما حرضتك هذا التحريض، وجردت لك هذا النصيح، وبينت لك هذا التبيين؛ إلا شفقة بك وشفقة على نفسي من السؤال في الموقف العظيم، الذي ترتعد فيه الفرائص، ويقول فيه الصديقون والمرسلون: اللهم لا أسألك اليوم إلا نفسي، وقد ابتلينا بأمر عظيم وخطر جسيم، فالويل كل الويل لنا، إن لم يتداركنا الله برحمته الواسعة، ويغمرنا بمغفرته ولطفه. نعوذ بالله من سوابق الشقاء، ونسأله التوفيق لما يرضى، ويسلك بنا لأحسن طريق يحبه، ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه، ويجعل لنا إخوانًا وأعوانًا وأنصارًا، ورغبتهم في الدين لا في الدنيا وحطامها وزخارفها. وأسلحة القوم التي أحجرت بها عندك وحميرهم أرسل بها للشيخ ماجد، أمرتك بذلك أمرًا جازمًا، وإن رأيت ذلك المكان المعهود يحتاج إلى حكم فيه ورأي الشيخ، مما تجوز فيه الأحكام قوله ذلك، من لم يقنع بحكم وتناول إلى ارتكاب بدعة كبدعهم القديمة والكبائر العظيمة التي كانوا يركبونها، من تبكيت الأذان للدواب، عاقب من فعل ذلك العقوبة الشديدة، هذا والسلام عليك ومن قبلك من الإخوان، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

في ذكر شيء من عهوده لعماله

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهده إمام المسلمين، سالم بن راشد الخروصي، لعامله محمد بن سالم بن زاهر الرقيشي على أزكى ونواحيها، فجعله نائبًا عنه فيها، على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى القيام بالعدل فيها، يأخذ الحق من الظالم للمظلوم، وإنصاف الضعيف من القوي بالشدة والرخاء، وأن ينصح في ولايته على قدر طاقته،

كما نصّح محمد صلى الله عليه وسلم لأئمة، فيجعل الرعية كلهم كأسنان المشط على السواء، وأن يعاقب أهل الجرائم كما عاقبت عمال الأئمة قبله، من غير تساهل في الأمر، وعلى قبض الزكوات من أهلها الأغنياء، وجعلها فيما يأمر به الإمام، وعلى قبض بيت مال الله منها، على الطريقة المثل، وإنفاذ غلته فيما يأمر الإمام به، وجعله يجري بذلك، على وفق كتاب الله وستة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وإجماع الأمة من المسلمين، ومهما أشكل عليه من أمر فليرده إلى علماء المسلمين عهدًا ثابتًا موثقًا. وكتبه بأمره عامله أبو زيد عبد الله بن محمد بن رزيق الريامي بيده، بتاريخ يوم ٢٥ شعبان سنة ١٣٣٥هـ.

وهذا عهد آخر

بسم الله الرحمن الرحيم

قد جعل إمام المسلمين سالم بن راشد الخروصي الولد محمد بن عبد الله بن حميد السالمي واليًا على بلدان الحبوس، للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإنصاف المظلوم، وأخذ الحقوق، وأمره أن لا يقدم على أمر حتى يعرف عدله؛ وذلك إلى أن يصل الشيخ سليمان بن سنان، فإن وصل الشيخ سليمان بن سنان، فقد جعل ابن سنان هو الوالي على المضبيي وسناو، وجعل محمد بن عبد الله السالمي على سمد ونواحيها الخضرا وديار الشروج، إلا أن أراد ابن سنان أن يكون هو والسالي يدًا واحدة على هذا الأمر جميعًا، واتفقا على ذلك، فقد فوض ذلك إليهما. وقد فرض لمحمد بن عبد الله لكل شهر ثلاثين قرشًا، يأخذها من بيت المال، وقد جعل هاشم بن يزيد قائمًا في العسكر، وهم سبعة رجال هو سابعهم، وقد جعل له لكل شهر اثني عشر قرشًا، ولأصحابه لكل واحد منهم، لكل شهر خمسة قروش، إلا محمد بن عبد

الله وسليمان الغزو، فلكل واحد منهما ستة قروش. فإن استعاضوا بغيرهم فله خمسة قروش، ولسعود بن حميد لكل شهر خمسة قروش؛ ليكاتب بين الناس، ويكون مساعدًا للقائمين بالأمر حسب طاقته، وله عشرة قروش من فضلة أموال المساجد؛ ليتعلم ويعلم من جاء متعلمًا. وقد جعل محمد بن سعيد الجابري عاملاً على جباية الزكاة، من ديار الحبوس المضيبي، وما حولها من الديار، ويستعين بمن شاء من الأمتاء، وقد جعل له عشر ما يقبضه من الزكاة أجرة له على عمله. وحرر هذا محمد بن عبد الله بن سعيد الخليلي، بيده في يوم ٢٨ من رجب من سنة ١٣٣٧ هـ قد أمر إمام المسلمين سالم بن راشد الخروصي، محمد بن عبد الله السالمي، أن يحاسب وكلاء المساجد؛ لينفق ما فضل من عمارها في المعلم والمتعلمين. وكتب هذا محمد بن عبد الله بن سعيد بيت، وقد جعل الإمام سالم بن راشد لفاضل بن مسعود السالمي، لكل شهر ستة قروش؛ ليكون معينًا للولد محمد عبد الله في أمر الدولة. وكتب هذا محمد بيده.

صحيح هذا عن أمري، كتبه إمام المسلمين سالم بن راشد الخروصي.

وهذه قصائد شاعر العرب، الإمام أبي مسلم ناصر بن سالم بن عديم البهلاني الرواحي، في التحريض على الاجتماع والجهاد في سبيل الله؛ أنشأها رحمه الله لما بلغه قيام دولة العمانيين، واجتماعهم على إمام يلم الشعث، ويجمع الشمل، {ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين}.

المقصورة

تلك ربوع الحي في سفح النقا	تلوح كالإخلال من جد البلي
أخنى عليها المرزمان حقبة	وعاثت الشمال فيهما والصبا

موحشة إلا كناس أعفر
 عرج عليها وألها لعلها
 نساها ما فعلت قطانها
 هيهات أقوت لا مبين عنهم
 تربع الأنس من أرجائها
 فقف بنا عند غصون بانها
 بحيث أهريق بقايا دمعتي
 إن من الحق على مدامعي
 عهدي بدمعي طاعة أكارهم
 وما وقوفي عند بان نبتت
 لولا علاقات هوى تحكمت
 دعني أبكي دمنًا تغيرت
 وأذكر الإلف الذي كان بها
 لم يبق فيها أثر لهم سوى
 لتسرح البرحمة في براجمها
 لطالما أطلحتها سارية
 بعمله قد أخذت سلاحها
 روعاء ترمي مقتلتيها حذرًا
 زيافة تحوذ في تجليحها
 تخلفُ الريح تكون خلفها
 كأنها من حقب مُحب
 كأنها تطير من لغامها
 سرب ثغام فوق خيطان النضا
 إذا استنطار أرزمت رازفة

ومجثم السرال وأفحوص القطا
 تريح شيئًا من تباريح الجوى
 مذباينوها ارتبعوا أي الحشا
 لمحتف بشأنهم غير الصدى
 واستأنست بها الظباء والمها
 نشاطر الورق البكاء والأسى
 وأتبع النفس إذا الدمع انقضى
 أن تسبق السحب على ريع عفا
 وبفؤادي إن دعا العذل عصي
 غصونه بين الضلوع والحشا
 في رمق عاش على مثل الصلا
 وأطبق الجفن بها على القذى
 وكيف شطت بهم عنها النوى
 عيارة الخيل ومركز القنا
 فإنها قد بلغت رأس المدى
 تمزع في الدؤ ولا مزع الطلا
 من حقب يزينها على الوئى
 بين عزيف وعواء وصدى
 لا فرق ما بين الدُمات والكُدى
 كأنها أعارت الريح الحفا
 في سُدفه الليل هلال قد خوى
 يحزأها نخأ بأسواط السننا
 يلهبُ البرق كأن سائقًا
 تواضخ الخال بأجواز الفلا

كأنها البرق لها أجنحة
 أقول للبرق وقد أرقني
 سقيت أجزاز البلاد فارتويت
 خلل نعامك تداجي مهجتي
 أهفو إلى روح النسيم راجياً
 أعلل الشوق بصادي كبدي
 فكان من حيث الشفاء علتني
 وربما منيت نفسي طيفهم
 ولو قصدت هفوة بحبهم
 أرسلت طرفي رائد الدهشة
 هيهات لا تمنحني طلوعهم
 ولو تركت واجبات حبيبهم
 أو تركت لي كبسداً صحيحة
 لكان لي على الطلوع وقفة
 لكن لي قلباً عرتسه سكرة
 وعشاش في صسابة تعمده
 أسلو بمن أهواهم وإن نأوا
 وكيف ما خامرني الحب فما
 ليعمل الحب بنفسي ما يرى
 ما زال بي مع الهوى تبصر
 لبت النهى مع الهوى تثبتت
 لو أرسوت مع الغرام نية
 أعمد ممن ضللته صبوة
 لربما يهفو التصابي بالفتى

إذا رأته حلقست إلى السُّها
 هيبه أعلى ثنيات الحمى
 وحظ قلبي منك إلهاب الجُدا
 فإتها محروقة من الجوى
 إطفاء ما بالقلب من حر الصلا
 نفح شميم الزهر من تلك الرُبى
 وزِي زناد الشوق من ذك النشا
 وهو حلال لي إن حل الكرى
 أو كنت من عامدهم فما
 بربعهم تذهلني عن الأما
 وسانحات ذكرهم إلا الضنا
 أو صدف الهجر غرامي والقلا
 أو جلد الحمر على قرع النوى
 أبرئ النفس بها من الهوى
 ما ضل في غمارها ولا غوى
 مال إليها عمداً فما ارعوي
 وكيف يسلو دنف بمن نأى
 قلت: رشادي يا ترى أين وخى
 إن ضلالي بهوى القوم هدى
 ينتقد الحب على شرط الحجى
 راسخة فيها عزائم التقى
 لم يعبت الحب بأحلام النهى
 وبين فوديه ضياء ابن جلا
 وماله وهفوّه إذا عتسى

إذا تباشير مشيب وضحت
وفي الصبا معتبة وزاجر
وكيف في الشيب إذا تقاربت
بيادر الكيس أخرى عمره
إذا تولى أمد موقوت
وكل ما تلبسه من جدة
ليس الجديدان وقد تباريا
حتى يثلا معهدًا ومعهدًا
لقد بلوت الدهر في عفوته
وكان ما احتيت في صروفه
ما ساءني الفائق إذ أكسبني
جيلة الدهر خنون حوّل
محافظ الثبت على طباعه
لا يستقيل عثرة من نسدم
فاصحبه ذا عزم على علاته
مستحقب الصبر على مراسه
تبلد الخطب إذا جالده
محجب البسث رحيًا شاعًا
إن هزك الممض هز طوده
توسعه مريرة ويتقي
لا تعرف النكبة منك جولة
تصارع الأخطار غير ضارع
تحس كل حادث بسيفه
لا تعجل الأمر أمام وقته

لم تعمير المسر متبى ولا عسى
فكيف في الشيب إذا العود انحنى
خطاه أن يقصر في الجدد الخطا
فيرقع الخرق ويوثق العرى
لم ييسق للرجعة منه مرتجى
يعروه من كر الجديدين إلى
في حربنا يرضيهما منا الفدا
ويمضيان ثم على الدنيا العفا
فكسدر الصفو وجد ما عفا
بالصبر أجدى من تفاريق العصا
كنزًا من الصبر وفوزًا بالرضا
ما راش في عافية إلا برى
حتى يحول الآل بحرًا في الملا
ولا يُقيل من به الحظ كبا
تُزجى الهموم للعلا على الوحا
حرًا سليم العرض من سوء الثنا
بمرة تبسُّه بسّ السفا
من رقة الشكوى وسورة الجفا
أو هزك الهول فسيف متضي
من جدّها ما يتقي من الردى
تخذولها خذو مقبوعات البرى
لطردها الأعصم ساخ أو رسا
فإن نبا جئنا فأحيانًا مضى
ولا تفتنه حسين أن بالونى

وإن تعارضك انتنان فانخذ
 إن القوى من ثنا شيرته
 والعقل والحق يحرران من
 وشراً ما صاحب امرؤ جهله
 ومن تكن عادته طادية
 إني أصون صفحتي مقتنئاً
 أنبو وأهوب أواري ساعير
 يحمي الكريم عزضه ويحتمي
 لم التفاني في براض أسن
 ولا إقامي طمعاً مقارداً
 كيلا ترى عين خسيس موقفي
 في ظلف العيش على قناعة
 ومطعمهم تهاقت ذبانته
 ما أضيع النبل إذا تطاولت
 حسبك عيش ماجد على الرضى
 ما أقذر العرض يللب عاذياً
 حتى بغاث الطير تسمو أنفأ
 أليت لا تعلو يدي يد امرئ
 ولا أرى وجهي ناعظراً إلى
 وعيشته تمنيه خسارة
 قناعة المسرء بما يمني له
 ولا أذود الحفظ عن طريقه
 ولا أبسات شاكماً من حاسد
 في قسمة الله وفي ضمانه

أولاهما بالحق وانبذ الهوى
 ومن إذا مال إلى النفس انتهى
 رق الهوى ويدعوان للملا
 مطيعة فارهة إلى الردى
 بالسوء همد مجده بما طدا
 بما يطف من علالات الحسى
 عن مشرب أشربه على القذا
 أن يرد الآجن من كل الركا
 لا يُرنجى من بيضه بل الصدى
 ولست ولاجأ بأسواء القمى
 ببابه منتظراً منه الجدى
 تظلف للعرض عن السوء غنى
 قضم الهبيد منه أحلى في اللهأ
 خسارة العرق عليه بالحبا
 بما مسن الله به من المنى
 برأسه إلى لثيم متحاً
 عن مشرب تحزى به لمتصى
 يسفلها اللوم ويطغىها الزنا
 وجهه يحسق أن يجيى بالخشى
 أشد عندي قذراً من الوعى
 من حظه في عيشه خير المنا
 فالسيل حظ للوهاد لا الربا
 قد هيا الله لكل ما كفى
 وفي اقتناع النفس غايات الرضا

إذا سئنا الله لعبد نعمة
 ففيم يُصلي حاسد ضميره
 فافطن لأقسام الحظوظ إنهما
 سوية وإن تكن تمايزت
 لم يظلم القاسم محروماً ولا
 ما سري من الثمراء وفره
 إذا نفعه هكذا وهكذا
 فأنهب المال حقائق العلاء
 ما بليت موهبة في حقها
 فسرياً تحسبه وضعية
 عقائل المال إذا أطلقتها
 ما ألحق الله بنفس حوية
 أذل أعناق الرجال حرصهم
 حتى متى كاسي ريق حية
 أطلب الدهر حقوقاً كلها
 أقطع آمالي بها في بعضه
 كأن تطلابي أمسراً مكننا
 لست على الحمد من الأمر إذا
 آتبه نصاً فإذا خادعني
 واخشب لا تصحبه فضيلة
 إن وسع الدهر احتمال عاجز
 ينفق في إهانتني صرفه
 ذنبي إليه جنفي عن لومه
 وأنني الختف على لثامه

فواجب العبد الرضا بما سئنا
 والحظ والأرزاق تقدير مضي
 قضية عادلسة بين السورى
 حالة ذي عدم وحال من ثرى
 كل سعيد بالثراء محتضى
 إن كان بين اللوم والحرص نما
 صنائع في أهلها فقد زكيا
 وفك من أمر الزمان المهتدى
 ووعد ما ضمن به الحرص البلى
 في متجر الفضل به الريح نما
 خلدت الذكرى وأنت في الثرى
 تحوبت من شحها بالمقتنى
 لا تستقيم عزة على الكدى
 ومطمعي من زمني مُرّ الجنى
 كبارح الأزوى منيعات السدى
 أكبر من كاف لدرك المبتغى
 أصعب من أمر محال المرتجى
 غالطته خلاصة فيما أنسى
 فوضتها لله يقضي ما قضى
 ولو إلى السنجم بدهيه علا
 فهو سلاحى وتبادي المجتبى
 وأنفق العزم وإنفاقي زكيا
 وقدرتي على احتمال ما جنى
 أنكسا في حلوقهم من الشجيا

أزود عن حريتي بحققها
 وأنني لا أعرف الحد لما
 وأنني لا أبطل الجهد إلى
 وأنني أدرك أن عازمًا
 وأنني في محن ساورتها
 وإن في حسن التدابير غنى
 وأنني لا أستشير شيئًا
 ولا أداجي مائثًا وذامسه
 ولا أحابي ملقًا ذا ظاهري
 مالي وجهان ولا ثلاثة
 تلك وما يفضلها خصائي
 أرى الحياة كلها ذميمة
 يحبها المسرء على آفاتها
 يعيش لا تندي صفاة كفه
 لا تربح الدنيا بشع وافقد
 تهب فيها هبة فتنسري
 يفوز فيها كسب بربه
 فاستخلص المجهود في تخليصها
 وانتهز الفرصة في استدراكها
 إن لها عدو إلى غاياتها
 لا تهمل ذرة في عبث
 تودع الأنفاس لا تبكي لها
 والكل منها راحل بيضة
 وآخر الأنفاس يرجو وقته

وأجهد النصر لحر مبتلى
 أسطيع أن أنجزه من العلاء
 حد سكوني بين أطباق الثرى
 مثابراً يدرك غايات النسي
 علمت ما جهلته من السورى
 عن خدع وهي عماد من وهى
 ولا أسىء دفعه إذا عتيا
 عليّ غيظًا بفقاعات الثنا
 يشف لي ظاهره عما انطوى
 إن لم أكن حلواً أكن مُرَّ الجنى
 وليسها عند الزمان تُر تضى
 وخيرها وشرها إلى مدى
 وتظهر الآفة عند المنتهى
 يخزن للوارث كل ما اصطفى
 ما أوضع الجامع من خلد الغنى
 وكلنا مسرتهن بسما أتى
 إمامه الرشيد بمنهاج الهدى
 من ورطة الذنب وإشراك الهوى
 أوامر الله وما عنه نهى
 والحد وافيأك ودريك انقضى
 فلت متروكًا كما شئت سُدى
 ورجع ما ودعته لا يرتجى
 من أجل مقدر على شفا
 فهل ترى تأخيره إذا دنا

وربسما فذكرت في تأخير
 فودع الباقي منها مخلصاً
 دراكيها مبادراً دراكيها
 أما نرق حياة أودنت
 أرحم حياة طلحت بوزرها
 لسو قرصتها ذرة تألمت
 حتى متى تنصيني أمنية
 كأنني مكبيل في شرك
 أشاطر النجم السهاد سارياً
 كأن أفعى نهشت حشاشتي
 أذكى من النار بقلبي زفرة
 محترق الأكباد من حمرة
 أنفاسه تطرق باب العرش لا
 وعبرة تسفحها أرملة
 شعناء غبراء عليها ذلة
 وصفرة على يتيم صاحب
 مفترشاً على العفا أديمه
 يغدو ويمسي ضاحياً تحت السما
 وضربة من سيف باغ نهكت
 وسطوة من ظالم شبابه
 يتهتك الحرملة لا تريغه
 يرى عيسال الله صيد قويمه
 جاس البلاد بالبلاء ظامياً
 وغيرة المؤمن في ضميره

يكون أدنى لك من فكر الحجي
 بالباقيات الصالحات في اللقا
 فالأجل المحدود للعمير خلا
 بغصة الموت وهول المنتقى
 في حمل ذر منه إيهان القوى
 فكيف بالنار إلى غير مدى
 في نصرة الله فتعدوني المنى
 يزداد في الشد إذا قلت وهى
 فيغرب النجم وعيني في السرى
 من لازب الهسم وتلهاب الحشا
 يخرجها المظلوم من حر الأسى
 لا غوث لا منصف لا يسوي إلى
 تطرق باباً غيره ولا ذرى
 كالخلق السحق أصارها الضوى
 مهضومة الحق عديمة الجمى
 أدقمه الفقر وأشواء الضنا
 وهل له عافية على العفا
 كأنه عود خلل أو خلا
 وجه نقى مثل تشهاق العفى
 أقتل للإسلام من حد الظبا
 ضريبة من كبرم ولا تقى
 يترك ما شاء وما شاء رمى
 فبز حتى بلغ السيل الزبى
 يطفئها الخوف ويوربها الأسى

يُهان في حريمه وعرضه
 حامي الحمى مرسٍ لكنّه
 ما تنفع الغيرة في مكنها
 حتى تكرر الخيل كسفا ساقطاً
 تجمّز جمراً بالكماة شُرّبا
 هوازججا عُرّبا لجاججا ضبعا
 في فيلق حالكسة أركانسه
 مجر لهام أروعنّ مطلق
 يقل في الجو عجاجاً لو هو
 تعشش العقبيان في أحضانه
 لولا بروق المشرفيات به
 تضطرم الأرض بما تقدحه
 يخلط غوراً بيفاع وقعه
 تلتحم الشبكة في رعاله
 مزججراً الوغر له زمازم
 بكل صنديد عتيك داغر
 يستحقب الخنف ويشهى حينه
 تهوى النسور سيفه ورعحه
 يصدع قلب السروع في عزيمه
 كأنها جرازه من قلبه
 مجرس مضرس ممارس
 على سرة شامس مطهم
 يجترق الحومة في وطيسها
 كأنه صاعقة منقضة

ودينه وماله مثل اللقا
 شرارة من ضرم لا معا عدا
 والسيف في قرابه لا يتنضي
 تهوي هوى العاصفات في الوغى
 عوابساً شمساً كسيدان الغضا
 غمر الأجاري بعيادات الشجا
 يجلل الأرض الدجى راد الضحى
 غمر دخاس لجب صعب الزرى
 عليه رضوى لم يصل إلى الثرى
 وتنشط الوحش إليه للخلا
 لم يهتدي الجيش الإمام والقفا
 سئابك الجرد وتقرع الشبا
 فالأرض في بطن رحاه كاللّهي
 والجيش في بحر حديد قد طفا
 زهواء الليل إذا الليل عسى
 مهوور الكبة شداد السطا
 إن يكن الخنف انتصاراً للهدى
 لما يتحان لها من القرى
 أسرع من برق وأورى من لظى
 لا يتحى ضريبة إلا فرى
 يمترس الخطب إذا الخطب شجى
 معترق في جريه عبل الشوى
 يعارض الهول ويعتام الردى
 لو صكّ في خطفته الطود نوى

مختمسًا مضطربًا صمصامة
 أخلصه الصقل شهابًا قبسًا
 يفضض الجحفل باهتزازه
 يشفعه بلهزم سظامه
 في مأزق بين كمي قد ذمى
 بسوط فيه فيلقًا بفيلق
 بهذه الخطبة نشفي غيظنا
 بهذه الخطبة نرضي ربنا
 بهذه الخطبة نبتاع العلا
 بهذه الخطبة نرقى سلمًا
 أين رجال الله ما شأنكم
 إلى متى نعجز عن حقوقنا
 كنا أباة الضيم لا يقصدح في
 كنا حماة الأنف لا يطمع في
 لا يطرق الوهن عماد مجدنا
 علام صرنا سوقة إمعة
 ما أفضح الشنار أو يزيله
 إلى متى نخزي ولا يؤلنا
 أذل من وتسد حمار فسيهم
 إلى متى نهطع في طاعتهم
 إلى متى نهرع في أذنبهم
 إلى متى يعر كنا إنكليزهم
 إلى متى تقضضنا أضرارهم
 إلى متى تعركنا أحكامهم

محوس أكادس الوعال كالقطا
 وكمن الموت به على الشبا
 منه ويحترز الأشم إن هوى
 أصل رقصاء على الحثف انطوى
 يحشرج السروح وضرغام شصى
 كما يسوط السبهم ضرغام الشرى
 إن كان بالسيف أخو الغيظ اشتفى
 إن كان فينا طالب منه الرضا
 في الدين والدنيا ونستوفي المنى
 لغاية حظ عليها ودعى
 إلى متى في ديننا نرضى الدنا
 إلى متى يسومنا الضيم العدا
 صفاتنا الذل ونقدح السصبا
 ذروتنا الطامع في نيل الذرى
 وكسم ثللنا عرش نجد فكبا
 اتبع من ظل وأقنى من عصا
 ضرب يزيل الهدم من فوق الظلا
 كالميت لا يؤلمه حز الشبا
 وقدرنا أقصر من ظفر القطا
 وننقى وليتها تجدي التقى
 لا ملتجيا لا منتهى لا متحى
 وجورهم وكفرهم عرقض المدي
 إلى متى نحن لهم عبد العصا
 إلى متى إلى متى إلى متى

أبسن محب الله فينا صادقاً
لا ينتهي إذ نفشت قروانها
أبسن ذوو الفيرة من لي بهم
اتسع الخرق على راقعه
أما شمرتم أنها داهية
هبوا من التومات أن حية
حتى على الموت الزوام نسومكم
هل استباحوا حرمت ديتكم
تحكموا في ملككم ورزقكم
منوا عليكم بهذا أطفالك
وأزعجوك عن ظلال ريفكم
وضايقكم في بلاد ربكم
لا يربسون فسيكم إلا ولا
قد سفكت دماءكم وانتهكت
نعمد يشكو بعضنا لبعضنا
في بعض هذا عظة لعاقل
يسومنا الخسف خسيس نساقص
أليس مما يذهلت اللب له
وجملنا على إتباع غبيهم
هب ملكننا ورزقنا فيء لهم
الله ما أظفهم داهية
فيا صياحاه وهل من سامع
قد دبح الملك وهذا دمه
وأصبح استقلالكم فريسة

لو صدق الحب لها المختشى
عمار الليل إلى العزم اللقا
قد حزب الأمر قد انقد السلا
من يشعب الوهي ويرتقي التأى
شعواء لا قصية منها بالونا
تباع ما بين شرا سيف الحشا
وليتيه موت على حفظ الحمى
هل منعموا الأرض الحياة والحيا
وكبسوا البشر وقطعوا الرشا
وحسوة الماء ونفحة الصبا
وليتمكم لن تزعجوا عن الفلا
حتى على مدفن ميت في الثرى
ذمة دين أو ذمام من رعى
حرمتمكم ولا خلا ولا حشا
وما مفاد من شككا ومن بكى
لو رجعت أفكارنا إلى النهى
لا دين لا حكمة لا فضل ولا
عسف الطواغيت بشرع المصطفى
مصيبة لحرها ذاب الحصى
فديننا الأقدس فيء وجزى
لو عوفيت قلوبنا من العمى
لصرختي وهل يجيب من دعا
ومدية الذابح في نحر الهدى
بين كلاب النار يا أسد الثرى

السيف عازراً أن تعيش أمة
 يلفننا الخزي إلى أوكاره
 ونشرب الماء القراح ما بنا
 ونهنا العيش على أكداره
 وجنبنا جنب صدي صاغر
 كم نظلسم السيف بمنع حقه
 إن السيف طبعست لحقها
 والسيف شهم لا يغيب حقه
 والسيف حر لا يقر خازنا
 والسيف لا يرضى الذليل صاحباً
 والسيف جلاء المخازي أخذ
 والسيف مفتاح إذا تضايقت
 والسيف كالصدق من الرجال ما
 والسيف في عزومة مؤيد
 والسيف ذو نقيبة في أمره
 والسيف أفضى بالحقوق حاكماً
 والسيف أوفى صاحب رافقتيه
 والسيف فيه فرج معجّل
 والسيف يعطيك الذي اشتيته
 وإن السيف عاهدت أربابها
 هن فحول الحرب منها لقحت
 والمجد حيث أبرقت وأرعدت
 مما بالننا نحصنها عقائلاً
 أين بنو الإسلام ما يعجزنا

مثل اللقي أو غرضاً لمن رمى
 ويحكم النذل علينا ما يرى
 من مضض وليس بالخلق شجا
 ونطعم الأجفان لذات الكرى
 والسيف حرّان الحشا من الصدى
 أما يجازي ظالم بما جنى
 وحقها تحكيمها على الطّلا
 أصدق من جد وأكفى من كفى
 يصول إن ضميم وإن صال اشتفى
 إن السذيل بالشنار مكتسوى
 بضع من يكرمه إلى العلا
 على الهام الحسر آراء النهى
 هزرت له لحظة إلا مضى
 إن شدد سد وتقاضى وقضى
 ثبت على العلات ميمون الخطا
 أوفر حق ما به السيف أتى
 إن خاتك الدهر وأهلوه فنا
 إن الغموم بالسيف تُجتل
 إن توله من حقه كما اشتتهى
 بالمصدر الأعلى وتقريب القصا
 وهن يقتدن الفحول بالبرى
 نبئت من ساعته ويرتعي
 من المقاصير عليهن الخلا
 والعزة الكّر بحومات الوغى

أين بنو القرآن هل ثبطكم
 أين غطاريف الجلاد بالظبا
 أين بنو التوحيد لو صدقتم
 أين بنو الأحرار ما سكونكم
 كم ذا يناغيكم مبير خادع
 فجشموه جُشماً وبيلة
 هلم شدوا شدة قاصمة
 ثبوا إلى المجحد كرائنا وانذبوا
 إن ضرائبنا بالصقاح خطية
 قد آن للإحرام أن نحلله
 قد آن للصائم وقت فطره
 قد آن للوضوء أن تنفضه
 نقر أحلام البيوت خشعاً
 ندس تار يخ الأولى تقدموا
 إن العظام لا تتواتي شرئنا
 والسلف الصالح سل سيفه
 تلك الرفات طينة صالحة
 أتبحثون بينها عن عزة
 نلكم إذا أمنيعة مخلقة
 لنا صفاح ولها سوابق
 والمجد لا يملك عن إرائة
 عز علي ما أثلت عهودها
 لو تقلدنا فعالم أهلها
 نميش في هيمنة بذكرهم

كتبكم عن الجهاد للمدى
 أين مشائيم الطعان بالقنا
 توحيدكم ما رقص الشرك علا
 والملك والسدين حريب والحرى
 أطرق كسرى إن النعام في القرى
 أو تمصروا العظم وتنزعوا الشوى
 مريضة الشمس حية الوحى
 عزائنا تسعر تسعار الصلا
 نرد ما فات وترسى ما هفا
 ونحمر الهدى على رأس الصفا
 لظالمنا أرمض بالصوم الحشا
 بالسافح الثائر فرصاد الكلا
 أظفارنا مغمضة على دهى
 وحسبنا الله تعالى وكفى
 ولا أقاصيص الوغى تكفى الوغى
 وكان ما كان له ثم انقضى
 لحارث وغارس ومن بنى
 أو في لعل فرجنا أو في عسى
 وضبعة العقل وجهل وعمى
 لكننا نصفح عن سبق العلا
 لكن بتخطيم الشبا على الشبا
 كسب المعالي واندفاع ما عنى
 لم يعبث الفار بهيصار الشرى
 يعقبها واهبا وأنسى ومتى

نعم لهم سوابق لكنهم
معصومة الذروة لا يبلغها
إذا اتكلنا قعدًا عليهم
شدوا الحزيم للهوادي فانشئت
وحشوا الحرب أباءة ضميمها
هم علموا الدهر مراس قرنه
هم علموا السيف مضاء عزهم
هم أدهشوا الهول بما يهوله
هم شيدوا المجد بما ابيض به
هم عقدوا بالعزم عين همهم
لا يطرق الضيم عزيز ركنهم
هم أسبقوا للمكرمات همهم
هم أجدبوا سوحهم من وفرهم
هم أنضبوا غسدرانهم بجهودهم
هم وسعوا الكون حلومًا وهدي
هم أمجدوا وأنجدوا وأوجدوا
هم جردوا وشردوا وطسردوا
هم إذا الخيل أرجحن بحرهما
هم لكبات الخميس حُدّها
أولئك القوم وصيت فخرهم
أسلافنا وما لنا من مجدهم
لم التحججي بعسدهم في شرف
نرفع منّا أنفسًا وننتخي
نصحبهن أنفسًا مثقلة

لا تنعش الجدد إذ الجدد كبار
ألا همّام باللهاسيم اقتسدى
لم يسلم المجد إذا من الأذى
ودوخوا بالعزم صعب المرتقى
بل هم لهامتي ذكت عين الذكى
ثم انتهى بعد المراس مهتدى
فهو قرين عزهم حيث انتوى
فانكفأ الهول شكيا بالسوى
فود عوادي دهرهم حتى غطا
فلا تداني ذلة لهم حمى
ولا يضام عائذ به احتمى
فدهرهم للمكرمات في طوى
وهسم لأرض الله غيث وحيّا
وفجروا في الناس ينبوع الغنى
وطسائلًا ونائلًا ومجتدى
وأفقدوا وطولوا باع الورى
وأوفدوا وأوردوا بحر الجسدى
في مازق الروع تراموا للردى
وجدّها وشدها والمحتمى
إن كان في أسمائكم ذاك الوحا
إلا حديثٌ بعدهم لا يُفستري
عند رفات القوم في الأرض حجى
كأنها من كسبتا تلك النخا
بطينة تحمل أوقار السونى

تعزف عن مسضوفة إذا عنت
 إلا نفوس عُزِم عارفسة
 إلا شدا في أنفَس أبيسة
 تشفع أحسابًا زكت بمثلها
 هلم فلنحذو حذو سعيهم
 ليسوا رجاءًا لا نطبق فعلهم
 تناولت أكفُننا سبيوفهم
 ما انطمست من دوننا سبيلهم
 ما كابدتنا خطية عن شأنهم
 هم غربوا وشرقوا وأيمنوا
 هم سروا بجسدهم وجهدهم
 هموا أقاموا سننا شاغخة
 هم أقدموا الجرد السراحيب لها
 تعزف الخميس جحفلاً فجحفلاً
 يا هي مالي وعشيري أرموا
 أين رجال الله أين غارهم
 أين الذين استخلصت شيمتهم
 أين الذين محصت سيرتهم
 أين الذين عرجوا إلى السما
 أين شموس الأرض أي أفلت
 أين الخيار العائذ الكون بهم
 أين ربيع الأرض أين غيثها
 أين بقايا الله في عباده
 أين أسود الله ماذا اغتالها

محفلة عن المضاف إن دعا
 لمن جاش إن طمي الهول رسا
 يصبرها على مقاسات الشدى
 لها بما أثلة الأصل أسا
 فليس للإنسان إلا ما سمي
 لكنهم جدوا وقصرنا الخطا
 يا أسفا وعجزت عن السطا
 قد نصبوا الأعلام فيها والصوى
 أفضع مما كابدوه فانفأى
 وأشأموا ومهدوا لنا الذرى
 فحمدوا صباحهم غب الثرى
 تمثل السشهب ارتفاعا وسنا
 تعطش الصادي إلى نار الوغى
 مثل الدبور أنجفلت عنها الطخى
 معاقل العز وأتموا العسلا
 قد هدم الحوض ودمت الرُكا
 كأنها الدر اليتيم المنتقى
 مكدرات دهرهم حتى صفا
 أعني سماء العلم والسدين الهدى
 وأبقت الناس على مثل الدجى
 وصفوة الصفوة من هذا الورى
 يا حربا لا غيثها ولا السدى
 ضنائن الله وقائد النقصى
 قد أسد الثعلب فينا وضرى

هيهات بعد القوم شدت رحلها
 أنشدتها من مسجد فمعهد
 فلم أجد منشودتي في موضع
 أرملة ناحت على أحرارها
 أو اه أو اه رزئت با بعدهم
 ما في الحمى من دافع ومتق
 قد ضاعت الحرمة بعد صونها
 وطرق الحبي ذئاب جُوع
 أدعوا رعاة الحبي في قبورهم
 أدعوا لها الأموات إذ آيست من
 يا أيها الراعي انتبه فما بقي
 يصخ صوتي مسمعا ومسمعا
 أصبح قومي جثة باردة
 ما أثر النصيح على ألبابهم
 وما رسوخ الوعظ من قلوبهم
 ولا لأحرار الكلام عندهم
 تنصحه فتحنوي ديارهم
 أفخضهم نصائحنا لو ذهب
 فتتنسي نصائح مكارها
 سيدرك النصيح لزاز محوذ
 لقد نفت عنني الرجال شيمة
 لكتني أعجز أن أفيتهم
 إن القلوب استشعرت جبلة
 ليس العصور الفر إن تكشفت

حية الدين وصاري متسي
 فمسنهج فمجمع فمتدى
 ثم حدثت أنهارهن الثرى
 ثم ثوت آسفة فيمن ثوى
 وليتنس في خلف عم من مضى
 ما يعقت الخزي ولا من يتقي
 وشنت الفارات في قفر الحمى
 ودعثر الزرب وخاس المرتعي
 إن سمع الميت دعاء من دعا
 إحيائهم لعل فيهم من وعى
 حول المراعي ما نغى وما رعى
 لو كان من يزجه هذا ندا
 عي بها الطب وأعيت الرقا
 إلا كآثار الحيسا على الحصى
 إلا كما يرسخ في الصخر الصدى
 تكرمة ولا لحسر مستوى
 إن الكرام دارهم لا تجتوى
 إلى جماد ذاب أو ماء جسا
 يقرضها اللوم وينفيها القلى
 عزائم الرأى إذا لاح الجلا
 لو سكتهم زلزلت قلب العدا
 تكذيبهم بكنتي للمسدى
 فتاركات أحلامها إلى الهوى
 بحسنها هادية لمن غوى

كل امرئ بفعله معتبر
 فتحت عيني فرأيت غافلاً
 ونائماً والنار في جثمانه
 وراضياً بذلة مفتخراً
 ومؤمناً مستضعفاً يفزّه
 وعاقلاً في رأيه مستهماً
 وحاسداً لنعمه نخالسه
 وبائعاً لوطن فيه انتشاً
 فهل لنا استقامة وعزة
 وأغلب الناس الوفاء عندهم
 يجرون بالأهواء لا تكبحهم
 وأدعياء الفضل إن دعوتهم
 همهم في شهوات طبعهم
 ثرثهم من جمع المال ولو
 إذا دعا المجيد تفادى ناكصاً
 لا يشرف اليوم بعقل مقترئ
 فخذ من الغمر الذي رأيه
 تخاضعت له الرقاب عنوة
 عصائب الإسلام تلکم حالنا
 ما تنظرون في التماس طبعكم
 ليس لها إلا التفاق قوة
 ليس لها إلا نفوس طفئت
 يلمها الإيمان قلباً واحداً
 إذا رمت فقوسها واحدة

والسيف بالشفرة يفضل العصا
 يحملها السيل وليته درى
 كأنه جزل الغضا وما عى
 بأن يعيش خازياً ومزدرى
 ظالماً من الرجا إلى الرجا
 وأرشد الآراء للحسر الدوى
 أسعر ما كان إذا قلت: خبا
 بلقمة بلذها وهي الودى
 وحالنا مشومة كما ترى
 مستهجن وعهدهم على شفا
 شكيمة عن دحل ولا هوى
 لغمرة الجلا تراموا للعرى
 هم السوام في ارتداد المرتعى
 أفلس من مروة ومن ججى
 وإن دعاه بلذخ قال: أنا
 والسيد الأقعس من نال الغنى
 إن ملأ الكيس ودعه إن طفى
 وإن جست صفحته وإن ضما
 وليس يخفى في الظلام ابن جلا
 قد نكأ الجرح وأدنف الضنا
 بقوة ومقتدى بمقتدى
 أضغانها واشتعلت فيها التقى
 وجهته الله وحشوه الهدى
 وما رمت وإنما الله رمى

دبَّ إليكم داء من قبلكم
فخلصوا الأنفس من أدوائها
ولو تالفتكم على إيمانكم
ومحصت أنواره قلوبكم
ضاق على الخضم الفضاء دونكم
عسى الذي قدر ما يهولكم
ويمطر الروح على ربوعكم
من حسد يسفكم ومن قبل
فقل من مهمل أصابته نجا
لكانت الأوجه وجهها يتحى
فصفيت من فتنة ومن شدى
وغره الأركاس من حيث نسا
يزيل باللطف الخفي ما عنا
فينظر الروض وإن كان ذوى

النونية

لأبي مسلم البهلافي رضي الله عنه:
تلك البوارق حادين مرنان
شقت صوارمها الأرجاء واهتزعت
تبخست بهزيم الودق منبعقا
سقى الشواجن من رضوى وغص به
وجلل السهل والأوعار معتمدا
وراث ينصح للجرداء ساحتها
يريق في الجو منه ريق هطل
إن هيج البرق ذا شجو فقد سهرت
وصير البرق جفني من سحائبه
إني أشح بدمعي أن يسح على
هبك استطرت فؤادي فاستطر رمقي
تلك المعاهد ما عهدني بها انتقلت
نأيت عنها ولكن لا أفارقها

فما لطرفك يا ذا الشجو وسنان
تزجي خيسا له في الجو ميدان
حتى تساوت به أكم وقيعان
سر وجوف وغصت منه جرنان
ربوع ما ضم عندام وجعلان
وطم مارد صفتان وصحخان
في لوحه من سناء البرق ألوان
عيني وثبت لشجو النفس نيران
يا برق حسبك ما في الأرض ضمان
أرض وما هي لي يا برق أوطان
إلى معاهدي في فيهن أشجان
وهن وسط ضميري الآن سكان
بلى كم افترقت روح وجثمان

وكيف أنسى عهدودي في مسارحها
 أم كيف يمكن سلواني فضائلها
 معاهد شاقني منها محاسنها
 لها على القلب ميثاق ييؤ به
 نزحت عنها بحكم لا أغالبه
 كأنني واغترابي والغرام بها
 هي النوى جعلتني في محاجرها
 أعيش في غربة عيش السليم على
 يا برق حرك همومي إن تكن سكنت
 لا زال ينشط بي همي وأصبره
 يا برق هل والحناء من ضعاضع
 وهل ذرى القفص فالمقراة معشبه
 عهدي بها ونضير العيش يصحبها
 نشأت فيها وروضاتي ومرتبمي
 ارتساح فيها إلى خل فيهرني
 فحال حكم النوى بيني وبينهم
 حتى متى أتقاضى الدهر قريهم
 حتى م يا دهر لا تبقي على بشر
 أكل رأبك حربي أم لها أمد
 حل العقال وأطلقني إلى سمعتي
 يا دهر يا باخس الأحرار حقهم
 فيم التقصي بأهل الفضل إن نقصت
 لا يثقلون وإن خفت عيابهم
 أخفى غبارك يا دهر محاسنهم

وهنّ بين جنان الخلد بطنان
 نعم لدي لذا السلوان سلوان
 إن شاق غيري أرام وغزلان
 إن بساء بالحسب في الأوطان إيمان
 لا يغلب القدر المحتوم إنسان
 حي قضى خلقتة بعد أحزان
 مثل الخيال وروحي ثم جثمان
 رغمي وليس إلى الترياق إمكان
 فكل حظي تحريك وإسكان
 وناشط الهم لا تزويه أركان
 فالانعام فالطف حياهن هتان
 وهل قطين بعلياً قاعر باتوا
 والدر في غفلة والشهب إخوان
 روح الفضيلة لا رند وريحان
 صدق وقصد ومعروف وإحسان
 هنا تيقنت أن الدهر خوان
 والدر يهرم والآمال ولدان
 حر وحتى م ضام الحر إحسان
 فإن عهدي وللحالات ألوان
 فقي سجونك للميدان فرسان
 اعط العدالة إن الله ديسان
 حسنك زادوا وإن شان الوري زانوا
 عن الندى ولهم في الحلم رجحان
 فإن دعوتهم في نكبة بانوا

إن تعرف الحق فيهم لم تذر أسداً
 يا ناقل العيس من عليا بديّة حيث
 خلف وراءك عزّاً والمضرب
 وخلل إبراء أعلاهما وسفلها
 وخذ بأوجهها عن ساحتي سمد
 ودع وراءك إن غربت أخشبة
 وبأمن الدوح والخضراء متحياً
 واعمد إلى الجوف واستظهر أسافلها
 وافرق بها اليد حتى تستبين لها
 فإن تيامنت الحوراء شاخصة
 فحط رحلك عنها إنها بلغت
 فطالما وخذت تبغي لباتها
 انزل فديتك عنها إن حاجتها
 انزل فديتك عنها إن وجهتها
 هنالك أنزل وقبل تربة نبتت
 انزل على عرصات كلها قدس
 انزل على عزبات النور حيث حوت
 حيث الملائكة احتلت مشاهدهم
 أرض مقدسة قد بوركت وزكت
 ما طار طائرهما لله محتسباً
 إلا وقام يمين الله ساعده
 ميمونة بركات الله تنفجها
 رست بها مضية الإسلام من حقب
 قديمة الذكر عاذ الدين عائذا

عن الورود وعير الحي ريان
 اليعمد الحائزون المجد قطان
 والدريز والقابل الراسي بها الشان
 حيث القطين ملوك الناس قحطان
 مياسر الفتح حيث الحي كهلان
 تجسري المجرة فيها وهي سدران
 أفناء حلفين حيث السوح جرنان
 أرض لعامر أهل الفضل أوطان
 فرق على بيضة الإسلام عنوان
 لها مع السحب أكناف وأحضان
 نزوى وطالت بها للمجد أركان
 كأنهم مع الأنضاء عقبان
 عدل وفضل وإنصاف وإحسان
 تحت الأئمة مذ كانت ومذ كانوا
 بها الخلافة والإيمان إيمان
 للحق فسيهن أزهار وأفنان
 أئمة الدين قيمان وظهران
 لها على الحل والتعريب وإدمان
 تنصب فيها من الأنوار معنان
 له جناحان إيقان وعرفان
 والفتح والنصر والتأييد أعوان
 واليمين يثمره علم وإيمان
 وإن قضت باستتار العدل أحيان
 من يسوم أصبحت توحيد وقرآن

حتى تواضع بهرام وكيوان
 للاستقامة فيها الدهر سلطان
 كأنها لسيوف الله أجفان
 منذ كان للجور سلطان وشيطان
 يدين ذي الثغفات الحبر إيقان
 بالقصر والفتح برهان وبرهان
 منذ الجلندي وختم الكل عزان
 من يوم قيل لدين الله أديان
 شمس العزائم أوامون رهبان
 طهر السرائر للإسلام حيطان
 إذا استحق مديح الله إيمان
 يفثهم في التقى سر وإعلان
 والوجه والقصد إيمان وإحسان
 لشربة النهر وإن الكل عطشان
 حناهم الحق عن مكروهة لانوا
 أرواحهم في سبيل الله قربان
 دانوا النفوس فعزت حينما دانوا
 وهديهم سنة بيضاء تبيان
 ومهمم حيثما كان الهدى كانوا
 وفي سواه هم صم وعميان
 إذ مهمم صالح يتلووه رضوان
 كأن لذة هذا العيش أوثان
 وفي الجهادين إن عزوا وإن هانوا
 ولا تنسى عزهم نفس وشيطان

قامت بهاقبة الإسلام شامخة
 ولم تزل عرصه للعدل عاصمة
 كم أشهر الله فيها من حُسام هدى
 كنانة لسهام الله ما فرغت
 بحجة الله قامت في الشقاق لها
 لسرها واختصاص الله قائمها
 تعاقبت خلفاء الله منصبيها
 أئمة حفظ الدين الخنيف بهم
 صيد سراة أباة الضميم أسد شرى
 سفن النجاة هداة الناس قاداتهم
 تقيّلوا مدح القرآن أجمعها
 جدوا إلى الباقيات الصالحات فلم
 على الخنيفة الزهراء سيرهم
 بسيرة العمرين استلأموا وسطوا
 صب الشكائم في ذات الإله فإن
 مسومين لنصر الله أنفوسهم
 سبق على الخير عن جد وعن كيس
 سيماهم النور في خلق وفي خلق
 مقيدون بحكم الله حكمتهم
 هم أسمع الناس في حق وأبصرهم
 لم تلههم زهرة الدنيا وزخرفها
 باعوا بباقيسة الرضوان فانيهم
 وقف على السنة البيضاء سعيهم
 ما زاليت خطوة المختارة خطوتهم

فجاهدوا واستقاموا في طريقته
وسلطوا بحدود الله حكمهم
أولئك القوم أنوار هديت بهم
أثمتني عملي ديني محبتهم
لا يقبل الله ديناً غير دينهم
من عهد بدر واحد لا تززعهم
حقيقة الحق ما دانوا به وأتوا
إن يشرف الناس في الدنيا بشروهم
الله ما جمعوا الله ما تركوا
أزكى الصنيعين ما كان الهدى معه
تسراهم في ضمير الليل صيرهم
هم الإياضية الزهر الكرام لهم
لا يعرف العدل إلا في استقامتهم
في الذب عن حُرّمات الله شأنهم
رضوا ببلغة محباهم على خطر
سيما التعفف تكسومهم جلال غنى
سمت الملوك وهدى الأنبياء على
تمثلت لهم الدنيا فما جهلوا
جازوا الجسور خفاف الحاذقهم
فاز المخفون من دار الغرور فلا
مضوا وأنسارهم نور وذكرهم
تتابعوا دولة في إثر سابقة
حتى انجلى الكوكب الدرّي فانكشفت
هنالك انبعثت روح الحياة إلى

عزومهم لصروح الدين أركان
حتى استقام لحكم الله سلطان
عقبى محبتهم عفو وغفران
غوثي إذا ضاق بي في الكون إمكان
ولا يصح الهسدى إلا بما دانوا
عن موقف الحق أزمت وأزمان
وما عداه أخاليط وخمان
نشرو القوم إخلاص وإيقان
الله إن قُربوا الله إن بسانوا
لسديم وله في الحق رجحان
مثل الخيالات تسيح وقرآن
بعزة الله فوق الخلق سلطان
لم يوف إلا لهم في العدل ميزان
لا شأن دنياهم نيل وحرمان
منها كأنهم بالبلغة اختانوا
فالقلب في شيع والبطن خصان
أخلاقهم فكان الفقر تيجان
حقيقة الأمر أن العيش ثعبان
زهد وخوف وإصبار وشكران
خوف عليهم ولا بالقوم أحزان
رحمى ومضجعهم روح وربحان
كما جلى الرسل أحيان فأحيان
بنوره عن وجوه الحق أغنيان
جسم الوجود وقد أرداه طغيان

من الكوارث أحكام وأديان
سواعد شسدها بغني وكفران
فالكائنات أغارييد والحنان
أناحهها الله لم يضرب لها أن
وللأمان آيات وإيذان
ثم انجلت فانجلي عدل وإحسان
وما لرد مراد الله إمكان
وقائد العقل في المقدار حيران
ومحكم الأمر والأفكار عُميان
عمن يشاء وفي الحكمين رحمن
حكم المقادير تخمين وبهتان
إلا قصور وعجز ثم إذعان
ولو تطاول تقرييب وإمعان
فالشأن لا غير للأكوان ديان
رأي الفحول ففيها تم برهان
والعقل نصب والكون أشجان
ولا يقوم لسيف الحق بطلان
إن شد بالجد والتوفيق مطعان
خلافه الله والإسلام حذلان
وللخلافه في الإسلام أوطان
وشأنها لمصاص المجد خلصان
صدر بخالصة الإيمان ملآن
له على حملها جد وأقران
في هضبة المجد أجدال وأغصان

وقام للحق شأن بعد ما كُفيت
وأصلت الله إصليتنا بحس به
وأعرب السكون عن بشرى ضائره
أمنية رَقَسَبَ الإسلام طلعتهها
وللأمان أوقات إذا قُدرت
تمنعت في خدور الغيب آونة
ما ساورتها صروف الدهر إذ نجمت
وحكمة الله في التدبير قاهرة
يقضي بما شاء والأسباب جامدة
يختص من شاء الرحمن ويصرِّفها
إن الذي يتعاطاه الذكاء لدى
ما حيلة الظن والأوهام في قدر
لا بد أن تربط الأفهام وحدته
خذ ما أتاك وسلمها لخالقها
أنظر إلى دولة أعييت معاجزها
أرادها الله فاحتلت مناصبها
بأسهم الله ترمي من يقاومها
إنَّ الأسنة لا تمسِدو مقاتلها
عادت إلى جندلها من طول غربتها
عنابة الله تحمدوها لموطنها
تنحو ابن بجدها العليا وبؤيؤها
تقلد العقد منها صدر قيمها
همامها العاصم الكافي لعصمتها
سميدع مثل صدر السمهري له

رحب المباءة قزّم لا بواء له
 مشمر أحوذني رأيه قلّسق
 مروع المعسي في بصيرته
 تحكمت من أصيل الرأي فطنته
 بطوي عزائم بالتقوى وينشرها
 أصاره علمه بالله محض هدى
 لم يترك العلم منه موضعاً كدراً
 ما زال تححصه التقوى ويمحصها
 حتى تححض نوراً لا يكدره
 والعلم بالله والإخلاص عارفة
 مواهب ساقها من فيض رحمته
 يعدّها الناس من أحجار سوحهم
 يمشون بلبها وهم النفس في كيس
 والفتح يقصد قلباً ما به سعة
 مخبئة الله سر حيثما صدقت
 تعطيك فتحاً وإن سدت مغالقه
 فلا عليك إذا صبحت محبته
 لله ما أنفوس في سرها اشتعلت
 تحل في الأرض والألباب طائفة
 ريانة بشراب الحب محرقة
 تلك النفوس التي هذا الإمام لها
 خاض الحقيقة كشفاً فاستقام له
 جاءت إمامته والأرض مظلّمة
 فأشرق العدل في أرجائها ولقي

بفضله شهدت سهل وأحزان
 وعزمه قبل وضع الرمح طعان
 من الذكاء لمحض الرأي تبيان
 كأنها فيه أبصار وأذان
 كأنهم بخصم الله نيران
 وغير بدع هدى يُذكيه عرفان
 يمثل الشمس منه الذات والشان
 وسره ملك والشخص إنسان
 خير وشر وأغيار وأغبان
 من الكريم وتخصيص وإحسان
 لأنفس ما لها في الناس حسبان
 وهنّ في ملكوت الله شهبان
 والعقل في الوجد بالمشهور ولهان
 إلا لمن لم تسعه قط أكوان
 لها على عالم الإمكان سلطان
 فطور عقلك في ذا الفتح حيران
 إذا وفي لك هذا الخلق أو خانوا
 بالحب لله أنوار ونيران
 في عالم فيه أهل الله ندمان
 والحال صحو وكل الشرب نشوان
 قطب ومورده الصافي لها حان
 كشف وشرع وتكميل وسلطان
 والناس فوضى وأهل الجور ذؤبان
 عز المقاسد إرهاب وإيهان

جاءته ما كان بدعًا من أئمتها
 في ضئضئ العزة القعساء محتده
 بذروة الیحمد الصيد الملسوك له
 لا ينكر الناس ما للقوم من قدم
 أحسابهم ومعالیهم وديـنهم
 ما اختاره الله صفوًا من خلاصتهم
 یا سالم الدين والدنيا ابن راشد خذ
 أنت الضليع بها حملًا وتأديـةً
 احذر واصعد وأيقن أن صاحبها
 يسوسها مؤمن بالله معتصم
 للاستقامة في تدبيره قسبٌ
 لا يصرف الفكر في شيء فيخلفه
 والمؤمنون بنسور الله ناظرة
 یا للرجال وداعني الله بينكم
 یا للرجال ألم بأن الجهاد لكم
 یا للرجال أقيمة وزن قسطكم
 یا للرجال احفظوا أوطان ملتكم
 یا للرجال احفظوا أحساب محمكم
 یا للرجال اندبوا الله غيرتكم
 یا للرجال ألا الله متصـر
 یا للرجال أروني من شهامتكم
 یا للرجال اجعلوا الله نجدتكم
 یا للرجال ألم يحزنكم زمـنٌ
 یا للرجال ألم يدهش عقولكم

من جده ابن تميم المجد عزان
 إذا تـفاخر قحطان وعسدان
 أعراق مجد وأساس وبنیان
 وكيف يلحق عين الشمس نكران
 كواكـب وهدايات ورضوان
 إلا وللصفو من إكرامه شان
 أمانة الله والأقـدار أعوان
 إذ كل أمرك تدبير وإتقان
 سيف من الله لا تحويه أجفان
 وخير ما دبر الأملاك إيمان
 فظنه تحت نور الله يقان
 لأنه من فيوض الكشف ملآن
 عيونهم ويعين الله أعيان
 لبوا الدعاء فإن الصوت قرآن
 بلى لقد فات إبان وأبان
 فما لكم قبل وزن القسط ميزان
 فما لكم بعد خذل الدين أوطان
 إن لم تكن فيكم للدين أشجان
 فالوقت قد ضاق والتبـيط خسران
 فناصر الله لا يعـروه خذلان
 إن الحوادث آساد وسيدان
 فالغاية الفتح أو موت ورضوان
 طار البغاثُ به وانحط عقبان
 صوت الأرامـل والأيتام إذ هانوا

هذا اليتيم قد انحازت مفاصله
يا للرجال بيوت الله قد هُدمت
يا للرجال دماء المسلمين غدت
فسلا قصاص ولا أرش ولا قود
يا للرجال أفيقوا من سباتكم
أخيفة الموت ظل العجز يقعدكم
لا يحجب الموت جبين عند موقعه
يا للرجال لقد ذلّت حفيظتكم
إن السيوف التي كانت لسالفكم
مريضة هي في الأجفان أم مرضت
بشس السيوف إذا حلت عواقبكم
لا تحجبوها أنثاسا في مغامدها
فديتكم أوردوها إنها عطشت
كانت بوارق في الأخطار ساهرة
فاليوم نامت هموم القوم في جدث
تكساد أن تتلاشى من تحرقها
أورثتموها من الأوتار مشعلة
واليوم نغمت فيكم وهي مفضبة
ما عودتها بنو عدنان ما لقيت
لا تحملوها إذا كانت لزيتكم
فليت أسيافكم صارت معاولكم
حتى م طرف الهدى سهران من قلق
ليست بستمكم مذ كان عنصركم
يا للقبائل يا أهل الحفاظ ومن

من حلبة الجوع والظلام تخيمان
وما لها للعدي نهب وحلوان
هدرا كما عشت بالماء صبيان
كان لحم بني الإسلام جعلان
فقد أحاط بكم بغبي وعدوان
وليس للأجل المعدود نقصان
ولا يُقدّم وعند الموت شجعان
إذا استطالت على الآساد حملان
ما ضمها معهم رمس وأكفان
قلوبكم أم نأى عنهن وجسدان
وما بها لعتيق المجد أحزان
فإن تلك الياتيات ذكيران
إن كان فيكم يلاقي الرّي عطشان
وهم أصحابها في المجد سيهران
وساهر البرق في الأغمد وستان
غيطا على صار أو حزنا على كانوا
كانها في دخان الحرب نيران
وما بكم لحقوق السيف غضبان
منكم ولا أسكنتها الغمد قحطان
إن الرجال بفعل السيف تزدان
وليست خيلكم معز وثيران
فيكم وطرف العدي في الظلم سهران
وإنما الحظ كالأزمان أزمان
أجادهم في جبين الدهر عنوان

شدوا العزائم في استدراك فائتكم
 أهل المكارم إن الله أكرمكم
 لا تكفروا الله في نعماء أنعمها
 فأين أين ذئاب الدؤحتها
 وأين عنها الجنبيون إنهم
 غاراتهم بريح الموت عاصفة
 وأين راسب سيف الأزدي إنهم
 وأين أهل الذمار الهشم بحرهم
 عهدي لهم نجدة في الحرب شاهرة
 ويا لشمس وكبات الخميس لكم
 أنتم سهام السوغي لبسوا إمامكم
 وأين أولاد عيسى والحفاظ لهم
 صميم كندة حي الملك من يمن
 شدوا فديتكم أنتم بواسلها
 وأين يحمدها الحرث الكرام ففي
 ضنائن الله أنتم لا يزال لكم
 يسبلى الزمان ولا تسبلى محامدكم
 إن كان صالح طود المجد فارقم
 عيسى لكم خلف صدق لخير أب
 صنوان يستبقيان المجد في حسب
 وفيكم الأسد الكرار فارس شر
 السيد ابن حميد سيف سطوتكم
 بحر المكارم غوث الخلق من شملت
 الباسل البطل المغوار من شهدت

إن العزائم للإدراك أقران
 بنعمة العدل إذ للجور بركان
 فإنها يربط النعماء شكران
 بنو تمام ومن ربه جعلان
 سعد العشرة عليا مذبح كانوا
 وفخرهم بحميد المذكر يزدان
 سارت بصيتهم في الأرض رُكبان
 بالمجد والفضل فيض وملآن
 ومنهم لخلق فوق الله أعوان
 أنتم لها يبا أسود الله أركان
 وعندكم من ثغور الله جُعلان
 نجد ضراغم أوامون رهبان
 عهدي بهم للهدى حصن وإيوان
 أم فسيكم لمصاب الدين سلوان
 عزائم القوم جنات ونيران
 في نصرة الله صولات وسلطان
 ما دام محمد مطعام ومطعمان
 فلان إصلاحكم رضوى وثعلان
 وفي علي أخيه للعلا شأن
 سيارة الشُّهب في جنبيه صوان
 فاء ابن عمهما الكافي سليمان
 ومن له في بناء المجد أركان
 للمسكون من بره رُحمى وإحسان
 بطسول يمناه آباء وولدان

وفيكُم من رجال المجد من خرست
 أين المساكرة الصيد الغطارف من
 في ذروة المجد من لهم إذا انتسبوا
 شُمُّ إذا حزموا نثار إذا عزموا
 كواكب العز لا ترعى مسارحهم
 وأين حبس كرام الخيم من قدم
 سيوفها وعواليها وأسهمها
 وأين أسد شَرَّها من وهية أه
 وأين عامر والأحساب مشرقة
 وأين همدانُ مِن صِفِّين تعرفهم
 وأين قائدهم ليث المعارك صم
 وأين نار السوغي آل المسيب مِن
 وأين وائلُ والآثار شاهدة
 وأين مُغولَةٌ قبل الرسول لهم
 وأين عنها دياب الخطم إن لهم
 وأبن حلقوم ذاك الملك معصمه
 وأبن عن أجَرَّيها منع يعضتها
 يا جرة العرب يا عبس الطَّعان ألا
 لا تشعلوا الحرب إلا في مواقيدها
 ويا بني عمنا ذبيان مجدكم
 بآل حصن ويا العمرين قد فرعت
 إذا مدحتُ بني ذبيان إخوتنا
 فياليوث يفض دَرُّ دَرُّكُمْ
 فرسان داحس والحنفاء حَسْبُكُمْ

عنه القوافي ولم يبلغه تيسان
 ذوائب الأزد حيث المجد والشان
 أساود الموت يوم الهول طوقان
 شهبُ إذا رجموا للفضل هتان
 ولا نزاع لهم بالصُّنم جيران
 وفيهم من عباد الله غسان
 وهم إذا افتخر الفرسان فرسان
 ل الجدد والجود إن شدُّوا وإن لانوا
 ناهيك من عامر والأصل عسيلان
 إذ عَكَ عَكَ وإذ همدانُ همدان
 صام المعاضل بدر الفضل سلطان
 قضاة وزعيم القوم زهران
 ومجد وائل في التاريخ شهبان
 على مزون أتاوت وتيجان
 مناقب لا يسدانيهن إنسان
 سمائل فهي للسلطان سلطان
 والأجربان بنو عبس وذبيان
 لا يُطفئ جمرَكم بنِيَّ وعدوان
 حيث الجهاد على الباغي موتان
 إننا وإياكم في المجد صنوان
 عزًّا ونُبلاً جميع الناس غطفان
 أظهرتُ شمسًا لها في العين برهان
 هلا سباق إلى خير وإرهان
 من الرهان جهاد فهو ميدان

ذروا الضغائن تذروها الرياح فما
 إن الحظوظ التي ترجى بالفتكم
 وما شفاء حزازات الصدور سوى
 وأين أذكى وطيس الحرب ما فعلت
 وأين حير أهل العزم ما اعتبوا
 صيد صناديد أقبال عابله
 جاءت ريام بما أعلته حير من
 وأين حيرها الثساني وأسرته
 أبقي له السؤدد الأعلى كواهل
 هو دعرار فلاح محسن ملكوا
 وكان من فرعهم ملك اليعاربة
 سل سيف يعرب عن أخبار سيرتهم
 ويسا بني غافر عليا قريش لكم
 قوموا إلى الله واعتدوا لنصرته
 وأين أطوادها العليا بنو حكم
 وأين رهط بني سمح فوارسها
 وأين قوائم أمير النياس قادتهم
 وأين عنها ليوث الغساب ميرتها
 أين اليعاقب أرض السر ملكهم
 وأين أهل الغنى في كل معضلة
 وأين يا آل سعد عزم نجدتكم
 هلم يا ابن هلال قم بنصرتها
 أين من آل بدر سادة نجس
 أين الخواصة النجب الكرام فما

تبقي على خالص الإيمان أضغان
 في الدين في محكم التنزيل فرقان
 أن يستبد بطب القلب إيمان
 فإن عمدة هذا الأمر جرنان
 عن وعز عزتهم يوما ولا هانوا
 أسد كواسر في الهيجاء حردان
 مجد وقسام على البنيان بنيان
 ذوو المال ملك الناس نبهان
 مظفر وسليمان وكهلان
 فنبهوا الملك حينما وهو نعان
 الصيد الكرام وما أدراك منا الشان
 فمنطق السيف إعراب وألحان
 أصل وأنتم لذاك الأصل أغصان
 فموعده الله جنات وغفران
 أين الذهول شراة المجد شيبان
 بنو شكيل وأين الأسد كلبان
 بنو خروص حماة الدين مذ كمانوا
 بنو هناة ما دينوا وكم دانوا
 ومن مفاخرهم للفخر أركان
 بنو علي بن سود أين حدان
 وأنتم لرَسُول الله أحضان
 فالمسلمون بهذا الدين بنيان
 مبادرون إلى الخيرات سرعان
 عهدي لهم في كفاح الحرب أقمران

وأيمن عنها عواذها بنو عُمَيْرِ
 وأيمن ضمنتك النعيم بها
 وأيمن كعب وأيمن الحي من قَتَبِ
 وما رجاء بني ياسٍ على خطأ
 قوم على صهوات الخيل طَفَلُهُمْ
 مساعر الحرب إن تنزل لهم نزلوا
 أسدٌ تُخَدِّوهُمْ سُمر الرماح فإن
 صمبٌ سكانهم سُخْبٌ مكارمهم
 لا يقتنون رياشاً فوق سابغة
 وغير صفحة هندي مقلله
 وغير أنيابِ أغوالٍ مستنة
 وغير شمسٍ سراحيبٍ مفنقة
 تعلمت من مراسي الحرب نجدتها
 كأنهن أعاصير إذا احترمت
 نلكم حصون بني ياسٍ ومعقلهم
 وأيمن عنها بنو بطاشٍ أيمن هم
 طال الرقاد بكم هُبُّوا فديتكم
 - - - طييء نخضيب السيوف وإر
 أيمن العصائب من قحطان أجمعها
 هبوا لأخذ المعالي من مراقدكم
 هبوا لداعي الهدى هبوا لمزتك
 جِدُّوا - فديتكم - في نصر ديتكم
 كئائب الله لا يتحل بيضتكم
 كئائب الله دودوا عن حياضكم

فإن جانبهم بالفخر عمران
 أيمن الصلوف وطود الفضل سلطان
 أيمن الظواهر والفرسان كهلان
 فإنها القوم أعوان وإخوان
 يربو له من دم الأبطال ألبان
 وإن تعاضلهم ركبٌ فركبان
 شب اهياج فتلك السُمر شهبان
 إن حاربوا صعبوا أو أكرموا هانوا
 كأنهن إذا ألقين عُدران
 كأنها بتفات الموت ثعبان
 من عهد عادها ذكر وأسنان
 كأنها في قتام الحرب غريبان
 فهن تحست يد الشجعان شجعان
 نار الوغى وهي في التسنين ذؤبان
 لا يحصن القوم أسوار وأفدان
 من لي بهم وهم للحب أخدان
 فالتشمس طالعه بالسيل أرعان
 واء المثقف وهو اليوم علشان
 وأيمن من نتجت للمجد عهنان
 فليس يستلرك العلياء نومان
 وكيف نومكم والخصم يقظان
 فالיום فيكم لنصر الدين إمكان
 خصم مساعيه في الإسلام ثعبان
 كي لا يهدمها بغى وكفران

كتائب الله ما عيش الذليل لكم
 كتائب الله لم يعهد بكم خور
 كتائب الله حاموا عن حنيفةكم
 كتائب الله دين الله في خلق
 كتائب الله لم تخلص نفوسكم
 كتائب الله أدعسوكم إلى شرف
 كتائب الله يوم الهول هيدكم
 يا غارة الله والأحكام مزملة
 يا غارة الله والحر الغيور له
 يا غارة الله نخمزي في دياتنسا
 يا غارة الله نحيما كالبليّة في
 يا غارة الله كم ترضي مهاتنا
 أين العزائم أين النخوة انتقلت
 أين الشكائم في الإسلام ما فعلت
 سلوا القبور التي ضمت أصولكم
 ربوا لكم بالطي والسمر ملتكم
 تركتم سنة الأسلاف مطرقة
 تمشون هوناً كأن الزهد أثقلكم
 أما يجركم إن قال ناصحكم
 أقول للبعض منكم وهو عن أسف
 قد كنت نخبة هذا الأمر من قدم
 ماذا تقول إذا كنت ابن بجدتها
 طالع صحيفة جدي أنت وارثه
 إذا تنكرت للإسلام عن حسد

عيش ولا في منابا العز نقصان
 وللجبال على الأزمات أقران
 قد لوثتها خنازير و صلبان
 والمشرقيات في الإيمان طلقان
 لكسي يستخرها ذل وأهوان
 عقباه أن تصدق النيات رضوان
 فما لكم لبغيض الله عبدان
 لها من الحزن بالتعطيل أردان
 صدع وما أذنت بالصدع آذان
 أليس عازاً وحامي الدين خزيان
 عقال سوء وما بالرجل عقلان
 والسيف يرفع أقواماً وإن هانوا
 أين الحفاظ وأين العز والشان
 أظنها مع آباء لنا بانوا
 هل واطنوا الذل أم في دينهم هانوا
 وأنتم الآن مجازر ورهبان
 ولا يؤتب بسا لإطراق خجلان
 وأنتم بهوان النفس ثقلان
 الأصل كاس وفرع الأصل غريان
 والحر يأسف للأحرار إن شانوا
 والبوم أنت على الأبواب ذبان
 والأصل معرفة والفعل نُكران
 إن كان فيها مجيد القوم خوان
 فاسأل أباك ولي الله ما الشأن

يخبرك أنك قد فارقت خطته
أبعد شريك في الإسلام تفعلها
أحسن عزاءك من علم ومن عمل
أين السوابق يا قمقامها طويث
أساءك العدل إذ قامت به فئة
ألا تكون لها قطباً تدور به
أظن عهد الشهيدين اللذين هما
أبعد أحبارك الأبرار تنسفها
بنيت قبسة إيمان وتهدمها
نظرت أحمد حتى حل مسكنه
وصار عند أبيه في حظائر قد
عدوت تنقضها منى وواحدة
وقلت شأنك من باب السياسة في
تسوسها أنت والإيمان يتركها
سياسة الله في القسرآن كافيصة
فارجع إلى الله وانظر في سياسته
ماذا رأيت أباك الطهر يصنع في
أنت الشهيد على إشراق سيرته
أفي إمامة حق بعد ما ثبتت
لا عذر لا عذر فيها حجة قطعت
فما انحرفك عنها بعد ما وجبت
أبعد ستين عاماً عشت تنفقها
فاتبع إمامك والزم غرز سيرته
وَصُنْ بقية هذا العمر في كيس

وأنه للذي فارقت خسران
يكي الخليل لها والخبر شاذان
وأنت للطمع المرذول نجران
أعاذك الله طساوين شيطان
لها مع الله أقدر وأوزان
هل أنت عن قطبها المعهود غفلان
يستنصرانك قد أعفاه نسيان
وأنت في بحر هادر ومرجسان
الله هل بعد هذا الهدم بنيان
في الخلد من حوله حور وولدان
س الله حفظهما فوز ورضوان
وكلكم في مقام الفضل صنوان
دفع الأجانب لا بغى وعدوان
ما قام عمرك في دعواك برهان
وما يزيد على القرآن نقصان
فأنت من مشرب القرآن ريان
سياسة الدين لما قام عزان
وللبصائر بالشهود إيقان
بحقها أنت يا ذا اللب حيران
عذر الخلاف لها في الدين تبيان
إلا خروج عليها وهو عصيان
في الله والحمد أنت اليوم خسران
ودع هوى النفس إن النفس شيطان
فإن دهرك - لو فكرت - كيسان

فارقـت عزـتك العـليا إلى طـمع
للمـسلمين ظنـون فيـك عـالية
كنـت السـفينة للإسـلام تـحمـله
كنـت المـرزأ للإسـلام تـكلـؤه
فافتـح - فـديـتك - عـيني جـأذـر يـقـظ
بيـض العـائم لا تـجـدى إذا انـكـدـرت
طـهر ثـيابـك واغـسل راحـتيـك فـها
واحـمد نصـيـحة حـر لا يـريـد بـها
إن تـعرـف الصـدق في نصـحي فـقد سـبـقت
لـيس الخـليل المـداجـي عـند سـائـة
لكنـه مـن رآى عـيـا وحـقـقه
أريـك مـن أسـفي خـصـا تـبـاعـده
خـذ مـن مـضايـق أقـوالـي نصـائـحـها
يا قـوم أهـل عـمان كـم تخـالـفـكم
أطـسـول دـهرـكم خـوف مـداهـنة
أهـذه شـعب الإيـمان عـندكم
ما ذا الشـقاق الـذي يـفـري جـنـوبـكم
أطـلـقـتم السـيـف في أفـراد مـلتـكم
هـب أن أسـيا فـكم غـرثـى بـها قـسـر
هانت عـليـكم تـراث الكـفر واشـتـمـلت
والـفة الـدين قـربـى لم يـكن مـعـها
يا قـوم هـذا إمام الـدين بـيـنكم
يـدعـو إلى الله قـوائـم بـمـلتـه
يا قـوم طاعـته في مـصرـكم وجـبت

حـتى لـقد قال أهـل السـوء سـاسـان
يا ابن المـعالـي وهـن الـيوم خـيلـان
ثم انـكفـأت بـه وألـغى طـوفـان
والـيوم مـن كـثر ما يـشـكـوك ضـجـران
فـإن كـاتـب مـا تـمـلـيه يـقـظـان
بيـض القـلوب ولـلإيـمان عـنـوان
تـيك المـطامـع أوسـاخ وأدـران
ذمـا وفيـك لـطـود الحـمد أركـسان
عـهود صـدق وإخـلاص وإحـسان
إن المـسـداجـي في العـوراء فـتان
أهـداك عـيـك غـيظـا وهـو لـفـان
والـقلب مـن حـبك المـكنـون ولـهان
وفي ضـمـيري لـكم بالـحب مـيدان
إن التـفـرق لا يـرضـاه إيـمان
مطامـع حـسد بأوـاء خـذلان
أهـكـذا سـنة قالـت وقـرآن
والـمؤمـنون بذات الـدين إـخوان
وقـيدته عـن الأعداء أجـفـسان
ففي لـحـوم العـدى يـعتـاش غـرثان
فيـكم عـلى بـعضـكم للـبـعض أضـغان
أعـلى وأدنى وأحـزاب وأديان
مقـصـودة الحـق لا مـلك وسـلطان
لـه حـسامان: إقـساط وإحـسان
فرضـا عـليـكم ومـا في الـدين إـدهان

يا قوم لا تدبروا عنه فإن لكم
يا قوم إن تدبروا يغضب إلهكم
إن تنصروا الله ينصركم فلا تنهوا
إن الإمام يمين الله بيمينكم
قامت عليكم بحكم الله حجتة
إن تتبعوه فعين الرشد خطتكم
فراقبوا الله فيه إن حجتة
تلكم وصية حسان لكم ثبتت
لا يصدق الدين إلا من يناصحه
فإن تمكن نصحي من بصائركم

ربا بحاسب والإدبار عصيان
وأيمن ملجسؤكم والله غضبان
فالكفر في المقت والإسلام رضوان
فبإيعوه وإلا حل خسران
إن كان فيكم لحكم الله إذعان
أو تُعرضوا عنه فالإعراض طغيان
قد قام فيها بحكم الله برهان
فإنني اليوم للإسلام حسان
ولا يتم بغير النصيح إيمان
بدل لكم من ضياء الحق فرقان

الميمية

له أيضًا - عفا الله عنه -:

معاهد تذكاري سقتك العمايم
تعاهدك الإنشاء سح بعاقبه
إذا أجفلس وطفاء جنست حينها
ولا برحت تلك الرياض نواضرا
تصافحها بالزاكيات أكفها
معاهد شط البعد بيني وبينها
تزاحم في روعي لها شوق وإله
إذا لاح برق سابقته مدامعي
لئن خاني دهرى بشحط معاهدي
وإن هيام القلب فيها وقد نأت

ملثا متى يقلع تلته سواجم
فسوْحك خضر والوهاد خضارم
على قنن الأوعار وطف روازم
تضمخها طيب السلام النسائم
فيحسب فيها والرياض تراجم
وحل بقلبي برحها المتقادم
وصبر وأن الصبران لا يزاحم
وليت انطفاء البرق للغرب عاصم
فقلبي برغم الشحط فيهن هائم
وسائل في شرع الهوى ولوازم

فيا لفرّادي ما التباريح والجسوى
على أن ذكرى النفس عهدًا ومعهذا
خليلي في أعشار قلبي بقيبة
خذنا علاني عن أحاديث جيري
ولا تسلم قلبي إلى هيئاته
نزحت وفي نفسي شجون نوازع
فكم جعلت نفسي تطالب صبرها
يقوم فيعروه التساع مسبح
على غردات الأبك مني تحية
أثارت ربيسا في القواد بما شدت
خليلي ما تذكّار ليلى لبانتي
ولا ربعها العافي عليه تناوحت
تهادى به الآرام والمُعتر رُتعا
ولا شفتني حب لغيداء كاعب
ولكن شجاني معهد بان أهله
توشح منهم بالنجوم فمذ هوت
تمادت به العليساء ترفع شأوه
لعمري لنعم المعهد المهتدي به
هو المعهد الميمون أرضا وأمة
هو المعهد المطبور بالرحمة التي
سيكثر ورادا على الخوض أهله
لقد صدقوا المختار من غير رؤية
أولئك قومي باركتهم وأرضهم
ومن شعب الإيمان حب يشفني

فعلن إذا ازدادت عليه اللوائم
أمض بها ممسح الأرقام
أضين بها إن ناوحتها الخنائم
فإني بحب القوم ولهان هائم
فذكرهم عندي رقى وغمائم
إليهم ونازعت الأسى وهو خائم
بنصر فيسأبى الصبر إلا التناوم
فينكص وهنا فهو يقظان نائم
كما هيمنت ربح الضبا البشائم
ففاض به من ماء جفني راسم
أقامت بنجسد أو حوتها التهائم
صبا ودبور أو بكته الغنائم
كما تهادى البهكنات النواجم
كما ارتاع خشف في الخميلة باجم
فبان الهسد في إثره والمكارم
تعمت على أهبل البلاد المعالم
بما أثلت فيه السراة الأكبارم
وقد ملأ الدنيا ظلام وظالم
وإن زبحرت للبحور حينما زمازم
سقت من إمام المرسلين المراحم
إذا جاء يوم الحشر والكل هائم
وتكذيب جمل الشاهدين مقاوم
ببدعوة خير العالمين المكبارم
تجاذبه تلك الديار الكرام

عقدت بها أنس الحياة وطيبها
ولو صادقتني في محبتها الدُّنا
ولني لبس الدهر جلدة أجرب
ومر الليالي الكالجات عوابسًا
تجشمني والصبر بيني وبينها
وحنكي صروف الدهر حتى تبلدت
وأعجزني أن أستطيع مطالبي
لأعلم أن الخطب يصيح آزما
إلى كم يلز الدهر نفسي بليّة
وما جشأت حينًا لهول ينوبها
أحاول أمرًا لو نبأ السيف دونه
أبغمدني كالسيف دهري عن العلا
وما همّة المقدام إلا مضاضة
أكببت همي خامدًا غير حامد
وأصبر نفسي مرة لآذارها
ويقدح زند الروع من زاد همه
كفى حزنا أن أحسوا الموت ليس في
ويركب ظهر الروع حرّ غشمشم
ويأتدّم الأعداء لحمي مهنا
أئن لفجت كفى بتشتيت طولها
يلم عليّ الدهر أعراق سوقه
أيهل هذا الدهر أم جدّ جدّه
وهل عرقه وجه السري نقيّة
أبنتهض أهل الله والحق عندهم

وإن شردت بي للبعاد هـوازم
رضيت بها منها وما أنا نادم
تجهاهي وآمالي محال محارم
عليّ كأي للكوارث جارم
أفاعيلها فسيمن عدته المآثم
وأبصرت ما أخفين والجوقا تم
من الله ما لم تملكه العزائم
ويمسي قد انحلت عراه الهوازم
ويقطعني عسا تريد العظام
ولكن من الأقدار ما لا يقاوم
لما عيب والأقدار عنه تصادم
وما تحدث قبل الفعال الصوارم
إذا منعتها عن مناهي الشكايم
له العدل أمرًا وهو في النفس جاحم
حنه ولا انقضت عليه اللهازم
كهمني وأقوى ما لزندي ضارم
جناحي خواني للعلّى وقسوام
ويقطعني عسا امتطاء القوائم
وما مرئت للصائدين الضراغم
إلى حيث أحساب الرجال نزاحم
سقاها كما التفت على الساسم
وهل سروات المجد فيه مغانم
تزين وهل بخس الكرام مكارم
ونصري محصور وهمي عاسم

إذا أسرع روض البدنايا العزائم
تساور إدراكى مداه الصيام
خيال اصطبار بينها لويلالزم
حقوق معاليها الهوم العوازم
يحن وفي شد الحبال القوائم
فيكبو على اللبات والجبل لازم
وإن قلت: إني الصابر المتحازم
وي كَيْس كالطود في النفس جائم
أو الخصم مظلوم أو الحق ظالم
بإيمان أجداد وسيفي نائم
توادد في ديانها وتصارم
فتمسحها حور الجنان النسواعم
وما هي إلا طعنة فالمفانم
وإن لامهم في مطلب الحق لائم
ويحكمسي عن غاية القوم حاكم
على أن بيني والمنايا تلالزم
وأقعد عن تأذينه أنصامم
وهل في سوى الفردوس يخلد ناعم
وأصحابه إلا السرة الصاصم
تهون لديه المزعجات الجسائم
يمور بها فلسك وتحذور واسم
لها في ذرى السبع الطباق دعائم
لها في الكرويين قدر مزاحم
وشاهدكم نصر من الله قائم

وما ورق الدنيا مراعي عزيمتي
وفي النفس هم فضفض الصدر لاجع
وأطول ما أقضي به أقصر المنى
فيا لهفًا أما قضيت وما قضت
وما التنازع المقصور فارق أرضه
إذا لاح برق نازع الجبل سادما
بأوسع حزنا من بقية مهجتي
أفارق في إفريقيًا عمر عاجز
كأنى كهيم الطبع أو قاصر الوفا
وتسري سيوف الله في جنب خصمه
تجردها الله أسد أبيّة
وترمي بقايا الصالحين نجيعها
ويغنم فل النهسروان شهادة
يبيعون دنياهم بمرضاة ربهم
وأقعد غشوشًا على مبرك الوتا
أليس احتساء الموت أحجى بحالتي
ينادي لإحدى الحسنين مؤذن
أدون فتوح النصر ترضي دينه
وهل حدث في الأرض بعد محمد
وهل فاز بالعلياء إلا مصمم
إليكم أسود الله مني تحية
إليكم صناديد القُبراء مدحة
إليكم ليسوث الاستقامة مدحة
أخذتم بأمر الله قلوبًا وقالبا

وكافحتهم عن عزة الدين خصمها
وقام لأبناء الحنيفة معقل
وقمتهم بحكم القسط حتى تشعشت
وصادرتهم الأخطار في نصر ربكم
ضمتمتم قيام العدل لله حسيبة
ذكرتم عهود الصالحين وأحدقت
فأثرت ما أثرت سنة الهمدى
على الأمر بالمعروف والنهي منكم
عزركم لأخذ الحق لله غيرة
وقفتم وسيل الظلم طام وطالما
فباء بحمد الله بالخزى خاسئاً
وأبتم وحد السيف بالعدل بارق
نعم ثبتت أقدامكم وقلوبكم
وخابت أمانى البغاة مهيضة
وأصبح سيف الله في كف دولة
فما خام عنهما غير نكس منافق
وأصبح سلطان الشريعة ثابتاً
على بيضة الإسلام قسر أسائمه
وكانت عمان الجور ملء إهابها
فأشرق نور الله في عرصاتنا
وكانت حميات الرجال تحزبت
وصار جهاد المعتدين مشاعراً
منظمة ألبابهم وسيوفهم
يؤلفهم إيمانهم واحتسابهم

فمزت وأُس العز تلك الملاحم
بتته لهم تلك القنا والصوارم
بأنواره بيد الفلا والعواصم
وهانت عليكم في الجهاد العظام
فقام بحمد الله والجور راغم
بوائس دهر نكرها متفاقم
وغيرتم بالسيف ما الله ناقم
عن المنكر اشتدت لديكم شكائم
فأضت بفتح والثواب المغانم
بأظمائها باتت لنصر حوائم
لداهية تنقد منها الحيازم
يبشر أن الختف للظلم داهم
فولت أمام الحق تلك المظالم
وقامت على قرن الشقاق المآثم
لها مدد من ذي الجلال وعاصم
كما قام فيها أروع النفس حازم
له عمد في نخسه ودعائم
وطائره فوق السماكين حائم
مجاهل غفلا ليس فيها معالم
إلى أن أضاءت من سناها الموالم
فأصبح كالعقد الشثيت العمام
يحج إليها المقسطون الأعظام
ونباتهم والحق لكل ناظم
كمؤلف الأنصار والدحل عارم

فجمعهم فرد وفردهم به
 هيناً لأهل الحق صدق انتصارهم
 وفوا بوصايا الله في السخط والرضا
 فما حصروا في موقف الحق لمحة
 ولا اختلبتهم زهرة العيش في الهوى
 ولا حسدوا من نعمة الله ذرة
 ولا احتقروا ذا القدر في منصب التقى
 ولا داهنوا في الدين من أجل مطمع
 تراموا على القرآن شرباً بهائمه
 مقدسة ألبابهم ونفوسهم
 لهم قدم في الاستقامة ثابت
 وأيد عن الدنيا قسار قواصر
 تمر بهم حالان للبؤس والرخا
 ومن أذهلته طاعة الله أثرت
 بأنفسهم شأن إلى الله وجهه
 تجاذبهم وجهان: وجه من الرجا
 إذا خالفوا فالمسك طارت به الصبا
 وإن حاربوا تستبشر الحرب منهم
 لهم في سبيل الله جدٌ ونجدة
 وإقدام ضرغام إذا البهم أحجمت
 وتشبيهم بالأسد تقرب ناصت
 لقد وثبوا - حياهم الله - وثبةً
 وشدوا بعزم الرسل لله غيرة
 فباءوا ونور القسط للجور باهر

غناء إذا كثر اللهام الخضارم
 ويقظتهم في الله والودهر نائم
 كرائم وأفعال الكرام كرائم
 ولا وسموا ما ضيقته المحارم
 ولا زينتهم في المخازي العرائم
 إذ الفضل مقسوم وذو الفضل قاسم
 ولو زهدت للفقير فيه العوالم
 يسيل به أنف من الكبر وارم
 فأصدرهم والكل ريان هائم
 وأفعالهم والمتحصى والعزائم
 وهم على الإخلاص لله قائم
 وفوق أعاديهم طوال قواصم
 وفيهم على الخالين وقر ملازم
 عليه فلم يحفل بحال تصادم
 شديد القوى تنبو عليه السوارم
 نضير ووجه بالخافة ساهم
 وإن أفضلوا فهي اللجج العيالم
 لأن قراهم للحروب الملاحم
 وثبت لكبات الوغى وصرائم
 وصخت بأذان النجوم الهامم
 وشتان أقمار الهدى والبهائم
 رمي الكفر منها المخزيات القواصم
 (على قدر أهل العزم تأتي العزائم)
 عزيز وتيجان السضلال مناسم

وللحق أعناق البغاة خواضع
وأبطال خيل الله تحكي أهلة
والويرة التحكيم تنشر عزها
وفتح إمام المسلمين وقهره
وخيل جنود الله تصبح شُرَبًا
ومن همها ثار الخليلي إنها
أنذهب أدراج الرياح دماؤه
وتعبث نعل الرافضي بوجهه
ويدفن حيًا لا جريمة تقتضي
أليس من الغم المميت وقوعها
وتنسى قلوب المؤمنين مصابه
ألا فاغضبي يا غارة الله ولتقم
ولا تركي ثأر المرز أحبرنا
فلن خام عنه وارتضى الضيم ملبسًا
ليحتكم الله أخذًا بثأره
فلا تحسبوا أن الدماء مُضاعة
وإن ضيعتها أهلها فحقوقها
خذي يا خيول الله في كل مرصد
ولا تتناسى سيرة الحبر صالح
قضى دهره لله محتسبًا له
وما ساءني أن أكرم الله وجهه
تأسى بقوم بالشهادة أكرموا
وما قصرته همة عن مقامهم
فهل عند عيسى أن يقوم مقامه

وأذرعهم في بطشهن معاصم
من الظفر الميمون منها المباسم
وتدعو إلى حكم به الله حاكم
وسلطانه لا يتحى عنه عاصم
بشارات عزان بسن قيس تصادم
إذا ذكرته طيرتها العزائم
ولا كدم العصفور ما فيه قائم
ولألا ذاك الوجه في العرش ناجم
سوى أنه بالحق لله قائم
وطرف ولي الثأر في الأمن قائم
ولأن منه في السماء قائم
نوادبته سمر القنا والصوارم
سعيد بن خلفان لمن هو خاتم
وسالم فالإيمان ليس يسالم
ويعجز عند الاحتكام المقاوم
إذا سفكتها في هواها المظالم
يغار لها للعدل بالقسط قائم
بحملية غيظ تنقيها الصلادم
فسيرته للمهتدين معالم
ومات شهيدًا والقذائف ساجم
بموت رجاء الطيبون الأكارم
لهم موطن في جنة الخلد دائم
إلى أن تولى والسرث المكسارم
وهل عنده أن القعود محارم

وهل عنده أن الجهاد فريضة
 وهل عنده أن المقدر كائن
 وهل عنده أن المعالي صعبة المـ
 وهل عنده أن الحدود تعطلت
 وهل عنده أن المنهاهي أكرمت
 وهل عنده للاستقامة نصرة
 وهل عند عيسى أن للفرض عادة
 وفرض على ذي الفرض عادة فرضه
 فدى لك نفسي يا ابن صالح قم بها
 تجرد لها واذكر وقائع صالح
 وخذ من قلوب المؤمنين بشعبة
 أناديك للجلي وأنت شهابها
 فخذ من إمام المسلمين بضبعه
 ولا تلق للتفتيد أذنًا فإنه
 وأنت بأحكام الإمام وحقه
 وقد أمكنتكم فرصة لقيامكم
 فلا تملوها بعد أن جد جدها
 ألا فالزموها سنة وجماعة
 وعضوا عليها بالتواجذ جهدكم
 يكن جهدكم فيها دليلًا لنهضة
 وإن لكم فيمن هدى الله أسوة
 وإنكم للصالحات أدلة
 وإن الإباضيين في الأرض حجة
 وإن السني وفي بشرة دينكم

وقد وضح الإمكان والخصم خائم
 وأن وقوع الختف بالمرء لازم
 سراقى وأهلوها السراة اللهم
 وأن حقوق المسلمين غنائم
 وناب أعادي الله في العرف آزم
 وقد هجمت للقاسطين الهواجم
 قديمة ذكر جددتها المقادم
 إذا ألزمت حامي الذمار اللوازم
 فإنك للسيف الإباضي قاتم
 ودونك أسلاف كرام ضراغم
 فإن قلوب المؤمنين صوارم
 ومقامها إن أعوزتها القمام
 فمثلك من تدعو الأمور العظام
 له ببيعة صدق وقدر ملازم
 عليك وأحكام الولاية عالم
 وكم رامها من ذا الوقت رائم
 وقام بها حسب الشريعة قائم
 وقد طالما حنت إليها العوالم
 ففيها بدايات الهدى والخواتم
 لأزكى صفات المصطفين ثلاثم
 وإن هداكم للعباد معالم
 وإنكم للمرتقين سلالم
 على الناس ذي جهل ومن هو عالم
 ومات عليها فهو لا شك سالم

وإن إمام المسلمين على هدى
إمامته حقيق وفرض اتباعه
وإن الذي وقى بطاعة أمره
وهذا اعتقاد فوق كل مكلف
لقد شكر الله الذين تعاونوا
وحصب الإمام المهدي من كرامة
ومن يكن المنصور من عنده
إمام الهدى إن يتضي الدين سيفه
أبرر فيك الحمد واللسن أخرس
وأسترشد الأفكار فيك فأثني
وهبهات لم تبلغ بدائع مدحتي
وإني لما أرضى لمدحك كاره
ولكن حُر القول بنحو مقره
وما انتقى التمجيد فيك وإنما
يسابق فيك الحمد قبل انتقاده
ولست بأقصى الحمد فيك موهبا
ولكن رأيت الله يمدح أهله
هداهم إليه ثم أثني عليهم
وحمد ولي الله عيين ولاية
فكل رجائي بالثناء عليكم
وأسنى حظوظي - إن أوفق - معية
فإن محب القوم لا ريب منهم
أحاول فوزًا من حياتي بقريكم
وإني لدهر صبدني عنك شاني

مخالفة باغ على الحق ظالم
على ساكني مصر العثماني لازم
ولي وإلا فالمدو المخاصم
له في أصول الدين قطعاً دعائم
على البر والتقوى وفي الله قواموا
بأن قام والسدنيا جميعاً تراغم
وقاومه المخلوق ذل المقام
فأنت له حد ونصل وقائم
وأبسط فيك الممدح والعبي واقم
بأوضح إفهامي كأي وأهم
لفضلك إلا حيث تعبي التراجم
لأنك للسدنيا جميعاً مصارم
كما أن للتيجان تنحو البيتائم
إليك اهتدى حُر الكلام الملائم
وهذا لأن الحمد فيه مكارم
إلى العرض الفاني بشعري أراحم
ومن فضله بدء العطا والخواتم
وذلك في إحسانه مستلزام
وتوقيره فيض من الله ساجم
ذخائر عند الله لي ومغانم
وحب إلى يوم القيامة دائم
قسيمهم إن مفسنم أو مفسارم
يراعى وسيفي والنهسى لك خادم
وحتى متى من صرفه أنا واجم

أدبر حزم الرأي في حل قيده
 وإن أشيم السبق من حيث نفعه
 وسرك بالتفريج أوحى مؤمل
 فصل يا ولي الله وصلى بخطرة
 فإن قلوب الأولياء فواعل
 محل تجلى الحق مشكاة نوره
 فلا يسدع من تأثيرها حيث أثرت
 وإن بحمد الله فيك المخلص
 ومالي ولأعداء جاشت صدورهم
 على أنني واليت في الله أهله
 ومن لهم إن أخذل الحق ظالمًا
 وهذا مجال لا ينالون نبله
 يدبروني عن سالم وأريغه
 ولو نصبوا جسمي وجروا جيوشهم
 وما آنس الأعداء مني هشاشة
 وكم عجموا عودي على الدين فأنثنت
 ولولا المقابر التي عزت القوى
 نذرت حياتي تحت ظل لوائه
 ولم يك قسمي غير ضربة قاضب
 أو الطعنة النجلاء ترمي نجيعها
 وتلك لعمر الله أبخس قيمة
 بحب أمير المؤمنين ابن راشد
 حبة من باع الضلالة بالهدى
 حبة من لا يتقي الموت مسلمًا

وهيهات أعياء منه عي وحازم
 وإنك أجدى بارق أنا شائم
 وإن سدت الأبواب دوني البوازم
 على القلب لا تبقى عليها الأوزام
 لأبحر نور الله فيها تلاطم
 له وسعت إذا لم تسمعه العوالم
 ولو حييت منها العظام الرمائ
 ولو خاصمتني في الولاء الخواصم
 وغصت بما تحوي الصدور الحلاقم
 وعاديت من نبطت عليه المآثم
 ويظفر منسي بالولاية ظالم
 ولو ضغمت جسمي عليه الضمياغم
 وجلدة بين العين والأنف سالم
 لرفع حياتي لم ترغني الجوازم
 أبى الله إلا حيث تدعو المكسارم
 كلالاً عن المر الصليب العواجم
 وما اكتسبت مني الخطوب الغواشم
 وأحرزت خصيلي إذ تحز الغلاصم
 إذا قسمت فوق الفروق الصوارم
 تفوز بها مني الطلى واللهازم
 لرضوان ربي يوم تعطي المقاسم
 أدين وأنف الخصم خزيان راغم
 يبيع ويشتري مؤمنًا ويساوم
 يحارب في دين الهدى ويسالم

إليكم عباد الله منى نصيحة
أحقاً نقاعدتم بها وهي دينكم
أحقاً عباد الله بعض سيوفكم
أحقاً عباد الله بعض قواكم
أفي عزة الطاغوت يشهر مؤمن
أحقاً عباد الله إن خياركم
سيوفكم يا قوم سيفان خاذل
أيهدم ألف ما بنى الفرد منكم
ويا أسفاً إن تهشم العقد فتنة
عرفناهم بالخير حيناً فمذبت
نصبتهم الدنيا فكانوا سباعها
تمنيتم أن يظهر العدل لمحبة
أفي العدل حيف أم من العدل ذلة
وكيف يعادي العدل من همة النقي
هممتم بأمر والرزايأ تنوشه
فيا فتنة عظمى تحرشتن بها
فما تنتهي إلا وللبنى صرعة
وتنصر أهل الله غيرة ربههم
ويعلو إمام المسلمين بعدله

يررهما قول من الله جازم
وخارت عن العز المقيم العزائم
لدعوة أهل الاستقامة حاسم
لقوة عباد الصليب دعائم
حساماً وتهوى في أخيه الله اذم
تناصب قوام الهدى وتقاوم
لحق وسيف في المحقين خادم
وكيف بناء الفرد والألف هادم
زبون وتزجيها رجال معاصم
سرائرهم لم تبد إلا الأراقم
وصيدهم منها الذميم المصارم
فلما بدا شدت عليه الضياغم
عليكم وكل العز للعدل لازم
ولكنه بنفسه بكم وتعاضم
ويعقبها عدل من الله قاصم
تقضكم أنيابها والملاهم
وحد حسام الله في البطل حاكم
وأين إذا غار الإله المقاوم
عزيزاً وميزان الخليفة قائم

العينية

لأبي مسلم رحمه الله:

فإني بأمر الله يا قوم صاعد

ألا هل لداعي الله في الأرض سامع

وهل من يرى الله حقاً ومرجعاً
 وهل من يرى أن الحقوق التي دعا
 وهل من يرى الشرع الشريف تدرأت
 وهل من يرى أن الخليفة سامها
 تملاً ظلماً خيلسه ورجاله
 يدوسونها دوس الحصيد كأنها
 أفيقوا بنبي القرآن إن هداكم
 أفيقوا بنبي القرآن إن كتابكم
 تعيث قروود الجبت في سنة الهدى
 يعدون دين الله بهتاً وهجنة
 وأن وقوع الدين في الأرض مفسد
 وأن الذي جاءت به الرسل كله
 وإن هدى الإسلام في الأرض ظلمة

&

إليه وإن الدين لا شك واقع
 إليه رسول الله غُفِّل ضوائع
 عليه خُثالات مبيرٍ وخانع
 بما شاء من ضيم لعين مخادع
 وليس لهم حدٌ سوى الله مانع
 لقبي وأخو الإيمان في الأسر خاشع
 إلى الجبت والطاغوت في الدل ضارع
 يناقض في أحكامه وينازع
 إذا عقدوا شنعاء جاءت شنائع
 وأن ليس من صوب الإله شرائع
 وأن قوانين السماء فظائع
 مضر لأسباب الرقي مصارع
 ولو زال بانك للركي سواطع

&

وإن بنبي الإسلام في همجية
 وإن بنبي الإنسان في الأرض طائر
 ولولا عرى أشراكه لتوسعت
 هلم بنا تقطع حباله ديننا
 ونرسل أطياف النفوس إلى الهوى
 ونذروا وصايا الله في الريح تربة
 وفي دولة التعطيل مرعى ونضرة
 ولا تكون إلا للطبيعة إنها

وحوش تعادى في القلا أو ضفادع
 على شرك عز الجناحين واقع
 مداركهم حيث الحدود الموانع
 إذا الدين عن نور التمدن قاطع
 فإن هواها للسعادة جامع
 فليس بها - أستغفر الله - نافع
 وفي دولة الدين الديار البلاقع
 لها الضر في أكوانها والمنافع

وإن نتحلل شبهًا لدين سياسة
 حباله صياد ودين ودولة
 فيا بني القرآن أين عقولكم
 أمسوبة هذه النهى من صدورنا
 أما كذبوا لا قبح الله غيرهم
 لقد ملأوا والآفاق إفكًا وخزبة
 نقوا ملحة الإسلام إذ منعستهم
 ولو قلدوا الإسلام ضاق عليهم
 ولا أطلعتهم في الرذالة رتعا
 ولا حرشستهم شرّة وفضاظنة
 كأن بني الإسلام صيد رماحهم
 فلا غرو أن يستكفوا من ديانة
 وليتهم إذ عطلوا الدين سايروا
 فأي عمار قام والظلم أشه
 وليت بني الإسلام قرت صفاتهم
 وليتهم ساموا بنور محمد
 وليتهم لم ينحروا بسلاحهم
 لقد مكن الأعداء منا انخداعنا
 وسورة بعض فرق بعض وحلة
 ومزيق هذا الدين كل لمذهب
 وما الدين إلا واحد والذي نرى
 وما ترك المختار ألف ديانة
 فيا ليت أهل الدين لم يفرقوا
 لو التزموا من عزة الدين شرطها

ففي دولة التبشير فعل مضارع
 وتعطيل إنسانية وخدائع
 وقد عصفت هذي الرياح الزعازع
 وهل فقدت أبصارنا والمسامع
 ولا أفلحت تلك الوجوه اللواكع
 وبغيًا ولا مقصود إلا المطامع
 عمار في حكم العقول فظائع
 سبيل إلى ما تشتهي النفس وازع
 نذلتهم مهما اقتضته الطبائع
 لهم كلب في غيبنا وتنزاع
 وأملاكهم إرث لهم أو قطائع
 وقد أسبلت فيما عداها الزرائع
 طبيعة تكسوين العمار وتابعوا
 وتلكم ديار الظالمين بلاقع
 فما زعزعتها للفرور الزعازع
 ممسالكهم إذ باغتها القواطع
 نحورهم إذ جاش فيها التقاطع
 وقد لاح آل في المهامه لامع
 لزيد على عمرو ومائهم رادع
 له شيع فيما ادعاه تشايع
 ضلالات اتباع الهوى تنقارع
 ولا جاء في القرآن هذا التنزاع
 وليت نظام الدين للكل جسامع
 لما اتضعت منها الرعان الفوارع

وقد جعلت في نفسها تقارع
لدكت جبال المعتدين المصارع
بأعظم مما بين أهليه واقع
بأفزع مما سيف ذي الشوك باقع
وذلك سم في الحقيقة نافع
على مسلم إلا من البغي وازع
ولا ضام متبوع ولا ضيم تابع
يضاع له ذخر مع الله نافع
وأكدارها المستأثرون الأمانع
لما نزعنا نحو الشقاق المنازع
على غير ذي ثبوت جداء القوارع
ستقتضب الأعمار منها الفجائع
ونحن لناعيها إلينا ودائع
بها بيعة ينمي بها الريح بائع
وتؤذي فظاظات النفوس المطامع
ولا أحد منا وإن عاش وادع
ونعجله في باطل نتقارع
كمثل الذي ولي وفيه المصارع
لما كان منها للشرارة نافع
كما كمننت في جحرهن الأقارع
فمنه بلا قيد تشور الشنائع
لدافع داء الكبر منها التواضع

وما ذبح الإسلام إلا سيوفنا
ولو سلت السيفين يمني إخوة
وما صدعة الإسلام من سيف خصمه
فكم سيف باع حز أو داج دينه
هراثا على الدنيا وطيشا على الهوى
وما حرش الأضغان في قلب مسلم
ولم نصح القلبان لم يتباغضا
وما هذه الدنيا لها قدر قيمة
وما نال منها طائلا غير إثمها
ولو بعدت في النفس منزعة التقى
ولا صبحت تعلو بأسباب وهها
أما هذه الدنيا التي يقتنونها
قراضة آجال ومطلب جاهل
فما بيعتنا الحسنى ومرضاة ربنا
على أي شيء يقتل السبعض بعضنا
ولسنا برغم العقل نطلب وادعنا
ويكشف عن ساق لنا الحتف دائما
أليس الذي أتى من العمر مقبلا
ولو أشربت منا النفوس تبصرا
ولو أشربت داء دخيلا أصارها
ولو بحثت عن دائها كان كبرها
ولو فكرت في أصلها ومصيرها

رويدا بني الإنسان إن شروركم

يعود عليكم ويلها المتابع

سوى أنه في بحر راميه راجع
من الشر والدعوى إليه ذرائع
وتنفي اشتراكا فيه والسم نافع
لما راع في أوكساره الفخر رافع
من النفس تغريها عليه الطبائع
وعند حصاد الزرع يحصد زراع
نفوس ولم يُعرف مضرٌ ونافع

ليصلح مدفوع ويصلح دافع
وبلاؤهم وهو الحبي والصنائع
وذاك بلاء للمواهب جامع
فكم شق أمر ضيق وهو واسع
فذو الجهل موفور وذو العقل جائع
وتعجيل عُقُوبَى هفوة إذ توقع
وهذا حسام للمظالم قاطع
على مسلم والعدل للكل وازع
ولا خفي اللطف للزيف رادع
عليها جمال الله باللطف شائع
بعارفه والعدل تلك الفظائع
من الظلم في شيء له الله صانع
عدوت بها في خرق ما هو شارع
لما كان عن رضوانه لك قاطع
وفضلٌ وتسوُّبٌ منه للتوب زارع
كأنك مدعوٌ بما هو مانع

فما أرسل الإنسان سهماً محرماً
ولست وإن برأت نفسك خالصاً
أنلزمها الأشرار والساء شامل
ولو سلمت من صبغة الشر نسمة
وكل لجاج المرء في الشر نهمته
أليس عجيباً زرعٌ نفس شرورها
ولولا نسواميس السماء لما زكت

ومن سنن الله التدافع بيننا
ومن سنن الله اختبار عباده
يصب على من شاء صباً بلاءه
ومن سنن الله اختفاء اصطناعه
ومن سنن الله التفاضل في العطا
ومن سنن الله التآني بمن طغى
ومنها انتقام من ظلوم بظالم
ألم تر أن الله سلط مشركا
فيما الشأن إلا العدل في أي حادث
وفي الشأن أسرار تجلت لذي النهى
ترى سلطة لا تعرف الله أنظمت
فأنست إذا فكسرت لم تلسف ذرة
وما يوجب المقت الإلهي عدوة
ولو ثبتت رجلاك دون حدوده
وما يوجب الجود الإلهي رحمة
يحظر أمراً ثم تهتك حظره

وأنت مع الإبعاد للسخط تتنحي
 فما من وعيد الله يمنع عاصم
 نضج ضجيج النيب مما يتوبنا
 ونطأوع أسواء المغيبة رغبة
 وما هذه الإوقار فوق رقابنا
 وبعض عقاب الإثم أخذ معجل
 ولو أمحض التقدير عقل لأظهرت
 فما هو في تعجيله البطش عابث
 ولا هو بالإعجال يحذر فائتًا
 فجعل في مجاري حكمه وشئونه
 وفي عدله حسب اقتضاء شئونه
 فلا تخبطن في فهم أحكام عدله
 ورب بلاء حل في شكل عدله
 فمن ذاك للتوفير وهو أجله
 وتقديمه إنذاره ووعيده
 وفي عين هذا العدل فضل محقق
 وذلك في الجود الإلهي لازم
 وعاقبة الإنذار إنقاذ عدله
 فقم نحو ما يدعو إليه بفضله
 ولا تعجبين إن خالفته كيف بطشه
 ولا تعجبين مما تراه مسارعًا
 إلى ما أفضنا فيه من ترك أمره
 ففيم صراخ المسلمين وجارهم
 لهم في أساليب الشقاق طرائق

ومن حيث إتيان المساخط طامع
 إذا لم يزع من حرمة الله وازع
 ونحن لما لا يقتضيه نसार
 ولستنا لمحمود الجزاء نطأوع
 يدافع عقباهن عنا مدافع
 وبعض على الإملاء جانيه وادع
 شوارقها بالحكمتين مطالع
 ولا عارضته في التلاني موانع
 سواء تعالى قبل فوت يسارع
 تبين لك فيها حكمة وبدائع
 تسدابر وحدانيته لا تمنع
 إذا اختلفت أشكالها والمواقع
 وما هو إلا الفضل واللطف واقع
 ومنه لتمحيص لذنوب واقع
 إلى عبده حد عن العدل مانع
 إلى مستقر الفضل والجود دافع
 ليذكر اللاهبي وينزع نازع
 حذارك مما قيل خلف وشافع
 فداعيك قيوم برحماء واسع
 فما لك إلا صحة التوب نافع
 إلبنا فعدل الله هذا المسارع
 وإتيان منتهاته العدل صاعد
 وأغلبهم للمقسطين منازع
 وكل طريق في الضلالة شارع

وأغلبهم للاستقامة شائئ
ولو شملتنا الاستقامة لم تزل
سقى الله أرضاً تنبت القسط سوحها
ربوع بحمد الله نور محمد
وحيث يمين الله بالروح والرضا
رجال سعو الله سعياً مباركاً
أنابوا إلى الله اتباع سبيله
وقاموا بمفروض القيام عليهم
فما جمعوا ما فرق الله جمعه
ولا شرفوا إلا بخالصة التقى
بهم يقتدي في العلم والهدى
عليهم وقار الرسل أرسى حباله
تجلت لهم من باطن الشرع حكمة
ألحوا على الإخلاص حتى تفجرت
ولو أظهروا من حكمة السر ذرة
فبورك علماً طابق الشرع باطناً
أولئك أهل الله رحمة أرضه
أولئك أوتاد الوجود وغوثه
أولئك أهل الحق ما ضلّ مقتف
أولئك أهل الفهم ما جار فهمهم
أولئك أهل الخير أما حيساتهم
أولئك أهل الفضل حتى ولو فنوا
أولئك أشياخي فجئتني بمثلهم
ولست بجاء في الوجود بمثلهم

بسياف التعدي في حمى الله شائع
لنا إلفه تفرض عنها المطامع
وبين رباها العلم والحق رافع
عليها بنسور الله أبلج ساطع
رجالاً لهم تلك العراض مرابع
فما قطعتم عن رضاه القواطع
فما صدعتهم في السبيل الصوابع
فما عز جبار ولا ذلّ ضارع
ولا فرقوا في الدين ما الله جامع
حظوظهم منها البحور الجوامع
وعن خلقهم تروي النجوم السواطع
وهم لكالات النفوس مطالع
ولسو أظهورها ناقضتها الشرائع
على لسنهم بالحكمتين ينابيع
لكانوا بحكم الظاهر الشرك واقعوا
وفي ظاهر الأحكام للمعذر قاطع
بهم تظطر الأرض السحاب الهوامع
وأحسوا لهم في الاعتبار شوافع
هداهم ولا يغوي عليهم متابع
عن الله ما يقضي وما هو شارع
فغنم وأما ذكرهم فذرايع
لهم بركات في الدُّنا ومنافع
(إذا جمعنا يا جريير المجامع)
وللقسوم شأن في الولاية شاسع

وللقوم إرث صادق من محمد
وماذا عسى أن يبلغ الحمد فيهم
نعم إن نور الرسل في قلب ختمهم
سرى علمهم بالله في سر سرهم
وما صدقوا في الاتباع لغاية
(ومحترق) الأركان من خوف ربه
له ما عدا العلم القديم صحيفة
ومهما يكن في الملك والملكوت من
يرى كل شيء غير مرضاة ربه
ولو خالست منه العلائق لفتة
يطارد آفات الوجود بعزمه
رمى عرض الدنيا وراء يقينه
بحرر نفساً من عبودة مطمع
به أنسف الأملاك في نضرة الغنى
كفته لقيمات يقوم من صلبه
يلبذ فطام النفس عن كل لذة
يبيت وللأحزان جرة قلبه
إذا ذكر الأخرى تسضاءل جازعاً
وإن ذكر الدنيا تفساني وأصعقت
على وحشة في السجن من بغة الفنا
وما زخرف الدنيا وإن راق رونقاً
أحال على أنفاسه البر والتقوى
على الأرض منكور ويعرف في السما
تراه متى ما الليل عمد بينه

لكل هدي للرسل لا شك جامع
وهم لضيء المرسلين مطالع
وفي القوم نور الختم أبلغ ساطع
وهذا لصدق الاتباعين تابع
ولكن لحسب الله فيهم نوازع
له صعقات بينه ومصارع
يشاهد فيها صنعه ويطالع
ببدائع لم تحجبه تلك البدائع
وماذا به اشتدت رياح زعازع
كفاهها من التوفيق عنه ممانع
فتنكص حسري عنه والعزم ناصع
بأن وراء الحسد شأنًا يمارع
سوى رغب فيه إلى الله طامع
وما نال منه ما تقل الأصابع
وظمر من الأنهاج بأباه راقع
ولذات هذا العيش بئس المراضع
تشب إذا سالت عليها المدامع
كأن راعه من هادم العمر رائع
مشاعره تلك الصعاب القوارع
وما خلف يوم الموت كيف المفازع
على عينه إلا العنا والفجائع
فللبر والتقوى عليها طوابع
له مخبر بين الملائك شائع
عموداً على محرابه وهوراكع

يشعشع بالقرآن أنسوار قلبه
يرجع في الدجور رنة تاكل
بناوحه عمان: هم مخافة
بأمثال هذا يرحم الله خلقه
بأمثال هذا يخلص الله أرضه
بأمثال هذا تحفل الشاة ضرعها
بأمثال هذا تنزل السحب رجوعها
بأمثال هذا يدفع الله سخطه
لهم منزل في القرب للخلق نافع
أولئك أبرار الإياضية الألى
هم القوم أحرار الوجود سمت بهم
عجتهم ديني بها أبتغي الرضا
ودعوتهم لي سنة وجماعة
وإني وإن يتركنسي السيف قعداً
قضى الله أن أحيانا من العجز قابلاً
إذا لم نفسي أقنعتني قيودها
وما نصرتي بالقول والقول تشتتي
إلى الله أشكو حائلاً صد همتي
أحيا كسير النفس والسيف عانياً
على أنني إن هدي الحزن هدة
ليعلم قصدي عالم الجهر والخفا
لعل ختام القصد نيل موثق
فأضحى بتهايل السيوف مهلاً
ويرضى إلهي في مواطن حربه

فعنهن شقت للعيون المدارع
نحيباً كما نوح الحمام السواجع
وهم رجاء والبرايا هواجع
وإن عظمت أحداثهم والشنائع
ويشرب عطشان ويشبع جائع
ويسمن مهزول ويقطف يانع
وينضر صدع الأرض وهي بلائع
وليس لسخط الله في الأرض دافع
وحدث وأطلق كيف تلك المنافع
على نهر حرقوص وزيد كوارع
إلى الله عن حظ سواء المنازع
إلى الله والزلقى وهم لي ذرائع
أجاهد في إحيائها وأقارع
فذلك للأمر السذي لا أدافع
وما أنا في همي إلى الله قابع
وما أنا دون النصرة لله قانع
من الغيظ لولا دون عزمي موانع
فعمشت كما عاش الجبان المسودع
وسيف الإياضيين في الخصم شارع
ونهنني ممسا قضي الله قاعد
وللعبد ما ينوي وإن سد مانع
يهيئه حول من الله واسع
متى حيعلت نحو الجهاد الوقائع
قيامي إليه والرماس كسوارع

لعلمي إن لاقيت حتفي مجاهدًا
وأن وقوع الموت للمرء موضع
وما مات من ألقى إلى الله نفسه
وأى رجاء بعد ستين حجةً
فهلا انقطاع العمر لله لحظةً
ولم يبق منه غير فضلة ساعب
وأمنيتي في بيعها من إلهها
على الله إحسان الخواتم إنه

فذلك فوز عشت فيه أنازع
وليس لموت كالجهاد مواضع
وإن حوّلت وسط اللحود المضاجع
لعيش وهل ماضٍ من العمر راجع
أحق به والعمر يلبه قاطع
سيخطفها من طائر الموت واقع
بسوق جهاد حيث تزكو البضائع
إذا شاء بين العبد والخير جامع

اجتماع العمانيين بنزوى لعقد البيعة على الخليلي

ولما كانت الحاجة إلى القيامة بمصالح الأمة، وجب أن تكون المصالح العامة جارية على نظام ثابت، لا يزلزله فقد الرؤساء، وأن ندرك أنا نعيش في ظل وطن تحكمه حكومة شرعية محترمة، وأن ندرك أنا نعيش في غاب لا تسوده شرعة القانون، وأنا لا نعتمد في معرفة الحق على وجود المعلم، بحيث نتركها عند موته؛ بل نسير على منهاجها، حين وجوده وبعد موته، وأن قتل سالم لا يوجب ضعفًا في الدين ولا فسادًا فيه، وأنه بشر كسائر الخلق، {وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل} ففي الآية هداية وإرشاد، إلى أنه ينبغي أن يكون أمر البشر مستمرًا، ذا صلة بوجود القائد، بحيث إذا قتل القائد انهزم الجيش واستسلم للأعداء.

عقد العلماء والقضاة والرؤساء في اليوم الثاني عشر من ذي القعدة عام ١٣٣٨ مؤتمراً، تمخض منه صلاح الأمة العمانية، والسلوك بها إلى طريق الرشاد، والأخذ بها إلى أيدي السعادة، فالزموا الشيخ محمد بن عبد الله الخليلي قبول الإمامة، وكلفوه

ذلك بعد طول احتجاج ومناظرة، قرع صداها صُـم الآذان، وفتح مسالك الأوهام؛ لعجزهم عن مناظرته، لكونه أعلمهم. وبعد طول احتجاج، ما رأى من الواسع إلا قبول أمرهم، فأصبح الناس بجامع نزوى غرة الثالث عشر من ذي القعدة والجمعة عام ١٣٣٨.

إمامة الولي السعيد محمد بن عبد الله بن سعيد

مولده: ولد رحمه الله بقرية سمائل في سنة ١٢٩٩، تسع وتسعين ومائتين وألف، ونشأ في حجر أبيه العلامة عبد الله بن سعيد.

نسبه: هو العلامة المحقق محمد بن عبد الله بن العلامة المحقق سعيد بن خلفان بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عامر بن ناصر بن عامر بن بوسالم بن أحمد، من نسل الإمام الخليل بن عبد الله بن عمر بن محمد، ابن الإمام الخليل، ابن العلامة شاذان، ابن الإمام الصلت بن مالك بن بلعرب الخروصي، نسبة إلى خروص بن شاري ابن اليعلم بن عبد الله. وعبد الله هو الحمي من سلالة نصر بن زهران بن كعب بن حارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن أزد بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي، عليه الصلاة والسلام.

كتبته نقلاً من خط الشيخ خلفان بن عثمان الخروصي، عن خط جده الشيخ الزاهد خميس ابن العلامة أبي نيهان جاعد بن خميس الخروصي.

علومه: قرأ النحو على الشيخ محمد بن عامر الطيواني، ويجالسه للمذاكرة البحر الأسود، الشيخ عبيد بن فرحان، والشيخ العلامة حمد بن عبيد السليمي، ويناظرهم الشيخ أبو وسيم خميس بن سليم الأزكوي، نقلًا عن لسان سيدي الإمام، رحمه الله.

دروسه: درس فنون العلم على عمه الشيخ العلامة: أحمد بن سعيد، وأبيه الشيخ العالم عبد الله بن سعيد آل الخليل.

ثم هاجر إلى شرقية عمان لدراسة العلوم، فقرأ على نور الدين السالمي التفسير والحديث والأصول وفنون العلم، فصار علمًا من الأعلام، وحجة في المعقول والمنقول والمنثور والمنظوم، فهو اليوم أكبر عالم بعمان، إليه منتهى رياستها، وفي الحلم والعلم، وحل المشكلات، وكشف العويص، قضى أيامه مكبًا على التعليم؛ فأحرز قصبة سبق.

كانت الرئاسة لآبائه على بني رواحة، وهم بنو عيس ومن تبعهم من قبائل عمان، ثم كانت له قبل ارتقائه عرش الإمامة، كانت لآبائه من قبل.

صفاته: أبيض اللون، جميل الخلق، حسن الخلق، مدور اللحية، نحيف البنية، تنجذب النفوس إليه حبًا.

أخلاقه: بعيد من الصلف، بعيد الغضب، لا تراه غضبانًا أبدًا، إلا إذا انتهكت محارم الله، دائم الفكر، حول للأذى، واسع الصدر، أكثر دهره صامتًا، فإذا تكلم تكلم بعلم، وإذا سكت فعن أدب أعطاه الله التوسم، فإذا دخل عليه الزائر وجه نحوه شعاعًا قويًا من عينيه، فاستخرج بتوسمه ما أكنه بين يديه، فعبر له عن فكره، قبل أن يفوه بمراده، بعبارة وجيزة، لا يحسنها الزائر، وأعرب له عن قصده الذي جاء إليه، إن خيرًا أو شرًا، فيتحقق بعد الفحص صدق حدسه، حتى إن بعض

الوفود يرتج عليه أن يفوه عنده بشيء، يياسط الناس الخاصة والعامة، ويقص لهم القصص الدينية، والآداب الدنيوية، أحرز الحالتين، يسلي المتوجع، لا يرد سائلاً ولا مسترفداً، ولا يملك ما بيده، أكرم أهل زمانه، كأنها عناء القائل:

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجأ بهما فليثق الله سائله

يجلس إلى الناس: الخاصة والعامة، يياسطهم، ويعلمهم أمر دينهم ودنياهم، يقضي نهاره في خدمة المسلمين، يجره المرأة والخدام والصغير والكبير والضعيف والقوي، لا يأنف من أحد، فيقضي حاجتهم ويرجع إلى مجلسه، حتى إنه في بعض الأوقات يتولى بيده علاج بعض المرضى من الضعفاء، ويتولى كل أمور المسلمين حتى بروات الطعام لدواب الضيوف ودواب الدولة.

ملك روح الشعب بالمحبة والسياسة واللين، لا بالقوة والجبروت، عظمه الناس؛ لصغر الدنيا في عينيه، فلا يرى لها قدراً.

كان قبل ارتقائه عرش الإمامة في رغد من العيش، وتأنق من اللباس؛ لأنه كان غنياً، فلما ولي الأمر رغب عن ذلك مع كثرة غناه، فكان يطوي الأيام والليالي، ويفطر على التمر العوال^(١)، كثير صيام التطوع، حتى ابتلي بنقصان في بصره؛ لكثرة صيامه وتقشفه في المعيشة، بقي خمسة أشهر مكفوفاً، فاحتاج إلى علاج الدكتور، فأرسل إلى تومس الأمريكي من مسقط، فلبى دعوته، فعالجه فأبصر من إحدى عينيه.

كان لا يلوم أحداً على ما يكون العذر في مثله، يلتمس العذر لإخوانه والتخلص له من العثرة، لا يشكو وجعاً ولا صاحباً، ولا ينتقم من الولي على العدو، ولا يغفل

(١) العوال: سمك يابس يدخره العانيون.

عن الولي، لا يخلص نفسه دون إخوانه بشيء من اهتمامه، ولا يتبرم ولا يضجر، تأتيه الحوادث، وتطرقة الكوارث، فلا يتغير، ولا يتضعض، يتلقاها بصدر أوسع من الدهناء، فإذا جاء الجد فهو الليث عاديًا.

كانت له ثروة خاصة عدا بيت المال، وهي مما ورثه من آبائه الكرام، فباع أصولها بمائة ألف قرش وخمسين ألف قرش، صرف عمان عبارة عن خمسمائة ألف روبية وخمسة وعشرين ألف روبية هندية، أنفقها في سبيل الله؛ لإعزاز الكلمة، وأن تكون له ذخراً عند الله. وتوفي ولم يعقب ولدًا ولا مالا، فهو رحمه الله منقطع القرين.

إن آبائه وأجداده الكرام وآباء الشيخ أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي من عنصر واحد، تجتمع سلسلة نسبهم بالإمام الخليل ابن العلامة شاذان ابن الإمام الصلت بن مالك. وكان وطنهم «بهلا» من أرض الجوف، فأزعجهم سلطان الجور إلى الخروج منها، فبقي أجداد الشيخ أبي نبهان بالعليا من وادي بني خروص، واتخذ آباء المحقق الخليلي وادي بوشر وطنًا لهم، فتراهم يتواصلون، لما بينهم من القرابة والصهر، لكن الشيخ أبو نبهان انتسب إلى الأصل خروص بن شادي، والمحقق الخليلي انتسب إلى الفرع؛ وهو الخليل بن شاذان.

انتهى نقلًا من لسان سيدي الإمام محمد عبد الله رضي الله عنه.

وهذه زيادة من لسان السيد عبد الرحيم بن سيف الخروصي. أزعجهم سلطان الجور سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني، في القرن التاسع من الهجرة، بعد وقائع دامية، كانت بينهم، بسبب تفريق الإمام عمر بن الخطاب الخروصي لأموال النباهة، فانتقل الشيخ أحمد بن عامر جد الإمام إلى أركى، فكانت بينه والجبار معارك ثمانية، كان النصر في جانب النبهاني، فانسحب الشيخ أحمد من أركى إلى وادي بوشر، وبها

توفي، وبقي عقبه هناك، حتى اتخذ المحقق الخليلي سائل وطنًا آخر. أما الشيخ مبارك بن يحيى فانسحب إلى الجبل الأخضر، المعروف بجبل اليعمد في القديم، وجبل بني ريام في الحديث، فكانت إمارة الجبل إليه، حتى انتزعها النباهنة منه، وانتزعوا الجبل، وصادروا أمواله الموجودة به، في مقابلة ما أخذه الأئمة عليهم، انتهت الزيادة.

وكلهم من دوحة تطلب إحياء معالم الإسلام، كما ذكره سيدي الوالد نور الدين، بتحفة الأعيان، من دخول أبي نبهان نزوى، وعقد الخليلي الإمامة لعزان وابنه ناصر.

كانت ولادة المحقق الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي ببوشر، في سنة ١٣٣٦ ست وثلاثين وثلاث مائة وألف. ونشأ بها في حجر جده أحمد بن صالح، وقد توفي أبوه عنه صغيرًا، فرباه جده، وأحسن تربيته، ونشأ نشأة مباركة يطلب فيها المعاني، ويكتسب المحامد، ولا يبالي، كثير الخلوة والتبتل والتلاوة، يقال عنه: إنه دخل الخلوة بالأسماء الحسنى كلها، وله اليد الطولى في هذا الفن، وقد أودع قطرة من بحره تأليفه المسمى: «النواميس» الرحمانية، وعرف ذلك من لاحظ تبتلاته ودعواته، وله في ذلك طرق متداولة عند العمانيين، وله في السلوك مناظيم، تدل على طول باعه، وبها ما يدل على ما منحه الله إياه، فمنها:

عَرَّجْ عَلَى بَابِ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ	وَالْثَمَّ ثَرَاهُ سَاعَةً وَتَذَلِّلِ
فَلَمَّا رَزَقْتَ لَدَى حِمَاهُ وَقْفَةً	تَرَبَّيْتُ يَدَاكَ بَنِيْلَ مَا لَمْ تَأْمُلِ
وَلَمَّا تَرَى ذَاكَ الْجَمَالَ مُتَهَيِّئَةً	فَاسْحَبْ ذِيُولَ التَّيْهِ فِيهِ وَأُزْفِلِ
وَلَمَّا نَشَقَّتْ شَذَى ثَرَاهُ سَاعَةً	فَلَكِ الْبَشَارَةَ بِالْمَقَامِ الْأَطْوَلِ
وَلَمَّا صَدَدَتْ أَوْ ابْتَعَدَتْ فَعَدَ إِلَى	إِرْسَالِ دَمْعِ كَالْعَقَاتِقِ مَسْبَلِ
وَأَنْهَجَ بِأَنْوَاعِ الضَّرَاعَةِ وَابْتَهَلَ	مِثْلَ الْفَرِيقِ بِلُجَّةِ الْبَحْرِ الْمَلِي
لَا يَدْهَشَنَّكَ مَا تَرَى مِنْ هَيْئَةٍ	وَجَلَالَةٍ وَنِعَاطِمْ الْعِزِّ الْعَلِي

وهي قصيدة طويلة، وهذه لهجته التي ألحَّ بالابتهاال بها إلى الله تعالى، في طلبه الجليل، من إحياء معالم الإسلام، وتطهير البلاد من الطعام، وأن يكون دائرة عقد ذلك النظام؛ فإنه اتخذها وردًا في أوقاته، حتى أناله الله بعيدات المطالب التي رامها، من إعلاء الكلمة وتشيت الجبابة.

الخطبة

سموط ثناء في سُموط فريد
وحمد تغصُّ الكائنات بنشره
وذكر له نحيما النفوس بذكره
تعطرت الآفاق من طيب عرفه
ويزرى بنور الشمس نور ابتسامه
لمن هو أهل الحمد والمدح والثنا
لمن سبحته الكائنات شواهدًا
أعاد وأبدى من أياديه أنعمًا

بكسل لسان قد بثثن وجيد
إذا نشرت منه أجل برود
ويبعث قبل البعث من هو مودي
فما مسك دارين يُشاب بعود
إذا ما تجلى في صحائف سود
لدى الفضل والآلاء خير مفيد
بتوجيهه والله خير شهيد
فيا أنعم المولى بدأت فعودي

الفصل الأول

ويارب لطفًا من لعبيد مؤمل
ويقصر منه القول ذكر ذنوبه
وينضي حياء هيبّة وخافّة
فجد بمناب عن مقر مصرح
منيب يُرجي عندك العفو مولع
فقير لما أسديت من كل نعمة

بسيط لسان بالدعاء مديد
وقبح الخطايا فهو أي بليد
لعزل إجلالًا لكل شهود
بذنوب وتقصير وطول صدود
بذكرك لا ذكر اللوى وزرود
شكور لما أوليت غير جحود

الفصل الثاني

وأنت الذي تُدعى لكل شديد
 بيباب كريم في غناه حميد
 ومنك يُرجّى اليوم كل مزيد
 بواسع رزق من ندادك عتيـد
 فهلا يكن تقضي بأوسع جود
 على كل موجود بكل وجود
 وجودك منه طارفي وتليدي
 وجودك إذ عز البريد بريدي
 لفضلك راج منك نجح وعودي
 إليك ولم تحفظ وثيق عهودي
 سواك فقد أبرمت نقض عقودي

دعاك ولا يرجو سواك لفقره
 وما ظن يوماً أن يخيب أمل
 ولم يك يشقى في دعائك عمره
 إلهي تداركني بلطف وأغتنى
 فمهما ترد شيئاً يكن بمقال كن
 يحد به من جوده الغمر شامل
 فما كان لي في غير فضلك مطمع
 وجودك إذ عز الشفيع وسيلتي
 وإني لوقاف ببابك سائل
 وقد دفعتني الكائنات بأسرها
 وإني وإن زابلتُ بابك قاصداً

الفصل الثالث

لشؤم جدودي واتضح جمودي
 وأن حظوظي عن مُناي قيودي
 وإن عظممت قدراً أذلّ مقُود
 إذا رامها العنقا أذلّ مصيد
 وكان قيامي فيه مثل قمودي
 لدارس دين الله غير معيد
 لإظهار دين الله غير مفيد
 لأعداء دين الله غير مبيد
 وإكرام خصم للإله عنيد
 وإن وعود الغدر أي وعود

وحاشاك طردي وقطع مطامي
 وإن كان سعي لا يقى بمطالبي
 ولكن بقصد الله تغدو صاعبا
 ومن يتمسك بالإله تكن له
 ولما رأيت الحظ عنني نائما
 وأن فعالي مثل مالي كلاهما
 وأن لسان مثل كفي كلاهما
 وأن حسامي كالبراع كلاهما
 ودهري لم يأذن بغير إهانتني
 وغاية محصولي المواعيد والنسي

بعمروة ركن للإله شديد
إلى باب وهاب الجدود مجيد
ومن فيهما من سيد ومسود
له أي شأن في الأنام جديد
فيسدين خير الفسائحين ودود
راسي قهار لكل عنيسد
إلى من له الأملاك خير عييد
قيامَ حظوظي في العلا وجوددي
سماوية من مبدئ ومعيد
ويسعى بما لا يشتهيهِ حسودي
لأمر عليه لم أكسب بجليسد
إذا ما أمات الحق كل مريد
وكانت لرسول الله قبل وجودي
قديماً على خير الخلائق صيد

ولم يبق عندي اليوم إلا تمسكي
جمعتُ همومي وانتجعتُ بهمتي
إلى باب من يدعوه في الأرض والسماء
إلى باب من في كل يسوم بحمده
إلى باب خير الناصرين وإكرام المـ
إلى باب وهاب الممالك قالب الكـ
إلى مالك الملك العظيم اقتداره
وقوقاً على أبوابه منه راجياً
فتخرق لي فيه العوائد نفحة
حظوظاً يقوم الدهر فيها بخدمتي
تقوم بتدبير الإله وكيده
وتسعى بما يرضى الإله لدينه
بها قام من قبلي الأئمة بالهدى
ينتم بها النعمسى عليّ متمها

الفصل الرابع

به سنن الإسلام بين قرود
بتعطيل أحكام ورفض حدود
وقد سامها بالخسف كل كنود
أشداء بأس في الحروب أسود
بحيٍّ على نصر المهيمن نوودي
وخصوصم في ذات الإله وعودي
ويفري من الأعداء كل وريد
بحدّيه والهيحاء ذات وقود

ومن لي بهذا في زمان مضاعة
ومن لي بأن يرضى الإله لدينه
ومن لي بأن يرضى لأمة أحمد
ومن لي بأنصار إلى الله وحده
تباري النعمان الربد خيلهم إذا
يفاث بهم داع إلى الله قد دعا
ومن لي بسيف يقطع الهام والطُّلا
حسام لدين الله والله ضارب

ولو عارض السُّمَّ الجبالَ بضربة

لناخت على طود أشم فقيند

الفصل الخامس

فبا غارة الله اغضي وخيوله اركد
ومُتِّي على الأعداء منك بزورقة
ويارب بمزق كل سور وخذق
وقد مكروا فامكر بهم وأذقهم
وطهر بقاع الأرض منهم بأنفس
وشرد بهم في كل أرض فلا سوى
وصب عليهم صوت منتقم كما
ولا تبق ديارًا على الأرض منهم

سبي ومواضيه انعمي بورود
تريحهم من كفرهم بلحود
عليهم وحصن شامخ ووصيد
عواقب مكر في السبلاد شديد
من البغي تجر بها بكل صعيد
قتيل ومأسور يُرى وطريد
لعماد وفرعود جرى وثمرود
فما قوم لوط منهم يبعيد

الفصل السادس

وعجل بنصر منك للدين مظهر
يقوم بأرباب الديانات والتقى
وتنشر أعلام العلوم لواءها
يسدبها ماضي العزيمة حاذق
تذل له الآساد حتى النقاد لا
أمين على دين الإله وشرعه
به قرت الدنيا عيونًا وأهلها

وعن كيد من عاداك غير مكيد
ويسطع نور الحق بعد خمود
بأسياف عدل لم تُلق بغمود
بإنقاذ أمر الله غير مثود
تذاد عن المرعى بأطلس سيد
خليفته المأمون خير رشيد
على العدل والإحسان منه شهود

الفصل السابع

ومنَّ على عبد دعاك بنظرة
فتشمل من في الأرض حتى أراهم
فأحشد في نصر الإله ودينه

تجلى على الأفاق شمس مسعود
إلى الله أنصاري وفيه جنودي
ومن قام بالدين الخيف حشودي

فأصبح منصورًا مطاعًا مؤيدًا بفسنح وغمكين وجاء سعيد
عسى ولعل الله يظهر دينه على كل دين لم يكن بسديد
فتخضر آمالي وتورق ثنيتي ويشمر في دوح المكارم عسودي
فإنك فعال لما قام تريده قدير على ما شئت خير مريد

الخاتمة

وقد وفقه الله لنيل مطالبه، وأتاله حفظًا وافراً، فكان عقد الإمامة لعزان بن قيس على يده، كما هو محرر في تحفة الأعيان.

إلهي استجب دعوى إليك بعثها وقد طال ترجيعي بها ونشيدي
عقود ثناء قد أجدت نظمها وإن كنت للأشعار غير مجيد
قصدت بها بساب المليك ولم تنزل على بابيه الآمال خير وفود

انتهت هذه الاستغاثة، وله في السلوك قصائد جمّة، ومناظيم في فتوحات الإمام عزان بن قيس، وأجوبة مسائل نظماً، وله ألفية في الصرف، سماها (المقاليد) شرحها شرحاً جيداً، وله قصيدة في العروض، سماها: (مظهر الخافي المضمن الكافي في علم العروض والقوافي)، وكتاب (النواميس الرحانية في تسهيل الطريق إلى العلوم الربانية)، وأرجوزة في الزكاة، شرحها شرحاً لطيفاً، ورسالة سماها: (السيف المذكر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وكتاب (التمهيد)؛ وهو أجوبة مسائل، وردت إليه في مختلف فنون العلم في أربعة أجزاء ضخمة، وكتاب (كرسي الأصول)، إلى غير ذلك مما لا يحضرنا ذكره.

ومما يؤثر من مناقبه: أنه كان يتمتع بسلطة دينية عالية، يصدر أوامر الإمام عزان، فيلزمه اتباعها، وأنه يذهب أمامه دخولاً وخروجاً، ويأخذ القهوة قبل الإمام.

وسئل عن ذلك: فأجاب: لأريكم شرف العلم، وأن العلماء حكام على الملوك، والملوك حكام على الرعية.

كانت وفاته رحمه الله في شهر ذي القعدة من سنة ١٢٨٧ على يد السلطان تركي بن سعيد، دفنه وابنه محمد حيين، ولا جريمة سوى أنه قام بالواجب عليه في حق الله، والله سائله عما صنع، وعمره يوم وفاته إحدى وخمسون سنة رحمه الله، ونور ضريحه، وكافأه عن الإسلام خيرًا. توفي وله من العقب اثنان: عبد الله وأحمد، وكان عبد الله في سن تسع سنين، وأحمد ابن ست سنوات.

أما العلامة الشيخ أحمد، فإنه عاش علامة فقيها ورعا، عليه مدار الفتيا والقضاء بوادي سمائل، وله أجوبة مسائل نظما ونثرا، ولم نقف على شيء من تأليفه، وكان شهما جريئا، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، في وقت الكتان، ولا يرد أمره. وابتلي رحمه الله بالصرع، خرج ليغتسل أو يتوضأ من نهر السمدي بسمائل، فهاجمه الصرع، ففرق به في اليوم الحادي عشر، من شهر ذي الحجة، من سنة ١٣٢٤ بقيت إمارتهم عليها الشيخ العلامة: عبد الله بن سعيد، والد إمامنا الحالي، وكان عالما جليلا، كثير الاطلاع على فنون العلم، كثير قيام الليل، وهو الأمير، والسيد المطلق في وادي سمائل، وله اليد الطولى، والنصيب الأوفر في المجد والحظ، يجر الجيوش بعمان لقهر من خاصمه، وردع من ناواه، واحتل كثيرا من بلدان من نازعه، فأذلهم وأدخلهم تحت طاعته.

وقد تنكر هذا الشيخ على الإمام سالم بن راشد الخروصي، في دخوله لحصن سمائل، بعد خروج السيد نادر بن فيصل منه، وقبل مضي المدة المشروطة؛ لأن الأمر كان على يده، فهو يهوى إتمام ما تكفل به من الشروط على أوفر ما يكون.

خلاصة السبب

لما خرج السيد نادر بن فيصل من حصن سمائل، على يد الشيخ الخليلي، اشترط نادر أن يبقى الحصن بيد الخليلي إلى انقضاء خمسة عشر يومًا، فإن كان لأبيه السلطان استطاعة للرجوع إليه، فليسلمه الخليلي للسلطان، أو لرسوله، وإلا فبعد مضي الأجل المحدد، فلا لوم عليه إن سلمه للإمام. وعلى ذلك كان الاتفاق، فخرج نادر، وصحبه الشيخ عبد الله الخليلي إلى الخوض، وابنه الشيخ علي بن عبد الله إلى مسقط، وبقي بالحصن إمامنا الحالي: محمد بن عبد الله بالنيابة عن أبيه، فرأى أحوالًا توجب تسليم الحصن إلى الإمام سالم، فسلمه إليه قبل رجوع أبيه من الخوض، وقبل تمام الأجل المحدد، فبقي الإمام بالحصن؛ لاعتقاده أن السادة لا ترجع إليه، بعد ما خرجوا منه، وأن الشرط غير معتبر، إنما هو معرض إقناع.

وصل الخبر إلى الأمير الخليلي ببلدة الخوض، فرجع إلى سمائل، وقلبه يتميز غيظًا. ومن اعتاد الإمرة والعزة يرى أن ذلك انتقاصًا لقدره وانتهاكًا لحرمته. وانتهى خبر حنقه وغيظه إلى الإمام، قبل وصوله سمائل، وانتقل من الحصن احترامًا له وتسكينًا لجأشه، وبقي الإمام في ضيافة إمامنا الحالي، بمحلهم المعروف (سحراء) وأقام الأمير الخليلي بالحصن إلى انتهاء المدة المقررة، ثم خرج منه وتركه للإمام. وبهذا السبب وجد الساعة سيئلاً لصدع العصاة والغواة مجالًا لبث الهوى، فسعوا بينهم سعي متآله بالنصح، والخسران في السعاية أكثر من الربح، فهم لا يسكنون عن الخطب لإشعال نار الفتنة، كلما قاربت الخمود، فجرحوا قلبه، وأوغروا صدره، بنميمة لا أصل لها، نتيجتها إذلاله، والاستهانة به. وكيف يقر على ذلك، وهو ممن عرف مقامه، محاط بمجد لا يدرك شأوه بين قوم يفضلونه على أنفسهم، ويرونه أليق بالإمارة عليهم من غيره، ما زالت الحالة على ذلك حتى أزعجه غليان الشنينة

العربية والنفس الأمانة، فخرج من دار إمارته إلى جوار السلطان تيمور بن فيصل في شهر المحرم سنة ١٣٣٢ فأقام في ظله إلى أن دعا الأمر إلى خروجه إلى بحبوحة الباطنة، ومنها إلى بلدان الحواسة، فكان له استقبال واحتفال، كما هي عادة العمانيين للأشراف والأجلاء. وقبل ترجمه عن رحلته أتته رمية سائبة من غير عمد، فأصابته فكانت سبباً لحفته. بهذا غضب السلطان على رئيس الحواسة سيف بن محمد، فأودعه السجن سنوات عديدة ثم أطلقه. فما تجده من تحامل شعراء الدولة على الأمير الخليلي، هذا سببه. وأشدّهم تحاملاً عليه وعلى الأمير عيسى شاعر العرب أبو مسلم في نونيته وميميته؛ ففي نونيته قوله:

أقول للبعض منكم وهو عن أسف والحر يأسف للأحرار إن شأنوا
قد كنت نخبة هذا المجد من قدم واليوم أنت على الأبواب ذبان

إلى آخر القصيدة يعنفه ويلومه. ويقول في ميميته:

أليس من الغم المميت وقوعها وطرف ولي الثار في الأمن نائم
فلان خام عنه وارتضى الضيم ملبساً وسالم فالإيمان ليس يسالم

ومن تحريضه للأمير عيسى:

فهل عند عيسى أن يقوم مقامه وهل عنده أن القعود محارم
فدى لك نفسي يا ابن صالح قم بها ودونك أسلاف كرام ضراغم
ولا تلق للتفنيد أدناً فإنه له بيعة صدق وقدر ملازم

في أبيات طويلة.

كانت وفاة الأمير الخليلي في جمادى الثانية سنة ١٣٣٢، وله من العقب إمامنا الحالي محمد بن عبد الله، وأخوه الشيخ علي، وكان علي أصغر سنّاً من الإمام بسبعة

أشهر. أما الشيخ علي فإنه بقي بجوار السلطان، وقد عمل له على وادي بوشر، حتى توفي بمطرح، يوم ٢٨ من ربيع الأول سنة ١٣٦٨ في عصر أخيه الإمام.

كان الأمير عبد الله الخليلي عالماً بفنون العلم أديباً، وعبقريته الشعرية غير مستنكرة. وله ديوان ضخم في الحماسة والفخر والغزل والنسيب، بلغني أن ابنه سيدي الإمام مزقه، ولم يبق منه إلا ما تداولته ألسن الناس.

فمن فخرياته:

لعمرك إني لا أبالي بحاسد	ولو كثروا ما هم لدي كواحد
فلا ظفرت مني الأعادي بعسورة	وإني على عوراتهم خير شاهد
وكيف أعادي من إذا ازددت رفعة	يموت ويأتي كل يوم بزائد
رمته فسي المجند عني بأسهم	أصابت مراميها ولست بقاصد
ألا مت فقد صادفت مني ماجداً	وهل قتل الحساد مثل الأماجد
ألسن بنجم يهتدي بي في السدجى	وغيث يروى سيله كل وارد
فلا قدمي تسمى لفسير جمائل	ولا قلمي يجري بغير فوائد
ولا حملتني ظلم قوم عشيري	ولا عذت من ظلم الزمان بحاسد
ولا قلت الأنصار والله ناصري	ولا همت الأعضاء والله عاصدي
فليس لغير المجند أمري بنافذ	وليس لغير الجود مالي بنافذ
إذا اعتد قوم للنوائب بالغنى	جعلت لنفسي عدة من عامدي
رعبت الورى طراً على قدر حالهم	وأصبحت للإخوان كابن ووالد
أبحث لهم مالي ووفرت عرضهم	وحاميت عنهم غائباً مثل شاهد

وله أيضاً:

زجرت شبابي والشيبية تزجر	ووقرت شيبى والمشيب بوقر
سواي بنيران الغرام معذب	وغيري بأذيال الصبا متعشر

فألبست دهري كله حُلل التقى
ونافست في العلياء كل منافس
على أنني لم أرض بالشمس خلة
فمالي والدينا تروم مكيسدي
أمثلي يعطي الغانيات زمامه
لم تدر أني ما أحرك ناظري
فذيبي من كل العيوب مطهر
فقصر كسرى عن مرامي وقصر
صبيًا فكيف الآن والفؤد مقمر
بفخ التصابي وهو جفن مكسر
وهل صاد ليث الغاب قبل جؤذر
لما لم يكن لي فيه عز ومفخر

إلى غير ذلك، وكما أن له في الفخریات أكثر مما ذكرناه، فله في النسيب والغزل والنشيب والمديح ما فاق به نظراءه، وها أنا أذكر له قصيدتين في الغزل الحماسي تدلان على اقتداره.

قال:

لعمرك لو شئت أن نلتقي
وجئت القيساني مجهولة
نرى السنجم حيران في سيره
يهز السهمك به رمح
فكم دون مية من فدفد
إلى ما أكابد فيك النوى
إليك خرقت صفوف العدا
إلى كل مسبعة مغربي
ولو أن غيري سمى لم يصل
إلى غير وجهك لم أنفست
لعمرك لولا الهوى لم أضم
وكيف أضام وكل الورى
ومن نور مشكاتنا نستضيئ

ركبت على الفرس الأبلق
وطرف الدجنة كالطرق
يصوب عينيه كالماحق
وترمي الكواكب بالبنادق
وكسم دون مية من فيلق
وحتى م نفسسي لم تشفق
ولم أخش من صارم أزرق
ومن كل ملحمة مشرقي
ولو أن غيرك لم أشفق
ومن غير طسرفكم لم أنقي
ولو لا محياك لم أعشق
إلى كل مجد بنا ترتقي
ومن ماء أبحرنا تستقي

ومن دوننا الفلق المشرق
وإن نزل الضيف لم نسبق
وهل لك يا ممي من مشفق

فمن يبلغ اليوم علينا
متى نُدع للحرب لم نعتذر
فهل لي في الحب من مسعد

وقوله:

نـاره ذات الوقـود
صـلي نـار الوعيد
فديسة غـير مقيـد
علـل في قـتلي سـعودي
مـن قـرب أو بـعيد
في الحـشا بـين الجـود
مـن شـقي أو سـعيد
وقـدوم فيـه عـيدي
بـشر قـلبي بـالوجود
شـتف أذني بالغريريد
أو مـا لـقـلبي بـالسجود
أشـعل نـيران الكـود
صـيده غـلب الأـود
مـن سـباء في بـرود
بـأزاهير العـود
وهـلال فـوق عـود
وتمـسات بالوعيد
وهـي أدري بالعميد

عش قلبـي في كـود (١)
إن دنـا مـن جـنة الخـلد
أحيـاة لـرهمـين
لا ورب البـيت ذري
أتـرى أهـدي سـلامـا
إنـني أحـسست بـردا
بأبيـه يومئذ حـبي
مـن وداع فيـه حـفي
بـأبي مـن بـشره
بـأبي مـن لفظـه ...
بـأبي مـن طـرفـه
بـأبي مـن خـده
بـأبي ظـبي ولكـن
بـأبي شـمس تجلـت
بـأبي غـصن تـنـي
غـصن بـان فـوق دـعـص
دميـة تـاهـت دـلا
عـاتبتني أي عـتب

(١) وفي نسخة: اشتف قلبي من كود.

يا مُنَى قلبى قلبى فزىدى	كل شيء منك حلوى
يـنجلي ليل السـدود	كم أصبح الوصل أضحى
سـفـيد والعـيش الرغـيد	كم تمتعنا بوصـل الـ
ونقـاب الخـرود	كم شققنا من رداء
وضـمنا من قـدود	كم أمطنا من لثام
ولـسنا من نهـسود	كم رشفنا من ثغور
فـاـخـتفى بـين النـجـود	كم طلبنا غور خـصر
نـجـتـنـي ورد الخـدود	كم على الحب وردنا
شـيـب من ريق الـبرود	كم شربنا من مـدام
يا له طوقاً بجـيـدي	طـوقتني سـاعديها
ووشـاح من زـنـودي	ولها منى نطـاق
مـر كـالظبي الطـريد	يا رعى الله زماننا
ذـكـره أبـلى جـديـدي	كلها مـر بـقلبي
لـسـك عـادات فـودي	يا ليلات التـهـاني

بيعة الإمام السعيد أبي خليل محمد عبد الله بن سعيد

في ضحى اليوم الثالث عشر والجمعة من شهر ذي القعدة، من سنة ١٣٣٨ ثمانية وثلاثين وثلاثمائة وألف، اجتمع العلماء والأعيان، وأرباب الحل والعقد بجامع نزوى، وأجمعوا على مبايعة الإمام محمد بن عبد الله الخليلي؛ لعلمهم أنه أفضل الموجودين اليوم بعمان وأعلمهم، وأنه جمع الشروط الشرعية التي تتوافر في القائم، وأنه القادر - بإذن الله - على عبء ما سيتحمله، وذلك بعد ما امتنع من القبول لأمرهم، وإصرارهم على إلزامه، ولم يأخذوا عليه تعهدًا ولا شروطًا، كما كانت

تؤخذ على الإمام الضعيف؛ إذ كان يحظى رحمه الله بالثقة المطلقة قبل انتخابه، مأمون الجانب على تقاليد الإمامة. وكان أعلم الجماعة الذين معه؛ بل أعلم من العاقلين عليه.

أول من بايعه شيخنا العلامة رئيس القضاء أبو مالك عامر بن خميس المالكي؛ الذي هو من بني مالك، وهو أحد العاقلين الإمامة على الإمام سالم بن راشد.

ثم الشيخ العلامة ماجد بن خميس العبري؛ وهذا الشيخ قد أدرك الإمامين: عزان بن قيس، وسالم بن راشد، وبايعهم وعمل لهم.

ثم الشيخ العلامة الزاهد أبو زيد عبد الله بن محمد بن رزيق الريامي، وهو أحد العاقلين على الإمام سالم بن راشد.

ثم الشيخ الأمير العالم عيسى بن صالح الحارثي.

ثم الشيخ العالم محمد بن سالم الرقيشي.

ثم الشيخ أبو علي سيف بن علي بن عامر المسكري.

ثم الشيخ حمدان بن سليمان بن سيف النبهاني.

ثم الشيخ مهنا بن حمد بن محسن العبري.

ثم الشيخ العلامة إبراهيم بن سعيد بن محسن العبري.

ثم الأشياخ العباهل الأوتاد أولاد هلال بن زاهر الهنائي.

ثم بقية العلماء والقضاة.

ثم الأمراء والرؤساء.

ثم الخاصة.

ثم العامة.

ولم يحضر الشيخ الزعيم سليمان بن حمير النبهاني مجلس العقد في ذلك اليوم لعذر، وإنه لأحد الناهضين بأعباء الأمر، وكان عنه بالنيابة العلامة أبو زيد عبد الله بن محمد الريامي، والشيخ منصور بن ناصر المجعلي حاكم جزيرة مصيرة، رئيس الجنبه، فشكر المسلمون سعيه واجتهاده، وقيامه في جمع الشمل؛ إذ كان الموقف حرجاً.

ثم حضر الشيخ الحميري بعد ذلك اليوم، فبايع وناصر.

بعد أن انتهت البيعة قام العلامة أبو مالك، فخطب في الناس خطبة العقد، ثم قام بعده أبو زيد، فخطب في العسكر. وبعد انتهاء الخطبتين انفض المجلس، ودخل الإمام دار الإمارة، ففتحت له الأبواب، وسلمت المدافع بالبشر، وقام الصادح والباغم بالنشر.

هنا محاذك العزاء المقدما فما عبس المحزون حتى تبسما

كيف يقضي ساعاته؟

يقيم بحصن نزوى، واتخذ مقرأ له، وفيه يستقبل الزوار والوفود، ويشرف على أحوال الدولة وشئون البلاد، وينهض في الثلث الأخير من الليل، بل لا يهدأ الليل إلا قليلاً، حتى إذا حضرت صلاة الفجر صلى بالناس جماعة، فيقعد في مجلسه ذلك

لتلاوة القرآن العظيم، ويقعد من صلى بالجماعة عنده حتى تطلع الشمس، ثم يؤتى بالفطور؛ وهو الرطب في أوانه، أو التمر والقهوة البنية، فيلبث بعد ذلك نحوًا من ساعة، ثم يدخل مسكنه فيغير لباسه، ويصلي ما شاء الله، ثم يخرج للناس، فيقعد في مجلسه، ويؤذن للخاصة والعامة، غير محتجب ولا ممنوع، فبابه مفتوح للضيف والمظلوم، وماله مبذول للسائل والرافد والمحروم، وسيفه مسلول للجائر الغشوم، تكون الأحكام الشرعية بحضرته، أكثر ما يفصلها القاضي بعد إطلاعه عليها. أما أحكام الحدود فيتولى فصلها بنفسه بعد مشورة العلماء؛ لما فيها من الخطر عند الله، وللتنقيح في آراء العلماء والقضاة، فيبقى في مجلسه ذلك إلى حضور صلاة الظهر. وفي بعض الأحيان يقوم قبيل الظهر بمقدار نصف ساعة، خصوصًا وقت الصيف، للاستراحة والقيلول، ثم يخرج فيصلي بالناس، إما بالجامع أو في غرفة الصلاة بالحصن. وبعد الظهر يبرز الناس خارج الحصن إلى حضور صلاة العصر، فيصلي بهم في الجامع، ثم يدخل الحصن، فيأمر بإخراج الطعام للناس والأضياف على قدر مراتبهم، ثم يحضر لصلاة المغرب بغرفة الصلاة، فيصلي بالناس، ويقعد للمذاكرة، والمباحثة في العلوم، فيحضره جماعة من العلماء والطلبة. وقد أفرد هذا الوقت لهم، حتى تكون الساعة الثالثة، فيصلي بهم العشاء الآخرة، فيدخل محله الخصوصي، فيحيي ليلته قيامًا وقراءة، لا ينام إلا خيالًا.

ما تفرد به الإمام من المسائل

كان مرجع العمانيين في حل مشكلات العلم وفك عويصها، وله آراء معروفة في الأحكام، تفرد بها، وخالف في بعضها أصحابه المشاركة بل جمهورهم، ورجح بعض الأقوال. وهذا ما حضرني وقت الكتابة:

الأولى: صلاة ركعتين بعد صلاة الجمعة في الجامع، والأمر بهما ندباً، لا يصلونها في المسجد؛ عملاً بحديث ابن عمر عند الربيع؛ وكان لا يصلي بعد الجمعة شيئاً حتى ينصرف الحديث.

الثانية: صلاة التراويح ثماني ركعات جماعة، وصلاة ركعتين راتبة العشاء قبلهن فرادى.

الثالثة: من أفسد رمضان تعمداً فليكفر، وليصم ما أفسد لا ما مضى خلافاً للجمهور.

الرابعة: حمل ما سقي بالزجر على ما سقي بالنهر في النصاب، وإخراج الزكاة من كل بحسابه.

الخامسة: يفتي ويحكم في البيعين إذا اختلفا، في المبيع، والبيع قائم، تحالفاً وترادداً، إن لم يكن بيان في الثمن، القول قول البائع مطلقاً، ولو كان المبيع بيد المشتري.

السادسة: من باع نخلاً وقد أبرت، فثمرتها للبائع، إلا أن يشترطها المشتري.

ويرى من فروع هذه المسألة: أن من اختار ماله، وقد أبره المشتري؛ فالثمرة له ولو لم تدرك.

السابعة: يقول بتحريم ربا الفضل ولو كان ذلك يدًا بيد.

الثامنة: أن من ابتاع سلعة ثم أفلس، فوجد المشتري سلعته بعينها، فهو أحق بها من سائر الغرماء؛ عملاً بحديث الربيع.

التاسعة: أن المولي عنها إذا أخرجت عن زوجها بتمام مدة الإيلاء، فعليها عدة الطلاق، ولا يكفيها مضي تلك المدة عن العدة.

العاشرة: حكم بالشفعة للغائب في غير غزو ولا حج.

الحادية عشرة: حكم بالشفعة في القياض، ولو كان أصلاً بأصل، وعلى الشفيع ثمن ما دفعه ذو شفيعته في مقابلها.

الثانية عشرة: لا يرى الكلام والسؤال ونحوه من الشفيع مبطلاً للشفعة.

الثالثة عشرة: لا يرى رد اليمين على المدعي، إلا أن يقبل أن يحلف على حقه جمعاً بين الأحاديث، وقد سبقه إلى هذا قطب الأئمة رضوان الله عليه.

الرابعة عشرة: يرى الإسقاط بالجوائح السماوية، إذا بيعت الثمرة بعد الدراك؛ عملاً بحديث رواه مسلم، أمر بوضع الجوائح.

الخامسة عشرة: لا يرى بأساً بالصلاة على الصوف، ولم ير للمانع حجة إلا الاستدلال بمفهوم اللقب.

السادسة عشرة: أجاز بيع المدبر في دين أو حاجة؛ عملاً بالأحاديث، ويرى أن العمومات التي تعلق بها الجمهور لا تنهض لمعارضتها.

السابعة عشرة: يرى أن من كان ماله عبيداً، فأعتقهم في مرضه، أو أوصى بعتقهم كلهم، فيعتق منهم الثلث بالقرعة، ويسترق الباقيون؛ عملاً بالحديث الوارد في ذلك، ويدفع به في صدر القياس.

الثامنة عشرة: يرى أن من سافر عن زوجته، وأطال الغيبة، وخافت العنت ورفعت إلى الحاكم أمرها، له أن يطلقها دفعًا لضررها؛ لأن الشارع راعى ذلك وجعل للنساء على الرجال حقًا غير الإنفاق. ومن ذلك الحق العشرة، ولكن لا يطلقها الحاكم إلا بعد الاحتجاج على الزوج، إن كانت الحجة تناله.

التاسعة عشرة: يأخذ بمذهب زيد بن ثابت في ميراث الغرقى والهدمي، وأن لا يورث هالك من هالك.

التممة عشرين: يرى أن لا فرق بين الغائب والمفقود، وأن مدتها واحدة: أربع سنين، محتجًا بالقضية الواقعة في عهد عمر رضي الله عنه.

وقد قرأت عليه هذه المسائل، في الغرفة المعروفة بغرفة الإمام بحصن نزوى، وما أنكر إلا واحدة، رفعها لنا عنه أحد القضاة، فحذفناها ولم يشبها.

وصف الأجنبي للإمام

كتب المؤرخ بشركة الزيت، في كتابه المسمى عمان ص ١٠٧، في عظمة الإمام وعلو مكانته بين قومه، قال المؤرخ: من العسير طبعًا أن يزن الإنسان شيئًا غير محسوس، كالهئية الدينية، بالمقابلة مع القدرة الحربية، ولكن طبيعة الدولة الإباضية نفسها تقتضي أن يعترف للإمام بأنه صاحب السلطة العليا. انتهى.

يستند الإمام في حكمه على الأكثر إلى هبة منصبه الديني، ولا يعتمد على جيشه الكبير ص ١٠٥.

وفي رحلة نسيجر الإنكليزي المتسمي عند رحلته لعمان (مبارك بن لندن) أن البدو يعترفون بالإمام سيداً لهم، وكثيراً ما تسمع بينهم عبارة: (أطال الله عمر الإمام)، وهم يعنونها بإخلاص كلما قالوها؛ وذلك لأن الإمام نشر الأمن والعدل بين ظهرانيهم، بما وفق إليه من حل مسائلهم، وفض الخلافات بينهم. فهنا يستطيع الرجل أن يسير غير مسلح، وأن يترك إبله بغير حراسة، دون أن يخشى من يعتدي عليها بالنهب. أمّا نحن وقد تعودنا اضطراب الأمن المستعصي في الظاهر، فكنا قد احتفظنا ببنادقنا على منال مناء، حتى قال لنا بعض آل وهيبة، وهم يضحكون: إننا في أرض السلام.

أما استتباب السلام ولأمن في أرض الإمامة، فيذكر المعينون بشئون الجزيرة العربية، بما هي عليه الحال في المملكة العربية السعودية، وما يخالفها من حال، في بعض دويلات الجزيرة العربية، حيث لا تجد حاكماً قوياً، يحوز قبولاً دينياً عريقاً، يستمد منه سلطاناً لحكمه. انتهى كلامه.

خروج الإمام إلى الرستاق

رأى الإمام أن يكون أول أعماله استنهاض القبائل للدفع عن الرستاق، ومناصرة الشيخ ناصر بن راشد الخروصي، صنو الإمام الراحل، وإنقاذه من البغاة المحدثين به في حصنها، فخرج من نزوى في شهر ذي القعدة سنة ١٣٣٨هـ في صحبته الشيخ عيسى بن صالح وأعيان عمان. وفي أثناء تلك الحركة وصلت كتب السلطان تيمور بن فيصل إلى رؤساء العمانيين، يدعوهم إليه، وينصحهم: أن لا يعدلوا عنه مرة ثانية، ويخوفهم سوء العاقبة، فصادف رسله وكتبه يعود الإمام على كرسي الداخلية، كما أن الجيش الذي جهزه إلى وادي سمائل رجع من الطريق، لما

صح عنده هذا الاجتماع. واستخلف الإمام على نزوى في خروجه هذا العلامة أبو مالك، وترك الشيخ أبو علي سيف بن علي المسكري معاونًا له، ثم سار بجيشه ليزود عن المملكة ويدفع السيد أحمد بن إبراهيم عن الرستاق؛ لأن هذا السيد لما بلغه خبر وفاة الإمام الراحل انتهاز الفرصة، فكرَّ على الرستاق؛ لكونها سلبت منه قريبًا، فعاجلها لينال غرضه، ظنًا منه أن المر لا يستقيم مرة ثانية، وأنه لا بد أن يكون اضطراب وارتباك وخلل، فشدد الحصار على عاملها الشيخ ناصر بن راشد الخروصي، وعاضده على ذلك الشيخ ناصر بن راشد الغافري أمير خُفَدي، بسبب الموجدة التي أسرها في نفسه على عامل الرستاق.

حمل الإمام من بيته الذي بسماثل دون بيت المال، ما يحتاج إليه من سلاح ورصاص ودراهم، ما يكفي لهذه الغزوة، ثم نزل بفنجا، ثم بالخوض، ثم وادي معولة بن شمس، فاستنهضهم وجيرانهم أهل نخل، فعسكر بجيشه في بلدة العوابي، ورأوا التمهّل في الأمور، وإرسال عاقل لبيب؛ ليكشف لهم نوايا السيد أحمد وما انطوى عليه، ويبصره الخبر، ويسأله موافقة المسلمين في الخروج من الرستاق بغير حرب، فاختاروا من رجالهم الشيخ أحمد بن حامد الرواحي، فخرج إليه، فلم تنجح مقالته عنده، ولا أصغى لكلامه، لما يراه لنفسه من المزية، وما يمارسه من الأريحية. كيف وقد توطن بحبوحة البلاد، ووجد أنصارًا يؤيدونه فهو يطمع في نجاح مطلبه، والتوصل إلى غرضه، ونيل حقه المسلوب منه، فرجع الشيخ إلى الإمام، وقص عليه الخبر. وكان الإمام حريصًا على دماء المسلمين أن تراق عبثًا، مع قلة العمانيين وضعفهم، فاستعمل السياسة التي رجا فيها النجاح، فأرسل الأمير عيسى إلى الشيخ ناصر بن راشد الغافري أن يوافيه بالعوابي. وكان الشيخ الغافري يرى للأمير حقًا لا يراه لغيره، فهو يعتقد أنهم من عنصر واحد، فلذلك يمثل لأوامره.

اجتمع الشيخان، فبحثا الموضوع، واتفقا أن يقوم الغافري، فيحتال لإخراج السيد أحمد من الرستاق، حتى يخرج إلى حصنه بالحزم، وهو مركزه الباقي بيده، بعد خروجه من الرستاق، فرجع الغافري من العوابي، يحمل سياسته التي تكفل بها، وتأجل إنفاذها أجلاً، عرفاه بينهما، فسعت عقاربه تدب، وسرت عواصفه تهب، وعقد لواء الغدر، ودخل على سيده من باب المكر، فأوصد عليه أبواب مقصده، وسد عليه منافذ مرصده، وفتح له أوهاماً عرف منها السيد بواره عليه، وانقلابه عنه، وخروجه عليه. ولا عجب فاللهي تفتح الله. فلم ينته الأجل الذي حدده الغافري لنفسه حتى خرج السيد أحمد من الرستاق بغير قتال، ودخلها الإمام على أحسن حال، فنظم أمرها، وجمع شملها، وجعل السيد هلال بن علي البوسعيدي والياً عليها، وهذا السيد من أبناء عم السلطان سعيد بن تيمور، فبقي بها إلى أن توفي، وكان عاملاً للإمام الخروصي على يديه قبل ذلك، ثم أبقي ابنه محمد بن هلال والياً بالرستاق، حتى عزله الإمام، وجعل مكانه الشيخ الولي علي بن هلال الهنائي، وصلحت البلاد، وآمنت العباد، فكان بها إلى أن توفي رحمه الله. وفي اليوم الثاني من ذي الحجة من السنة المذكورة، فسح الإمام للجند، واستعمل الشيخ ناصر بن سعيد الخروصي على العوابي، فخرج من الرستاق إليها.

الاجتماع بالسيب

حضره الأمير عيسى بن صالح، بالنيابة عن العمانيين، والشيخ العلامة سعيد بن ناصر الكندي، والمستر ونكيت «أي سي اس» باليوز، وقنصل بريطانيا الذي هو مفوض من دولته أن يكون واسطة بينهم، فكان اجتماعهم ببلد السيب من الباطنة،

فَعَقِدَ مَعَاهِدَةً بَيْنَ الْعُمَانِيِّينَ وَالسُّلْطَانِ تَيْمُورَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ التَّاسِعِ مِنْ شَهْرِ
الْمَحْرَمِ مِنْ سَنَةِ ١٣٣٩ هَجْرِيَّةً، وَهَذَا صِفَةُ الْإِتْفَاقِ:

نَقْلُ مَعَاهِدَةِ السَّيْبِ الَّتِي بَيَّدَ الْعُمَانِيِّينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الصَّلَاحُ بَيْنَ حُكُومَةِ السُّلْطَانِ تَيْمُورَ بْنِ فَيْصَلٍ، وَالشَّيْخِ عَيْسَى
بْنِ صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَارِثِيِّ، نِيَابَةً عَنِ الْعُمَانِيِّينَ، الَّذِينَ يَمْضُونَ أَسْمَاءَهُمْ هُنَا بِوِاسِطَةِ
الْمُسْتَرِ وَنَكَيْتِ (أَيِّ سَيِّ إِسْ) بِالْيُوزِ، وَقَنْصَلِ الدَّوْلَةِ الْبَرِيطَانِيَّةِ الْعَظْمَى بِمَسْقَطٍ،
الَّذِي هُوَ مَفُوضٌ مِنْ دَوْلَتِهِ فِي هَذَا الْخُصُوصِ، وَأَنْ يَكُونَ وَسِيطاً بَيْنَهُمْ، وَالشُّرُوطِ
الَّتِي بَيَّانَهَا أَرْبَعَةٌ: مِنْهَا تَخَصُّصُ حُكُومَةِ السُّلْطَانِ، وَأَرْبَعَةٌ مِنْهَا تَخَصُّصُ الْعُمَانِيِّينَ. أَمَّا الَّتِي
تَخَصُّصُ الْعُمَانِيِّينَ فَهِيَ:

الْأَوَّلُ: مِنْهَا أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَارِدٍ مِنْ عُمَانَ مِنْ جَمِيعِ الْأَجْنِاسِ إِلَى مَسْقَطٍ وَمَطْرَحٍ
وَصُورٍ، وَسَائِرِ بُلْدَانِ السَّاحِلِ، لَا يُؤْخَذُ مِنْهُ زِيَادَةٌ عَنْ الْمِائَةِ خَمْسَةٍ.

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ لْجَمِيعِ الْعُمَانِيِّينَ الْأَمْنُ وَالْحُرِّيَّةُ فِي جَمِيعِ بُلْدَانِ السَّاحِلِ.

الثَّلَاثُ: جَمِيعُ التَّحْجِيرَاتِ عَلَى جَمِيعِ الدَّخَالِينَ وَالْخَارِجِينَ فِي مَسْقَطٍ وَمَطْرَحٍ،
وَجَمِيعِ بُلْدَانِ السَّاحِلِ تَرْفَعُ.

الرَّابِعُ: أَنْ لَا تَأْوِي حُكُومَةُ السُّلْطَانِ مَذْنَبًا يَهْرَبُ مِنْ إِنْصَافِ الْعُمَانِيِّينَ، وَأَنْ
تَرْجِعَهُ إِلَيْهِمْ إِذَا طَلَبُوهُ مِنْهَا، وَأَنْ لَا تَتَدَاخَلَ فِي دَاخِلِيَّتِهِمْ.

وأما الأربعة التي تخص حكومة السلطان فهذا بيانها:

الأول: كل القبائل والمشايع يكونوا بالأمن والصلح مع حكومة السلطان، وأن لا يهاجوا بلاد الساحل، وأن لا يتدخلوا في حكمته.

الثاني: كل المسافرين إلى عمان في مشاغلهم الجائزة والأموال التجارية يكونوا أحراراً، ولا تكون تهجيرات على التجارة، ولهم الأمن.

الثالث: كل محدث ومذنب يهرب إليهم يطردوه ولا يأووه.

الرابع: أن تكون دعاوى التجار وغيرهم على العمانيين، تسمع وتفصل على موجب ما هو الإنصاف بالحكم الشرعي.

حرر هذا في بلد السيب يوم الحادي عشر من محرم سنة ١٣٣٩ هـ، ومطابق ٢٥ سبتمبر ١٩٢٠ م.

هذا نقل المکتوب في القرطاسة التي فيها تصحيح العمانيين. وكتبه عيسى بن صالح بيده.

نعم صحيح وثابت أن هذا هو نقل الاتفاق الذي وقع ما بين حكومة سمو المعظم سلطان السيد تيمور بن فيصل والعمانيين، بواسطتي وبحضوري. كتبه بأمره احتشام المنشي بيده. حرر بمسقط في ١٢ من سبتمبر سنة ١٩٢٠، موافق ٢٧ من محرم الحرام سنة ١٣٣٩.

صحيح المستر ونكيت «سي إس» باليوز، وقنصل الدولة البريطانية العظمى بمسقط.

نقل معاهدة السيب التي بيد السلطان

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اتفق عليه الصلح بين حكومة السلطان تيمور بن فيصل، والشيخ عيسى بن صالح بن علي الحارثي، نيابة عن العمانيين الذين يمضون أسماؤهم هنا بواسطة المستر ونكيت (أي سي إس) باليوز، وقنصل الدولة البريطانية العظمى بمسقط، الذي هو مفوض من دولته في هذا الخصوص، وأن يكون وسيطاً بينهم، والشروط الآتي بيانها أربعة؛ منها تخص حكومة السلطان، وأربعة أخرى تخص العمانيين. أما التي تخص العمانيين فهي:

الأول: منها أن يكون كل وارد من عمان من جميع الأجناس إلى مسقط ومطرح وصور، وسائر بلدان الساحل لا يؤخذ منه زيادة عن المائة خمسة.

الثاني: أن يكون لجميع العمانيين الأمن والحرية في جميع بلدان الساحل.

الثالث: جميع التحجيرات على جميع الداخلين والخارجين في مسقط ومطرح، وجميع بلدان الساحل ترفع.

الرابع: ألا تأوي حكومة السلطان مذنباً يهرب من إنصاف العمانيين، وأن ترجعه إليهم إذا طلبوه منها، وألا تتدخل في داخليتهم.

وأما الأربعة التي تخص حكومة السلطان فهذا بيانها:

الأول: كل القبائل والمشايخ يكونوا الأمن والصلح مع حكومة السلطان، وأن لا يهاجروا بلاد الساحل، وألا يتدخلوا في حكومته.

الثاني: كل المسافرين إلى عمان في مشاغلهم الجائزة والأمور التجارية يكونوا أحرارًا، ولا تكون تحجيرات على التجارة ولهم الأمن.

الثالث: كل محدث ومذنب يهرب يطرده ولا يأووه.

الرابع: أن تكون دعاوى التجار وغيرهم على العمانيين تسمع وتفصل، على موجب ما هو الإنصاف بالحكم الشرعي.

حرر هذا في بلد «السيب» يوم الحادي عشر من شهر المحرم سنة ١٣٣٩. قد أتممت ما أتمه الشيخ عيسى بن صالح عني من هذه الشروط. كتبه إمام المسلمين الإمام محمد بن عبد الله بيده.

أقول - وأنا نائب إمام المسلمين محمد بن عبد الله الخليلي -: إني رضيت الشروط المحررة هنا بتفويض من إمام المسلمين. وكتبه عيسى بن صالح بيده وسليمان بن حمير بيده.

صحيح زاهر بن غصن الهناوي بيده.

صحيح حمد بن مسلم الندابي.

صحيح خلف بن ناصر بن محمد المعولي بيده.

صحيح ثاني بن حارث الجابري بيده.

صحيح محمد بن سيف بن سعيد الجابري بيده.

صحيح مهنا بن حمد بن محسن العبري بيده.

صحيح عبد الله بن هلال بن زاهر الهنائي.

صحيح محسن بن زهران السيابي.

صحيح سيف بن سالم بن عامر الحبسي بيده.

صحيح رسم إيهام محمد بن سلطان بن منصور الوهبي.

صحيح خلفان بن محمد الهدابي بيده.

صحيح حمدان بن سليمان بن سيف النبهاني.

صحيح ناصر بن حميد بن راشد الغافري بيده. وولده محمد بن ناصر بيده.

عرضت عليّ هذه الوثيقة الاتفاقية الرسمية التي بلغت أسنى أوج الاتحاد بين الشيخ عيسى بن صالح بالنيابة، كما حرره أعلاه وبين حكومة السلطان السيد تيمور بواسطة المستر ينكيت (أي سي إس) قنصل الدولة البريطانية العظمى بمسقط، كما هو محرر أيضًا بالتفويض الخصوصي، فرسمت بيدي هذه الأسطر، وحدث الله على ذلك. وكتبه سيف بن علي بن عامر المسكري بيده.

ولم تحدد المناطق بين الطرفين في هذه المعاهدة. يحاول سلطان مسقط أن يوهم أن نفوذه يمتد إلى الداخلية، وتحاول الإمامة تصفية حكمه، وطرده الأجنبي الذي يتوكل عليه.

وكتب الإمام:

بسم الله الرحمن الرحيم

من إمام المسلمين محمد بن عبد الله إلى المشايخ الكرام الحشام، الإخوة عامر بن خميس المالكي، وسيف بن علي المسكري، سلمهما الله تعالى: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، محبكم بخير من فضل الله، لا زلتم بحال الخير وما هنا علم إلا إجراء الصلح بيننا وسلطان مسقط، بواسطة الباليوز، وتمت المكاتبة على تنزيل العشور من المائة خمسة، وعلى تأمين الطرق البحرية والبرية، لكل صادر ووارد، وعلى رد كل من يحدث بعمان حدثاً، لأخذ الحق منه، وعلى عدم المعارضة لأهل عمان في داخليتهم كلها من غير استثناء، وعدم المعارضة في أحكامهم، والقرطاسة التي بها رسم الصلح واصله إليكم، انظروها وضح فيها أيها الشيخ سيف بن علي وبقية الأخبار بلسان سعيد بن عبد الله الهاشمي، هذا ما لزم بيانه في الحال. والسلام عليكم، وعلى من شتم من هنا الشيخ زاهر بن غصن، والوالد صالح بن أحمد، ومحرمه حمد بن حميد بيده ١٣ من المحرم سنة ١٣٣٩.

وعبر عن هذه المعاهدة بعض المؤرخين المسيحيين بقوله:

وفي أوائل عام ١٣٣٩هـ (٢٥ سبتمبر ١٩٢٠م) وقعت حكومة سلطان مسقط، وممثلو أهالي عمان معاهدة السيب، وكان ذلك على ساحل الباطنة، بتوسط الوكيل السياسي البريطاني «ونجيت». وكان رئيس مندوبي أهالي عمان الشيخ عيسى بن صالح الحارثي. وهو صديق حميم، ومناصر قوي للإمام الجديد محمد الخليلي. وقد عملت كل من الحكومة البريطانية، وحكومة مسقط، جاهدتين على تمحيش نشر نص المعاهدة وذكر في عام ١٣٤٥هـ (١٩٣٦م) الكابتن إكلز، وهو ضابط بريطاني، قضى زمناً طويلاً في خدمة السلطان في بيت أفليج، وكان خبيراً في شئون السلطنة. قال:

لقد وقعت معاهدة بين مسقط، والشيخ عيسى، وهي «اعتراف فعلي باستقلاله» مجلة جمعية آسيا الوسطى مجلد ١٤ (١٩٢٧م) ص ٢٤.

ويقول تقرير أعد لوزارة الخارجية البريطانية عام ١٩٥٠: «في الحقيقة إن قبائل الداخل يعتبرون أنفسهم بموجب معاهدة السيب عام ١٩٢٠م، مستقلين تمام من سلطة السلطان».

وقد أورد إكلز الملاحظات التالية ص (٢٣-٢٤):

«ولذلك سوف نقصر حديثنا على الأراضي التي تدعي حكومة مسقط بالسيادة عليها؛ مع أن القسم الأكبر منها في الواقع مستقل تمام الاستقلال». ويقول مرة أخرى: «إن مراسيم السلطان لا يكاد يكون لها أي وزن خارج جدران مسقط» إكلز ص ٣٨. ويكتب مرة ثالثة:

«فقد عقدنا نحن والفرنسيون والهولنديون والأمريكيون معاهدات مع سلطان مسقط، منذ بداية القرن التاسع عشر، ولكن سلطنة مسقط قد تغيرت نوعاً ما، منذ ذلك الوقت، فقد انحصر حكم السلطان في مواني الشاطئ، وكاد يصبح انعدام سلطته في الداخل أمراً معترفاً به: إكلز ص (٤٠-٤١)».

إنَّ سلطة السلطان في الوقت الحالي مقصورة على عاصمته والساحل، وإن داخل عمان والغرب والشمال منها، أو بعبارة أخرى: القسم الأكبر من السكان لا يعترفون بسلطته، ويعيشون مستقلين عنه بالفعل تحت زعمائهم، وهم يدعون أن هناك اعتباراً دينياً لاتخاذ هذا الموقف؛ فإن لقب السلطان في هذه الأيام هو السيد، وليس الإمام. وأن طوائف الإباضية السائدة فيما بين حكام عمان تمنح هذا اللقب الأخير لحكامهم، لا على أساس أنه حق لهم، وإنما على أساس كونهم ذوي مؤهلات دينية استثنائية.

دليل الأميرالية مجلد ١، ص (٢٤٥-٢٤٦).

لقد وضح بجلاء أنه بعد الحاكمين الأولين من آل بوسعيد تخلت هذه الأسرة عن إجراءات الإباضيين القديمة للانتخاب، وعن لقب الإمام، غير أن الغربيين استمروا في استخدام هذا اللقب سنوات طويلة، بعد أن أصبح ذلك من الخطأ.

واللقب الذي يمنحه سكان الجزيرة العرب عادة للحكام المتأخرين من آل بوسعيد هو (السيد) وإن كان مضللاً قطعياً؛ لأنه قد يوحي الانتساب إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهو ما لم يدع به قط هذا البيت، وعلى مر الزمن لجأ الغربيون أيضاً إلى إطلاق لقب (سلطان) على حاكم مسقط، وفي عام ١٣٧٧هـ (١٨٦١م) اعترفت الحكومة البريطانية رسمياً بهذا اللقب. اهـ.

راجع باجر ملحق (أ) ص (٣٧٨-٣٨١) / ملحق (ب) ص (١٧٣-١٨١) وقد قدم إكلز عرضاً للعلاقات بين بريطانيا ومسقط، ولمؤهلات آل بوسعيد كحكام فقال:

ولا يكون هنالك أي شك في أن آل بوسعيد الأسرة الحاكمة كادت تندثر، لولا المعونة البريطانية، وقد ارتبطنا منذ عام ١٨٩١م بضمان الحماية في معاهدة لم تحتو على أي تحديد لوقت انتهائها، ومع أن السلطان الحالي رجل قدير، ويستحق الاحترام؛ إلا أنه ضعيف، وليس لديه أي طموح، وأفراد عائلته فاسدون ومنحلون، باستثناء البعض القليل منهم، ومع أنه يمكن أن نجد في الفروع البعيدة من هذه العائلة، بعض الرجال الأقوياء الذين لم تنهكهم حياة الرفاهية أو الخمول، إلا أن أفراد هذه العائلة على العموم أضعف من أن يواجهوا موجة من الرأي العام الشعبي، كتلك التي دفعت مؤسس العائلة إلى الحكم. ثم إن مبدأ الوراثة الذي ارتبطنا به، عند تعهدنا بحماية السلطان وخلفائه غريب على الشعور الإباضي، خصوصاً عندما تفرضه على بلادهم قوة أجنبية وكافرة (إكلز، ص ٢٤).

وفاة أبي الخير

وفي منتصف شهر صفر سنة ١٣٣٩هـ، توفي الشيخ العلامة الزاهد عبد الله بن غابش النوفلي بالولاء - رحمه الله، وغفر له - كان يعرف بالحبيشي ابن غابش، وشهر به، ثم تسمى عبد الله، وأصله من أهل ودام من الباطنة، خرج من النابل إلى ودي نام لبعض مهماته فمرض بالغلاجي، بلدة من أعمال المضرب، وثقل عليه المرض، فحمل منها إلى القابل على أكتاف الرجال، فتوفاه الله بالتاريخ المتقدم.

خرج أبو الخير من ودام من الباطنة، طالبًا للعلم الشريف، فنزل بالقابل، ولازم العلامة نور الدين، فكان من أكبر تلاميذه، ومهر في سائر فنون العلم، ودرس فيها.

وكان كاتبًا مجيدًا، يكتب عن شيخه تساويد التأليف والمراسلات، وإليه انتهت كتابة الصكوك والأوراق والوصايا الشرعية، وهو من أوحد أهل زمانه في الفقه والورع والديانة.

كان من حفظة القرآن العظيم، كثير التلاوة، ظاهر النسك والخشوع، محبًا للخلوة، يفضلها عن المخالطة، ملازمًا لبيته في غالب أوقاته، مكبًا على التعليم والعبادة، في غاية الظرف والعفاف والكفاف.

كان قارئًا، حسن التلاوة، جيد النعمة، عليه آثار النعمة.

أرسله الشيخ عيسى ونور الدين السالمي إلى جعلان الحسون؛ ليكون مساعدًا للأمير سعيد بن سالم الحسيني، لما خذله قومه وأرهبوا قاضيه الشيخ عبد الله بن سعيد، ومنعوه من الفصل في الأحكام، فخرج أبو الخير، وكان غيورًا مهذبًا، شديدًا في الحق لا تأخذه لومة لائم، فأفاد واستفاد، وحمد سيرته أهل البلاد، فكانوا

يرجعون إليه في فتاويهم ومهماتهم ونوازلهم، وبعد رجوعه من جعلان بمدة خرج إلى نواحي زنجبار، فأقام فيها نحو سنة، استفادوا منه فائدة عظيمة.

ولي القضاء للإمام سالم بن راشد الخروصي على بديّة، ثم ولي له القضاء على إبراء، وبعد برهة تكفل بوظيفتي القضاء والولاية، فاجتهد وشمّر. وكان رحمه الله متبرماً من ذلك، ويخاطب الإمام في العذر من ذلك لتحرجه، ولما يراه من أهل زمانه، ولما رأى الإمام إلحاحه عذره، ورجع إلى بلاده ملتزماً بإعانة المسلمين في كل ما ينوء بهم من الدواعي إلى أن توفي.

مؤلفاته: رسالة سماها «كلمة الصدق في تأييد الحق». وأرجوزة في الميراث. وأرجوزة في الأصول. وله قصائد طنانة، ومراسلات حسان.

عودة خلفان بن ثنيان إلى نخل

في شهر المحرم عام ١٣٣٩هـ رجع الإمام من الرستاق بعد استقرار أمرها، وأقام ببلدة بنخل، وكانت بها شعابث، أثارها الشيخ خلفان بن ثنيان الحراصي، بعد قتل أخيه أحمد؛ فإنه أقام بالرميس، من ناحية الباطنة، وعنده جماعة من اللصوص وقطاع الطرق، فشنوا الغارات المتوالية على نخل، وشدّدوا المضايقة على أهلها، وكانت حكومة مسقط ظهراً لهم، فسفكت بها دماء كثير من العلماء الأفاضل، وبإشارة بعضهم توسط الشيخ سالم بن عمير بن حنظل المعمرى، أحد أعيان الحارثين؛ لحسم هذه المفسدة، وقطع شأفة العدوان، بأن يرجع خلفان بن ثنيان إلى نخل، وأن يكون في سلك المسلمين؛ رجاء أن نفوز البلاد باستئناف الراحة والأمن

والاطمئنان، وظناً منهم أن به من الأنفة العربية والشيمة الحرة ما يحجزه عن التهور في المستقبل.

خرج إليه الشيخ المعمرى، واجتمع به، فعاتبه على أفعاله الدنية وأعماله الردية، فأظهر الندم والأسف والتوبة عما سلف، فقبل كلامه ورجا أوبته.

رجع الشيخ المعمرى إلى الإمام يخبره، وكان الأمر شورى، فأحضر الإمام العلماء والأعيان، فكلهم رأوا السكوت عنه، والقبول منه لعدم القدرة عليه في ذلك الوقت. فأقبل خلفان يسعى، وما هو إلا الأفعى، فأقروه رئيساً على أهل نخل، وأجرى عليه من بيت المال كفايته، وجعل الإمام الشيخ محمد بن سالم الرقيشي متكفلاً بوظيفتي القضاء والولاية.

بقي خلفان برهة من الدهر مستقيماً، ثم انعكس، ولا يتحول الصبر عسلاً. وفي ذلك يقول شيخ البيان:

مذ كان أصل الجور عنها غائباً	ردوه فيها للصالح الشامل
قد أخطأوا نظراً فإن حضوره	قد زاد بغياً في القيام الطائل
ما كل مجتهد بصير موفقاً	في الخير أجبر باجتهاد العامل
واختار موسى جاهداً من قومه	سبعين فانقلبوا بحالة جاهل

حادثة نخل

لما رجع الشيخ خلفان بن ثنيان إلى نخل، بقي فيها أياماً، تنقل عنه الألسن كرماء، والأفواه حمداً، حتى نزغت به النوازع الشيطانية، لشؤم جده العاثر، فتحركت نفسه السبعية إلى ما خبأته، وأثارت طبيعته الغريزية ما أكتته وحوته، فبسط يده إلى أموال

الأوقاف، ومدها إلى عسف العباد، وإرهاق أهل البلاد. وكاد أن يتجاوز الحد، فيتناول العامل بالحق، فبث العامل إليه النصائح الودية، فما زادته إلا غلواً واستكباراً، فرفع أمره إلى الإمام، فكتب إليه النصيح، فشمخ وأنف، ثم أعذر إليه بعد الاحتجاج، فبطر واستخف، وما درى أن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة. جهز إليه الإمام سرية من رواحة يرأسها الفاتك سيف بن حمود بن محمد، وعزره بـحمد بن سعيد القنط، ومحمد بن سعيد بن سواد وغيرهم، فنزلوا بوادي معولة، واجتمعوا بالعامل الشيخ الرقيشي، وأبدوا له ما أمروا به، فخرجوا إلى خلفان والشيخ الرقيشي أمامهم، في الساعة الثالثة من النهار، من يوم الثاني عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٣٤١ هـ، فوجدوه بمجلسه العمومي، فأثاروا عليه الرصاص، فخرَّ صريعاً، وقتل عنده خادمه رصاص، وجرح آخر يسمى خلف بن محمد ولد المعلم، ورجعوا إلى الحصن، فسمى الصريح إلى من تعصب له بالباطل، ومن كان يساعده على البغي، من بني جابر وبني حراص والسيابين وبني عوف، فأحدقوا بالحصن، وضيقوا المسالك، وأحكموا الفجاج والروابي، والقائد لهم على ذلك ابن أخي المقتول: حمود بن سالم بن ثنيان، وزهران بن محمد بن طالب الحراصيين، فبلغ الخبر إمام المصريف فخرج إليهم عن طريق عقبة قري وعسكر بوادي معولة، وقدم إليهم النصائح، ووعدهم جميلاً، فأعاروه أذنًا صماء، ثم دعاهم إلى الأحكام الشرعية، فأبوا من ذلك فأرسل إلى قواده وأنصاره، فاجتمعوا إليه، وأرسل إلى الشيخ عيسى، وكان ذلك الوقت مريضاً، فلما عوفي وافاه بمسلمات من وادي معولة، فكان وصوله يوم ثامن ذي الحجة سنة ١٣٤١، وقد أخذ في صحبته أعيان وادي سمائل، فأرسلوا شارفين إلى البغاة أداءً لواجب الدين، ولقيام الحجة على المعتدين، واحتراراً من سفك دماء المسلمين في غير شيء إلا بغي فادح وجور فاضح، فرجعوا إليهم بغير مفيد إلا العتو والعدا، فلم ير الإمام بعد إلقاء النصيح

إليهم، وعدم قبولهم له، محيصاً عن القدوم إليهم؛ ليكشف عن التضيق الواقع على أهل الحصن منذ شهر، فشرع في تعبئة جيشه ليلة عيد الحج، فأمر القائد الكبير أبا زيد عبد الله بن محمد بن رزيق الريامي، والزعيم زاهر بن غصن الهنائي، ومن عندهم من هناة ومعولة، أن يهاجموا البلاد من جبل عاقوم مشرقاً، إلى الجبل المعروف بالشيبة، وهو عرق من الجبل الأخضر. وأمر الشيخين: صالح بن أحمد، وعبد الله بن سليمان الحارثيين على أهل الشرقية، وأن يحلوا عليهم من جبل عاقوم إلى جبل الصافية، وأمر السيد هلال بن علي عامله على الرستاق، والشيخ ناصر بن راشد الخروصي، والشيخ مهنا بن حمد العبري على رجالهم، وأن ينزلوا عليهم من جبل الصافية إلى جبل ألبان، وأمر الشيخ أحمد بن حامد الرواحي ومن عنده من رواحة، أن يركبوا جبل ألبان، ولم يأذن لأحد من القواد بإطلاق النار، قبل أن يسمعوا وقع الشيخ أحمد بمن في الجبل. فلما أخذ الكل مقاعدهم، وبدأ المأمور بإطلاق النار حمل القوم حملة واحدة، وكان الوقت عند الفجر الأول، فنادى منادي الحمام: حيَّ على الأرواح، ومنادي الصلاة: حيَّ على الفلاح. فتعاطوا بالبنادق حتى كَلَّتْ، ثم بالقواضب حتى فُلَّتْ، ثم بالخناجر حتى بلغت القلوب الخناجر. والكل في موقفه صابر. فكل قتيل على تلك الآكام يتشحط في دمه، وكم جريح ساقط على قدمه، فلم ترتفع الغزاة إلا ورايات النصر ترفرف بالسعد على هامات الجند، فأطلقت مدافع الفتح، وحصل للإمام النجاح، وقد كانت الواقعة بيوم النحر، وما أدراك ما يوم النحر! يوم قلقل الجبال الشم، ونفر الوحوش من العصم، وفتحت البنادق كل أذن صماء. وما كان شيء ليقاوم صول المسلمين، فقد دخلتها الكتائب عنوة، وفر أهلها منها ضحوة، وبقي الإمام والأمير بمسلمات بعد الواقعة يومين. وفي اليوم الثالث من ذي الحجة الحرام عام ١٣٤١هـ دخل الإمام المؤيد حصن نخل، فأمر بهدم الصياصي، ونسف الدور التي تحصن بها البغاة، وقضى في نخل البغاة بالقطع قبل

انقيادهم، وقبض على الشيخ حمود بن سالم بن ثنيان، قائد البغاة من حارة الصعبة، وصفد بالحديد، ثم حكم الإمام بقتله، فأنفذ فيه الحكم بحصن نخل، وهرب المتجمعون بها في أقاصي الأرض، فطلبهم الإمام، والتجأ الشيخ زهران بن محمد الحراسي القائد الثاني ببلدة جما، مع من فر من جماعته وغيرهم، وطلبه الإمام إما الإذعان، أو الحرب، فلم يروا قبلاً لهم بالحرب.

ولم يحضر الشيخ سليمان بن حمير النبهاني هذه غزوة في أول الأمر، لما داخله من التعصب بالباطل، وبعد الفتح وصل بجنوده، ورد شوارد الهاربين، وتوجه بهم إلى الإمام بوادي معولة، وفيهم الشيخ القائد زهران بن محمد وأعيان قومه، فسأله الصفع عنهم، والتجاوز عن عثرتهم، فأقالهم وعفا عنهم، كما هي عادته؛ إذ كان رحمه الله رحيماً كريماً، غير فظ ولا منتقم.

وأبقى الشيخ الرقيشي بالبلاد آمراً ناهياً إلى عام ١٣٥٢ فعزل عنها، وأبدل مكانه محمد شبيهة السالمي. وبهذه الحركة انكسرت سورة أهل الفساد، وانقطعت آمال أهل العناد.

جملة الشهداء من أصحاب الإمام في هذه الحملة تسعة عشر رجلاً وامرأة، ومن البغاة، نقلاً عن الشيخ الرقيشي، نحواً من سبعين رجلاً.

وأطنب الشعراء في هذا الفتح، ولشيخ البيان محمد بن شيخان قصيدة فيها خبر الواقعة مستوفاة، قال من بحر الكامل:

دمغت شمس الحق ليل الباطل	ومحت أكف العدل رسم الجاهل
وتمايل الإسلام أعطافاً متى	قامت بنوه له بنصر عاجل
والعدل يصعد راقياً درج العلا	والجور يهبط هاوياً في السافل
وإذا تصادمت الكتائب والظبا	

حكمت بما يرجوه قلب الأمل

وأرى عداوات الرجال يزيلها
من يجعل الإسلام أصلاً يحترز
من يحفظ بالتوفيق يمضي مسرعاً
من يعتصم بالله يلق وقاية
من يرجو غير الله في الجلى ارتقى
من يُكرم الأحرار بحمد غبة العُد
في الناس أخلاق السباع فذا على
والرفق أنفع في عموم مصالح
ولقد علمت الداء قدماً والدوا
فالاكتفاء من المضرّة لازم
والناس أهل صلالة لم يهدم
وحوادث الأيام دولابية
والدهر ذو غير فكم من ساكت
إن كنت لم يزعرك عقلك في الذي
صانع لنفسك ما استطعت ولا تكن
إن كنت تطلب راحة وسلامة الدن
كسب معشر رتموا بنعمة عس
عزوا بعزته وأبدوا حربه
حق الكفور زوال نعمته ومن
ولرب قوم وافقوا أهل الهدى
ولربما فضحتهم البلوى ففروا
يا آل حراص مضى زمن لكم
ولقد حوى شرقاً سلالة طالب

وقع الحديد يفل رأس المائل
من أن يدنسه بشيء هازل
كالبرق في جسر المقام الهائل
من كل صدمة واقع أو قابيل
في هوة الأمر الشديد النازل
قبى بطول لا يزول وطائل
هذا بظلم يستطيل وباطل
والسيف أقمع في زوال الباطل
ويكسل قرح في البرية سائل
والقطع للمستأصل المستاكل
للحق غير مكاره وسلاسل
تجري معاكسة بحكم حائل
بالفكر أفصح من لسان القائل
تخشى ولا دين فخف من غائل
لأسود بيشة مُضغّة للأكل
بيا فرح فيها بقدر خامل
وهم بحسب عدوه في شاغل
بُغضاً أتلّك تكون حال العاقل
يشكر ففضل الله ليس بزائل
وسموا بسبق الفضل بين قبائل
من أولى التقوى فرار الجافل
في نصرة الإسلام همه كافل
منكم فمات على الجميل الأهل

هذي صفات الليث ما للشبل لا
هلا سلكتم في الرشاد طريقه
أم هذه أهواء نفسانية
يساليتكم لم تحربوا ووقفتم
لو كان عندكم لأهل العدل من
أحسبتمو أن الرقيشي اجترى
أو ليسه وإلى الإمام وفعله
لو كان كل القتل جورًا لم يكن
والله قد شرع الشرائع لم يدع
وأئمة العدل الخلائف في الهدى
والله أنزل في الكتاب عقوبة الباغي
ولمن يحارب ربه ورسوله
ولقد فشا من شيخكم خلفان ما
تغير أحوال ونصب مكائد
وأمر نخل لا تزال كثرة
مذ كان أصل الجور منها غائبًا
قد أخطأوا نظرًا فإن حضوره
واختار موسى جاهدًا من قومه
ما كل مجتهد بصير موفقًا
حتى تشاهر أمر خلفان وزاد
فأقام رب الخلق عبدًا بأسلًا
لله أنت فتى حمود لم تزل
لو لم يكن في عبس غيرك حسبها
لله يومك يا سلاله سالم

يقضوه أم فيه فتورة ذاهل؟
بسا وآخر مقروننة بأوائل
فيكم تسلسل أمرها من وائل
عنا وقوف محمد بن الفاضل
وُد صبرتم للمسلم النازل
جهلًا بكم هيهات ليس بجاهل
عن أمره حق وليس بباطل
بين الضلالة والهدى من فاضل
فيها اختيارًا للمريد الآمل
للأنبياء فلا جواز لمادل
وأوضح وهو أحكم فاضل
فجزاؤه ما قال أصدق قائل
ضاقت به نخل بحمل الكاهل
وتلاف أمسوال وقتل أفاضل
ما بين والده وأخرى حامل
ردوه فيها للصالح الشامل
قد زاد بغيًا في القيام الطائل
سبعين فسانقلبوا بحالة جاهل
في الخبير أجبر باجتهاد العامل
الهيل صبا فوق كيل الكائل
فأذاقه حر الحديد العامل
سيفًا يقطع كل بساغ غائل
شرقًا فكيف وهم كرميل حافل
فلقد أذقت الجور نُكُل الثاكل

أبنى رقيش أنتم أهل الهدى
لما رأيت حراس قتل أميرهم
من آل حراس وذبيان وأبناء
ذبيان أهمل الطول الأقصون
أساد كسل عريكة وراد
طلبوا زوال العار عنهم في الدنيا
أو ما دروا أن البنية في الهدى
هذي الصحابة بعضهم عادى أبى
قد آثروا ديناً رضا المولى ولم
وجنود حراس أبوا إلا الردى
كم باذل من وده نصحاء لهم
وإذا الهوى استولى على قلب الفتى
حذر الفتى لم يغن عن قدر وإن
أيغالون الغالبين ومن له
فتهافتوا بجنودهم وثبأ على
سدوا منافذها ولو أن الصبا
واستنزوا العاقوم من فيه ولم
شادوا مقاعد للقتال وقبلوا
وتمكنوا في نخل شاذان ولم
قد زين النجدي حرب المسلمين
واستقبلوا الحصن المنيع ودونه
واستقرحوا نفقاً له وتناولت
وامتدت الأعناق من قوم لهم
وتكاثرت فيهم ظنون أن في

وفتى العدا وبنو الوغى والنائل
جمعوا جموعهم لقتل القاتل
السيابي وجمع عوف السصائل
والأذنون من حزب السيابي الواصل
كسل شديدة أبطال كل مقاتل
والنار في الأخرى أشر منازل
ترمي الأبوة في الضلال العائل
ه أو ابنه في الكفر عند تقابل
تأخذهم فيه حيلة جاهل
بالمسلمين أو انقياد الفاعل
يا قومنا للنصح هل من قابل
لا يثنى عنه بعد العاذل
حاق القضا ضاق الفضا بالنازل
حسول على حرب القوي الطائل
نخل وسدوا كل ثغر مائل
مرت بها رجعت بأقوى حائل
يسدوا لأهل الحصن وقفة قائل
بالصمغ أوجه كسل قرم باسل
يدفعهم من أهل أو من ماهل
لهم فأوقعهم بشر آئل
شهب تخطف كل باغ خاذل
فسيهم لحصرهم غواصة جاهل
بمعاقل الإسلام قصد محاول
حزب الهدى ضعفاً وطول تكاسل

فإنما الصريح إلى الإمام وحزبه
يا غيرة الإسلام هل من نجدة
هذي جنود الاعتدا فمتى الهدى
فأتى الإمام أبو الخليل محمد
تاج العلا بدر الدحي شمس الضحى
إنسان عين الدهر عنوان الهنا
زهرت به الدنيا وطاب مقامها
ذو رحمة للمهتدين ونقمة
متهلل للنائبات محلل
بحر طمى علماً وجوداً للورى
لا يغضبني لنفسه لكنه
غوث الأنعام وبهجة الأيام
يحیی رفات السدين جامع شمله
حاز العلا إرثاً وكسباً فاستوى
فرعان نافعا من أعالي هضبة
أمسى لسالم الإمام خليفة
أما الإمام أبو خليل فهو في
وإذا الشدائد ضويقت حلقاتها
فلذاك أقبل ماحياً جيش البغاة
أفضى الإمام على البغاة عرمرماً
بحر طمى متلاطم أمواجه
منأجج ناراً كأن لهيبه
خفت بنصر عاجل راياته
لا يوم زحزحة ولا خضرية

يا غارة الله اغضبي بالعاجل
تدع الضلال مجندلاً بجندال
يرمي العسدا بصواعق وزلازل؟
أكرم بذيالك الإمام العادل
دهر الهدى قهر العدا والتاكل
نور الدنا أقصى المنى للأمل
وحلست لنا بمشارب وماكل
للمعتسدين ونعمة للسائل
للمشكلات مكشف لنوازل
والمستفيد وللفقير العائل
لله لا يثنيه صولة صائل
منهل النعام بصاعق وبنائل
بالمرهقات وبالرشاد الحاصل
فيها على كرسي المقام الكامل
وأقام مثل مقامه الثمائل
قد أثمرت عزاً لطريق الفاضل
نشر العلوم غدا عديم محائل
رُميت بكشف منه كاف كافل
ومثباً أمر الرقيشي الباسل
تهتز منه الأرض هز السدائل
في قعره غرقت عصائب وائل
سقر محرقة زروع أباطل
وظباته طبعت بسم قاتل
يحكيه وقع تدافع وتداخل

كـم نـازل هـو نـازل لـنـازل
عـبـس هـنـاة حـمـير حـكـم خـرـوص
وـبـنـسـو شـكـيل فـيـهـم وـقـبـا
مـن آل بـدـر سـيد مـتـواضـع
وـبـنـو خـرـوص فـيـهـم الشـيـخ المـجـا
لـلـه جـاد بـنـفـسـه وـبـهـا
وـجـمـيع هـاتـيـك القـبـائـل سـبـق
كـل غـطـارـفـة جـحـاـجـحـة السـوـغـي
وأتى أـمـير الشـرق والغـرب الـذي
عـيـسـى الأـمـير العـادـل الغـوث الـذي
كـيـف الـبـريـة مـظـهـر الإـسـلام نـصـاب
لـولـاه مـا قـامـت بـنـزـوى دـولـة
وـكـذـلك الرـسـتـاق تـشـهـد أـنـهـا
وـكـذا نـخـل عـلى شـفـا فـسـرى لـها
فـي يـحـمـد فـي آل عـيـسـى فـي بـنـي
فـي مـالـسـك وبنـي دـوـيـك فـي الشـبـو
فـي آل هـمـدان وإخـوـعـهـم نـدـاب
الـوـاردين المـوت أـطـيـب مـوردا
والعـارفين الـلـه فـي مـسـعـاهـم
والنـاشـرين شـعـائـر الإـسـلام فـي
والمـعـلـنـين لـكـلمـة التـوحيـد والمـعـ
والبـاسـطـين أكفـهـم ووجـوهـهـم
والمـخـضـيين سـيـوفـهـم بـدم العـسـدا
سـار الأـمـير بـهـم مـسـير البـدر فـي

ومقاتـل هـو عـارـف بـمقاتـل
ذـهـل شـيـبان وشـمـس مـعـاول
ثـل الرـسـتـاق مـقـدمـة الـهـلال الكـامـل
سـاد السـورى بـفـضـائـل وفـواضـل
هـد نـاصـر صـنـو الإـمـام الفـاضـل
وسـمـا ولـات مـنـازل ومناضـل
لـلـمـكـرمـات ورشـق بـالنـابـل
شـادوا العـلا بـمـكـارم وشـبـائـل
سـكـنت بـه الدنـيا بـجـم فـضـائـل
كـشـف الخـطـوب بـعـزمـه المتواضـل
الأثـمـة فـي الصـلاح الشـامـل
بـعد الخـمـسـروصـي الشـهـيد العـادـل
لـولـاه قـد صـارت بـحـال عـاطـل
بـجـحـافـل مـوصـولة بـجـحـافـل
حـبـس وآل وـهـيـة بـذـلائـل
لـ بـكـل لـيـسـث فـي العـرينـة شـابـل
وشـيـخ نـفـعـا فـي رءـوس قـبـائـل
والصـادرين عـلى الجـمـيل الآهـل
فـي عـاجـل طـلـبـوا رضـاه وآجـل
أقـطـارهم بـيـنـادق ومناضـل
لـيـن واجبـهـا بـأسـمـر عـائـل
فـي النـازلين وفـي الزمـان البـازل
بـسـيـوف حـق فـي الدماء نـواهـل
ظـلـل الغـيـام إـلى المـكان المـاحـل

لم يبق عند مرورهم من موضع
ساروا وليلة ثامن وصلوا فكم
والمسلمون بمسلمات ثمّ أجوا
وأرى المعاول كالأسود تجمعوا
حتى انتهوا وتراسلت رسل إلى
لم يقبلوا نصحا وكلهم أبوا
فتوشح الغضب الإمام وأقبلوا
أرى إليها المسلمون وأطبقوا
قدموا قبيل الصبح ليلة عاشر
لم يغفلوا عن يوم نصرتهم فأرخ
صلوا الغداة أمامها واستقبلوا
لله در عصابة قدموا على
وهيبة التوحيد مرادسية التجر
بذلوا نفوسهم النفيسة قربة
والخو مشرفة لتكرم ضيفها
وقموا على الأعداء وقوع النسر من
وتوقدت نار الوغى وتصادم
فالأفق بالبارود مظلمة ولكن
ضاءت وأصعقت البنادق وانكفت
والحصن فتح أهله أبوابه
وعلا القتام من الضرائب واختفت
حتى استبان الخطب عن قتلي وعن
لم ينحروا للعيد ما اعتادوه فيه
يا صبح ذلك اليوم من حسرة

إلا وكاد يسير إثر الراحل
من نجح أمر قابل في الواصل
كالبحر يقذف موجه بالساحل
في مسلمات مع اللهم الحافل
نخل بنصح قبل صدمة نازل
إلا القتال ببادرات قواتل
لوجوه نخل كالجراف السائل
بجهاثها كخواتم بأنامل
بالعيد من ذي الحجة المتكامل
كلها والله ليس بغافل
صدر العدا بضياء وجه كامل
نخل سحيرا كالقضاء النازل
يد محبوبة المتباهل
لله مغتربين ربّح الباذل
تمتز بين أساور وخلاخل
جو السماء على المكان النازل
الجمعان في رهج عظيم هائل
أشرقت في ضوئه بمشاعل
كرواعد وبوارق ومخائل
فغدوا كأسد للكُفّة أو أكل
عين السماء وما لها من كاحل
جرحي أفاضل جمّة وأسافل
سوى ضحايا سادة وعباهل
في قلب أيتام عنيت وأرامل

كم بأسل ورد الوغى صرفاً وكم
 شهداء أحياء الفنا أرواحهم
 والنصر صح لدى الإمام وحزبه
 حراس من نخل تمزق جمعها
 كم من جريح أو قتييل أو
 فقصورهم قد هدمت وجنا
 والبرج هُدم برج عاقوم وما
 وسقى حمود نجل سالم الردى
 ونشوهت نخل وجوها بعد ما
 يا ساكني نخل عجيب أمركم
 أو ما تقدم منهم محن لكم
 أو ما رميتكم بالصغار وبالويل
 أليق فرعاً أن تعادوا خصمهم
 لكنكم أنتم توابع غاشم
 هلا سلكتم في رعاية حالكم
 لا لا أذود الطير عن شجر جنيـ
 فتقدموا وتنصلوا واسترجعوا
 وأمير حمير وارد بجنوده
 متدارك عز الإمام وحزبه
 لم لا يكون معززاً وأبوه من
 حاشاه من أن تعتريه هواده
 والفرع تابع أصله وكفى بهذا
 من آل نبهان الأولى ملكوا القرى
 هبطوا من الجبل الكبير وفيضوا

من فاضل شهد الحام وفاضل
 في طير خضر أودعت بحواصل
 والقهر حل على حمة الباطل
 كسباً تمزق أهلها من بابل
 أسير أو هزيم هالكاً بمجاهل
 نهم قد ضمرت وسلاحهم في الشاغل
 منه يخاف من البناء الخاتل
 من حر ماضي للغلاصم قاصل
 كانت عروساً في الشباب الخادل
 صرتم مع الأعداء أشر مقاتل
 وغصصتم منهم بحر مناهل
 سار وبالشمار وبالنكال الخابل
 ويحل شرعاً نصر باغ غائل
 لا يخضعون إلى الرحيم العاقل
 وصلاحه نهج الحكيم القائل
 ست المر من ثمر له متهادل
 إصلاح داركم ببر العامل
 حرباً كأسعد ذي الجيوش الكامل
 مستعقب الماضي بنظر العاجل
 لقوام هذا الأمر أول فاعل
 أو ميلة من قول لاح عاذل
 شرقاً لأصل في الهدى متناسل
 بذوا بل ومناسل وصواهل
 أرجاء مثل السحاب الهاطل

وجدوا الدما جفت وجذوتها انط
يا وقعة حلت بنخل شابهت
ولها إمام الأرض عزان وشـ
علامة الأفاق جد إماننا
نشر العلوم أجلها وأدلسا
لله عزان بن قيس من سخي
والحمد لله الذي أجل الصدى
قل للذي يبغي انتقاص سدائعي

فت وثغورها مفتوحة للمداخل
نفعا قديما في حديث الناقل
شيخ العلم مرشده لخير شامل
ذاك المجلي في الظلام السادل
بمسائل للباقيات وسائل
بالعدل في ذاك الزمان الباخر
بترثم من شاديات بلايلي
إني أغرقه ببحر الكامل

سبب الثورة الأولى على عبري

في ضحى اليوم الرابع عشر من شهر ذي الحجة من سنة ١٣٤٢ قتل أمير عبري، الشيخ سلطان بن راشد اليعقوبي، وأولاده محمد وحمدان، وثلاثة من مواليه، وحمد بن علي الشكيلي، فتك بهم الشيخ محمد بن سيف المنذري وأصحابه، بمسجد السليف من الظاهرة، انتقاماً منه لتغلبه عليهم وعلى بلادهم، فبيتوا أمرهم ليلاً، فمن بعض ما حركهم عليه أنه طلب رجلاً هرب عنه، فقربه الشيخ المنذري، بعدما أخذ له الأمان منه، آملاً أن لا تخفر ذمته، وأن الأمان أوثق عرى الإسلام، فقتله الشيخ اليعقوبي في خفارته، فاستشاط المنذري غيظاً، وزاد حنقه وللعرب حمية، وأنفة عربية، وحمية جاهلية، تحملهم على الهلاك.

ويقال: إن الدروع عاضدوا المنذري على ذلك، فإنهم غضبوا على اليعقوبي لما قتل أبو بسرة والد التويلي في خفارتهم.

ولما قتل هذا الشيخ اجتمع غافرية الظاهرة، وفي مقدمتهم بنوا كلبان، فهاجوا السليف بلدة المنذري، فقتلوا من وجدوه، ونهبوا ما وجدوه، وخربوا البلاد، وأصبح أهلها حيارى، وكشفت وجوه العذارى، وخرجوا من منازلهم يسترون عوراتهم بأناملهم، يستغيثون بالمسلمين مما نزل بهم، فطلبوا من الإمام القيام معهم، وترددوا إلى أعيان الدولة. وبعد إجمالة النظر في القضية، والبحث عنها علماً ورأياً، جهز الإمام سرية بها أعيان دولته المشايخ: عيسى بن صالح، وسليمان بن حمير، وقاضي المصر العلامة أبو مالك عامر بن خميس المالكي، وناصر بن حميد الغافري، وإبراهيم بن سعيد العبري، وياسر بن حمود المجعلي. وأمرهم أن يلقوا النصائح الدينية الجامعة للشمل المؤلفة بين القلوب، وأن يحضوا أمير عبري خلاصتها، برد المنكوبين إلى بلادهم، وأن يكونوا تحت أمره، وأن يطوي الماضي في صحيفة الإهمال، خرجت السرية، وعسكروا ببلدة الدريز من الظاهرة، وبعد استراحتهم توجه المشايخ: سليمان بن حمير، وناصر الغافري، وإبراهيم العبري، وياسر المجعلي إلى أمير عبري؛ ليؤدوا إليه ما تحملوه عن الإمام من النصيحة، فجابههم بعناده، وصددهم عن بلاده، ولم يسمح لهم بدخول البلد، فضلاً من استماع الخطب، ثم كرروا العودة إليه، وخوفوه مغبة الخلاف، فأبى إلا إجلاءهم. بذلك رأى أعيان السرية: أن لا محيص من الاستنجاد بالإمام، وعرض الخبر عليه، فرجع جوابه يأمرهم: أن لا يقدموا على أمر قبل وصوله. وبعد شهر كامل جهز جيشاً يرأسه بنفسه، وأرسل إلى عامله بالريستاق: السيد هلال بن علي أن يوافيه بمن عنده ببلد العينين من الظاهرة. ولما وصل الإمام ثقل الأمر على الشيخ اليعقوبي، فكان من رأي الشيخ ياسر بن حمود المجعلي أن يعيد إليه الكرة مرة أخرى، فكلمه وأسدى إليه النصيحة، وقد آن له أن يرغب نفسه الأمانة، بالقهر عليها، والانقياد لما أراده الإمام منه، فتخلى عن مركزه بعبري، وسلم البلاد على أن يكون الماضي مغفواً عنه غير مطالب به.

بهذا الانقياد، ودخول هذه البلاد التي هي كرسي الظاهرة، وعليها الاعتماد، تمكن المسلمون من الظاهرة، وسلم السليف للمناذرة، فجمعوا شملهم المتمزق بها.

بعد استقرار الأمر، خطب الإمام بتولية الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري على الظاهرة بأسرها، هنا قامت قائمة الخلاف، وحصل الاختلاف، حينما أبى بنو غافر من تسليم حصن العينين الذي هو تحت أيديهم لإبراهيم، قائلين إن الحصن حصنكم، ونحن عسكريكم، نكون فيه، وليكن تحت أيدينا، فلم ير الإمام إلا خروجهم منه، وإجلاءهم عنه، وكان أولاد الشيخ عيسى قد نزلوا به، فاضطروهم للخروج منه بعنف، فعزم الإمام على حربهم. وتوجه إلى العراق بقرهم، فالتقاء الشيخ سعيد بن نصار الصوافي، وأكرم نزله، وفتح له باباً من بيته بالجانب السهيلي، فهو الآن يسمى باب الإمام. وكان من رأي الشيخ عيسى السكوت عن بني غافر وحصنهم، ولم ير الإمام إلا المساواة، وأن تكون المراكز من الظاهرة كلها تحت يده، فكان في الجيش خداع ومكر، وفي الرؤساء تعصب وفخر. وعادة أمراء عمان الكذب والمراوغة، فخاف الإمام أن يستفحل الأمر، وأعرض عن قهر جميع المعاقل، فبقيت بيد أهلها وبقي في نفسه شيء، دخل به على أنصاره. وأصيب الشيخ عيسى في هذه الغزوة بمرض، فحمل على السرير إلى بلدة بهلا. ولما استكملوا الوصول بها، جمع الإمام مشايخ العلم، واعتذر عن التصدر في المنصب، وطلبهم الاستقالة والاستعفاء، وأن يختاروا من يروونه إماماً لهم وهو كفرد واحد، فكانت بالمصر ضجة، تعب لها المفكرون، وما كانت ليترك أمر المسلمين إلا لما رآه من التحزب الباطل، في عدم إنفاذ الأوامر والمساواة في نزع المعاهد من أيدي الظلمة المتغلبين، وأنه المسئول والمؤاخذ، فاجتهد القضية في مكابرتة، وعجزوا عن محاورته، وفي مقدمتهم العلامة أبو مالك، فإنه شمر عن ساق وجد واجتهد. وأخيراً صرح له أن المسلمين لا

يرضون سواك، ولا يتفقون على غيرك، وأن استقالتك تكون شؤماً على مصر، فلا تخلو من نصيب سفك الدماء المحقنة بالإمامة. وما كاد ليرجع لولا حدته عليه.

وبالجملة فالنصيب من هذه الغزوة رجوع المناذرة إلى بلادهم، كما هو المقصود أول الأمر. وفي عام ١٣٥٩هـ وقع بأطراف نزوي ترهات من قطاع السبل والصوص المساعدة لهم، فأرسل الإمام سرية تحتوي على ما دون العشرة، من عساكره إلى السليف من الظاهرة، وأمرهم بالفتك بهمز وكتب للشيخ محمد بن سيف المنذري، أن يكون معهم، فكان من الحظ الجدير بقدره الله، وأن بلغ الخبر إلى المقاطيع، فأقبل أربعة من أعيانهم، فدخلوا على العسكر بنادي القهوة بالسليف، مستهزئين متمردين، غرهم أن العدد قليل، وأنهم دخلوا عليهم في حجرهم الظاهرة، ولن يفلتوا منهم، فأخذوا يقرعونهم ويهددونهم. فما كان جواب العسكر لهم إلا ما نطقت به البنادق على رؤوسهم، فاختطفت ثلاثة منهم، والرابع الحاتمي رئيسهم الأكبر، تبادل مع الشيخ المنذري الخناجر، فخرا صريعين. ولم يصب السرية ولا من حضر النادي بأس. والحمد لله. وبعد هذه الحادثة انقطعت آمالهم من الوقوف على الطرق، إلى أن دخلت الظاهرة، بعد أشهر قليلة، تحت إمرة الإمام، كما ستراه إن شاء الله.

الثورة الثانية إلى عبري كانت في أواخر سنة ١٣٥٩

لا زالت تصدر بين أمير عبري الشيخ عبد الله بن راشد اليعقوبي، وابنه محمد بن عبد الله منافسة أصلها حب الرياسة، فتتج منها أحقاد وشحناء، والله تعالى يقول: {إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم} ولا بد أن يكون الابن مأموراً، أو مجبوراً، أو عاقاً كفوراً، فقويت حركة محمد على أبيه، فخشى أبوه الضرر الأكبر،

فكتب إلى الإمام سرّاً، بواسطة الشيخ زاهر بن غصن الهنائي: إني أحب التخلي عن إمارة عبري، فأرسل إليّ من يقبض معقلها، فكلم زاهر الإمام فيها جاء به سفيره إليه، فكان من جواب الإمام: إني لا آمن غدر عبد الله، ولا أرجو الوفاء منه، ويحملنا على إجابته إنقاذ المضطهدين، وإنصاف المظلومين الذين تحت إمارته.

ثم قرر الإمام أن يجهز الشيخ زاهر بمن معه بمظهر المتوسط؛ لإصلاح ذات البين بين الشيخين، وأن يحس نبض عبد الله فيما وعد به، هل هو ثابت على وعده؟

سار زاهر، وأناخ بجامع عبري، وسعى فيما جاء إليه، وعمل بتوصية إمامه له، فما رأى من عبد الله إلا النكت، ولم يكتف بذلك حتى انتهى أمره إلى قرعه باب الغدر به. وكان زاهر نبيهاً فطناً، أدرك منه ذلك قبل وقوعه، فكتب إلى الإمام بذلك تفصيلاً.

فصدر الأمر إليه بالانتقال من عبري إلى السليف، والمكان قريب. فما لبث إلا أياماً حتى أوقد الدروع ومن شايعهم نار الحرب على زاهر وأهل السليف، فكانت بينهم مناوشات، ظفر فيها زاهر وأتباعه، إلا أن أيامها طالت، فأوجبت تحرك الإمام لإطفائها، فانتقل من نزوى إلى بهلا، وأنفذ سرية فيها أربعون رجلاً، أمر عليها الشيخ محمد بن سالم الرقيشي، وأمره أن يقيم الحجة على أمير عبري، إما بالإذعان والتسليم للمركز حسبما وعد، وإما أن يتهياً للحرب فلما وصلهم أدى رسالته التي تحملها كما هي. وبعد أخذ ورد، ركن أمير عبري إلى الانقياد والوفاء بالمراد، وتأجل ستة أيام حتى سلم زمام ما بيده.

وقسم شطراً كبيراً من ماله لابنه محمد؛ استبقاء لوده، فخازه محمد في حياة أبيه، ولم ير الإمام بدءاً من الإنصاف من الدروع، فانتقل من بهلا إلى عبري، وأنفذ الشيخ

ياسر بن حمود المجعلي إليهم، أن يحضروا لفصل الأحكام بينهم وبني هناة، فيما انتهكوه من الحرمات، وسفكوه من الدماء، ونهبوه من الأموال، فتلکأوا، ثم فاءوا لأمر الله، فحضروا مجلس الحكم.

أمر الإمام قاضيه الشيخ أبا زيد، بالفصل بينهم، وأمر القضاة أن يحضروا استماع الدعوى، وأن ترفع إليه بعد ذلك، للنظر فيها، والأمر بإنفاذها.

حكم أبو زيد أن ما أتلغه الدروع من دماء وأموال مؤاخذون به، ويهدر ما تلف عليهم، للصحة القاضية ببيغهم، ووقع القضاة على ذلك، ثم رفع إلى الإمام فرأى صحته، وأمر بتنفيذه.

أبقى الإمام الشيخ الرقيشي، عاملاً على عبري وتوابعها، متكفلاً بوظيفتي القضاء والولاية.

قيام الرقيشي على منادرة السليف

بقي الرقيشي بعبري، وهم بإنفاذ الأحكام على المناذرة بالسليف، فردوا أمره وتعسفوا. وبنذهم أحكامه على أنفسهم أسرفوا، فكتب إلى إمامه، يخبره عن حالهم. فكتب الإمام نصائح دينية إليهم، وأرسلها إلى الرقيشي؛ ليقراها عليهم، واختار الرقيشي ابنه إبراهيم لحمل هذا الكتاب الكريم، فعسى أن يهديهم الصراط المستقيم، فلم يحصل منهم على وفاق، ونسوا ما كانوا فيه من الاضطهاد والإرهاق، فعزم العاهل على إنفاذ أمره بالقوة، لا باللين والمروءة، فحكم عليهم بالبغي والعناد، وعاملهم بمعاملة أهل الفساد، وانقض عليهم انقضاؤا الشهب للرجم، ووقفوا في وجهه وقوف القرم للقرم، فكانت بينهم في ليلة خامس من ذي القعدة عام ١٣٦٠

ملحمة، أسفرت عن قتل أربعة من أصحابه، ثم كان حظهم في مجابهته تعيسا، فدخل بلادهم وكسر جناحهم المهيض، وأوهى قوتهم، فسقطت إمارتهم، وهدم قصورهم حتى السور المحيط بحارتهم.

بهذه الحادثة أضرم المريخ ناره، وكادت تشتعل، وقطب زحل وجهه، وبقي الأنصار في وجل، فكان من لطف الله في القضية، أن فرعوا إلى حكم ربهم، وقبلوا المرشد القرآنية، فتقدموا إلى إمامهم: أن يحضروا الرقيشي للمناقشة فيما جناه؛ تحرجا من دخولهم في البلوى، وأن يجمع قضاته للنظر في هذه الدعوى؛ لأن بعضهم يقول: إنها حاجة في نفي يعقوب قضاها، وإرادة للشيخ أنفذا وأمضاها، فجمع الخصوم بجامع نزوى، وعلت الأصوات، وأسروا النجوى. وكتبت الدعوى، والمهج تتميز من الغيظ، وجيء بالرقيش، وهو يزفر زفرات القيظ، فقدم حججه المنيرة التي أسند عمله عليها من الأثر، وبررها بقوله: إنه لم يكن له فيهم أرب ولا طر، وما حمله عليهم إلا الكبر والبطر. فنظر الفقهاء في جوابه وحققوا، ثم فكروا ودققوا، وبعد الاجتهاد والتنقيح، رفعت المحاكمة إلى الإمام، وإليه في المشاكل الترجيح، فكتب تحتها بخطه، وهذا نصه:

أقول: قد نظرت في جواب الشيخ الرقيشي، وأقول: إنه أخذ بأقوال أولئك الجهابذة الأعلام، ونحن نقصر عن تتبع أقوالهم، وهم القدوة، وأفعاله كلها خارجة على وفق فتواهم، ولم نرها خارجة عن الحق، والله سبحانه وتعالى أعلم. ثم كتب:

هذا ملحق لدعوى السليف. هذا ما رأيته لبني هناة، في دعاويهم في حرب السليف، من قتل قتلاهم، والنهاب من أموالهم، عند دخول محمد بن سالم هذه البلدة. ورأيت أنا ومن حضرنى من أهل العلم: أنه لا تهدر دماؤهم؛ لأنهم غير داخلين في الأمور، وحين لم يظهر قاتلهم، أن يكون على بيت مال الله خمسمائة قرش

لمحمود بن عبد الله ومائتا قرش من دية المرأة المقتولة. وأما الجرحى فذلك حكمهم بعد الصحة من الجراح، وأما أمر المال الذاهب، فقد تحملته، وصح العزم عن ستائة قرش، على وجه الصلح والمرافقة. وأما الرمي الذاهب بدل الرمية، رمية أنا أؤديها. وذلك مائتا رمية صمغ بوست، ومائة رمية موزر، ليعلم ذلك. وكتبه إمام المسلمين محمد بن عبد الله بن سعيد الخليلي بيده، في سادس من شهر صفر سنة ١٣٦١.

وبعد هذا خطب الإمام بحضرة العلماء والرؤساء أن ما أمضاه محمد بن سالم في السليف فعن أمري، وهو هدر، إلا ما استثنى من ذلك، وهو قتل رجل من أهل؛ عملاً من الغرباء في البلد، فكانت ديته في بيت المال. اهـ.

ثم أمر برجوع أهل السليف إلى بلادهم، وأذن لهم ببناء ما هدم من بيوتهم، وأمر برد ما نهب من أموالهم، وأن يكون العزور والمناذرة على حال واحد، كما كانوا في مسالكهم ودورهم ومساجدهم؛ لأنهم كانوا في حارة واحدة بناها لهم الإمام سلطان بن سيف بن سلطان اليعربي، وعندهم فيها وثيقة هذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

بتاريخ يوم الجمعة الزهراء، لعشر خلون من شهر رجب، من سنة ثمان وثلاثين سنة ومائة سنة وألف سنة منذ الهجرة؛ ليعلم من يقف على كتابي هذا من المسلمين، وأنا الفقير لله عمر بن مسعود بن ساعد المنذري، بأن هذا الحصن المذكور هنا قد بناه الإمام العادل سلطان بن سيف بن سلطان اليعربي؛ لخدمة المشايخ صالح بن عبد الله العزوري، وجدي ساعد بن مسعود، وجدي عبد الله بن مسعود، وابن عمهما مبارك بن خميس المنذرين، ولذريتهم من بعدهم، ولمن معهم قبل كتابي هذا لا غيرهم من القبائل، إلا على من يرضونه جميعاً، وأن الربع الذي فيه بيوت أولاد

الشيخ صالح بن عبد الله، فالرأي فيه لهم دون غيرهم من الجماعة، والربع الذي فيه بيوت أولاد مبارك بن خميس، فالرأي فيه لسليم بن ناصر ومحمد بن خميس وسليمان بن سعيد دون غيرهم من الجماعة، والربع الذي فيه بيوت أولاد عبد الله بن مسعود، فالرأي فيه لعامر بن عبد الله دون غيره من الجماعة، والربع الذي فيه بيوت أولاد ساعد، فالرأي فيه لهم دون غيرهم من الجماعة، وأن كل من له رأي في ربع من أرباع هذا الحصن، فغير محجور عليه إدخال من يشاء، ويريد من الجماعة، الجائز لهم الدخول فيه ببيع أو هبة، وقد عاهدوا الله على القيام في هذا الحصن، بطاعة الله وطاعة رسوله، وطاعة أهل الحل والعدل، وطاعة أولي الأمر، والاجتماع على ما فيه الصلاح، من سلامة الدين والدنيا، والافتداء فيه بصالح أسلافهم. نسأل الله لهم التوفيق لطاعته ومرضاته، والثبات على الصفا والوفا؛ إنه سميع مجيب. وكتبه عمر بن مسعود بيده، بتاريخ ما تقدم. وكان الكاتب لهذا الصك من الفضلاء الأعلام من المناذرة.

وفي سنة ١٣٦٣ رأى الإمام عزل الرقيشي من عمله، واستبدل عنه الشيخ العلامة زاهر بن سيف الفهدي، من بني ريام؛ وكان رجلاً ورعاً، ولكنه لم يمارس العظام من الأمور، وأهل الظاهرة بداء وحوش؛ بل جل أهلها أغبياء من العرب والبلوش، فلم يكن في استطاعته حملهم على الجادة، فبقي بها سبعة أشهر واستعفى من القيام بها، فقرر أن يرجع إليها الشيخ الرقيشي ثانية، فبقي بها كالعادة إلى أن أعفاه الإمام في شهر صفر من عام ١٣٧٢ هـ، وكانت مدة ولايته الأولى والثانية اثني عشر عامًا وأربعة أشهر.

من أحكام الرقيشي عبري

الحكم على أهل السليف بالبغي وإيقاعه بهم.

ومنها رجم امرأة محصنة أقرت بالزنى.

ومنها جلد امرأة بكر أقرت بالزنى.

ومنها قتل رجل معمر قتل أمه.

ومنها الحكم في أموال الشيخ عبد الله بن راشد اليعقوبي، بأنه مستغرق في المظالم، وإدخاله في بيت مال المسلمين، وهو قول لبعض العلماء، ورأى الشيخ صحته.

ومنها قتل الباغي سويدان بن علي بن حامد أحد شيوخ الدروع، تحصن بحانوت تاجر من تجار عبري، فأمر الرقيشي بحرق الحانوت بالنار؛ ليخرج منه الباغي حتى خرج فقتل، وحكم بالتالف على التاجر ضمانه في بيت المال.

ولاية إبراهيم بن سعيد لعبري

ولما أعفى الرقيشي من ولاية عبري، جعل عليها الشيخ العلامة إبراهيم بن سعيد العبري، فقبض مركزها في اليوم السادس من شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٢ فبقي ناشر ألوية العدل، قائماً بالقسط. وما بالرجل من قصور، ولكن الحظوظ أقسام؛ فكان من قدر الله أن بعضهم يأنف من إمرته، ولا يراها. وأحب أن يعطي

نفسه منها، فطلبوا من الإمام عزله، فلم ير ذلك، فقام حمد بن سيف الكلباني، ومحمد بن عبد الله اليعقوبي، في اليوم العاشر من شهر شعبان، من السنة المذكورة، فاستلما المركز من الذين فيه، بسياسة من غير قتال. وكان إبراهيم غير حاضر بالبلد، وهذه مكيدة قد دبرت ببلد أمطى، اجتمع عليها المشايخ سليمان بن حمير، ومحمد بن سالم الرقيشي، وعلي بن هلال الدرعي، ومحمد ابن سيف الكلباني، وياسر بن حمود المجعلي، حنفا على الإمام، لما أبى من إسعافهم بعزل إبراهيم، فأحبوا أن يقهموه باقتدارهم، وأن يرغموه على امتثالهم، حتى لا يخرج في المستقبل عن رأيهم، وسليمان يعتقد أن الغافرية طوع أنملة، وأن البلاد متى أرادها تكون في يده. وهيهات، وليس الأمر كما حسب إنما انتهت هذه الفكرة بالفشل، ولم يقف شرها عند هذا الحد، فإنها خلقت ديباجة الدولة، وأسقطت حرمتها، حتى لم يكن لها في نظر العامة، ولا في نظر متغلبى الأطراف حرمة.

بعد صدور هذه الحادثة أرسلني الإمام إلى عبري، للفحص عن الواقع، والبحث عن الحال هناك، فرجعت إليه، وقد جمع جيشه، فأبدت له ما شاهدته وعلمته. وإني أرى بالأنصار خوراً يؤدي إلى خطر. والأولى أن تترك الناس على ما هم عليه الآن، ولا تظهر عزمك على القيام، ولا عجرك عنه، حتى تهدأ الحالة وتبين الخلاصة. وعاتبته على إصداره لأمر كان يأنف منه، فأجابني رحمه الله: إني لما خولطت في رأيي، باتهامي أن الشيب أخذ مني، كان هذا نتيجة. وكان رحمه الله به مرض يعوقه من الخروج إلى الجهاد كعادته، فقرر أن يكون عبد الله بن الإمام سالم أميراً على الجيش، فرأى من بعضهم أحوالاً تعاكس رأيه.

ثم خرج الشيخ أحمد بن محمد الحارثي إلى مسقط، ورجع إلى نزوى، وقد زوده السلطان عشرة صناديق رصاص، وعشرة آلاف قرش، ولم يأذن له بالتصرف فيها،

قبل خروجهم من نزوى. فكان هذا من الأسباب الداعية للفشل، والمحرضة على الشر من لم يركب.

ثم أصدر أمره إلى الناس والجيش، بالرجوع إلى أوطانهم، فاجتمع إليه المشايخ: إبراهيم العبري، وأحمد الحارثي، وعبد الله الهنائي، يلومونه على التأخير، ويحرضونه على القيام، حتى أسهبوا في الملام، وأطنبوا في الكلام وقد حركتهم الإعانة المسقطية. وكان رحمه الله يميل إلى الإقناع في المناقشة، سواء كانت دينية أو سياسية، فأخبرني من سمع كلامهم، أنه أقنعهم أولاً كل الاقتناع، ثم رأى منهم إدلاًلاً واستخفافاً، ففرعهم أشد التفريع، وذكر كل واحد منهم بما يعلمه منه؛ من النكوب عن الجادة في عمله، أو خلقه، بمعرفة خبير بصير.

وقد أوردنا خبر عبري متتابعاً على طريق الاختصار؛ لاستحضار الفائدة، وإن خالف أسلوب التاريخ.

ترجمة الشيخ مهنا بن حمد العبري

في اليوم الرابع والعشرين من ذي الحجة الحرام، من شهور سنة ١٣٤٢ توفي الشيخ مهنا بن حمد بن محسن بن زهران بن محمد بن إبراهيم بن راشد بن سالم بن راشد بن إبراهيم بن عيسى بن عمران بن راشد بن عمر بن عيسى بن عمران العبري الحمراوي، ينتمي إلى عبدة بن زهران بن كعب بن حارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر، وهو النبيُّ هود عليه السلام، وكانت وفاته ببندر جدة، من أرض الحجاز، خرج في أعيان قومه لأداء فريضة الحج، فلما

قضى المناسك، وقفل راجعاً، أصيب بمرضه الذي كان سبباً لوفاة. وكانت ولادته في عام ١٢٨٩.

تولى هذا الأمير إمارة قومه، بعد موت أبيه حالاً، بإشارة العلامة ماجد بن خميس، وموافقة إخوانه وأبناء عمه وأعيان قومه، فقام فيهم على ساق الجد والإصلاح، وكانت همته عالية، في عمارة الأموال والبلاط، وخدمة الأنهار، وتوسعت بذلك ثروته، وكثرت أمواله، وأخرج فلج زكت من بلد عمق، فصار به انتفاع البلاد أكثر من انتفاعها بالفلج القديم في أيام المحل؛ وباعتناؤه حصلت زيادة في فلج قلعة المصالحة من كدم، وأحدث في بلد الحمرا مزرع الظهرة الكبير، فعظمت منفعته لمن بعده. وبالجملية فإنه مصلح كبير، وفي صدر إمارته خرج على بلد العوابي؛ لإخراجها من يد السيد سعيد بن إبراهيم بن قيس، لما كثر الفساد بها من القائم، فأحاط بهم في الحصن أياماً، فأخرجهم منه، وسلمه للسلطان فيصل بن تركي، وترك به عسكرياً من أهل حضر موت، تحت قيادة رجل منهم، يقال له عبد الله بن سالم الشريف. فلما كانت دولة الإمام سالم بن راشد، طلب شيخنا العلامة ماجد بن خميس من الأمير مهنا؛ وكان ماجد يومئذ قاضياً للإمام بنزوى، أن يقوم على الشريف القائم بحصن العوابي، من قبل السلطان؛ ليدخل مع عمان فيما دخلوا فيه، من مبايعة الإمام، والمجاهدة معه، فأجابه إلى ذلك، ونهض بقومه، ودخل البلاد كما سبق ذكره.

وفي أيامه كانت الحرب بنزوى، بين السيد سيف بن حمد، والشيخ حمدان بن سليمان النهاني، فكان الأمير مهنا مصلحاً في أول الأمر، ثم استنهض قومه فأجابوه. فكان عند السيد سيف في حزب السلطان. وسبق ذكر ذلك. وكانت همته غير قاصرة في توطيد بلاده، وإصلاح قومه، ودفع الشر عنهم، بكل سياسة لكونه الحول العنقير، الذي شهد له في وقته بالتقدم في السياسة على نظرائه، فتعى آل عبرة في

زمانه. ومع هذا فغير متراح عن طلب العلم، والاجتماع بالعلماء. وزهرت في أيامه عاصمته الحمرا بوجوده، والشيخ ماجد، وكثر الطلبة اهـ. نقلاً عن (تبصرة المعتبرين في مآثر العبريين) للشيخ إبراهيم بن سعيد. وقال في موضع آخر -عند ذكر العبريين بتصرف فيه:- وهذه القبيلة من أعرق قبائل الأزدي اليمنية القحطانية وإخوتهم، وأولاد نصر بن زهران، وهم أبناء معولة بن شمس، وبنو بو حسن، وبنو خروص، وبنو بحري، وأولاد شاري بن الیحمد، وأولاد عبد الله بن زهران، وهم أولاد مالك بن فهم، من بني هناة ودوس وعدنان. وقد تفرقت هذه القبيلة، في مواضع شتى من عمان، كغيرها من قبائل اليمن، المنتقلة منها إلى عمان. وليس التفرق خاصاً بها؛ بل كل قبائل عمان بهذه الصفة نفس كل غانية هند.

فمنهم من استوطن الشمالية من الباطنة، ومنهم من انتقل إلى بلاد الحدان، ومنهم من احتل أرض السر. والذي تؤيده آثارهم: أن أكثرهم بها؛ لأن أكبر قرى الظاهرة عبرى، وهي منسوبة إليهم. ومنهم من نزل وادي النخر، من الجبل الأخضر، من أرض الجوف، ومنهم من كان ببلد الهوب، وبلد مدروج من وادي السحتن. أما بلد الحمير لم تعمر إلا في أيام الإمام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي، الباني لقلعة نزوى؛ فإنه شرع في عمارتها هو وأنصاره العبريون في أول شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٦٦. كانت عمارتها هي وبركة الموز في وقت واحد، ولم تكن للعبريين قبل عماره بلدهم الحمرا إمارة جامعة، وإن كان فيهم أبطال القتال، وفضلاء الرجال. وأول إمارة كانت في بلد الحمرا، إمارة أولاد طالب بن علي بن مسعود بن لاهي بن قاسم بن راشد بن مالك بن عمر بن سعيد؛ لأنهم كانوا أهل علم وفضل. وعلي بن مسعود هذا يجمع أولاد مالك، وأولاد خلف، وأولاد طالب، ثم كانت الإمارة بعد ذلك لأولاد عمران، فكانت في أولاد راشد بن سالم بن راشد بن إبراهيم بن عيسى بن عمران بن راشد بن عمر بن عيسى بن عمران، وآخرهم الشيخ راشد

بن مالك؛ فإنه توفي سنة ١٢٤٢ هـ. وكان انتقال الشيخ زهران بن محمد بن إبراهيم بن راشد العبري من العراق إلى الحمرا، في أيام الشيخ راشد بن مالك، وكانت وفاة زهران سنة ١٢٣٦ بسبب جراحة أصابته في معركة دارت بينهم وبني صبح أهل القرية، وبانتهاؤها سالم أهل القرية، ودخلوا مع العبريين، وانتشاب الفتن بين بني صبح والعبريين في أيام راشد بن مالك، وكانت بينهم وقائع عديدة، وحروب شديدة. وفي سنة ١٢٤٣ اجتمعت إمارة العبريين لأولاد زهران، وأولهم الشيخ محسن بن زهران بن محمد، فصار باري قلمها، ورامي سهمها. وكان مطاع الأمر، مسموع الكلمة، فكان بنو غافر المعروفون بالمبايحة، اتخذوه كواحد من أمرائهم، يرجعون إليه في كثير من مهماتهم، ونصروه في عدة مواطن، كما ناصرهم في عدة حروب، فإنه ناصرهم في حرب بات التي دارت بينهم وبني كلبان، وفي حروبهم وبني شكيل في وقعة الجبل المسمى قرن بوسعدين. وقد ناصر بنو غافر رؤساء العبريين، قبل هذه المناصرة؛ فإنهم اجتمعوا لحرب بني عدي وبني ملك بوادي السحتن في إمارة الشيخ راشد بن مالك، وفي حرب بني صبح وبني شكيل. وفي أيامه كانت بلاده الحمرا أمل الوافد، ومنهل الوارد، وقصده الأعيان، ووفد إليه الشعراء من كل مكان. كان الأمير محسن مقدامًا مهابًا، وجوادًا وهابًا. وكانت له وقائع وحروب، وقد اعتزل قومه في عصر الإمام عزان، بسبب وقعة نمت عليه، فأقام بوادي السحتن، ثم رجع إلى الحمرا، بعد وفاة الإمام عزان، ف قضى عمره بها إلى أن توفي في يوم ١٢ صفر سنة ١٢٩٠، ثم صار الأمر إلى أخيه محمد بن زهران، وابنه حمد بن محسن بن زهران، فبقيت كلمتهما واحدة مدة يسيرة، ثم افترقا. وبسبب افتراقهما، قبض الشيخ برغش بن حميد أمير بهلا، على الشيخ محمد العبري وابنه بدر، بسياسة من ابن أخيه حمد بن محسن، فصفدهما بحصن بهلا حتى قتلًا فيه. وفي ذلك الوقت كان بناء بيت الفوق، المسمى حصن العوابي، ثم كانت الإمارة بعد ذلك في

الشيخ سالم بن بدر بن محمد بن زهران. وفي أيامه وقع الخلاف بين العبريين وبني غافر، بوادي السحتن. وكانت هذه الحركة داعية للقتال، والتنافر بينهم، حتى سلب بنو غافر وادي السحتن من العبريين، وساموهم سوء العذاب، وذلك في سنة ١٣٠٢. وبقي الشيخ سالم أميرًا إلى سنة ١٣٠٥، ثم ولي الأمر بعده ذلك الشاب الصالح الشيخ زهران بن محمد بن زهران، وكان صالحًا محبًا للأخيار، ميالًا لمعالي الأمور، فكانت بينه وبين غافر ثلاث ملاحم، كلها بوادي السحتن، إحداها في سابع شوال سنة ١٣٠٥ ووقع الصلح بينهم، بواسطة حاكم الرستاق: إبراهيم بن قيس، على أن تكون عمق للعبريين، وبلدة فشح لبني غافر، ووادي السحتن أكثره بيت مال، ثم انتقضت الأمور بينهم، فنهض ثانية في يوم ٢٢ من ذي القعدة سنة ١٣٠٧، فاصطلحوا على واسطة السيد إبراهيم مرة أخرى، على أن تكون الحدود بينهم من مضيق الوادي، ما بين بلد الخضرا والميحة. فمنها عاليًا للعبريين، ومنها حادراً لبني غافر، ثم نهض النهضة الثالثة، يوم ثاني جمادى الثانية سنة ١٣٠٨ والوقت شديد البرودة، فدخل الخضرا، بعد معركة وقعت بينهم، بمكان يسمى ظهرة الفرس. وبعد انجلائها، رجع الأمير زهران إلى الخضرا، فجاءت بنو غافر بجموعها، فالتقى الجمعان مرة ثانية، فكان بينهم من الزلازل والأهوال ما لا يكيف، فجرح في هذه الزحمة الأمير زهران جراحاً أثختته، فانهزم قومه لما أصابهم من الفشل، وحملوه إلى بلد فشح، فتوفي بها يوم ١٢ جمادى الثانية سنة ١٣٠٨ ودفن بها. وكان هذا الأمير من فضلاء المسلمين وثقاتهم. وقد أثنى عليه نور الدين السالمي ثناء حسناً. وكذلك الإمام سالم بن راشد الخروصي. وبموت هذا الأمير الفاضل، كاد موقف العبريين أن يتضعضع من ذلك الوادي، ولكن السيد إبراهيم اعترض القضية، فأصلحهم على أن تكون حصون الوادي في قبضته، وأن يترك فيها عسكرياً من قبله، فبقي الأمر كذلك حتى قتل بنو غافر عبيد بن هلال بن سند العبري، فقام العبريون على

الحصون، وأخرجوا عسكر السيد منها بدون قتال، ولعلهم وافقوهم، وهدموا الحصون، ولم يتغير السيد إبراهيم من ذلك، فبقي لبني غافر من الوادي بلدتان: الخضرا والطباقة. وتقرر الصلح أن يكون الفاصل بينهم الشعبة التي بين الخضرا والميحة.

ثم ولي الأمر من بعده الشيخ حمد بن محسن، وكان هذا الشيخ ببلاد سيت عاصمة بن هناة، انحاز بجوار الشيخ هلال بن زاهر، للجفوة الصادرة إليه من قومه، فسار إليه أعيانهم ومقدمتهم العلامة الشيخ ماجد بن خميس، فطلبوه أن يرجع إليهم، فأبى إلا أن يأذن له الشيخ هلال، فكلّموا هلالاً، فرضي وزال ما بينه وبين قومه من الوحشة؛ إذ حلب شطري الدهر، وعرف ثمرة الاجتماع. وكانت إمارته أيام سلم وراحة، وقام بواجبه في حق هناة، لما دارت عليهم دوائر السلطان، ودافع عنهم بسياساته. وتوفي في شهر ربيع الأول سنة ١٣١٧. وكان مولده في أثناء العشر بين الستين والسبعين بعد المائتين والألف، ثم كانت الإمارة لابنه الشيخ مهنا الذي ذكرناه بصدر الترجمة. اهـ كلام الشيخ إبراهيم، ببعض حذف وتصرف فيه.

زيارة الباشا سليمان الباروني لعمان

في شهر المحرم سنة ١٣٤٣ زار عمان الشيخ المجاهد الغيور المحنك الدبلوماسي الماهر الباشا سليمان بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الباروني النفوسي، وذلك بعد رجوعه من حج بيت الله الحرام.

ولما بلغ سلطان مسقط السيد تيمور بن فيصل نبأ وصول الشيخ الباروني إلى مكة المشرفة، كتب إليه يستحثه أن يقدم إلى مملكته، وكان السلطان ذلك الوقت بالهند، فأبرق لوزارته باستقباله.

وحينما وصل إلى مسقط، استقبله الوزراء والعظماء، استقبالا حافلا، وخصص له قصرًا فخماً أعد لتزوله، ولا زالت السادة وأعيان الحكومة يتنازعونه في الضيافة والإكرام. وفي أوائل شهر ربيع الأول من التاريخ، كتب إليه الإمام يدعوه لزيارته بسمائل من داخلية عمان.

بسم الله الرحمن الرحيم

من إمام المسلمين محمد بن عبد الله بن سعيد الخليلي، إلى أخيه ذي الشرف الباذخ، والمجد الشامخ، المجاهد في الله الحامي لدينه، سليمان بن عبد الله الباروني: أمّا بعد؛ فإننا نحمد الله إليك، لا زلت أخاناً محافظاً شرف حريتك، ساعياً في عز استقلال بلادك. ألا وإن أعلام مجدك منشورة، وسيوف عدلك مشهورة، فلهه درك؛ حيث أنت هكذا هكذا، وإلا فلا لا.

الداعي لتحرير الكتاب إليك، بعد إهداء السلام والتحية والإكرام، إعلامك بأن إخوانك أهل عمان مسرورون بسلامتك وصحتك، مستبشرون بقدمك وطلعتك. وقد وجهنا إليك هذا الرسول، طالبين منك الوصول على بركة الله، زائراً إخوانك، مشرفاً أوطانك، فاضرب لنا موعداً لنوجه إليك رجالاً من الخاصة، رفقاء الطريق، وأخبر رسولنا بكل ما يلزم؛ لنحيط به علماً. والله الميسر. والسلام.

حرر في ١٣ من محرم سنة ١٣٤٣ هـ.

فلبى دعوته، وفي صحبته العلامة سعيد بن ناصر الكندي، بعد ما زار هذا الشيخ ببلدة (المتهدمات)، ثم خرج منها إلى بلد السيب من الباطنة، فاستقبله بها رسل سيدنا الإمام، فخرجوا وهو في صحبتهم.

كان وصوله سمائل في اليوم الثامن عشر من شهر التاريخ، فأطلقت المدافع لوصوله ٢١ طلقة، وأنشدت الشعراء التهاني، ونشرت الخطباء المآلث والمآثي.

ولما ألقى عصى الترحال، شرع في حل العقبات بين الإمام والسلطنة، واجتهد في إيجاد كيان شامل لنظام الدين والدنيا، وبقي أيامًا للتفاهم في إزالة الجفاء بين العاهلين، حتى قربت المياه من مجاريها.

وفي أول شهر ربيع الآخر، استدعاه الشيخ عيسى بن صالح لزيارته، وأرسل إليه أبو هشمة سعيد بن عبد الله الهاشمي ومحمد شيبة السالمي، فأجاب دعوة الأمير وخرج إليه وفي رفقته العلامة سعيد بن ناصر الكندي وأبناؤه، فتلقاه الأمير بوجوه قومه، فكان يوم وصوله عيدًا بل يومًا مشهودًا، أطلقت فيها للبنادق والمدافع، وتزاحمت الفرسان للسباق بتلك المجامع، وقد أصيب بحمى الملاريا لما كان بالقابل، ثم عوفي وأحب الرجوع، بعد انتهاء أمد الزيارة إلى مسقط، فكان وصوله إليها في اليوم الثالث من شهر شعبان من العام المذكور، وأنشد هذه القصيدة مودعًا لسيدنا الإمام، مبتهجًا بما رآه من الحفاوة وحسن الأخلاق:

إليك عيان يا مهّد الإمام	وداعٌ من فؤاد مستهام
عمد المؤيد بالחסام	إمام المسلمين أبو المعالي
حضرته أبادر بالسلام	سليل المجد طلاع الثنايا
حزن لم تذوق طعم المنام	وداع والعيون تفيض دمعًا
ويسضرب تارة ضرب الرزام	تناجي القلب وهو يئن طورًا

كأن لسانه يتلو دوائها
 تركت عمان رغماً وهي تزهو
 أسود لا يبرون الموت بأشأ
 لهم أدب به يُجلى صدق من
 ويشرح صدر من ضاقت عليه
 ويشقى غلة المضى ويُجسى
 وحدت ما تشا بالجوود عنهم
 لهم حكم بشرع الله يجري
 فلا دول أجنب عن رعايا
 ولا عهد يقيد مقتضاهم
 فهم في روضة حفت بأمن
 فزد في عزهم واخصب ربوعاً
 وهب لي دعوة تروي غليلي

وهبل مثل التفريق من سقام
 بإخوان كعقد في انتظام
 وهم حصن منيع للمضام
 ذكته نوائب الدول الجسام
 رحاب الأرض من دول عظام
 نفوساً بالجهالة في ظلام
 وهم في الدين أمضى من حام
 به كل المحاكم في انسجام
 تناضل أو تهدد بانتقام
 تحافظه القناصل بالخصام
 وفي حريصة سمح النظام
 بهم تختال يارب الأنعام
 إليهم يا مغيث المستهام

ولما وصل مسقط راجعاً من عمان، عزم أن يتصل بملك العراق فيصل الأول،
 والتمس منه الإذن بالشخص إليه، فأجابه مبدئاً عطفه الملكي السامي على شخصية
 الباروني التي يقدرها كل عربي، ويعرف مكانتها في الكفاح العربي القومي، فبقى
 ينتقل في ربوع العراق، جاعلاً بغداد محور مطافه وجولاته، ونقل أسرته إليها، ثم
 رجع عمان مرة ثانية، فكلفه الإمام الخليلي رئاسة هيئة كبار العلماء والرؤساء، وقام
 بمهمته خير قيام، واستوطن فيحاء سمائل، وتزوج من عائلة الشيخ الجبري، وأحد
 حكام عمان في القديم. ولما كانت الظروف القاضية على العمانيين بالتأخر عن الأوج
 والنكوص إلى الخضيض، عظم أمره على المنافقين الذين استحوط الشيطان عليهم،
 وعلم أهل الأطماع اليأس من مطامعهم الفاسدة، وعرفوا أن لا حظ لهم عنده،
 فأتقنوا سياستهم، وأغضبوا الباروني، فقدم أوراق استقالته، فكان من رأي الإمام في

ذلك الوقت قبول استقالته وعدم إحراجه، وما ذلك إلا لأمر أراده الله بعمان، حتى يتلعبها المستعمرون الذين فاتتهم هذه النقطة من الأرض، التي لم يكن في تاريخهم القديم ما يزين لهم الوطأة عليها ولو يوماً واحداً.

انتقل الباروني إلى مسقط يطلب من السلطان سعيد بن تيمور، فأكرمه وأولاه منصب المستشار العام لحكومته، وقام بإصلاحات متعددة حتى أدركته منيته، خرج من مسقط في صحبة السلطان سعيد يوم المولد النبوي عام ١٣٥٩هـ، ونزل بومباي من أرض الهند، فأصيب بداء السكتة، فمات فجأة مساء يوم الأربعاء ٢٣ ربيع الأول عام ١٣٥٩هـ.

ولد رحمه الله بمدينة (جادوا) حاضرة متصرفية فساطو من أرض المغرب خلال عام ١٢٨٧هـ الموافق (١٨٧٠م) وتلقى العلوم الدينية والعربية في جامعات تونس والجزائر ومصر. وكثيراً ما أخذ من أبيه العلامة الزاهد عبد الله بن يحيى، وعن قطب الأئمة محمد بن يوسف أطفيش -رحمهم الله- ثم قفل راجعاً إلى وطنه، بعد أن تزود ثقافياً بكل ما يمكن. وكانت له آراء خاصة بسياسة الدولة العثمانية، فاستوجب نقمة العثمانيين عليه، واضطهدوه في عهد السلطان عبد الحميد بسجن ونفي وتشريد واختير عضواً بمجلس المبعوثين التركي نائباً عن الجبل المغربي مفوضاً من أربعين ألف نسمة، فلم تتفق وجهة نظره الوطنية مع أنظارهم التوسعية، وبقي في كفاح مرير شاق حتى اعتدت إيطاليا على طرابلس، فشنت عليها هجوماً عنيفاً، فساهم بجهوده في تحرير بلاده، واستغل نفوذه في إثارة الوطنيين ضد إيطاليا، وهب الجميع لتلبية ندائه. فلما كان الصلح بين تركيا المغلوبة وإيطاليا الغالبة، أبى الاعتراف بهذا الصلح، فواصل كفاحه إلى أن اضطر مكرهاً إلى دخول الحدود التونسية، فأقلته باخرة عثمانية إلى الآستانة، فعين عضواً بمجلس الشيوخ العثماني، فلم تستقر نفسه

حتى أقنع المسؤولين باستئناف الجهاد، فأجيب إلى طلبه، فأرسلته الحكومة إلى مواصلة الدفاع، بعد أن عينته واليًا على طرابلس. وظل كذلك حتى قررت تركيا الانسحاب من طرابلس، لاعتبارات سياسية، فحاول العودة إلى الشام أو مصر أو تونس، فوقفت بريطانيا وفرنسا في وجهه من دخولهن. ولما وصل باريس عن طريق روما، ظلَّ بها عامين لا يؤذن له بالسفر منها حتى تبدلت الظروف، ومهد له الملك المعظم حسين شريف مكة طريق السفر من مرسيليا؛ متعللاً بأداء فريضة الحج.

كان هذا الشيخ وآباؤه بمنزلة عظيمة في قومهم، وجدت في قرايطس كتبها الباروني لسيدى الرالد نور الدين السالمي؛ منها أن آباءه الكرام منذ تسعمائة عام لم يخل الجبل القومي منهم؛ إما عالم أو قاض أو زاهد أو مرشد.

وهذا كتاب له من الإمام اعتماد بتمثيل أمة عمان في المؤتمر الإسلامي، المزمع عقده لأجل قضية الخلافة بمصر:

بسم الله الرحمن الرحيم

من إمام المسلمين بعمان محمد بن عبد الله الخليلي، إلى جناب المجاهد في سبيل الله، الغيور في دين الله، أئمتنا الشيخ سليمان الباروني -وقفه الله-: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: حيث إن العالم الإسلامي في اضطراب واهتمام بقضية الخلافة والأماكن المقدسة، وقد تقرر على ما بلغنا عقد مؤتمر لأجل ذلك، فإننا نكلف جنابك باسم الأمة العمانية أن تحضر هذا المؤتمر الذي سيعقد لهذا الغرض الديني السامي في مصر، أو غيرها من البلاد الإسلامية، وليكن رأيك في مسألة الخلافة مطابقاً لقواعد الشرع الصحيحة، وهي لا تخفى عليك.

أما مسألة الأماكن المقدسة فليكن رأيك فيها مبنياً على حمايتها من عبث العابثين بها، ووقايتها من تسلط كل يد أجنبية عليها، مهما كانت مقاصدها وصبغتها، وقد استحسنا جداً تكليف جناب السلطان إياك بالتوجه إلى الحجاز مندوباً من طرفه، وحاملاً كتاب نصيحة منه إلى المتحاربين حول بيت الله الحرام. فنعم الرأي رأيته؛ فإنّ المسألة من أهم ما يجب أن يهتم به كل مسلم.

وإننا لا نزال في شغل من ذلك، والمنتظر من جنابك موافقتنا بالأخبار الصحيحة بدون فاصلة، والله تعالى نسأله أن يوفقك والمسلمين أجمعين إلى ما فيه خير دينهم ودنياهم آمين.

رمضان المعظم ١٣٤٣.

ولكن لم يتيسر للباروني تلبية رغبة الإمام لحضور المؤتمر الإسلامي بمصر.

قتل أمير ينقل

في ليلة العاشر من شهر شعبان سنة ١٣٤٤ هـ قتل أمير ينقل الشيخ خلف بن سنان بن غصن بن سنان العلوي في مأمنه ودار خلافته، بحصن ينقل؛ غدر به بنو أخيه محمد بن سنان طلباً للرياسة، ثم قتلا من حينهما، فولى الإمارة بعدهم ابن عمهم خليفة بن هلال بن غصن، وبقي بها حتى خرج عليه بنو عمه سيف بن عامر بن غصن، وسليمان بن سنان بن غصن في شهر جمادى الثاني سنة ١٣٤٦ وكان مريضاً، فأحاطا به، فنزل من الحصن، واستوليا على البلد، ثم استبد سليمان بالأمر وأخرج سيفاً بخدعة، وبقي سليمان أميراً عليها حتى توفي، واستولى من بعده ابن أخيه حمدان بن ناصر بن سنان، فما لبث طويلاً حتى رصد له أبناء سيف بن عامر

فقتلاه، وتفردا بالإمارة، فأرسلا لأبيهما، وكان غائبًا فقلداه الأمر، فبقي بها. وهو أميرها اليوم، ولا زال الغصون على ذلك، كان الشيخ خلف كريماً جواداً، عرف بالبسالة وحماية الجار، وتفرد بمحامد لم ينلها غيره من نظرائه في وقته حتى ضرب به المثل، والغصون أصلهم من الدوحة من أرض نجد. كذا يقول الشيخ سليمان بن سنان العلوي.

ترجمة شيخنا العلامة ماجد بن خميس العبري

في فجر اليوم الرابع والعشرين من شهر المحرم سنة ١٣٤٦، توفي ببلد الحمرا شيخنا العلامة الزاهد ماجد بن خميس بن راشد بن سعيد بن مسعود بن راشد بن خميس بن عمر بن عيسى بن عمران بن راشد بن عمر بن عيسى بن عمران العبري الحمراوي، ودفن بالجانب الغربي من مقبرة الحمرا. كان أبوه ذو الغبرا خميس بن راشد من أفاضل المسلمين وثقاتهم، وكانت بينه ومشايخ العلم المحقق الخليلي وناصر بن أبي نيهان مكاتبات ومراسلات حال اجتماعهم، على تقديم السيد حمود بن عزان إماماً للعلمانيين.

ولد الشيخ ماجد -رحمه الله ورضي عنه- في شهر رجب عام ١٢٥٢، وقيل: عام ١٢٥٤ ببلد الحمرا من كدم، فنشأ في حجر والده، فبقي يغذيه بحنوه عليه وعطفه إليه، فشب على مهاد البر وحب الخير والميل إلى المعالي، ولم يصب إلى اللهو واللعب من أول نشأته، تعلم القرآن والكتابة من الشيخ ناصر بن سالم العدوي، وأخذ مبادئ النحو وشيئاً من مهمات التوحيد من والده الشيخ خميس بن راشد. وبعد وفاة والده انتقل إلى الرستاق في أيام السيد أبي عزان قيس بن عزان بن قيس بن عزان لما شاع من محبة هذا السيد في العلم وتقريبه للعلماء، حتى كانت غرفة

الاستقبال بحصن الرستاق، المسماة غرفة الصلاة، لا تجد فيها إلا مدرسا، أو مكررا، أو ناسخا، أو ممليا، أو مصححا. وكان السيد إذا ارتفع من مجلسه العمومي قعد عندهم، فيجلب لهم الطرف والتحف ترغيبا لهم. ولما توفي السيد قيس لازم ابنه السيد عزان بن قيس الذي قلده المسلمون الإمامة العظمى، فتولى السفارة بينه وشيخ العلم المحقق الخليلي، فيما يرومونه من جمع الشمل. وكان ممن خرج في الجهاد أول خروج الإمام إلى بركا واستيلاؤه عليها، ولما فتحت بهلا جعله الإمام عزان عاملا عليها، وأبلى فيها بلاء حسنا. كان هذا الشيخ في زمانه من أكبر فقهاء عمان، فإنه اشتغل في غالب حياته درسا وتدرسا وقضاء وفتوى، ولم يتعرض للتأليف، كانت له رغبة في قراءة الشعر وإنشاده. وله قصائد يدجى في الوعظ والحكمة، ثم ندم على ذلك فمزق ما وجدته، ولم يبق إلا ما فاتته في أيدي الناس؛ فمن نظمه هذه القصيدة في الوعظ:

هيو يا نفس ما لنا لا نتوب	ذهب العمر والرحيل قريب
كل حي قد احتسواه طلوع	سوف يعروه بعد ذاك الغروب
كنت بالأمس أرعجي الشيب	واليوم أراني أناخ في المشيب
كلما سرني الزمان بشيء	ساعني بعد ذاك منه الذهوب
كيف يجلسو دهر لنا وهو هذا	دابسه دائما وكيف يطيب
كل يوم للدهر فينا خطوب	تنقص العمر والنفوس تطيب
أين أبأونا ومن قد صحبنا	أين أبأونا وأين الحبيب
فرق الدهر شملنا وبنا من	ذلك الفرق حرقه ولهب
وبهم ما بنا من الحزن والدم	ع على الخد سائل وصيب
فيهم الشيخ واهن الجسم قد ص	ار وفيهم كهمل وطفل رطيب
كيف ينجو من المنايا عزيز	أو ذليل أو جاهل أو لبيب
عجب يعشق الفتى هذه الدا	ر وإن الفتى بها لغريب

عشقوها وما لهم فارقوها
ليت شعري ماذا التجاهر والأ
زودتهم في سيرهم سينات
فدعها يا نفس لا تطلبها
وافعلي الخير واتركي كل ذنب
واصدقني الله توبة واعلمي من
أنا عبد غرقت في بحر ذنبي
وقطعت الحياة ظلماً لنفسي
أنت ربي إليك وجهت وجهي
ضيعوا العمر ثم فات النصيب
مر صريح وإنه لعجيب
موبات وليس عنهم تغيب
واطلبي غيرها فإني حبيب
أنا عبد قد أثقلت الذنوب
يصدق الله تأثلاً لا يخيب
فانقذ العبد مالكي يا مجيب
فاعف واصفح والطف بنا يا رقيب
أنت حسبي وأنت نعم الحبيب

كانت له أجوبة مسائل، وردت إليه في مختلف الفنون نظماً ونثراً؛ أما النثر فلا يقل أن لو جمع من أربع مجلدات. وكان شديد الحرص على اتباع العلماء المتقدمين، وكثيراً ما يشتد على علماء عصره، إذا رأى منهم ما لم يألفه من شيوخه الأقدمين، ولا يبالي في الرد عليهم.

فمن ذلك أن المحقق الخليلي أمر ولاية القرى في أيام دولة الإمام عزان بطناء زكاة كل بلدن قبل أن تجبى، ثم يجيبها المستطني بنفسه لنفسه، فوقع في نفوس جملة من علماء ذلك العصر، ولم يتجاسروا أن يردوا على الشيخ، فكتب الشيخ ماجد إلى زميله الشيخ عبد الله بن محمد الهاشمي إنكاره ذلك. وكان فيما كتبه له: إني لم أعرف وجه ما انتخبوه من الرأي في طناء الزكاة، مع ما في ذلك من الجهالة. فأرسل الشيخ الهاشمي اعتراضه هذا إلى المحقق الخليلي، ولكنه وقع في العبارة تصحيف في لفظة انتخبوه، فكان في موضعها انتحلوه. قال الشيخ ماجد: لا أدري أكان ذلك التصحيف سبق قلم مني أم من غيري، وأنا لم أرد ولم أقصد إلا انتخبوه بمعنى اختاروه رأياً. فلما وصل ذلك الاعتراض عند المحقق الخليلي ورأى عبارة انتحلوه،

اشتد غضبه على الشيخ ماجد، وقال: إن هذا العالم الذي ظهر الآن في عمان نصب الرأي دينًا؛ لأن معنى انتحل الشيء: اعتقده أو جعله نحلة؛ والنحلة: الدين فكتب ردًا عليه رسالة، أوضح فيها حجته، وعكر عليه من أجل تعليقه بالجهالة؛ والجهالة في البيع لا تفسده، ولا تكون علة لتحريمه كعلة الربا وغاية ما فيها إدراك نقض البيع لمن شاءه من المتابعين، وقيل: لا يدركه إلا الجاهلون به منها، كما هو مبين في الأثر فمن ثم اعترض عليه: بأنه نصب الرأي دينًا. وأصل ذلك مما وقع من التصحيف، والشيخ ماجد لم يرد ذلك، وهو ممن يعظم قدر الخليلي، ويقر له بالسبق في الحلبة العلمية.

ولما جبل عليه هذا الشيخ، من الغيرة والمحبة لاتباع آثار السلف، اعترض على العلامة نور الدين السالمي، لما أفتى بجواز بيع الأموال الموقوفة لزيارة القبور لعز الدولة، في صدر دولة الإمام سالم بن راشد الخروصي، محتجًا بأن قراءة القرآن الكريم على القبور بدعة، لا أصل لها من الكتاب ولا من السنة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم زار قبور بعض أصحابه، ولم ينقل عنه أنه قرأ معها قرآنًا، ولا أمر بذلك، وأنه قال: ((خير القبور ما درس))، وأنه نهى عن العبادة في المقابر وقال: ((لعن الله اليهود؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) إلى غير ذلك مما نقل عنه صلى الله عليه وسلم من التحذير عن تعظيم القبور، وأن الإيضاء بتلاوة القرآن معها منافي لذلك، ومخالف لهدية صلى الله عليه وسلم، ومجانب لأمره، وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((كل شيء ليس عليه أمرنا فهو رد)) وفي رواية: ((فهو مردود)).

أجاب الشيخ ماجد: إني أسلم لكم أن القراءة على القبر لا تصلح، فما المانع من أن تكون في مسجد من المساجد التي هي موضع للعبادة، وينوي القارئ بالأجرة

القراءة للميت الذي أوصى له بها وعن الموصى بها، فيأخذ الأجرة حيث لا محذور مما قلتم.

أجاب النور السالمي: إن قراءة القرآن بالأجر مختلف فيها؛ فبعضهم منع أخذ الأجر عليها؛ لأنها عبادة، وبعضهم أجازها. ونحن نأخذ بقول المانعين ونحكم به.

فقال الشيخ ماجد: أنا أسلم ثبوت الخلاف بين العلماء في جواز أخذ الأجرة على قراءة القرآن وتعليمه، ولكن الموصى أخذ في ذلك بقول المجيزين، والأوصياء والورثة أنفذوا تلك الوصايا، وأخرجوها من أموالهم؛ عملاً بقول المجيزين والعامل بقول لا يعنف ولا يرد فعله، فكما وسع المختلفين بالرأي في ذلك، فكذلك يسع العاملين بشيء من أقوالهم.

فأجاب النور السالمي: إن أصل الإيصاء بذلك والإنفاذ له من الورثة والأوصياء، لا يكون حجة تقطع الخلاف، وتمنع رد الفعل؛ لأنه فعل جاهل، ولا يكون قطع الخلاف في مسائل الاختلاف إلا من إمام عادل، فيصير حكمه في المختلف فيه كالجميع عليه، فلا يجوز نقضه لأحد من بعده في ذلك، أو مما يثبت حكمه في المختلف فيه من سائر الحكام والعلماء الأعلام، أما الجاهل فلا عبرة به، ولذلك لا تجد إماماً ولا عالماً أوصى أن يزار قبره، أو يتلى معه القرآن، فهي باقية إلى هذا الأوان، غير محكوم فيها بشيء نعلمه ممن سبقنا من الأئمة ولا هداة الأمة. فقد حكمنا نحن الآن ببطلان هذه الوصايا كلها، سواء كان الموصى معلوماً أو مجهولاً، ولكن المعلوم إذا كان ورثته معلومين، فالموصى به للزيارة يرجع إليهم ميراثاً على ما بينهم من السهام، والمجهول يرجع لبيت المال على أصح الأقوال.

فاستمر النور السالمي على إثبات حكمه، والشيخ ماجد على اعتراضه، وطالت بينهما المراجعة والرد في ذلك، ثم أخذ الشيخ في الاحتجاج على الإمام، وبخوفه في قبول هذا الحكم، ويغلظ عليه المقال، حتى ظنَّ الناس أنه قطع بذلك عذر نور الدين، وأنه لم ير هذه من مسائل الاجتهاد، ولا مما يسوغ فيه الرأي، فتغيرت عليه القلوب، وسيئت فيه الظنون. وكتبت في الرد عليه الرسائل، وصار العلماء بين ناصح له ومشنع عليه. ولم يلبث نور الدين، بعد ما رأى تشديد الشيخ على الإمام، حتى جاء قاصداً بنفسه إليه ببلد الحمرا؛ ليبين له الحق أو يتبينه منه، فكان من قضاء الله أن كانت تلك الرحلة سبباً لوفاته. وقد ذكرنا ذلك في ترجمته، وبيننا بعضاً من محاولته. والتفصيل ليس من غرضنا بقي في نفس الشيخ ماجد ما في نفسه على الإمام حرصاً على الاتباع، وطلباً للسلامة؛ لكنه لم يجد من علماء عصره من يعضده على هذا الإنكار.

وبعد موت سيدي الوالد نور الدين، اجتمع الأشياخ بجامع سعال من نزوى، مع الإمام سالم بن راشد الخروصي، وفي مقدمتهم العلامة أبو مالك عامر بن خميس المالكي، والعلامة الإمام الخليلي قبل إمامته، والعلامة عيسى بن صالح، والعلامة ناصر بن راشد الخروصي، والعلامة عبد الله بن راشد الهاشمي، والعلامة إبراهيم بن سعيد العبري، والعلامة أبو زيد الريامي، والعلامة محمد بن سالم الرقيشي، والعلامة الزاهد عبد الله بن عامر العزري، وغيرهم من العلماء والفقهاء وطلبة العلم والرؤساء، فجرت المذاكرة في مسألة بيع أموال الزواجر. وكان العلامة ماجد حاضراً، فبين لهم ما عنده، فأجمع رأيهم، واتفق نظرهم جميعاً على السكوت عن تلك الأموال المبيعة، وعلى عدم بيع ما بقي منها، وعلى عدم الخوض فيما سبق من الاختلاف فيها، وعلى عدم تخطئة نور الدين فيما صنع، وإظهار ولايته - رحمه وجزاه

الله عن الإسلام خيرًا - فارتفع بذلك الاتفاق ما سبق من الشقاق، وزالت الوحشة من القلوب.

ولم يقصد نور الدين إلا اتباع السنة في زيارة القبور، بأن لا يزيد زائروها على السلام والدعاء شيئًا، كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمقابر ليست مواضع للعبادة، وقراءة القرآن من أفضل العبادات، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيارة القبور؛ إذ كانوا حديثي عهد بالجاهلية؛ لئلا يقوم أحد عبادتها، ثم أباح لهم زيارتها بعد ما رسخ الإيمان في القلوب، وانتشر الإسلام في الجزيرة، وزال المحذور؛ فقال: ((كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها ولا تقولوا هجرًا)). أي: كما تقول الجاهلية من الفحش والدعاء بالويل والثبور. ونور الدين لا يمنع الزيارة، إذا كانت لقصد الدعاء للميت، والتذكير بالآخرة، والاعتبار بمن صار إلى القبور بعد القصور، وأنه إلى ما صاروا إليه صائر، فتلين بذلك قسوته وعريكته، وتذهب خنزوايته ونخوته.

وفي أجوبة المحقق الخليلي رضي الله عنه تصريح بأن المسألة من مسائل الاجتهاد، وتخرج للرأي الذي رآه نور الدين وعمل به، حيث قال في جوابه لمن سأله عن جواز بيع أموال الزوائر لعز دولة المسلمين: إني لا أعلم جواز ذلك من وجه أعرفه، إلا على قول من لا يميز قراءة القرآن بالأجرة، فتكون أموالاً جهل ربها، والمجهول يرجع لبيت المال على قول. اهـ. وذكر بعضهم أن المحقق الخليلي عمل بذلك، وباع بعض أموال الزوائر من بلد سمائل في عصر دولة الإمام عز، وطلب نور الدين صكوك ذلك المبيع فما ظفر بها.

كان الشيخ ماجد ورعًا زاهدًا عفيفًا، باع داره التي يسكنها، وتصدق بثمانها على الفقراء.

كان لا يتكلم باللغو ولا بالمزاح، ولا يعظم أحدًا لأجل دنياه، ولا يداري أحدًا في الحق.

تخرج عنه تلاميذ كثيرون، فقد قرأ عليه نور الدين السالمي بالرستاق، والشيخ العلامة إبراهيم بن سعيد العبري، والشيخ سعيد بن صالح العبري، والشيخ علي بن هلال بن زاهر الهنائي، والشيخ سالم بن راشد العبري، والشيخ محمد بن سالم بن بدر العبري، والشيخ القاضي ثابت بن سرور الغلابي وكثير غيرهم.

عما شهر من كراماته رضي الله عنه أن شعر لحيته غلب عليه السواد بعد موته، في حال تغسيله وتجهيزه.

وأنَّ الله سبحانه وتعالى حفظ له سمعه وعقله ولسانه إلى آخر عمره ولم يبتله بالهرم، ولم ينقطع عن المسجد، ولم يعجز عن شيء من عبادته وأوراده، التي لازمها في أيام قوته، ولا عن مجالس العلم والقضاء إلا في مرض موته.

سبب وفاته: أنه عثر في النهر الذي يتوضأ منه، فأصابته جراحات خفيفة في ساقه، فاحتبس في بيته، ثم ابتلي بمرض في سائر جسده، وفي اليوم الذي أحس فيه باشتداد المرض أنشد هذه الأبيات من قصيدة العلامة ابن النظر:

إلهي أنست أراف بي وأولى	والطف من جميع الوالدين
بلطفك صفتني بشرًا سويًا	ولم أك كنت من ماء مهين
فهب لي منك مغفرة وعفوًا	إذا ذهبل الخدين عن الخدين

وقد ضعف بصره في أيام كبره، وذهب بالكلية منذ عام ١٣٣٢ فيكون عمر هذا الشيخ ٩٤ سنة على قول، أو ٩٢ على القول الآخر. وقد رثاه الشعراء بمراث حسان؛ فمنها مرثية الشيخ سالم بن سليمان الرواحي:

جری بحکم المنايا سابق القلم	على البرية قبل الخلق من عدم
لحكمة شاءها السرحن جارية	فارض المقادير في حرب وفي سلم
يا عالم الشرق يا قوام دعوتنا	وسائر الصيت في قناع وفي أكم
من ذا تركت على الإسلام بخدمه	وليس يقرب فيه ساحة السأم

ترجمة شيخ البيان محمد بن شيخان

في ليلة الثامن عشرة الجمعة من شهر ربيع الأول، من شهور سنة ١٣٤٦ توفي بيت القرن من الرستاق شيخ البيان منحه القطب رحمه الله هذا الاسم مفخرة شعراء عمان محمد بن شيخان بن خلفان بن مانع بن خلفان بن خميس السالمي، ينتمي إلى بني ضبة. وكنيته أبو نذير، وهو ابن عم نور الدين السالمي.

ولد بالحقوقين؛ قرية من أعمال الرستاق، وهي بلاد قومه ومنزل آبائه، ونشأ بها. وكان أبوه رئيس قومه، ثم انتقل به أبوه إلى الرستاق للحوادث الواقعة بينهم وجيرانهم، كما خرج ابنه عمه نور الدين يحمله أبوه، فاستقروا بالرستاق، وكانا في سن واحدة، فنشأ بها، وقرأ علوم الآلة، واستكمل علم اللسان وعلم الكلام والفقه قراءة على ابن عمه نور الدين، بعد ما قرأ على الشيخ راشد بن سيف اللمكي؛ إذ كانت الرستاق ذلك الوقت معدن العلماء ومجمعهم بقصرى، وهي حارة من حوايرها، فلا تسلك عما هنالك من الأفاضل وكشفهم لمعضلات المسائل؛ وبقي بها برهة من الزمن، ثم هاجر إلى الشرقية، بعد ما هاجر إليها ابن عمه نور الدين، واختار المضبيبي مسكنًا، وبقي بها طويلاً، ثم انقلبت به الحال آخر عمره، فرجع إلى وطنه الأول الرستاق، وتولى بها التدريس في فنون العلم، فكان له بجامع البياضة

خلق عديدة، كلهم تلامذة له. وذلك في عصر الإمام الخروصي، وصدر من أيام الخليلي، فلذلك نرى له في فتوحهما قصائد.

تخرج عنه تلامذة كثيرون فقهاء، فأكثر المتعلمين الموجودين بالرستاق اليوم من تلامذته، وأفقههم علماً الشيخ عبد الله بن عامر العزري الذي ولي القضاء بنزوى، والشيخ محمد بن حمد الزاملي الذي ولي قضاء الرستاق في عصر الإمام الخليلي، وكلاهما مكفوف البصر.

كان هذا الشيخ فارس عسكر الشعر، واقتبس من أنواع العلم ما صار به في العلوم علماً، وفي الكمال عالماً، فهو فرد الزمان، ونادرة الفلك، وقبة تاج الأدب يشهد له بالتقدم في التبريز، ويتحامى جانبه، فلا ينبري لمباراته، ولا يجترئ على مجاراته وعبقريته أعظم شاهد له.

كان كريماً جواداً؛ ولا ثروة له.

كان جهوري الصوت.

كان في مشيته زهو، فعوتب فقال: هذا خلقي.

كان حافظاً لأشعار العرب، ويقدر حفظه بالكثير مما يعجز الكاتب عن رسمه.

كان ذكياً سريع الجواب، سريع الالتفات للسائل، حاضر البديهة، يحفظ من شرف واحد، سريع الإجازة. فمن ذلك أنه خرج وابن عمه نور الدين للنزهة في يوم شات، فأمر الخادم أن يوقد النار لطبخ الزاد والاصطلاء، فأنشد نور الدين:

وقلت لخلي: أوقد النار إني أريد اصطلاء ثم قام وقد قد

فقال: أجز أبا نذير، فأجاز من غير تمهل:

فاصطلى الحشا جهداً وقال: لعله تفقد ما يشكو فقلت: فقد فقد

كان حاضر الاستشهاد في النوازل والطوارق الكارثة مما يوافق المقصود وسريع

بديهة فيها.

مما يروي من فرط ذكائه: أن سلمه والده لمعلم القرآن بمحلة قصري، وخرج أبوه لبحبوحة الباطنة من عمان، يطلب له مصحفاً مطبوعاً؛ إذ كان الطبع ذلك الوقت عزيز الوجود بعمان، فلبث أياماً يسيرة لزيارة أصحابه، ورجع يحمل المصحف الكريم، فإذا هو قد ختم القرآن، وذلك لفرط ذكائه وحدة فهمه.

غلب على قريحته نظم الشعر، فتكسب به، لما ضاقت حاله، فكانت بينه وسلاطين مسقط مواصلات وصلات، فلذلك ترى معظم شعره في مدح السيد فيصل سلطان مسقط وأولاده، وأول قصيدة قالها في مدحه:

شمس من الأنس صار الحسن هيكلها ألقت إليها النوى طوعاً معوها

وقد تقدم ذكرها في ترجمة السلطان فيصل، فهي من معلقاته. وقد أجازة عليها جائزة فخمة، فكتب لابن عمه نور الدين أخباراً بالجائزة؛ إذ كان يعنفه ويلومه ويبيته، على إفراغ ذهنه في مدح الجبابرة والسلاطين، فأجابه بعد كلام طويل فيه تقرير: ولعمري لو أنك أعطيت بكل شطر منها ألفاً، لكنت أنت المغبون. وبمدحه للسلاطين جفاه نور الدين قائلاً: إن التكسب بمدح الجبابرة حرام. وما أشبهه بمهر البغي. ولا زال شيخ البيان يعتذر عن ذلك بقوله: نحن بحاجة إلى ما بأيديهم من بيت المال، ولا نصل إليه إلا بسبب.

شهد له أهل عصره، بأنه أشعر أهل مصره، ويقول نور الدين: لولا وجود شاعر العرب أبي مسلم الرواحي بزنجبار، لقلت: إنه أشعر أهل عصره.

ولما كانت الإمامة ضد حكومة مسقط، وكان القائم بها ابن عمه، وهذا الشيخ يمت إليه بالقرابة، حصلت له جفوة من سلطنة مسقط، فخرج مكتسبًا بشعره إلى حكام الإمارات العربية بالساحل العماني، فكانت له مدائح فيهم، ثم رجع إلى الرستاق، وأقلع عن ذلك، وأقام بها مدرسًا كما سبق ذكره، ويعفو الله عما سلف. ولنذكر شيئًا من شعره:

«فهذه بلغة المرام من شعر الغرام». وهذا نصها:

بلغة المرام من شعر الغرام

و عاودها نيرانها واضطرامها	خليلي ما للتنفس حاج غرامها
غفا رسمها وجدًا وطال هيامها	أما أن تستبقي المهجة التي
سرائرود لا يطاق اكتنامها	أحبابنا بنتم وأودعتم الحشا
وجزتم فلما للعين إلا انسجامها	سريتم فلما للقلب إلا احتراقه
سهر جفون لم يزرها منامها	فهلأرحمت مغرمًا بهواكم
تعاطيتها كالخمر إذ دار جامها	إذا هبت النساء من نحو أرضكم
فلي نفس صب كاد يأتي حامها	صلوني فإن الوصل من شيم الوفا
وما فرصات الدهر إلا اغتنامها	وعودوا لما كنتم عليه من الصفا
رسائل شوق يسهل انسجامها	أحمل نساء الصباح إليكم
وتعليل نفس واللقاء مرامها	وما القصد إلا كشف وجد مُبرح
فمن سقمي يروي إليكم سقامها	إذا وردت سكرى إليكم سقيمة

وإن أطلعتكم عن خبايا مودة
ولم أنس منكم ظبية يوم ودعت
رنت من بعيد والقلوب براجس
فما كان إلا عبرة إثر حسرة
تشارك مني الدمع والدم مثل ما
وقالت: سآتي بعد عام وكم مضت
أسائل بانات الحمى عن طبائنها
ولي شجن بالدر والبرق موهنًا
وأبذل نفسي للنسيم لأنه
ولي خطرات تضرم النار في الحشا
أيا ملكة الحسن التي في قلوبنا
لئن كنت في أهل الجمل مليكة
عزيزة قدر ذللت نفس ماجد
فواعجبًا للأسد تقنصها الظبا
أذلّل نفسي في الهوى ولقد درى
ولي همة في نيل كل جليلة
وبي سكرة لم أصبح منها بحب من
وأستعطف النساء حتى تفوح من
خليلي قوما فاسألا البارقي الذي
وهل مطفي لي جذوة من لظى الجوى
وهل فيك يا صوب السحاب طاقة
أحببنا ماذا التمانع والجفا
نقسم دمعي في هواكم ومهجتي
إذا كان مني هكذا في جنابكم

ففي القلب أضعاف وفيكم مقامها
ولي زفرات ليس يخبو ضرامها
فلم تخط حبات القلوب سهامها
وما كان إلا مهجة وانصرامها
تشارك شبيها عقدها وكلامها
شهور وأعوام ولم يأت عامها
وما القصد إلا جيدها وقوامها
وما ذاك إلا ثغرها وابتنسأماها
يمر بأرض مر فيها غلامها
من الشوق في ميدان قلبي زحامها
جرت سطوة أحكامها واحتكامها
فإني في أهل الغرام هامها
وما قدره إلا السها واستلامها
وكم ظبية صيدت ونيل مرامها
جماعات بيت العز أني إمامها
ونفس إلا جلا بالجليل اهتمامها
تقوض عنسي ذاتها وخيامها
حامها فيأتي عندها لي سلامها
أضاء هل سقى أرضًا وفيها مقامها
فقد طال ما يصلى بها مستهامها
بحملي إلى دار جفتني كرامها
أكانت كذا أخلاقكم وانتظامها
وبي صبوة يسألي لمثلي انقسأماها
فما بال نفسي لا يراعي احترامها

أما أعشبتة ساجها وغمامها
مراتب شوق ليس يخفى مقامها
تعطر منها زندها وخزامها
وما لكم في الشمس إلا تمامها
فلله أسرار تفيض رهائها

سلوا وادي الصمان عن فيض أدمي
ولا فذا وادي الأراك سلوه عن
وما طابت الجرداء إلا بنشركم
وما لي بظل الأنس إلا انتقاصه
عسى يجمع الرحمن شملي بقربكم

ومن غرر قصائده:

بأحر قان من كنوز المدام
مواطى أقدام الأطباء الروائع
بها تنقاضها رجوع الودائع
ترى غير باك في الديار وساجع
وما الشرق إلا منزلاً للطوالع
وما الجسم بعد الروح أصلاً بنافع
صفوف صلاة بين هاو وراكن
وكم كان فيها للنهى من مصارع
نصيح بشكوانا إلى غير سامع
وعدنا لأهلها بكل المجامع
وأحبنا بين اللوى فالأجارع
فليست عشيات الحمى برواجع
صميم فؤاد للمواطن نازع
ولا فسما هذا نسيم المرباع
بعيد التلاقي هامل الدمع هامع
بثغر الثنايا والثنيات لامع
أنت بعير من حمى الغيد ضايع

قف ساعة نقضي حقوق المرباع
ونلثم من ساحاتها وعراصها
وقفنا حيارى والقلوب وديعة
بلايلها هاجت بلايلنا فسما
ديار عهدنا هن للببيض مطلعاً
تقوض عنها أهلها فتوحشت
غدت عجباً بعد الأنيس كأنها
فكم كان فيها للمها من مصائد
خليلي ما هذا الوقوف إلى متى
قضينا بتبر الدمع حق مرباع
وليس بمجد في السديار وقوفنا
أما لعشيات الحمى رجعة بها
خليلي هذي نفحة القيظ صدعت
تنفس هذا الروح من صدر وامق
أما فيكما من مسعد لتيم
أصاح ترى صبراً على ضوء بارق
ويهدأ من قلبي خفوق ونسمة

فهل لي سبيل المدامع بالضحي
فما دام لي عقيد بعيني خزنه
وإن لصدوع الفؤاد فهل له
كثير هموم الدهر شاك صنيعة
رأيت جميع الناس يشكون دهرهم
وكلهم منه تناول حظه
أقول لدهري كيف لي أنت؟ قال لي:
حبوتهم العقل الذي هو أشرف الـ

من الغيد جلت عن صيان البراقع
من التبر حتى ضاع بين اللوامع
انجبار يشتمل للأحبة جامع
إليّ ودهر الحراس سوء صانع
فبين مسليء بالثراء وجائع
من الهم محفوقاً بسهم الفجائع
أنا لأولي الأبواب لست برافع
جواهر واستغفيتهم عن مطامعي

ترجمة العلامة أبي مالك عامر بن خميس المالكي

في الربع الأخير من الليلة الخامسة من شهر رمضان المبارك، من شهور سنة ١٣٤٦ توفي شيخنا العلامة الولي أبو مالك عامر بن خميس بن مسعود بن ناصر بن مسعود بن أحمد بن حديد بن خميس بن عبد الله بن عمر المالكي الشرياني، نسبة إلى شريان بن شاري بن محمد، يجتمع ببني خروص في محمد، نقلاً عن الشيخ حمد بن سليمان بن ماجد الخروصي، وكانت وفاته بنزوى ودفن بها.

ولد رحمه الله بوادي بني خالد من الشرقية سنة ١٢٨٠ - ٨٢ وبها منازل قومه.

نشأ رضي الله عنه يتردد بين عز والقابل، للاستفادة من شيوخ العلم، ثم ركن إلى بديّة، فاخترها وطناً؛ لحصول الأفاضل بها في ذلك الوقت، فبقي فيها حتى ألزمه الإمام القيام بنزوى، فانتقل إليها، وتأهل بها، وألزم نفسه خدمة الوطن وامثال أمر إمامه.

كان رحمه الله أحد أقطاب العمانيين الفطاحل الذين دارت عليهم إمامة الإمامين: سالم بن راشد الخروصي، ومحمد بن عبد الله الخليلي رحمهم الله.

كان رضي الله عنه من الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، صريحًا لا يعرف المداجاة، ولا يقر على الضيم، يقول الحق، وينطق بالصدق، جسورًا في أيام الكتمان.

كان عظيم البنية، طويل اللحية، كبير البطن، ومع هذا فلا يشق له غبار إذا اختلط الدخان.

ولي إدارة أمر المسلمين بنزوى وما حولها، في أيام الإمام الخروصي بعد شيخه نور الدين، ثم في عصر الإمام الخليلي؛ لكونهما يخرجان إلى الجهاد، ولتفقد أمور المملكة، وبالشيخ الكفاية علمًا وفضلًا وحرصًا واجتهادًا وسياسة.

اشتغل في حال قيامه بنزوى بالقضاء، فهو رئيس القضاة بعمان في عصره، وجعل وقتًا للتدريس، فتخرج عنه عدة علماء، حملوا الفقه وفنون العلم عنه، وجلب نساخًا للكتب، وأحصى كثيرًا من المؤلفات الغامضة التي أضاعها الإهمال وأكلتها الأرضة.

عمر بيت المال بنزوى، فغرس نخل المبسلي، وكان عزيز الوجود بها، وحضّ أهلها على غرسه؛ لكونه يدر أرباحًا كثيرة، وحضهم على عمارة البلد وخدمة الأنهار، وكل ذلك لم يمنعه عن القيام بشئون الدولة والنظر في مصالحها.

وقع في قلبه حرج في عصر الإمام الخروصي على المتعلمين الذين استناروا ببدره، وشربوا من بحره فتوغر صدره وضاق قلبه، فأحب الاعتزال والانفراد، وتخلّى عن

القضاء، واستعفى من إدارة الأمور، وخرج من نزوى إلى بيته ببغية. ومما كتبه جواباً لسؤال صدر إليه من أحد المتعلمين الذين آنس منهم الجفا:

إني أقول كما قال السدين مضوا: صبر جميل فيا طويي لمن صبرا
كفوا الملام فحسبي من ملامتكم سكونكم عندنا أولى فكن حذرا
نـزواكم لكم والله يرزقنا والله يكلؤنا من كل من مكرا
ستعلمون غداً قدري ومنزلتي إذا تكشف ما قد كان مستترا
متى ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم لومت من قدرا

مع كلام طويل يتبين فيه غضب التحرير. وفي حال قيامه ببغية لم يعذره الإمام، وألزمه أن يتقلد إدارة القضاء بالشرقية، فكانت تصدر أوامر الولاية وأحكام الشريعة عن رأيه، وألزم والي ببغية السيد هلال بن علي امتثال أوامره وأن لا يحل، ولا يعقد إلا برأيه. ولما استشهد الإمام الخروصي كان أول من قام في الناس يحضهم ويحثهم على الاجتماع لعقد إمام لهم، فيجتمع الشمل، ويبقى النظام غير منحل. وكان أول من بايع الإمام الخليلي، وخطب على رأسه خطبة العقد، كما أنه فعل ذلك في عهد الإمام الخروصي.

كانت بينه وسيدي الوالد نور الدين مراسلات ومباحثات وسؤالات، كتبها إليه العلامة أبو مالك نظماً ونثراً. وكان أحظى التلامذة عنده، فهو يقرأ له ويكتب عنه، فخرج ذات مرة لزيارة أولاده، فطالت غيبته، فكتب إليه نور الدين:

أعامر أنت عندي خير صاحب وأنت فتى عديتلك للنوائب
أترحل عن أخيك بلا اختيار وتركه بلا قبار وكاتب
لقد ضاق القضاء على خليل غداً بعد الأجابة دون صاحب
لسئن لم تآتني في كل يسوم لأعتمد الرحيل على النجائب
وأضرب في نواحي الأرض شرقاً وغرباً والجنوب وكل جانب

وهي قصيدة طويلة.

شيوخه الذين أخذ العلم منهم: الشيخ العلامة سعيد بن علي الصقري، وشيخنا العلامة صالح بن علي، وسيدي نور الدين السالمي، رحمة الله عليهم.

مؤلفاته: موارد الألفاظ في نظم مختصر العدل والإنصاف، أرجوزة في الأصول، غاية المطلوب في الأثر المنسوب، في الأديان والأحكام، مجلد ضخمة. أرجوزة في «غاية المرام في الأديان والأحكام». في أربعة مجلدات، تنوف على ثمانية وعشرين ألف بيت، نثر فيها كنانته، وأوضح بها آراءه السديدة فيما تفرد به. وله رسالة رجز سماها: «غاية التحقيق في أحكام الانتصار والتغريق» أبدى فيها أدلة الانتصار وأشعته، وصفة التغريق وأحكامه. وهي رد على الشيخ عيسى بن صالح، لما شنع عليه في حكمه على أموال الشيخ راشد بن عزيز الخصيبي، أنها بيت مال، فإنه أطنب في تخريج الأدلة وانتخابها من مظانها انتصاراً لحكمه، أولها بعد المقدمة:

إن الإمام سالم بن راشد هو الذي غرق مال راشد
وأنه بذلك التغريق أحق في مذهبه الحقيقي

وله منظومة في الدماء والأروش أولها:

بمحمد الذي قد حرم السفك للدم بدأت اقتداء بالنبي المكرم

ذكر فيها أحكام الأروش وتقويمها بالصرف العماني الحاضر، وهو القرش المتداول بينهم؛ ليسهل على الطلبة ذلك، وله أجوبة كثيرة على المسائل الواردة إليه نثراً ومجلد نظماً، وله رسائل كثيرة.

تلاميذه: الشيخ العالم محمد بن سالم الرقيشي، والشيخ العالم سعيد بن أحمد الكندي، والشيخ العالم سعيد بن ناصر السيفي، والشيخ العالم سعيد بن سليمان

الكندي، والشيخ العالم منصور بن ناصر الفارسي، وابنه الشيخ العالم القاضي الولي سعود بن عامر المالكي، والشيخ القاضي راشد بن حمد الحجري. ولي قضاء بديعة بعده، ولما توفي راشد ولي القضاء الشيخ سعود بن العلامة المالكي المذكور، وغيرهم كثير.

عهود الإمام له

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

قد أقمت الشيخ عامر بن خميس، وجعلته نائباً عني، وأجزت له ما يجوز أن أجيزه له، من فصل الأحكام والنظر في مصالح الإسلام، وجعلت فرائض العسكر على يده، وألزمته طاعته. وكذا ألزمت أهل الديار طاعته ما أطاع الله، وجعلت له أن يعطي من بيت مال المسلمين على نظره واجتهاده لمصالح المسلمين، من جلب نفع، أو دفع ضرر عنهم، وحررت هذا، وأنا إمام المسلمين محمد، بيدي يوم ٢٢ ذي الحجة سنة ١٣٤٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله.

قد جعلت الشيخ عامر بن خميس المالكي نائباً عني، في إقامة صلاة الجمعة بنزوى، وفي إنفاذ الأحكام، وتعزيز أهل الجنايات، وأجزت له كل ما يجوز لي أن أجيزه له، من إجراء النفقات، وتزويج من لا ولي لها بالمصر، وتطليق من عجز

زوجها عن إنفاقها، إن طلبت ذلك، وغير ذلك مما كان مرجعه إلى الولاة والقضاة، وقد ألزمت أهل الدار طاعته، وجميع العسكر مساعدته ومناصحته، كما ألزمته هو النصح للمسلمين والاجتهاد. والله أسأله لي ولهم الإعانة والتسديد، وحررته بيدي، وأنا إمام المسلمين محمد بن عبد الله.

ارتقاء السلطان سعيد بن تيمور على سلطنة مسقط

في أول شوال عام ١٣٥٠ خمسين وثلاثمائة وألف، تولى سلطنة مسقط السلطان سعيد بن تيمور بن فيصل، بتخلي أبيه السيد تيمور عن الملك، وحبه للعزلة والانفراد، والسياحة بأرض الهند، فوضع أعباء الحكومة على عاتق ابنه، وقد مهد لهم عرش المملكة الإمام أحمد بن سعيد، واستولى على كرسيها، ودانت له نزوى عام ١١٦٧، وهي آخر ما سلم له الأمر من حصون عمان.

ولد هذا السلطان ليلة الخميس سابع شعبان عام ١٣٢٩، وارتقى منصب الحكم، فلم يكن له في بادئ أمره إلا إصلاح حكومته من الساحل، وقطع الاتصال بالعمانيين حتى كثر ترددهم إليه للطمع فيه، ففتحوا له الأبواب الموصدة، باب الدعاية، وباب السياسة، وباب الحرب، وأغروه بما لم يكن في حدسه، فنجم من ذلك دخول الاستعمار، وهلاك الرعية، وذهاب الوطن. ولما كان الإمام الخليلي من البارزين في السياسة، العارفين بمطامع العدو، ساس رعيته، فلم يكن بينهم في أول الأمر ما يكدر البلاد والعباد، حتى أنس السلطان منه الشيخوخة، تقدمت إليه الدسائس السياسية كما استقرؤه بعد هذا. قام السلطان سعيد بعمارة ظفار، واتخذها عاصمة ثانية، فأصبحت بعمارته جنة غناء، تروق الناظر، وتنعش المشاعر، فهو يقضي أكثر أوقاته بها، ولا يخشى فيها كدرًا.

ترجمة فارس الشرفاء الشيخ سليمان بن حميد الحارثي

وفي عصر الإمام الخليلي، توفي السيد الجليل فارس الشرفاء سليمان بن حميد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن عيسى بن راشد الحارثي. وكانت وفاته ليلة الخامس عشر من شهر ذي الحجة عام ١٣٤٥ ببلدة المضيرب من الشرقية.

ولد رحمه الله في عام ١٢٧٠ فكان عمره يوم وفاته أربعاً وثمانين سنة.

كان هذا السيد من علو القدر، وبعد الهمة، وجلالة المنزلة بحالة انفرد بها دون أقرانه؛ فهو فرد دهره أدباً وفضلاً وكرماً ومجداً وفروسية وشجاعة؛ أمّا جوده وسخاؤه فحدث عنه ولا حرج.

شهد بعض مواقفه ابن براك، أحد أبطال النجديين، في حادثة أبدى فيها من الفروسية والبسالة ما تكعكع عنه نظراؤه في ذلك الموقف، حتى رماه جواده، وهو على سرجه، فرجع إلى قومه يطلب جواداً يقف عليه في حومة الوغى، إلى أن تنجلي غمته، فضنوا به عليه. ولما انجلت المعركة ورجعوا إلى الشيخ صالح بن علي، فسألهم عن الخبر، فأجاب النجدي -وكان ضيفاً لهم-: يا صالح، ضح بالحرث وأطعمهم سليمان. فبقيت هذه الكلمة مثلاً عندهم.

خرج طلباً وراء الرزق إلى مدينة زنجبار مراراً، وأقام بها مكرماً؛ إذ جُل العمانيين يترددون إلى إفريقيا. ولما أراد الله تسليط بريطانيا على أهل زنجبار بما كسبت أيديهم، وقع سوء تفاهم بين السلطان خالد بن برغش وبريطانيا، فكان هذا السيد من المعاضدين الشادين أزر خالد.

ولما وضعت يدها على البلاد وابتزمتها من يد العرب، سجنته مع زملائه القائمين بالنهضة، ثم نفتهم إلى عمان، بعد ما ألزمتهم أداء مال باهظ عجزوا عنه، فسلبت أموال بعضهم، ودفع عن الشيخ بعض جماعته منابه، ثم عاد إلى زنجبار في شهر شعبان عام ١٣٢١، فلما عاد إلى زنجبار أزعجه حصر اليد، ففتح الله له من فضله ما أغناه به عن شرار خلقه، فبقي موردًا لا ينضب مأوه، وأقام بها شريفًا مكرمًا، حتى رجع إلى وطنه المضرب في اليوم الثاني من شهر رمضان عام ١٣٣٨، فكانت حاله بعمان كحاله بزنجبار محترمًا مكرمًا.

وفاة شيخنا العلامة سعيد بن ناصر الكندي

وفي ليلة حادي صفر سنة ١٣٥٥ خمس وخمسين وثلاثمائة وألف، توفي الشيخ العلامة الفاضل الزاهد سعيد بن ناصر بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن محمد الكندي ببلدة المتهدمات من وادي حطاط.

ولد هذا الشيخ بمحلة السوق من سمد نزوى عام ١٢٦٨، وحفظ القرآن على ظهر الغيب، وهو ابن عشر سنين. وأخذ مبادئ العلوم من مشايخ عقر نزوى. وفي عام ١٢٨٠ أزعج من وطنه وابن عمه الشيخ الزاهد محمد بن أحمد، وكان أكبر منه سنًا، أخرجهم الشيخ سيف بن سليمان النبهاني ظلماً وعدوانًا، بنميمة أهداها فاسق إليه، فلم يرع حق الله فيهما، وخرجا من نزوى، وقلوبهما تتفطر لفراق الأهل والوطن، والعناية تسدد ضعفهما، فنزلا بمسقط بساحة السيد صاحب المروة والإحسان هلال بن أحمد بن سيف البوسعيدي، فأقاما عنده بأرغد عيش، فكان بالنهار عند السيد محمد بن هلال، وبالليل يخرج هذا الشيخ لأخذ الدروس في علم الآلة كالنحو والمعاني والبيان من الشيخين: محمد بن صالح على مذهب الإمام

الشافعي، وحبيب بن يوسف الفارسي. وكان يثني عليها ثناء جميلاً. وأخذ علوم الفقه وما يتعلق عليه من الشيخ المحقق الخليلي، والشيخ سعيد بن عامر الطيواني، والشيخ مسعود بن صابر الكندي. وواصل طلبه في درس العلوم مدة عمره، بمسجد الخور من مسقط، حتى كان من أفاضل عصره، وأقطاب مصره، عاش سعيداً موقراً محترماً إلى حد الشيخوخة، تؤخذ عنه العلوم، ويرجع إليه في حل المشكلات بالعاصمة السلطانية.

وفي سنة ١٢٩٩ خرج لحج بيت الله الحرام.

أدرك هذا الشيخ الإمام عزان بن قيس، والإمام سالم بن راشد الخروصي، والإمام محمد بن عبد الله الخليلي وبايعهم، فقام بما يجب عليه في حقهم.

قام -رحمه الله ورضي عنه- في قطع عوائق الغشم والظلم الصادرة على العمانيين من سلطان مسقط، وقت ظهور الإمام سالم بن راشد، وسعى بالصلح، وتردد إليه مراراً فلم ينجح مراده؛ لعدم قبول الإمام الخروصي ذلك. ولما ولي الأمر الإمام الخليلي، أشفق على العمانيين مما يراه عليهم، من اضطهاد الظلمة، فكانت معاهدة السيب التي حضرها الشيخ عيسى، وهذا الشيخ بالنيابة عن العمانيين، ونائب الدولة الإنكليزية وسيطاً بينهم والسلطان؛ نظراً للصلاح، وكفاً للفتن والشعابث ولكل ما نوى.

تخرج عنه من التلامذة المعروفين بالعلم: الشيخ سليمان بن محمد الكندي، والشيخ هلال بن زاهر اليمحمدي، والشيخان: محمد وعيسى ابنا صالح بن عامر الطيواني قضاة مسقط، في عصر السلطان تيمور، وابنه السلطان سعيد، وغيرهم كثير.

وفاة كريم المساكرة رئيسهم أبي علي المسكري

توفي الشيخ اللسن البليغ الألمعي الطيب الزعيم، كريم مسكرة أبو علي سيف بن علي عامر بن سيف بن علي بن عامر بن سيف بن ربيعة بن علي بن سنان بن أحمد بن إبراهيم بن يوسف، ينتمي إلى سليمة بن مالك بن فهم الأزدي، نقلاً من خط الشيخ هاشل بن راشد المسكري. وكانت وفاته بعلاية إبرا، في ليلة السادس والعشرين، من شهر المحرم سنة ١٣٥٥ خمس وخمسين وثلاثمائة وألف، وعمره يناهز التسعين سنة.

ولد هذا الشيخ بزنجبار، ونشأ بها، وتلقى مبادئ العلوم من أبيه القاضي الشيخ علي بن عامر، ورتع في ظل ملوك زنجبار. فكان كاتباً لهم، مقرباً عندهم، وكان أبوه من الأجلء المحترمين لدى الملوك، فكان أبو علي أحد الكتاب للسلطان برغش، ثم كتب من بعده لإخوته إلى عهد السلطان حمد بن ثويني. ولما مدت بريطانيا باعها في سلطنة زنجبار، وأوقعت بالسلطان خالد بن برغش، كان هذا الشيخ من جملة الرؤساء، المسجونين بزنجبار، ومن نفاهم الإنكليز إلى عمان، فخرج مجبوراً في سنة ١٣١٤ وسلبته بريطانيا ما يملكه من مال، فبقي بعمان معاصراً للإمامين: سالم بن راشد الخروصي، ومحمد بن عبد الله الخليلي، إلى أن دعاه ربه فلباه.

كان أكرم أهل زمانه، وأعلمهم بعلوم الآلة، وإليه المرجع في علم الرسم. وكان قارئاً مجوداً، حسن النغمة، وخطه مرغوب فيه لحسنه وضبطه.

كان كثير الحفظ للغة، عارفاً بوحشيتها ومستعملها، لم يكن في زمنه من يباريه ويحاربه فيها، وله أشعار ومناظيم أجاد فيها.

بقي مثلاً في الكرم والذكاء والفطنة وسرعة البديهة في الجواب، إلى حال وفاته.

هجوم آل حكم على ستال بني خروص

شكا أهل ستال بني خروص إلى عامل الإمام أبي حميد حمد بن عبد الله نور الدين السالمي، من الهطاطلة الذين جعلوا ستال مسرحاً لأغنامهم، فأخرت بالزروع والنخيل، فحكم أبو حميد بنقلها وإبعادها؛ إذ كانت زروهم قريبة من البلاد، فكان في الحكم معارضة من بعض العلماء، وتعصب كل لرأيه. فبقيت منافسات، أنتجت حزازات في النفوس، فامتنع الهطاطلة وغيرهم، ممن كان مرجعه إلى العبريين، عن الانقياد للحق، وبسبب تزييف الحكم، برزت حرب سافرة من أهل وادي السحتن، حاولوا فيها الاستيلاء على حصن العوابي، وإخراج الولي منه. وكان قد احترس من الغيلة لما صح عنده التآمر عليه، ولا بد أن للقوم عيوناً تضيء لهم الطرق، وما جهلوه من عورات المسلمين.

أرسل أبو حميد لإمامه بصحة خبرهم، وكتب إليه يستنجد، وأوضح له حقيقة المؤامرة المقررة على بلاده وشعبه، وحرصه أن يتداركهم قبل التمزيق.

فلم يقبل الإمام منه ذلك، ولم يصغ لمقاله ولم يسوغ رفيعته، فكان من جوابه: إن الأحوال من حكم تخالف ما كتبت، وهل تقوم الرعية بدون الرؤساء، وهم عندنا بنزوي؟!

جمع المتآمرون قوتهم، واستعدوا للهجوم، وأيقنوا أن العوابي استعدت لمقاومتهم، فحولوا وجهتهم إلى بلدة ستال، فانقضوا عليها غرة اليوم السادس عشر من ذي الحجة سنة ١٣٥٦ على حين غفلة من أهلها، فعملوا فيها غير اللائق من الاعتداء الوحشي الذي تعافه الطبيعة، وثنعه الشريعة في المدنيين العزل من السلاح، فقتلوا الأبرياء، والأطفال والنساء، ودافعهم أهلها بما قدروا عليه، فكان النصر ذلك

اليوم في جانب البغاة، وأقاموا بها ثلاثة أيام ينهبون ما وجدوه، فتمى الصريخ إلينا بنخل، وكنت عاملاً للإمام بها، فلبيت دعوة أخي أبي حميد بإخواني المتحلين، فإنهم جاهدوا بأموالهم وأنفسهم مع بني صبح وآل المسيب. واعتذر آل معولة بن شمس في هذه الحملة من القيام، مع ما لهم من السابقة في نصر المسلمين. وهب المجاهدون من كل حذب لهذه الحادثة المؤلمة، واستهانوا بالموت، للحفاظ على الشرف، والدفاع عن إخوانهم المنكوبين، فأخذوا في إجلائهم بلا هوادة ولا شفقة، في مقابلة عملهم الجارف، فأخرجوهم مدحورين، وأثاروا الذعر في قلوبهم، وقد فاض الجبل الكبير بمن فيه يرأس الكل حاكمه سليمان بن حمير. وقد حجز البغاة ما نهبوه ببلدة الهجير، فخرج لهم جماعة من المسلمين، واستردوا ما نهبوه بعد قتل وجراح وهزيمة شتعاء، حتى ركبوا رءوس الجبال الشاهقة، وقبض الإمام على أعيان آل حكم يرأسهم الشيخ إبراهيم بن سعيد وإخوته وبنو عمه، فأوثقهم بالقيود، وأمضى فيهم الحكم الشرعي، وألزمهم رفع أيديهم عن بيت المال الموجود بوادي السحتن، فاشتروا منه المال الذي ببلدة فشح من الوادي المذكور.

ووجدت في سيرة الشيخ إبراهيم اعتذاراً من هذه الحادثة، أنه لم يكن له سبب فيها، إنما هي مكيدة رتب عليه، وأخبرني بذلك أيضاً السيد عبد الرحيم الخروصي.

هذا نقل ما حكم به أبو حميد حمد بن عبد الله السالمي عامل الإمام

بين بني خروص والمطاطلة في ستال، من وادي بني خروص، وهو الذي حمل آل حكم على التعصب للمطاطلة، فكان بسببه الهجوم على ستال.

بسم الله الرحمن الرحيم

قد حكم عامل الإمام أبو حميد حمد ابن العلامة عبد الله بن نور الدين السالمي، لأهل ستال الوادي من بني خروص، لما شكوا إليه الضرر الكبير، من أغنام الهطاطلة ومواشيهم، وكثرت بالوادي؛ إذ قاموا من الأطراف البعيدة، ينتقلون بمواشيهم الجمة، وقد أضرت بالبلاد، من الحروث والنخل، وحيث ما تطأ دوابهم، ويسبلون لمنافعهم، مما ثبت لهم من الحريم، على ما نص أولو المعرفة من أهل البصر، ولما عارفناهم -أعني الهطاطلة- قالوا: إنا شركاء في هذه البلدة. فأجبناهم: إن الشركة موقعها في غير المضار، والمضار مرفوعة بين العباد حتى في مال الإنسان بنفسه الشرع الشريف، يحكم عليه أن لا يضر بهاله، فأمرناهم بالانتقال من البلاد إلى المكانات النائية عنها، حيث لا ضرر على أحد، يتبعون القطر ومنافعه حيثما أدركوه من الأمكنة المباحة، من غير حى البلدان والقرى التي النزول بها يضر بأهل البلاد، ذلك الموضع الذي لا يمكنهم الخروج منه، على ما عليه أهل المواشي، وأخذناهم من أهل ستال الوادي -إن أرادوا الورود لدوابهم- أن لا يمنعوهم. ووافقنا بينهم في ثلاثة مواضع يرجعون بها -أعني أغنامهم- للورد، بشرط أن لا يضرُوا بحرث أحد، ولا في أمواهم، إلا أن وقت القيظ منعناهم من المورد الوسط من الثلاثة، وأن لا يمرؤا في المقبرة بأغنامهم، وهي الموضع القريب من السوق. وإنما منعناهم وقت القيظ لكون ذلك المكان لا يستقيم ورد منه إلا بالمرور في الوادي، والوادي وقت القيظ، فالناس وأمتعتهم وعمورهم وأشجارهم يضعونها في الوادي، ويتوسعون به، ومرور قطع الغنم يضر بذلك، وإن قدر الله التوصل إليه بدون المرور في الوادي حيث لا مضرة، فلا بأس. والمواضع التي جعلنا الورد منها أحدها أعلى البلدة، من مناة الفلج، والثاني من المكان الذي مع حوض اللثة أعلى مزرع السافل. والثالث قد

ذكرناه وهو الذي مع السوق، والمكانات بعضها نذكرها مفصلة التي يقع بسكونهم فيها الضرر، بعد ما ذكرناها على طريق العموم، وهي اللجية والخويجر وبطحة الصوير. وكتب هذا الكتاب بأمر عامل الإمام ناصر بن راشد الخروصي بيده، حررته يوم الخامس عشر من رجب سنة ١٣٥٣.

صحيح ما كتبه شيخنا العلامة الوالد ناصر بن راشد الخروصي، وكتبه العبد أبو حميد بن عبد الله السالمي، عامل الإمام أبقاه الله على العوابي.

عرض على هذا الحكم، ولم أر فيه ما يوجب نقضه، وهو صحيح. كتبه إمام المسلمين محمد بن عبد الله الخليلي بيده.

ما زالت قلوب آل حكم في حرج من هذا الحكم، ويدعون أن فيه حيقاً عليهم، وترى ما حرره الإمام -رضوان الله عليه- من إمضائه لصحته.

قيام الإمام على العبريين

في سنة ١٣٥٨ ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف، قام الإمام على عاصمة العبريين الحمراء، لأسباب أوجبت ذلك. وهذا نقل كتاب من خط يد الإمام في ذلك.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه صفة الكائن بين العبريين وبين خروص الذي نريده من العلماء النظر والحكم فيه نسطره، لينظر العلماء في الحكم الذي يصح فيه، فيقبل الحق ويرد الباطل.

أقول: إنها صحت فتنة سابقاً، والباغي فيها العبريون، ثم انحسرت. وبعد ذلك عقرت دواب على بعض أهل العوابي، واتهم بعقرها رجال يخصون العبريين، فأريد منهم الحكم، ولم يتقربوا للحكم، فمضت مدة، ثم قتلت نخيل حروة ثلاثين نخلة على خلفان بن عثمان الخروصي، فادعى على أناس من العبريين، وعد أناساً حروة أربعين رجلاً، وأراد الذي له بالحكم، وطال القول وكلم كبير العبريين، فبقى يعد: أنا لا نأبي الحكم ونؤديه، ويلتمس أناساً يصلحون القضية. ومن يكلم خلفان بن عثمان أن يعفو ويصفح، وخلفان يلح أنه يريد حقه بحكم الله عز وجل، والمسلمون يكلمون كبير العبريين، وهو يعدهم: أن خلفان له ما يرضيه، ولكن الرفق نجبه منه للجماعة. ومضى لذلك حول سنة وزيادة، ثم بعد ذلك صح ضر نخل في بلدة الرستاق على أناس جملة. وضر مال لرجل من العبريين ضرّاً كثيراً، يقارب مائة نخلة أو تزيد، وبلغ ذلك والي الرستاق، وسار إلى حيث وقع الضر، وبعد ذلك قال الوالي: إن القفار قفزوا، واتبعوا أثر الفاعلين إلى قرب العوابي، وقال الناس: لا يفعل ذلك إلا خلفان بن عثمان وأصحابه. وفي ذلك الزمن خلفان وأولاد عمه بوادي المعاول. فلما بلغ هذا الخبر العبريين، عمد أهل وادي السحتن زهاء ثلاثمائة رجل أو يزيدون، وقصدوا مال خلفان بن عثمان وأفسدوه، وأصابهم جراح وقتل في ذلك الوقت، وبقوا هناك في ضربهم حروة نصف يوم، ثم ارتحلوا. وبعد يوم أو يومين، صح قتل في رجلين يخصان العبريين ساكنين في العوابي، ورجل خراسي يدعي أنهم قتلوا عدوه، ويدعي خلفان أن رجال العبريين ضربوا رجلاً من بني خروص، ثم جاءوا محاربين فقتلوا، وأن الرجل الخراسي دخل ما بين الفريقين لا ندري من ضربه. وسألنا عن الرجل الخروصي فقالوا: إنه ضرب في حال القتال بين خلفان والعبريين الهاجيين. وسئل وقال: لا أدري الضارب من هو؟ أتنى ضربة وأنا في بيتي، وبعد ذلك قال الضارب: فلان، رجل يخص العبريين، فهذه صفة القضية التي نريد أن

ينظر فيها المسلمون، فما رأوه من الأموال والدماء مضمونًا يضمنون الفاعل، وما يرونه هدرًا يهدر. وكذلك ضر خلفان مال رجل ممن يسكن العوابي، وهو يخص العبريين، ويدعي خلفان أن رجال العبريين الساكنين العوابي دخلوا في الفتنة، وكانوا مع أصحابهم حين يضرون مال خلفان، والدليل أنه وجد منهم قتيل في مال خلفان الذي يضره العبريون سائرًا معهم، فهذه القضية التي ظهرت لي. كتبه إمام المسلمين محمد بيده. انتهى نقلًا من خط يد الإمام.

ثم على إثر ذلك وقع فعل في رجل من وهيبة في أطراف سعال من نزوى، والفاعل فيه درويش الهطالي، يخص العبريين، فطلب الإمام من الشيخ إبراهيم الضارين لتخل خلفان، والفاعل في الوهيب، فتمنع ثم وعد فمطل، فرأى الإمام أن لا بد من القيام لحسم هذه الكوارث، ودفع هذه الحوادث، فصدرت أوامره بالقيام على العبريين، وتجمع جيشه ببهلا، وتحمل أبو زيد رحمه الله - وهو عامله على بهلا - بمصرف هذه الغزوة، وبقي الإمام ببهلا يخاطب الشيخ إبراهيم بالانقياد، وإبراهيم يعدمهم. وطالت الأيام، ثم عزم على الهجوم على بلادهم الحمراء، فلما تحقق إبراهيم ذلك، خرج منها إلى وادي السحتن، وأقبل أعيان حكم من بني عمه، وإخوته محمد بن حمد بن محسن، وحمد بن مهنا ومن عندهم، فأذعنوا للإمام بما يريد، وطلبوا منه الرجوع من بهلا. فما رضي إلا أن يدخل بلادهم، ويقيم بها. فدخل بلادهم، وأقام بها ثلاثة أيام، ثم جمعهم وأمر عليهم الشيخ حمد بن مهنا، وتكفل حمد بما يطلبه الإمام منه ومن جماعته، فوفى بوعده، ورجع الإمام مظفرًا منصورًا. وكفى الله المؤمنين القتال، والحمد لله.

أما خلفان بن عثمان فمسألته انحسمت بوجه الصلح في بهلا، بعد رجوع الإمام من الحمراء، وأما درويش فأرسله الشيخ حمد للإمام بنزوى، فأمضى الحكم فيه.

ترجمة الشيخ العزري

في يوم الإثنين السادس عشر من شهر شوال من سنة ١٣٥٨ ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف بعد صلاة الفجر، توفي الشيخ العلامة الزاهد عبد الله بن عامر بن مهيل مصغر العزري، نسبة إلى عزرة، ممن ولد سامة بن لؤي.

كان رضي الله عنه عالماً زاهداً، ناسكاً عابداً، صلماً في دينه، غيوراً أن تنتهك محارم الله، شديداً على المنافقين، ليناً رحيماً بالمؤمنين، لا يزال لسانه رطباً بذكر الله.

ولد بقرية الأخشبة من أعمال المضبيي، وأصيب في إحدى عينيه وهو في المهد، ثم تبعته الثانية بسبب شوكة شاكته، ولم يجاوز الرابعة من عمره، فنشأ مكفوفاً واشتغل بالعلوم، وحفظ القرآن العظيم في بلده، وهو غلام، ثم ارتحل إلى المضبيي وبها نور الدين السالمي، فأدناه وقربه، لما رأى من فطنته الوقادة وذكاءه اللامع، فلقنه من لسانه منظومة: «غاية المراد في أصول الاعتقاد» فحفظها وكاد أن يحفظ كل ما سمع في أيام شببته. ثم تلقى منه متن الأجرومية، وأتقن حفظها. ولما انتقل نور الدين من المضبيي إلى القابل، خلف على تلاميذه ابن عمه شيخ البيان محمد بن شيخان، فلازمه الشيخ العزري، فكان بيته المسجد المعروف بمسجد الصوار لا يخرج منه ليلاً ولا نهاراً إلا لما لا بد منه، وانقطع في قراءة النحو، فحفظ ألفية ابن مالك وشرح ابن عقيل عليها، وكان يسردها على متن قلبه، وقرأ على الشيخ المذكور سائر العلوم، وهنالك قال الشعر، وقدمه شيخه فيه على غيره، ثم رجع إلى وطنه وقد نفخت فيه حياة العلم، فحضر أهل بلده على ما يصلحهم، ثم رجع إلى المضبيي وأقام برهة يتلقى المعارف، ثم رحل إلى زنجبار، فأقام بها سبع سنين، يدرس وينشر العلوم، ويجتمع بالعلماء. ثم انتقل إلى الجزيرة الخضراء، فأقام بها سبع سنين أخرى،

وتلك حاله، ثم تشوق إلى وطنه، لا سيما وقد تعطرت الآفاق بالقومية العمانية، من اتفاقهم على الإمام سالم بن راشد الخروصي رضي الله عنه، وحنَّ كل مؤمن إلى لقيائه، فلم يهن له قيام بإفريقيا، وأحب الانتظام في سلك العلماء، فتجهز آيبًا رغم من حرص على قيامه، فوصل إلى وطنه، بعد ما انتقل نور الدين إلى مولاه، فأقامه الإمام سالم قاضيًا بإبراء، وأقام بها سنوات، ثم احتاج إليه بنزوى، فاستدعاه، وعزم عليه أن يكون مقامه بها، وكان انتقاله إلى نزوى سنة ١٣٩٧، فبقي بها قاضيًا ومفتيًا ومدرسًا، فاستخلفه الإمام على نزوى لما سافر سفره الذي قبض فيه، وأبلى في عودة الإمام بعمان، والعقد على الإمام الخليلي بلاء حسنًا، وكان الإمام يحله ويعظمه، ويعتمد على كثير من آرائه، ويستخلفه على نزوى، بعد ما فقد المسلمون شيخ الإسلام العلامة أبا مالك، ويقوم بالخطبة والصلاة في الجمعة، حتى انتقل إلى رحمة الله، فشيّع جنازته جم غفير مع الإمام، بعد ما صلى عليه ودفن بنزوى -رحمة الله عليه- وكانت سنة بين الستين والسبعين، والدليل على ذلك ما ذكره عنه تلميذه القاضي سفيان بن محمد يقول: كثيرًا ما كنت أسمعه يقول هذه العشرة دقائق الرقاب. وقد ورد عليه سؤال نظرًا، فأجاب عليه، ومن جوابه:

فما لي والقريض وقد ترامست بي الستون حالًا بعد حال

تلامذته: القاضي سفيان بن محمد الراشدي، والشيخ غالب بن علي الهنائي، وغيرهم كثير.

ومن شعره يخاطب شيخه ابن شيخان:

ليس وُدِّي مُضاهي الحرباء	لا ولا اليهْمَن في أكسف الهواء
بل هواي أبومعاذ ثباتا	في هواكم وصاحب الخنساء
لست أنسى لياليًا كنت فيها	أتلقي مناقب الأدباء
ولسان الأستاذ يلقي علينا	ما حسوى عن أئمة أذكاء

عن خليل وسيبويه الكسائي
 وريبع ومسلم وضمام
 كم نياق الإيضاح نحدو صباحًا
 إن يصبها الضياء أيام صيف
 إن شبيخي وعمدي وملادي
 إن ألت بساحتي معضلات
 حل منها عويصها وكساها
 طرد رضوى قارفت أمرًا فظيما
 مت بنيط أرواحنا ما تناءت
 لهف نفسي ما بال نزوى بعصري
 هذه دورهم فأين تخلوا
 ظنني القوم أهل علم وفهم
 أوقفوني في خطبة حيرتني
 في صباحي مدرسا ومسائي
 وتكلفت أن أقوم خطيما
 هناك ثوب الثناء أحكم نسجا

رفقاء الأستاذ ماض وجائي
 وابن عبد العزيز كالندماء
 ومساء ما بين ضال وماء
 عرض النيل ما مقام الضياء
 نجل شيخان ذو الحجا والذكاء
 ونجلت في حلة سوداء
 بعدت الأحقاد برد الضياء
 حلت ما بين سادتي واللقاء
 لو تناءت أشباحنا في الفضاء
 قد خلت من مواقف العلماء
 أيها الدور أين أهل هوائي
 وذكاء يفوق ضوء ذكاء
 ما اجتهادي ما فطنتي ما ذكائي
 في جمار من حادثات القضاء
 ما لمثلي مواقف الخطباء
 لا يحاكي ما حاك رب القباء

وله مناظير وفتاوى نظما ونثرا.

قيام الإمام على الطو

وفي شهر صفر عام ١٣٦٢ هـ جهز الإمام جيشا من الشعب يرأسه بنفسه، فخرج على الطو، ولم يستنهض الشيخين: عيسى وسليمان. والسبب الباعث لذلك: أن أسرف السبوع ومن شايعهم من غوغاء بني جابر أهل الطو تلصصا وانتهابا لأموال

المسلمين، من الباطنة وغيرها، وجعلوا الطو مغارة لهم؛ لكونها محيطة بها الجبال، منيعة لا يتوصل إليها إلا بمشقة، ولا منفذ لها إلا من جهات مخصوصة، وغرهم بأسهم، واطمأنوا إلى مغارتهم، وظنوا أنها تقيهم المحذور، وبقوا على إصرارهم حتى حكم الإمام الخليلي بهدر دمائهم، وأمر بالفتك فيهم، فقيض الله من قام بالواجب، ففتك بأميرهم سعيد بن خلف المعروف بابن زُعَيْلة وقت الضحى، حيث يظن أن لا سبيل إليه، فقام أعوانه يطلبون بثأره، فما زالوا يقتلون ويُقتلون، فرأى الإمام الخروج لقمع هذه الشرذمة الباغية. وفي يوم ٢٣ من الشهر المذكور دخل الطو، فهرب الفساق واللصوص، فأمر بهدم بيوتهم التي هي مأوى لبغيهم، وقطع نخيلهم، وأجلى من بقي بها من أعوانهم، وحمل على الأصفاة من احتاج إلى الأدب، فمن كان يساعدهم، وأرسل إلى رؤساء بني خراص زهران بن محمد وأحمد بن ناصر: أن يأتوا إليه بنخل؛ لأنهم رؤساء على السبوع، وأراد أن يحملهم أمر الهاريين، وأن يكلفهم ذلك، كما هو الأمر الشرعي، من إلزام الرئيس أمر مرءوسيه، فتناقلوا عن الوصول في بادئ الأمر، حتى تحقق عندهم تحركه على عاصمتهم جمًّا إن لم يمثلوا، فهرب زهران إلى مسقط، وأذعن أحمد لما يراد منه بواسطة السيد محمد بن هلال عامل الرستاق ذلك الوقت.

ولم يكن للإمام وأنصاره في هذه الغزوة التي لبث بها سبعة عشر يومًا إلا التمر والحوال، وهو سمك يابس يدخره العمانيةون إدامًا إذا عدم السمك. وقد كان وقت هذه الغزوة حرجًا؛ لغلاء الأسعار، وقلة الأطعمة، بسبب الحرب الطاحنة بين الدول.

وفاة الشيخ العلامة ناصر بن راشد الخروصي

وفي اليوم الثامن والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٦٢ توفي الشيخ العلامة ناصر بن راشد الخروصي، صنو الإمام سالم بن راشد، وكانت وفاته ببلدة مشايق من الباطنة، ودفن بها، وكانت وطن آبائه الفضلاء. وقد استوطن هذا الشيخ بلد العوabi وسكن فيها لطلب العلم، خرج هذا الشيخ إلى الباطنة؛ لفصل أحكام بين أهلها، فمرض بها وتوفي. وكان كثيرًا ما يرغب أن يدفن بجوار أبويه، فحقق الله أمله. كان هذا الشيخ معروفًا بالتصلب والشجاعة، من غير مبالاة لما أمامه من القوة.

وكان من العلماء الأجلاء بعمان، وقور النفس، رقيق القلب، كثير الخشية، كثير الصلاة، شديدًا على المنافقين، فظًا عليهم، غيورًا في جنب الله، جسرًا حديدًا على السفهاء المارقين. وكان من أعظم المؤازرين لأخيه الإمام سالم بن راشد؛ فإنه سعى جهده في تسديد دولته وتأييدها، وقد ولي لأخيه على الرستاق وما حولها والعرابي وما اشتمل عليها، وبقي عاملاً للإمام الخليلي دهرًا على العوabi وتوابعها، وعمل له على أزكى وعلى وادي المعاول ووادي الأبيض.

نشأ رحمه الله منذ صغره في طلب العلم، وهاجر في طلبه إلى الشرقية، فتلمذ لنور الدين، وقرأ عليه التفسير والحديث والفقه، وتردد مرارًا إلى الشرقية بعد هجرته الأولى. وكان حافظًا كبيرًا يكاد أن لا يفوته ما سمعه، لكنه سريع الغضب، سريع الرجوع إلى الحق، كريمًا جوادًا، لا يعرف قدر المال على قلة ما بيده.

تخرج عنه تلامذة كثيرون؛ فمن الفقهاء: الشيخ خلفان بن عثمان الخروصي، والشيخ القاضي عبد الله بن محمد الخروصي، والقاضي سيف بن حماد الخروصي،

والقاضي خلفان بن محمد الخروصي، والقاضي سليمان بن ناصر الذهلي، وابن أخيه الشيخ العالم عبد الله ابن الإمام سالم، وكثير غيرهم.

مقتل العلامة الرواف ودخول جعلان تحت الإمامة

في ليلة الثامن عشر من شهر المحرم سنة ١٣٥٩ قتل بجعلان الشيخ العلامة الفاضل العفيف عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد، من آل الرواف، الذين هم من البيوت المعروفة بنجد. ويتصل نسبهم بالرهبة من بني تميم، وعمره يوم قتل خمسة وستون عامًا، قتله بنو أبو حسن في بيته ظلمًا وعدوانًا، في هدنة بينهم وجيرانهم، وعهد وذمة، لم يرفعوا حقها والله يقول: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾ وهذا ما كتبه إلى ابنه الشيخ سليمان بن عبد الله، من ترجمة أبيه بتصرف فيه، ولد ببلدة بريدة من القصيم، في عام ١٢٩٣ هـ كان هذا الشيخ ذا شبية في الإسلام، عالمًا عاملاً، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عرف بالإنصاف في أعماله وأقواله، وعدم التعصب. وكان من الرجال البارزين في ميادين الحياة، فهو بليغ إن خطب أو تكلم، سديد الرأي إن إدهم الخطب، شجاع إذا اختلط الغبار بالدخان، كريم لا يرى للمال وزناً، صريح لا يعرف المداجاة، جاداً لا يعرف الهزل، ولا يقبل الضيم، ولا يرضى بالظلم مهما كانت صفة الظالم.

قرأ في شبابه على الشيخ العلامة إبراهيم بن حمد الجاسر، من أهالي بريدة، ثم سافر إلى سوريا ومصر سعيًا وراء الرزق، ثم أقام بدمشق ثلاث سنين، عكف فيها على مطالعة الكتب في مكاتبها، وقرأ على علمائها، ونسخ كثيرًا من الكتب الموجودة (بمكتبة الملك الظاهر) ويبلغ ما نسخه بيده وما نسخ له عشرين مجلدًا، وكان مولعًا

بجمع الكتب، وقد جمع مكتبة ضخمة، تعتبر أكبر مكتبة في بلاد القصيم؛ بل في نجد، وهي باقية بأيدي أبنائه في بريدة إلى يومنا هذا، تحتوي على التفسير والحديث واللغة والأدب والتاريخ.

وفي عام ١٣٢٦ خرج وجماعته للدفاع عن بلادهم التي احتلها آل الرشيد فطردوه منها. وفي العام نفسه غادر بلاده إلى المدينة المنورة، وأقام بها سنتين، وقرأ على علماء الحرم النبوي، ثم غادرها إلى عسير، لما كانت تحت الإدريسي، فلم يطب له المقام بها، لما رآه من الشعوذة والمساخر التي تخالف الديانة، فكان ضده، ونبه الناس على ذلك، فأراد أن يبطش به، ففطن لكيدته، فركب البحر إلى عدن، ثم إلى المكلا عاصمة القعيطي سنة ١٣٢٩ فأقام بها ست عشرة سنة، فكان لقيامه أثراً حسناً بقدر ما يستطيعه فرد غريب، وتولى القضاء بها في عهد السلطان عمر بن عوض القعيطي، وكان يقضي على مذهب الإمام الشافعي، وهو حنبلي المذهب، مما دل على سعة علمه، ثم خرج إلى سقطري الجزيرة المشهورة بالمحيط الهندي، فأقام بها سنة داعياً مرشداً. وفي سنة ١٣٤٦ توجه إلى عمان، وأقام بمسقط سنتين أو أكثر، فأكرم السلطان تيمور بن فيصل وفادته، وأحسن جواره، ويرعى له حق علمه، واستصحبه إلى ظفار. وفي سنة ٤٨ - ١٣٤٩ خرج إلى جعلان بدعوة من أمرائها الشيخين: محمد بن ناصر وعلي بن عبد الله، فاتخذوه مفتياً وقاضياً ووزيراً، يعتمدون على أقواله، ويستشيرونه في نوازلهم. وكان يضرب به المثل في النزاهة والصرافة، لا يجامل الأمير، ولا يغتفر زلة الوزير اهـ.

خرج الأمير علي وأكثر أهل البلد في موسم الربيع إلى النزهة، كما هي عادتهم، ولم يبق بالبلد إلا أفراد من الناس وهذا الشيخ، فوجد المتآمرون فرصة لغرضهم، فخرجوا ليلاً، وفتكوا به، وسكت الأمير العلوي إلى انتهاء أجل الهدنة، فتحزب

الحسون وافترقوا شيئاً، فكانت فتنة شعواء، سفكت بها دماء أبرياء، وأكلت الحرب كثيراً من رجال المتأمرين وأموالهم، وأسرف الأمير في سفك دمائهم، والله يقول: {ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً} ولم يرفع الأمير الحرب عنهم إلى أواخر شهر جمادى الثانية من عام ١٣٦٣، ولما ضاق الخناق عليهم، التجأ المتآمرون بالشيخ عيسى بن صالح، يطلبون منه التوسط، وبزعمهم أنهم يؤدون الأحكام، فكتب الشيخ للإمام، وكشف له الأمر، وطلب منه المساعدة لرتق العتق، وحسم النزاع، فخرج الإمام من نزوى إلى بديّة، وعسكر بها، وطلب وصول عبد الله بن سعيد الصواعي رئيس المتأمرين، فحضر فقال له الإمام: تطلب منا المساعدة.

عبد الله: نعم.

الإمام: أنصف من نفسك أولاً.

عبد الله: بماذا؟

الإمام: أحضر الفتاك في العلامة الرواف.

عبد الله: لا أستطيع.

الإمام: اذهب إلى السجن أولاً، حتى ينظر العلماء في أمرك.

عبد الله: ماذا فعلت حتى أسجن؟

الإمام: لبغيكم في قتله.

عبد الله: هل ترى غير ذلك؟

الإمام: يجب أن ينصف الإنسان من نفسه أولاً، وبعد ذلك نخاطب الأمير العلوي، فعند ذلك أثر عبد الله الشنشة قائلاً: إن كانت مساعدتكم بهذه الطريقة سأنظر في أمري.

تركة الإمام وشأنه؛ لأن جعلان لم تكن ذلك الوقت تحت سيطرته.

على إثر خروج الإمام من بديّة إلى نزوى، وصل السلطان سعيد (صور) وكنت قد خرجت إليها لحاجتي، فاجتمعت بالشيخ عيسى بن صالح الطيواني رئيس قضاة مسقط، وطلب مني زيارة السلطان في بيت ناصر بن محمد ولدفعه، فاستأذنت عليه، وأخلى مجلساً ما حضره إلا هذا القاضي، فجعل القاضي يبحث بحضرته عن وصول الإمام، وماذا صنع بين عبد الله بن سعيد، والأمير العلوي وكيف رجع ولم يتم أمرهم، فما كتمته شيئاً. وأخيراً إنه جعل بينهم هدنة أربعين يوماً؛ لأن هذا ليس من لازم الإمام، إنما توسط بينهم حقناً للدماء، وما أرى أن يضغط أحد الخصمين؛ لأنها تحت رعاية السلطان، حينئذ تكلم السلطان قائلاً:

السلطان: لا نسمح بذلك، ولا نعتذر من مساعدتهم.

الجواب: لذلك تأخر الإمام، ولكن الناس ناظرة الآن فيما يعمله السلطان. وهذا الأمير العلوي نزل (بشيع) وغرة غد يصبح عندك، فيلزم أن ترغمه على الصلح؛ فإنه لا يقدر أن يمتنع إن أرغمته، وإن أحببت أن أبلغه عنك فإني حاضر.

السلطان: إن آباءنا منذ قديم الزمان لم يتعرضوا بين أهالي جعلان إلا بالصلح أو الهدنة.

الجواب: إذا لم يكن لك زيادة فضل على ما عمله الإمام، فسكت ساعة، ثم قلت: وهل يكفي ذلك منك وعبد الله قتل العلامة الرواف بأمرك، والآن نشبت به مخالب عدوه. هنا غضب السلطان وتغير وجهه، حيث أسأت الأدب في الخطاب؛ ولكنه حلم عني سياسة.

السلطان: أنا أمر بقتل العلماء.

الجواب: إن كان لم يبلغك فلا أكتمك هذا خبر مستفيض، فإما أن تولي عبد الله ولاية بعيدة من بلاده، أو تأمره أن يسكن ظفار، وإلا فما دام بجعلان فالأمير العلوي لا يتركه. وهنا رأي آخر: تكتب للشيخ عيسى، يتوسط في الأمر، وتساعده بالمال، والإمام يساعده بالرجال، فإن الحرب أكلت المسارير وهم جماعته، فسكت عني، وأتى بالقهوة؛ فاستأذنت للخروج، واجتمعت في عصر ذلك اليوم بالقاضي عيسى فقال: تعال أخبرك لما خرجت عنا. قلت للسلطان: أعجبك كلام الرجل؟ قال: نعم، ولكنه لا يحترم المجلس. قلت: فهل قال غير الحق، فإنه أصدقك بصراحة. قال: والحق كله يقال أليس للمجلس حق.

. ثم عمل بهذا الرأي بوساطة حمد بن سليمان الحارثي، فكانت نفقة الشيخ عيسى وجماعته تجري من مادة السلطان.

استحرت الحرب ثانية، وصعب الأمر، وعجز المتآمرون عن المقاومة، فكان جيرانهم وجماعتهم عوناً لخصمهم وعيناً، يدلون على عوراتهم عقوبة من الله، فضجروا ورأى عبد الله أن لا محيص من قبول الحق، فاعتنق الشيخ عيسى مرة ثانية، فاستعان الشيخ عيسى بالإمام؛ لعلمه أن الحسون لا يوافقونه إلا بالضغط وضغطهم لا يكون إلا من قادر، هذا في جانب الحسون، ثانيًا: إن في مقابله بني بو علي، وهم

بالنسبة إلى رؤساء عمان حكومة أكبر من إحدى إمارات الساحل الكبرى. خرج الإمام من نزوى، وكتب للأمير العلوي بها جاء لأجله، وكان خروجه من بديّة في يوم ٢٧ جمادى الثانية عام ١٣٦٣. وأقام ببلاد الحسون، وأصلح شأن الفريقين، وانطفت النائرة، وتكفل الأمير العلوي بمن تحت طاعته من الغافرية، إنه المسئول عنهم، والسائل لهم، وصدرت في ذلك معاهدات، وكتبت الاتفاقية، ووقع الكل عليها، فبقيت بلاد الحسون وتوابعها تحت طاعة الإمام. وأرسل الشيخ عيسى لمحمد بن هلالى البوسعيدى من بلاده، فلبى دعوته، وطلب الشيخ عيسى من الإمام أن يكون محمد والياً على جعلان، فما رأى الإمام ذلك، ثم ولي الشيخ محمد بن زاهر الهنائي، وترك عنده الشيخ سفيان بن محمد الراشدي قاضياً. ولما دخلت الوادي، والكامل تحت السلطان، سأل السلطان الشيخ عيسى في إخراج محمد بن زاهر منها، واعتذر له أنه قعد عن أمر الإمام، ولا يمكن إخراجهم. أجاب السلطان: إنكم ما خرجتم عن لتركوا والياً، إنما خرجتم مصلحين، فأجابه الشيخ: إن الإمام ما قبل إلا أن يجعل بها والياً، وأنت تعرف أي لا أستطيع إتمام ما طلبته مني إلا بالإمام، والقبائل تعترف للإمام، ولا تسلم لنا ما تمتثله في حقه، فكان بينهم كلام أغلظ فيه القول، وبقيت جعلان الحسون تحت الإمامة، حتى تمّ أمر عمان للسلطان.

ترجمة أبي زيد

في اليوم الثالث من شهر رجب بعد العصر سنة ١٣٦٤ توفي الشيخ العلامة الفاضل أبو زيد عبد الله بن محمد بن رزيق بن سليم الريامي، الذي هو من أولاد راشد بن سالم بن مصعب بن ريام، وأولاد راشد من أكبر فخوذ بي ريام وأكثرهم عددًا، وإذا أطلق في الصكوك فلان بن فلان الريامي، فهو من أولاد راشد عرفًا

مطرذاً، وبقية بني ريام كل ينسب إلى فخذه مقيداً به، لا ينسب ريامي إلا في الجملة التي تعم بني ريام.

ولد أبو زيد ليلة خامس والجمعة من شهر رمضان سنة ١٣٠١، قيل: إنه ولد بتنوف، وقيل: بأزكى.

نشأ أبو زيد بأزكى، ثم انتقل أبوه وعمه إلى إبرا من الشرقية، يعلمان القرآن العظيم. فمات أبوه بها، ونشأ في حجر عمه، ثم انتقل إلى أزكى، واتخذها وطناً. أما وطن آبائه وأجداده فبلدة تسمى العين في أعلى الجبل الأخضر، انتقل منها جده سليم إلى أزكى، فولد له محمد وسالم فنشأ بالحارة المعروفة بالتزار خاصة تزوج محمد أم أبي زيد من تنوف من أولاد حمير من النباهنة، قوم شهروا بالبسالة.

رحل أبو زيد إلى الشرقية لطلب العلم، فتلمذ لنور الدين السالمي، فأخذ عنه أصول العربية، وأصول الفقه وفروعه، وصار من أكبر تلامذته، وأكثر تساويد نور الدين بخطه، وذلك لملازمته إياه ولقدره عنده.

رجع أبو زيد إلى وطنه أزكى عام ١٣٢٨، وعقد مجلساً للتدريس بمسجد الحواري، فأخذ عنه جم غفير أكبرهم الشيخ العالم محمد بن سالم الرقيشي الريامي.

أمر أبو زيد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في وقت الكتمان، فما قصر في شيء طاقته.

تأليف أبي زيد: كتاب في النحو. كتاب في مناسك الحج. وسؤالات المشكلات، فيها أشكال عليه من الأثر حال قراءته على نور الدين، فسمي حل مشكلات أبي زيد.

ولي أبو زيد للإمام سالم بن راشد الخروصي القضاء على أركى، لما كان الشيخ حمدان بن سليمان والياً عليها.

ثم ولي أبو زيد للإمام سالم بلدة بهلا في شهر شعبان سنة ١٣٣٤، وتوفي الإمام سالم وهو وال عليها، ثم أقره الإمام الخليلي على عمله، فبقي عاملاً للإمامين متقلداً وظيفتي الولاية والقضاء ثلاثين عاماً إلا شهراً كاملاً، أجرى في ولايته العدل والمعارف الإسلامية، ورد شوارد القلوب الخائفة من اضطهاد الظلمة إلى أوكارها، وعاش إلى أن توفي، والمسلمون عنه راضون، وله مؤازرون، ولم يكن للإمامين عامل يستحق الثناء ما يستحقه أبو زيد.

سبب وفاته: جراحة أصابته في ساقه، وما زالت تعظم، ولا يطلب لها دواء بل يكسبها بالتراب، راجياً أن يكون ممن دخل تحت عموم الحديث النبوي. وكان يفصل في الأحكام، ويقضي حوائج الناس، وهو بهذه الحالة، حتى عجز عن الخروج لفصل الأحكام، فاستأجر من يحمله لمجلس الحكم للفصل بين الناس، ولقضاء حوائج المسلمين طلباً للأجر. وتوفي ببهلا، ودفن بها، وقبره معروف.

كان رحمه الله ملازماً للاعتكاف مدة عمره.

شهر رضي الله عنه بكتابة التعاويذ القرآنية، وشفى أناس ببركته، من الجنان والجنون، والأمراض العسرة؛ يخرج أيام إمارته على بهلا وبرين وتوابعها حافياً؛ هضماً للنفس ذهاباً وإياباً.

يخرج عند العسكر لجمع الخطب، للوالم الحصن، فيساعدهم بيده.

يخرج الطحلب من سواقي بيت المال بيده.

يخرج في البلاد ليلاً ونهاراً منفرداً، يحبس البلاد. وقد عرف بالبسالة، وشهر بالشجاعة، أكثر أكله الخبز والقاشع.

يجلس على التراب، وأحياناً يفرش قطعة من الجواني المعروفة هنا بالخيش، وقت الحكم في جلوسه للناس. كان إدام بيته في كل يوم نصف رطل يأخذه من بيت المال.

اشترى من فضله أموال المساجد أموالاً لها.

قام بشراء الآلة الحربية من السلاح والرصاص للمسلمين، فوجد بعد موته في خزانة بيت المال فوق القدر المظنون، ثم لعبت به أيدي العمال الذين استخلفوا بعده، اشترى كثيراً من كتب العلم.

عمر حصن بهلا، وحصن يبرين، وادخر فيهما ما تحتاجه الحصون عند الحاجة ادخر نصيباً وافراً من الأطعمة والأقمشة والعمود والبذور للتاجر لبيت المال، استأجر من يقطع نجد الحديد بين نزوى وبهلا.

أمر بإصلاح الطرق من بيت المال.

أمر بحفر المقابر وكسوة فقراء الأموات والأحياء من بيت المال.

جعل عاملاً يشتغل بالدلاء والحبال للآبار في القفار.

عمر في بهلا وقت القحط ثلاثين بئراً للزجر.

قام بخدمة ساعد فلج الجزين أحدهما الحديث، وهو الشرقي، والآخر المحيول، وهو الغربي. وقد أثبت هذا الساعد الغربي الإمام الخليلي حكماً بين أهل ولاية بهلا

والسفالة منها، فأنفق أبو زيد في خدمة هذا الفلج مائة ألف قرش وأربعين ألف قرش، صرف عمان عبارة عن أربع مائة ألف روية هندية وتسعين ألف روية.

أحدث ساعد الفلج المحدث وأدخله به.

أحدث ساعد الفلج الميتا، وأدخله بها، وصرح سواقيه، من حارة الحضرة إلى سور السفالة، كل السواقي الجوائز والفروع.

استأجر وقت المحل لأموال بيت المال وأموال الأوقاف في كل يوم أربعة وثلاثين مبخوراً، تزجر لها خشية فوات أموالها، ورفقاً بالرعايا؛ لأن الفضلة من الماء يقعدها الأهالي رفقاً بهم.

قام بمصالح البلاد وأهلها؛ من واجب ومستحب ومندوب، وتصدق على أهلها من الضعفاء، وأنقذهم من الحاجة، وسهل المنافع للأهالي الأغنياء والضعفاء، وتحمل المكاره.

لم يقبل هدية من أهل ولايته، حتى إنه امتنع من شرب الماء من بيوتهم.

زرع السكر لبيت المال، وما رضى أن يأكل منه تعففاً.

أحسن إلى المتعلمين، ونشر العدل والعلم، وقام بالتدريس وقت فراغه، فوق ما هو عليه من الاشتغال، وعمر المساجد وأموالها، وأصول بيت المال.

غرس من نوع نخلة الخلاص بهلا خمسمائة نخلة لبيت المال. ومن جملة أنواع النخل الباقي لبيت المال سبعة آلاف نخلة، كل ذلك ببهلا دار ولايته.

أحى كل موات كان حشراً ببهلا.

عمر في سور بهلا بسبعين ألف قرش صرف عمان.

أنفق على قتل الهوام والحشرات والسباع من بيت المال.

وبالجملة فإنه الفرد المنقطع القرين في عمال الإمامين، أحسن السيرة في ولايته، وعدل في أحكامه، وساس ولايته بأقوم سياسة، ورتب العمال والقضاة والعسكر من الأمناء، وتركهم في النقط المهمة ومراكز العمران، وفق رغبة إمامه بحيث لم ينكر عليه شيء مدة ولايته، وأدركته المنية والمسلمون في رضاه عنه.

وفي عام ١٣٧٠ تقلد الشيخ طالب بن علي الهنائي إدارة المالية، فكانت ضجة العثمانيين، وفي مقدمتهم الشيخان: سليمان بن حمير، وزاهر بن غصن الهنائي، فطلبوا من الإمام إعفاء طالب من هذه الوظيفة، فلم يسعفهما. بقي طالب عليها، والتنافس مستمر، وفرض للإمام شيئاً نزرًا اكتفى به وإن لم يكفه، فكان القضاة قسمين: من رضي على طالب كان في جنبه، ومن غضب عليه عنف الإمام على رأيه. وقد غلب على الإمام المرض والشيب والعجز وعدم المساعد، وواحدة من هذه كافية دون أخواتها، فتضاءل نفوذه في المالية، وأكثر برواته ترد. فرأى بنو علي أخيه بن عبد الله أن يكونوا عنده، وأن يحفظوه ويحافظوا عليه، فقرروا اجتماعهم بنزوى، وإذا خرجوا ينوب الآخر مكان أخيه، والوقت قريب حتى توفي رحمه الله.

وكان قد استخلف عبد الله بن الإمام سالم منذ أمد طويل. ولا شك أن بعضهم لا يرى ذلك، ولكل نظر. واجتهد أبناء الشيخ الخليلي عبد الله وهلال في استبدال الشيخ غالب منه، وساعدهم القاضي سفيان بن محمد الراشدي، والإمام في حالة يرثى لها من الضعف، فكتب عنه الشيخ سفيان استخلافه للشيخ غالب، ورجوعه من استخلافه لعبد الله ابن الإمام. ودخل أحمد بن محمد بن عيسى على الإمام ذلك

الوقت، ويقول أحمد: إنه كلم الإمام، معارضاً له في استخلاف الشيخ غالب، قائلاً: إنك فتنن العمانيين بما كتبته، وإن الأنصار لا يرضونه إماماً لهم. أجابه: لم أرد فتنهم؛ إنما أريد جمعهم على الهدى، فإن كان كما قلت فإني راجع عما كتبته، ويقول أحمد: إنه خرج عنه ليحضر منصور القاضي وغيره من القضاة، فيكتبوا نقضه لذلك العهد، فمنع من الدخول عليه عند رجوعه إليه.

أخبرني عبد الله بن علي الخليلي أن الإمام أخبره بمقالة أحمد، ويقول: قلت له: صدق أحمد، إن الفتنة قائمة، ولهذا نحن نحب أن يكون خليفة نرجع إليه؛ لئلا نفشل بعدم الاجتماع، ولا نجتمع إلا عن رأيك.

يقول هلال بن علي: إن الإمام أوصى إليهم: أن هذه الحصون وما بها أمانة في أيديكم، ولا نصيب لكم فيها، فإذا اجتمع المسلمون على إمام، فسلموا إليهم أمانتهم. قلت له: فإن لم يجتمعوا؟ قال: أحضروا عبد الله ابن الإمام سالم، وسلموها له، وقد برئتم.

بحثت بعض أعوانه هلال بن علي وأصدقائه عن اجتهاد هلال في تقديم الشيخ غالب لأي شيء، مع علمنا أن حقيقته تخالف ذلك، وما يعرفه من نفور غيره منه، أجاب: إنه يجب أن ينتقم منه؛ لتقثيره على أبيه، وتفنيد له، واعتراضه لكثير من أوامره، فهو لا يصل إلى غرضه فيه إلا بتصدره في هذا المنصب. ويرى عبد الله أن ابن الإمام سالم من عشيرته، ولا يجب أن يناله سوء من العمانيين. كيف وقد ضجر العمانيون من العدل، وملوا بقاءه، وداخلتهم الأهواء، ولا مناصر لعبد الله إن تصدر، وإن مسقطاً فتحت فاهاً لالتهم المركز الرئيسي. ولو كانت استطاعة لهذا الشيخ لأصر أن تكون هذه الحصون تحت يده.

كتب الشيخ سفيان ورقة الاستخلاف للشيخ غالب. وكتب القضاة عليها القبول، وأبى الشيخ سليمان بن حمير من الموافقة في ذلك الوقت، فحذره أصدقاؤه ورغبوه، وخوفوه العاقبة. وما كان قبوله عن رغبة إلا أنه حاذر أن ينهدم السور، فيخرب زرعه، وما كان ذلك الوقت يوجد من هو أهل للإمامة بعمان، ويستحق أن يقدم على المسلمين. إنها الإمامة العظمى، والشروط المرعية بالكتب الشرعية غير متوفرة في شخص يعرف؛ بل لو وجد لما قبلها؛ لأن المغرضين لعبوا بالدولة لعباً فاضحاً.

حوادث سنة ١٣٧١ ووصول ابن عطيشان البريمي

في عام ١٣٧١ أنفذ جلالة الملك المعظم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، تركي بن عبد الله العطيشان الوهبي التميمي، من أهالي القصيم إلى البريمي. وكان وصوله عصر يوم عيد النحر من السنة المذكورة، فاستقبله أهلها بالتبجيل والتعظيم، وقدمت إليه وجوه العمانيين، فأحسن إليهم وأجازهم، وفتح باب الضيافة، وترع الضعفاء والأغنياء في كرامته. وكان رجلاً عظيماً، حسن السياسة، جيد الفراسة، لين الجانب، يعرف أين يضع سهمه وفيهم يتفق وقته.

كان من رأي الإنكليز قبل وصول الأمير السعودي: أن تتخذ حاكم أبو ظبي زايد بن سلطان هدفاً أساسياً، تتوغل به إلى داخلية عمان، وأن تكوى بناره مشاكلها، حتى يسهل عليها خدع الشعوب، في وقت كان السلطان سعيد ضدها، فشجعت زايداً، وأمدته بالسلاح والعتاد والمال، وأضرمت وكيلاً الفتنة بين زايد وأهل دبي، زهقت فيها نفوس عزيزة على الطرفين، وتلف فيها كثير من المال، نشب في هذه الفتنة مخلب زايد، وفشلت سياسته الخرقاء، ولم تنجح الدولة في تعاليمها.

وحاولت قبل هذا إشعال نار بين الإمام الخليلي والسلطان سعيد، فلم تصادف قبولاً.

وصل الأمير السعودي إلى البريمي، وصرح وكيل الدولة بالشارقة، أنها أصابت خطأً أحمر بعمان.

تحركت عمان لقدومه، وتقدم السلطان سعيد بن تيمور بجيشه لمقاومته، فكانت حركته إلى صحار، رأت الإنكليز أن هذه المقاومة السلطانية ضئيلة في مقابقتها، وأن هذه الحملة ستبوء بالفشل إن لم تعززها، فأحكمت خيوط المؤامرة، وسددت رأيها لتنفيذ الخطط، وهولت الموقف، وألزمت السلطان الرجوع إلى عاصمته، وأنها كفيفة بالأمر، وقعدت بين الملك ابن السعود والعمانيين مقعد الحماية، عن توتر الحالة، وخاطبته بالنيابة عن العمانيين، وتركتهم وراء الستار، ونالت مرادها بما كانت لا تطمع فيه قريباً، فأحدثت محطة للطيران ببلد العين من البريمي، من بلدان زايد، وأقامت بها نقطة عسكرية، وأنزلت بقلعتها قواداً وضباطاً بصفة النيابة عن سلطان مسقط، والحماية لحاكم أبو ظبي، وجمعت حكام الساحل ليكونوا ضد السعودية، ووعدتهم بالمادة والسلاح، فما أسعفوا.

أسندت مشكلة البريمي للحكم بمجلس الأمن، وضيق على الأمير السعودي، ورضينا أن تحكم فينا الإفرنج بما شاءت، وتركنا حكم محمد صلى الله عليه وسلم، وأصبحنا كملوك الطوائف؛ كل واحد منا يزعم أنه سيد الآخرين، فيهاجهم موجهاً آخر طعنة إلى أخيه، في وقت لم يبق فيه كبير قوة للسيل الذي يهددنا، وما فينا نافذ البصيرة لسد الثلمة، وإفهام الأمة.

وفي يوم سادس المحرم عام ١٣٧٣ بدلت الإنكليز عساكرها المحدقة بأمر البريمي، وأطلقت عليه الرصاص.

وفي يوم التاسع والعشرين من ذي القعدة عام ١٣٧٣ انحسم النزاع على منطقة الحدود المختلف فيها، فنشرت جريدة أم القرى عدد ١٥٢٧، الصادر يوم الجمعة ٢١ ذي الحجة، عنوان (السفارة البريطانية جدة)، وحررت الشروط، والجواب عليها، وعملت الحكومة السعودية على القيام بموجب الاتفاقية، فانسحب ابن عطيشان، أمير البريمي إلى المملكة العربية، وبدلت الحكومة السعودية ممثلاً من طرفها الأمير عبد الله بن نامي، وأقامت الحكومة الإنكليزية ممثلاً من قبلها، بالنيابة عن سلطان مسقط، وحاكم أبو ظبي، بقي الممثلان خارج البلاد، بالجانب الشرقي من بلد العين متجاورين حتى ينحسم النزاع بالمجلس، فزال الضغط الذي يعانيه الأهالي، واستراح الكل، ودخل الناس بعضهم مع بعض.

وفي ليلة تاسع من شهر ربيع الأول عام ١٣٧٥ هجمت قوات الدولة الإنكليزية، بقيادة ضباطها على الواحة المتنازع فيها، بدون تقديم أي إنذار، والناس في أمن واطمئنان، ولا يرجون الغدر من دولة، تتسمى بالعدالة والإنصاف، رفضت المجلس وحكمه وراءها، ولم يقم المجلس المحترم بحقه في هذا التعدي السافر، ولا الدول التي أقعدته للإنصاف، فما كان لهذا المجلس من حظ إلا الهوى والعجز.

سلبت الدولة الأمن، وركبت المحجور، واضطرت رؤساء البريمي، مع جميع الأهالي، للخروج من بلادهم، وجردتهم من سلاحهم وأموالهم، وما استطاعوا أن يحملوا أثواباً غير ما عليهم، فحملتهم في السيارات، ثم في السفن إلى المملكة العربية، وأوقعت بممثل السعودية ابن نامي، فأصيب بجراحة، وقتل من قتل من أعوانه،

ومن أهل البلد، وحملته بالطائرة إلى حكومته، فصفا لها الجو، واستلمت البلادة بالقوة.

ثم فتحت عينها لاستلام بقية عمان، لما قطعت العلاقة بينها والدول العربية، بالاستيلاء على البريمي؛ لأنها البلعوم الذي به يتنفسون، ولما عرفت أنها أمسكت على خناقهم، أصدرت الهجوم على عبري، ثم على نزوى، فاحتلت يوم ٢٩ ربيع الآخر عام ١٣٧٥ بواسطة الرؤساء الذين سهرت عيون آبائهم في استعادة مجدهم الباذخ، فهدموا ما شيد الآباء. وبانحلالها انحلت عمان، وسقطت في الهوة بلا شيء، {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}.

فهل لنا استقامة وعزة	وحالتنا مشومة كما ترى
كل امرئ بفعله معتبر	والسيف بالشفرة يفضّل العصا
فتحت عيني فرأيت غافلاً	يحمّله السيل وليته درى
ونائباً والنار في جثمانه	كأنه جزل الغضا وما وعى
وراضياً بذلقة مفتخراً	بأن يعيش خائزاً ومزدرى
ومؤمناً مستضعفاً يفزه	ظالمه من الرجا إلى الرجا
وعاقلاً في رأيه مستهماً	وأرشد الآراء للحر الدوى
وحاسد النعمة تخالسه	أسمر ما كان إذا قلت خبا
وبائناً لوطن فيه انتشاً	بلقمة يلذها وهي الودى
فهل لنا استقامة وعزة	وحالتنا مشومة كما ترى

وهذا شيء ترومه الإنكليز من قديم، وقد صرح عنه (كرزن عام ١٨٩٢م) في مجلد ٣/ ص ٤٤٣/ حيث يقول:

استدللت أن التفوق البريطاني قوي الدعائم، ونظام محبوب في مسقط. أمّا عمان، فيمكن النظر فيها بحق، كملحقة بريطانية. فنحن ندفع إعانة مالية لحاكمها،

كما أننا نملي سياستها. ولهذا يجب أن لا نسمح بأي تدخل أجنبي. وليس عندي شك كثير، في أنه سيأتي وقت، بعد أن تنحني هذه الدويلات البدائية، أمام حضارة مطبوعة بالصدقة، يصبح فيه من الضروري أن نفرض نفوذنا بشكل أكثر فعالية، ويصبح العلم البريطاني يرفرف فوق قلاع مسقط اهـ.

وفاة القاضي أبي الوليد

وفي عصر هذا الإمام توفي الشيخ القاضي أبو الوليد سعود بن حميد بن خليفين، ببلدة المضبيي، ليلة الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٣، وكان عاملاً عليها وأعمالها منذ خمس وثلاثين سنة للإمام الخروصي، ثم للإمام الخليلي متقلداً لوظيفتي القضاء والولاية، لما عرف من أهليته ودرايته ونباهته وعلمه، وأعفى أشهراً دون السنة، ثم رد إلى عمله. كان قارئاً حسن النعمة، جيد الصوت، لقبه الإمام الخليلي شمس القراء وداهية العلماء.

قرأ على سيدي الوالد نور الدين، وأخذ عنه العلوم، فكانت له يد كبرى في فنون العلم، وقد رباه في بيته صغيراً، فنشأ وهو بمنزلة أحد أبنائه، لا يفرق في شيء، فكان يقرأ عليه، ويقرأ له في أكثر الأوقات. وكتب عنه تساويد جمة من مؤلفاته، واختصه مدرساً بالمضيرب للمشايع آل حميد بن عبد الله، فهو شيخ المشايخ رحمه الله، وعنه أخذوا دروساً كثيرة وعلومًا جزيلة.

واستعملني الإمام الخروصي وإياه على المضبيي وأعمالها وسمد وتوابعها، فكانا نعمل للإمامين: الخروصي، ثم الخليلي، ولما استعفيت من العمل عام ١٣٣٩ بقي أبو الوليد رضي الله عنه متقلداً للوظائف كافياً كافلاً.

وكان الإمام الخليلي يحبه كثيرًا، ويشكر آراءه؛ لما تيقنه من إخلاصه للدولة. ولم تستلمه الأطماع المسقطية، ولا استفزته الأهوية كغيره من القضاة، ولا رغب في ذلك؛ مع أن كثيرًا من الرؤساء عرض عليه ذلك فانتهزه.

أصيب قبل موته بعام بمرض في مخه، فكان سببًا لوفاة. عفا الله عنه، وتقبل أعماله.

كانت له رسائل جمة وأجوبة مسائل نظمًا ونثرًا. وكان يقول الشعر، وله قصائد طنانة في فنون متفرقة.

وقد رتب أجوبة الشيخ صالح بن علي وسماه: «عين المصالح في أجوبة الشيخ صالح».

وفاة الإمام الخليلي رضي الله عنه

لما أدركته المنية جمع إخوانه من العلماء والفضلاء، فقال لهم في جملة وصيته بعد الشهادات:

«إن ديني الإسلام، ورأيي رأي المسلمين، ومذهبي مذهبهم. ثم قال: لا؛ بل مذهبي محمدي».

يعني أنه مجتهد في الرأي، غير مقلد لمن سبقه من العلماء؛ إلا ما يراه حقًا وصوابًا.

وفي الساعة الأولى من يوم الإثنين والتاسع والعشرين، من شهر شعبان، من سنة ١٣٧٣ ثلاث وسبعين وثلاثمائة وألف، هاجرت إلى ميقات ربها الروح التي عكفت على الإرشاد في نصرة الدين الخفيف، روح الجامع بين الحقيقة والشرعية، عميد العلم والدين والإسلام، حامي حمى الحوزة العمانية، العلامة المجتهد المطلق محمد بن عبد الله بن سعيد الخليلي، دعاه مولاه إلى سعة رحمته، ودار كرامته، فنقله إليه صابراً مجتهداً، محتسباً مجاهدًا.

مضى رحمه الله آخذًا بالإرشاد، وتقريب العباد إلى ربهم، يُسهّل لهم طريق الوصول إلى حضرة الإيمان، فالإحساس فالإيقان فالعيان.

ذابت نفسه حياءً من الله عزَّ وجلَّ، فأذابت من حولها، وخشعت للحَيِّ القيوم؛ فخشعت جوارح من يجالسها.

عرف نفسه، وعرف ربّه؛ فعرف الحقوق الواجبة، فلا ترى إلا ألسنا شاكرة، مثنية على حلمه وعطفه وكريم أخلاقه.

وعكة بسيطة أَلَمَتْ بهذا العَلَم، أعقبتها حملات المرض، فكانت سببًا لما تزوده هذا الصديق في اللحظة الأخيرة عند قدومه إلى ربّه.

كانت وفاته بنزوى، ودُفن بها بين قبري الإمامين: ناصر بن مرشد، وسلطان بن سيف. وكانت مدة إمامته أربعًا وثلاثين سنة وتسعة أشهر وسبعة عشر يومًا.

إنَّ المسروعة والسباحة والنسدى في قُبّة ضُربت على ابن الحشر

كان رحمه الله في آخر أيامه كثيرًا ما يقول: كأني بالفتن على أفواه السكك، وإني هامة اليوم أو غد.

قام رضي الله عنه في صلاح الأمة حتى بلغ حد الشيخوخة، فضعف جسمه، ونقص بصره.

وأقام الحدود القرآنية رجماً وقوداً وقصاصاً وحداً، قطع الأيدي في السرقة، ومن خلاف في قاطع الطريق، ورجماً في المحصن واللوطي.

عدد من أقيم عليه حد القتل بنزوى مائة وأربعون رجلاً، وفي خارجها من اللصوص وقطاع الطرق الذين لم يقدر عليهم إلا ببذل مال ما ينيف على أربعين رجلاً.

هذا أقل الأقوال التي وصلت إلينا من القضاة الذين بنزوى، كانت سياسته في حكومته اقتفاء سيرة الخلفاء الراشدين، وتبين الحقائق للباحث في سيرته الشخصية، والنظام الذي يسير عليه.

كان رحمه الله لا يرى حمل الناس على العنف والإرهاق، ولا تكليفهم ما لا يطاق. أحسن السياسة، وألان الجانب، حتى أوغل القضاة الشرعيون في التعنت والتنطع والاستخفاف، وطمعوا في عقوه؛ فحصل فساد في العمال، فاحتجوا لأنفسهم المال من غير حله، ووضعوه في غير محله، ولتساهله رضي الله عنه وإغضائه عنهم، وقبوله العذر منهم، حملهم على حسن الظن، كان يبيع من أصول أمواله؛ ليستر أعراضهم، ولينقذهم من ضيق الحصر.

كثرت فيهم الوقعة، فأصبح كل فرد منهم مُدلاً بنفسه، مستخفاً بالآخر. وكان رضي الله عنه من رأيه ما دام تنطعهم في الآراء التي تجلب لهم رياسة، ولو كانت تافهة أنه لا بأس بالسكوت عنها ما لم يترتب عليها أثر ديني.

مرت سنوات، والخلف يتسع، والكلام من الفريقين يزيد، وكل يتعصب لهواه حتى لا يعترف بفشله، وحتى تجرأ بعضهم، فحاول عزل الإمام، فاجتمعوا بحصن نزوى، فكتبوا له ما لا يحسن أن نكتبه.

أجابهم: إني خارج عصر اليوم عنكم، وانظروا لأمركم. بهذا الجواب سُقط في أيديهم، ورأوا أنهم قد ضلوا، فارتبكوا واختلفوا، ولم تثبت أقدامهم؛ إذ لم يكونوا من أهل تلك الطبقة، فقام عليهم الشيخ حمود بن سلطان الوهبي، من شيوخ البدو، وكان قد حضر بنزوى زائراً، فأغلظ الكلام عليهم، وهددهم وزجرهم، فانقشعت سحابة صيفهم، ولم يكن عند حمود من يحذر منه؛ إلا أن الحق لا يقوم له الباطل.

ذكر شيء من عهوده

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وصلي الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلم. قد جعلت سعود بن حميد بن خليفين قاضياً على ديار حبس، وعلى سناو وديار الشروج والخضرا والخرما ووادي عندام الفليج وبلدة بَعْدَ وسمد وتوابعها؛ ليحكم بين أهلها بحكم الله جلَّ وعلا الذي يجده في كتابه، فإن لم يجده فبسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فإن لم يجده فما أجمع عليه المسلمون، حتى يخرج الحق من الظالم للمظلوم، وليعدل بينهم في حكمه، وجعلت له فرض النفقات والتوكيل للأيتام والغياب، وتزويج من لا وليَّ لها في المصّر، وتطليق من عجز زوجها عن نفقتها، كل ذلك على وفق ما يقتضيه الحكم، وتجيّزه العلماء، وينهي عن المنكر، ويأمر بالمعروف،

ويؤدب من يستحق الأدب بما يستحقه. كتبته بيدي، وأنا إمام المسلمين محمد بن عبد الله، في ليلة ١١ ربيع الآخر سنة ١٣٥٢هـ.

وهذا عهد آخر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. قد أقمت محمد بن عبد الله بن حميد السالمي واليًّا على ديار المعاول ونواحيها، وبلدة نخل وحواشيها من الطو والحسنات والفارة وأبيض بني صبح وبلدة الآجال؛ ليقوم بإنفاذ الأحكام بين أهلها، والأخذ بيد الظالم حتى يخرج منه الحق، ويحمل الناس على الأخذ بما في كتاب ربهم، من امتثال أمره، واجتناب نهيه، ويحيي فيهم سنة نبهم محمد صلى الله عليه وسلم، ويسير فيهم سيرة السلف الصالح، ويقبض الزكوات منهم، ويضعها في مصالح المسلمين، من إعطاء العسكر القائمين بالأمر، ويواسي من يرى مواساته، مجتهدًا في ذلك رأيه، وليكن أكبر همه ما يكون به إعزاز الدين، وإظهاره وتقويته، وجعلت له أن يؤدب المعتدين والمفسدين، بما يردعهم عن الفساد والعناد. وما كان من حد فليراجعني فيه، وجعلت له أن يوكل من شاء في بيت مال المسلمين، ويجعل الحياة، ويحاسب العمال، ويقوم بأمر الأيتام والغياب والأوقاف. وهذا يكون معه القاضي سعيد بن أحمد الذي تجعله معه، وجعلت لقاضيي سعيد بن أحمد فرض النفقات، وتطليق من أبى واستكبر عن إنفاق زوجته، إن طلبت هي الطلاق. وكذا إن غاب زوجها، بحيث لا تناله الحجة، ولم يترك لها نفقة ولا مال تنفق منه، وأردات الطلاق، وأن يزوج من لا وليَّ لها بالمصر من النساء، بمن رضىته زوجًا، وكان كفؤًا، وقد جعلت لمحمد أن يقيم أحدًا يستعين به على الأوامر، ويجعل

له من الجعل ما يراه له من بيت مال المسلمين. وكتبه إمام المسلمين محمد بن عبد الله بيده، في يوم ١٤ من شهر شوال سنة ١٣٥٢. وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلم.

عهد آخر

بسم الله الرحمن الرحيم

قد جعلت سفيان بن محمد بن عبد الله الراشدي قاضيًا على بني بو حسن أهل جعلان، ومن كان مرجعه إليهم؛ ليحكم بينهم بما يراه من كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، أو إجماع المسلمين وأثارهم المعتمدة مساويًا بينهم في الحكم، وليعلمهم أمر دينهم أمرًا لهم بالمعروف، وناهيًا لهم عن المنكر، وأجزت له عقوبة أهل الجنايات، كل أحد بقدر جنايته، وجعلت له إجراء النفقات، وإقامة الوكلاء للأيتام والغياب، ومن لا يملك أمره، وتزويج من يكون مرجع أمر تزويجها إلى السلطان من النساء اللاتي لا وليّ لهن، أو غاب الولي، أو امتنع بغير حجة، وتطبيق من أراد الطلاق من النساء؛ لعجز الزوج عن الإنفاق، أو لتمرده. وعليه أن لا يمضي حكمًا حتى يبين له وجه الحق، وما لا يعلمه يسائل أهل العلم، ويطالع الأثر، وجعلت له قبض الأموال المجهولة الأرباب التي يرجع أمرها للقائمين بالعدل، ويبيع ما يرى بيعه من ذلك، ليضعه في إقامة العدل وتقويته، وإن عنا أمر مما يوجب الحد وحكم به، فليقمه الوالي بحضرته. والله عزّ وجلّ أسأله التسديد لي وله، والإعانة، وعليه مناصحة الوالي، كما على الوالي النصيح له، والقبول منه، وإنفاذ أحكامه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وصلى الله على رسوله

محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين. كتبه وأنا إمام المسلمين محمد بيدي، يوم تاسع من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٦٤.

ذكر شيء من أحكامه

عرض عليه بعض أحكامه قضائه.

صورة حكم أبي زيد عبد الله بن محمد الريامي بين النواصر، وهم تبع العبريين وبني هناة في أيام الإمام سالم بن راشد رحمه الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

ليعلم من يقف عليه أن الإمام سالم بن راشد الخروصي، بعثنا ننظر المكان الذي غربي الوادي الكائن ما بين الغافات ووادي العلا، لما تخاصم فيه النواصر وبني هناة فحضر الفريقان، ونظرناه على حضرتهن إلى جبل الكور، فوجدنا فيه عمارات آبار لبني هناة وأوقافهم، إلا بشرًا واحدة للنواصر، فحكمنا بثبوت بني هناة مغربًا إلى جبل الكور، وكذلك الجبل هم أخص به من غيرهم لاتصال عماراتهم به بالأبيار، ولكونه بين بلدانهم. وليس للنواصر فيه سبيل. هذا ما ظهر لنا في ذلك المكان قيامًا بالعدل بين الطائفتين. وبعد ذلك إمامنا الخروصي أرسل الشيخ محمد بن عبد الله بن سعيد الخليلي ينظر المكان المحكوم فيه، فلم ير فيه إلا ذلك. وكتبه عامل الإمام عبد الله بن محمد بن رزيق الريامي بيده يوم ٢٥ من ربيع الآخر سنة ١٣٣٦ هـ.

ثم وقعت في هذا الحكم معارضة من الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري، في عصر الإمام الخليلي. وكتب الشيخ رسالة طويلة. وهذا ما كتبه الإمام الخليلي جواباً عليها وفيه الخلاصة:

نبين لكم الوجه الذي يتمسك به إبراهيم بن سعيد: أنه وجد في الأثر أن الجبال لا تملك، وأن مانع المباح كمبيح المحجور، وأنه وإن كان تمسكهم بما جعل للديار من الحريم، فقد قاله بعض العلماء. واختلفوا في تعيينهم للمسافة، مع أن الحريم للبلدان لا للأطوى التي لا تزرع إلا أيام الصيف، ولا للقبلاں التي لا تزرع صيفاً إلا أيام الخصب التام، إن جاء المطر أيام الزراعة. هذا كلامه. وإن البلدان المعتبرة عند بني هناة بلدان وادي العلا، وهي في أول الجبل والغافات، وهي متناه، وبين البلديتين مسافة جمع، وأن بلدة النواصر المسماة العيشي توسطت بينهما، وليس بينها وبين الجبل إلا نحو ميل، وإن كان بينها وبين الجبل واد، فهو غير قاطع، وإن كان قاطعاً فقد يرضينا ذلك؛ لأن الأودية المنصبة من جبل الكور كثيرة، يكاد يكون بين كل طوى وصاحبته، نعم لبني هناة طوى مسكونة، فيها رجال، تارة تسقي بالزجر، وتارة بالنهر المسمى قبيل، إلا أن الطوى لا تنزع، وهي تعد بلدة، باعتبار أن فيها سكنى نحو عشرة رجال أو أزيد بقليل. فإن كانت مثل هذه تعطي الحريم فلا بأس، نحن نرضى بذلك، يعطي لأهل وادي العلا، ولهذه الطوى وللغافات والعيشي حريمهن، وحكم نراه أو قول أو فتيا نسمعها من قائل، بغير هذا نعدّه خارجاً من الحق، متبعاً لأهواء قوم. ونسأل المسلمين بالله أن ينصفونا، إن رأوا الحق معنا، وإن رأوا الحق مع غيرنا أن يبينوه لنا.

وإني أقول: قد أرسلني الإمام سالم بن راشد -رحمه الله ورضي عنه- أن أنظر بعد أن سار إليهم الشيخ عبد الله بن محمد، ورجع إلى الإمام سالم، وقال: إن النواصر

ليس لهم أن يسيما في الجهل، فأبى النواصر، وشايعهم العبريون قائلون: إنا نرى هذا تعدياً، فنظرت المكان، وذلك في زمن الخصب، فوجدت الزراعة محيطة بالجبل، وهي لبني هناة وإن تخللتها أودية أو بعض أماكن، فمن رعى حول الحمى أوشك أن يقع فيه، وأخرى أن بين الطائفتين شحناء ومكابرة نفوس. وفي ذلك الوقت يكاد تقع فتنة؛ إذ الفريقان - أعني النواصر وبني هناة - فيهم غشم وظلم شواوي، لا يفقهون قبيلاً، ولا يهتدون سبيلاً. فلما رجعت إلى الإمام أخبرته بما رأيته، وقلت له: إنك إمام وعبد الله وال بذلك الطرف من قبلك، فلکم أن تمنعوا النواصر عن السوم، إن رأيتم ذلك صلاحاً للرعية. هذا فلينظر الإخوان في القضية، والحق مقبول ومطلوب. والله الموفق المسدد المعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه الفقير سعود بن حميد عن إملاء سيده، إمام المسلمين محمد بن عبد الله، أبقاه الله ونصره، في ٣ شعبان سنة ١٣٥٠ هـ، صحيح كتبه إمام المسلمين محمد بيده.

ومن أحكامه

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما رأيته بين أهل الخوي وأهل ضوت من نزوى؛ نظراً لمصالح الكل أن يحفر أولاً أهل الخوي تلك الحفرة التي في الصفاة، إلى أن يظهر ماؤها. فإن رأوا ماءها يكفيهم شقوها لفلجهم، على شرط أن يكون لجيرانهم أهل ضوت أن يمدوا فلجهم إلى حيث شاءوا، ولو شاءوا تصرجه صرجوه، وإن لم يظهر في تلك الحفرة ماء كافٍ ترك تلك الحفرة على حالها، وتجعل علامة إلى منتهى فلج الخوي، من غير أن تشق

عليه، وتكون القواعد السالفة بينهم على ما وجدت مرسومة، لا تغيير ولا تبديل. والرزق بيد الله، هو الباسط المانع عن حكمة لا نعلمها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وكتبه إمام المسلمين محمد بن عبد الله بيده، يوم ١٩ من جمادى الأولى سنة ١٣٤٠ هـ.

ومن أحكامه

جاءت امرأة من خوبار سمائل، تشكو إليه أن زوج ابنتها جامعها وهي نائمة، وتريد إخراج ابنتها منه، فأرسل الإمام إلى الزوج وزوجته، فسأل الزوج في خلوة، فأخبره أنني خرجت لسقي الأموال تحت ظلام الليل، ورجعت إلى بيتي، وما كان أحد يشاركني في بيتي ولا فراش نومي، فدنوت منه. فإذا بالمرأة نائمة فأيقظتها لعلمي أنها زوجتي، فلم تكلمني، وباشرتها كالعادة ولم تتكلم، فلما فرغت صرخت وقالت ما قالته.

ثم دعا بابنة الشاكية، فأخبرته أن زوجها خرج لسقي الأموال، وأن أمها جاءتها بعد العشاء الآخرة تقول: إنها مريضة بالحمى، وتأمرها أن تخرج إلى بيتها لتحلب بقرتها، فاعتذرت لها بغياب زوجها، وأنه سيرجع آخر الليل تعباً يريد النوم، فقالت: افرشي له كالعادة وأنا أنتظره هنا حتى ترجعي، أو يرجع. وكانت سابقاً تحرصني على النشوز عنه، وأنا لا أشكو منه إلا خيراً، فذهبت ممثلة أمرها، ولا أدري ما انطوت عليه. فلما رجعت وجدتها تصرخ: جامعني زوجك، وقد حرمت عليه، فانطلقني عندي. ثم سألت الإمام المرأة: أين نمت من البيت؟ فقالت: نمت في الفراش الذي فرشته الابنة لزوجها. فقال لها: أنت أم سوء، ولا خير فيك. وأوجعها

ضرباً، ودرأ الحد عنها للشبهة، وأمر الزوج أن يأخذ زوجته، وقال لها: لا بأس عليكما.

ومن أحكامه

أتاه رجل من بني حراص، من أهل نخل، وكان قد سافر إلى ساحل الشمال، وأقام سنين عديدة، وله زوجة وابن منها، فلما رجع لم يجد زوجته ووجد ماله وبيته في يد غيره، فسأل عن زوجته، ف قيل له: إنها بسائل، تزوجت برجل من موالي بني هناة، وأنه أولدها ابناً وبتاً، فشكا إلى الإمام الخليلي، فأرسل إليها والزوج، فسألها عن الحراصي. فقالت: إن زوجها غاب عنها الشمال منذ سنوات، فقال لها: ماذا جاء بك إلى سائل؟ وما صيرك إلى هذا الزوج الآخر؟ فقالت: إني شكوت عند الشيخ خلفان بن ثيان الحراصي طول غيبة زوجي، فباع خلفان المال لنفقتي، ثم باع البيت، ثم طلقني، ثم جئت سائل، وتزوجت هذا الرجل، فقال لها: هل أبلغت الرقيشي عاملنا بنخل، وهو والي المسلمين؟ فقالت: لا. فقال: كيف أبلغت خلفان وهو جبار مفسد. فقالت: هذا ما فعلت، وأظهرت كتاباً بخط خلفان، أنه طلقها من زوجها ثلاثاً، فأحضر الإمام مشايخ العلم بسائل، فاتفقوا على عدم إجازة طلاق خلفان، وعامل الإمام بالحسن موجود، وحكم بالمرأة أنها زوجة الأول، وأنها فراش له، لم تخرج عنه، وللعاهر الحَجَر، والأولاد أولاده جميعهم، ثم تذاكروا في إقامة الحد عليها وزوجها الثاني، فكان من جوابهم درء الحد عنهما للشبهة، ولا بدَّ من تعزيرهما، فعزرا جميعاً. وأخذ الأول زوجته والأولاد جميعاً.

ذكر شيء من مكاتباته

صدرت بين الإمام وعاهل الجزيرة العربية: جلالة الملك عبد العزيز الراحل، وصاحب الجلالة عظمة الملك سعود بن عبد العزيز مكاتبات ودية كما ترى بعضها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من إمام المسلمين محمد بن عبد الله، إلى الملك المحترم المعظم عبد العزيز بن عبد الرحمن: سلام عليك ورحمة الله وبركاته، وبعد فأني أحمد الله جلّ وعلا، وأصلي وأسلم على نبيه المصطفى وعلى آله.

ثم إنه لم انتشرت في العالم سيرة الملك ابن السعود، بتأمين السبل، وإسداء المعروف سيرة عربية إسلامية. ويرى اجتماع كلمة الإسلام، فلأجل ذلك وقد الناس إليه أفواجاً؛ منهم طالب رفق، ومنهم ناظر في السيرة، ومنهم من يحب اجتماع شمل المسلمين واتحادهم. وكان محمد ابن العلامة السالمي ممن يحب الاجتماع والاتحاد وأمن العباد والبلاد، وأراد الاتصال بالملك، وأراد مني أن أعلمه بشأنه ومكانه. وفي الحقيقة أن فضيلة المرء مخبوءة تحت بيان لسانه، والله المسدد في القول والعمل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لا ملجأ من الله إلا إليه. حرر يوم ١٠ شوال من سنة ١٣٦٩ هـ.

جواب الملك المعظم.

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

رقم ٤٤٦٥ / ٥ / ٦

بتاريخ ١٣٧٠ / ١ / ٣

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، إلى حضرة صاحب المقام المكرم محمد بن عبد الله - حفظه الله وأبقاه - السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فإننا نحمد إلكم الله الذي جلت قدرته، وتعالى أسماؤه، ونصلي ونسلم على نبيه المصطفى وعلى آله ومن تبعهم إلى يوم الدين. أمّا بعد؛ فقد تسلمت كتابكم الكريم الذي حمّله إلينا العلامة السالمي، وشكرنا ما نقله لنا من حسن ودادكم، وعظيم محبتكم، وإنه ليسرنا تواصل المودة، سائلين الله أن يوفقنا جميعاً للعمل بكتابته، واتباع سنة نبيه، وأن يوفقنا لما فيه الخير والساداد في القول والعمل. هذا ما لزم بيانه، والله يحفظكم، والسلام.

وهذا كتاب آخر منه، أرسله الشيخ سعيد بن ناصر السيفي والحجاج:

بسم الله الرحمن الرحيم

من إمام المسلمين محمد بن عبد الله، إلى الملك المعظم المحترم عبد العزيز بن عبد الرحمن، سلام الله عليكم ورحمة الله، وبعد فإنني أحمد الله الكبير المتعال، وأصلي وأسلم على النبي المصطفى والآل. ثم إنه لما من الله بأمن السبل، وجعل الواسطة في ذلك الملك المحترم عبد العزيز، فله الحمد أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً، ثم إنه يجب

على المسلمين شكر الملك، وأن يغتنموا الفرصة لأداء فريضة الحج، وأن يدعو الله بتأييد الدين، وجمع شمل المسلمين، واتحاد كلمتهم، وأن يصلح الرعاة والرعية، وأن يطيل عمر الملك، ويجعله جامعاً لنظام الإسلام. فدين الإسلام واحد، ودعوتهم واحدة. وهؤلاء الحجاج هم وفد الله عزَّ وجلَّ، دعاهم إليه فاستجابوا. ونسأل الملك أن يجعل لهم الاحترام التام، كما هي أخلاقه السامية. وإنما قلنا ذلك لندخل تحت قوله صلى الله عليه وسلم: ((الدال على الخير كفاعله)). والله حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لا ملجأ من الله إلا إليه. حرر يوم عاشر من شوال سنة ١٣٦٩.

وهذا كتاب منه لصاحب الجلالة الملك الراحل:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه الذين جددوا عهده، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمَّا بعد؛ فسلام من إمام المسلمين محمد بن عبد الله على الملك المبجل العزيز عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود المحترم ورحمة الله وبركاته، نحن ومن قبلنا بحال نحمد الله عليها، ونشكره سبحانه راجين منه جل شأنه وعز، أن تكونوا بأحسن حال وأطيب بال. وما بطارفتنا من أخبار إلا ما يسركم، فله الحمد. ثم إن الموجب للبيان إقراؤكم السلام الجزيل منا ومن الأعيان، والسؤال عنكم وحب المواصلة وإعلامًا عن الولد محمد بن شيخنا العلامة السامي وزميله، فها هما متوجهان لأداء فريضة الحج، وحضور الموسم، وليمرا عليكم مسلمين مؤدين بعض

واجبكم. هذا ومهما لازم فالبيان الله يحفظكم، والسلام عليكم وعلى من يعز لديكم
ومن لدنا كذلك. محرراً في ١٩ ذي القعدة سنة ١٣٧١ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

من إمام المسلمين محمد بن عبد الله، بيده إلى الأمير المحترم المعظم ولي العهد
سعود بن الملك عبد العزيز. سلام عليك ورحمة الله، ثم إني أحمد الله عز وجل،
وأصلي وأسلم على خاتم الرسل وعلى آله. وبعد فإن الولد الشيخ محمد ابن العلامة
عبد الله السالمي، كان قصده الحج إن يسر الله له ذلك، وأن يمر عليكم مسلماً، كما هو
الواجب من أمر الإسلام الذي يحث على ذلك. وكونوا عباد الله أعواناً وإخواناً، ولا
بد له من الاتصال بمكة المشرفة إن فاته الحج؛ لأن للعمانيين بيتاً جعلوه لنزولهم فيه
يحتاج إلى عمارة، وهو المفوض من قبلنا وقبل العمانيين في النظر في الأمر هذا،
وحررته يوم ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٧١.

ثم إن أتم السلام منا على أعيان أصحابكم، ومن هنا كذلك يسلمون عليكم
أعيان الأصحاب.

جواب الأمير ولي العهد على ذلك:

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية الرقم ١٩١ / التاريخ ٧ / ٢ / ١٣٧٢

ديوان سمو ولي العهد.

من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، إلى حضرة الأخ الجليل الإمام محمد بن عبد الله الخليلي، سلمه الله تعالى. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فقد تلقينا كتابكم المصحوب مع الشيخ محمد بن عبد الله السالمي الذي سرنا الاجتماع به، وبما طمأننا به من صحتكم وعافيتكم، وما أنتم عليه، وقد سهلنا له الغرض الذي جاء من أجله، وهو العمارة في البيوت الخاصة بكم، بما نرجو ونأمل أن يكون طبق رغبتكم. وإنا لنسأله تعالى أن يوفق الجميع، لما فيه الخير والسداد في الدنيا والآخرة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وهذا كتاب آخر منه لجلالة الملك المعظم:

بسم الله الرحمن الرحيم

من إمام المسلمين محمد بن عبد الله الخليلي، إلى حضرة جلالة الملك المعظم سعود بن عبد العزيز الفيصل آل سعود المحترم حفظه الله، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وإنا نحمد الله على نعمه. وبعد فإن الشيخ مشعان بن ناصر زار بلادنا بعد زيارته الأولى التي عقدت بيننا وبينه روابط الصداقة والمحبة، وتوثقت عرى الصداقة بينه وبين علماء البلاد، حتى أحلوه بالمكان اللائق بأمثاله، وقد ذكر لنا مودة حكومة جلالته، وعطفكم على رعايانا، واهتمامكم بشئوننا، وحرصكم على دوام استقلال بلادنا، وإنكم لا تألون جهداً بالدفاع عنه. وهذا وإن كان ظاهراً لنا سابقاً، إلا أن الشيخ جعله كأنه رأى عين، والحق إن هذا لا يستبعد من حكومة جلالته العربية الإسلامية، التي يسرها أن ترى المسلمين والعرب في عز ومجد وهناء وسعادة، وقد جعلتنا نيتكم الطيبة الخالصة ندعو لكم بالنصر والتوفيق، على سعيكم

الجميل، في توحيد كلمة المسلمين، وتكتلهم تحت لواء الإسلام، وانتسابهم إليه، ودعائهم إلى كتاب الله العزيز وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. وإلى ذلك أرشد القرآن العظيم فقال: {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه} {إن الدين عند الله الإسلام}. وقال صلى الله عليه وسلم: ((كونوا عباد الله إخواناً، وعلى الخير أعاوناً)). فيا صاحب الجلالة قد استخلفكم الله في بلاده، فترغب إليه سبحانه أن يجعلكم من الذين وصفهم في قوله: {الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور} ومن الأمر بالمعروف السعي في توحيد كلمة المسلمين، وفي إمارة الانتساب إلى المذاهب، وإظهار التعصب لها للذين قضيا على الإسلام، وتسلط على أبنائه عبدة الأصنام الأجانب الأكالب، وأن لزوم ما كان عليه السلف الصالح والسير بالمسلمين سيرهم، هو الذي يعيد عزنا الشامخ ومجدنا الباذخ. هذا والسلام عليكم وعلى من يعز لديكم.

محرراً يوم ٢٣/٥/١٣٧٣.

جواب الملك على هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٨/١٠/٢٠٤٧ ٥٦٤٧ في ٧ شهر رجب الفرد سنة ١٣٧٣

من سعود بن عبد العزيز الفيصل آل سعود، إلى حضرة المكرم الإمام الشيخ محمد بن عبد الله الخليلي حفظه الله. سلام عليك ورحمة الله وبركاته. وبعد: فإننا نحمد الله الذي لا إله إلا هو، ونصلي ونسلم على خير أنبيائه. ولقد وصلتنا رسائلكم التي أعربت فيها عن عواطفكم الطيبة وشعوركم الجميل، ونحن نقدر لكم ذلك في كل وقت، فإننا كما تعلمون حريصون كل الحرص على جمع كلمة

الإسلام والمسلمين، والدعوة إلى التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وكل ما نتمناه أن يأخذ بنواصينا، ويسدد خطانا، ويوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه، والسلام.

وهذا كتاب منه لأمير المنطقة الشرقية سعود بن عبد الله بن جلوي:

بسم الله الرحمن الرحيم

من إمام المسلمين محمد بن عبد الله الخليلي، إلى سمو المكرم الأفخم الأجدد الأمير سعود بن عبد الله بن جلوي المحترم. سلام عليك ورحمة الله وبركاته. إنا -الله الحمد- بحال نشكر الله عليها. وبعد فقد زار بلادنا الشيخ مشعان بن ناصر بعد زيارته الأولى التي عقدت بيننا وبينه روابط المحبة والصدقة، وتوثقت عرى الصحبة بينه وبين علماء بلادنا، حتى أحلوه بالمحل اللائق بأمثاله. وقد ذكرنا لنا عن حكومتكم، وعطفها على رعايانا، واهتمامكم بشئوننا، وحرصكم على استقلالنا، وإنكم لا تألون جهداً بالدفاع عنها. وهذا وإن كان ظاهراً لنا سابقاً؛ إلا أن الشيخ أكدته حتى جعله كأنه رأي عين. ولا يستبعد هذا من حكومتكم السامية الإسلامية العربية التي لا تزال ساهرة على المحافظة على عز الإسلام والمسلمين، وحفظ كيانهم. ويسرُّها أن ترى المسلمين في عز ومجد وهناء وسعادة هذا. والسلام عليكم وعلى من يعز لديكم.

محرم يوم ٢٣ جادى الأولى سنة ١٣٧٣.

جواب الأمير سعود لهذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

من سعود بن عبد الله بن جلوى، إلى جناب الأجل الأفخم، الأخ الفاضل
 الأكبر الإمام محمد بن عبد الله الخليلي. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته
 ومرضاته، نرجو الله أنكم بأتم الصحة والعافية، وبعد فقد تلقينا خطابكم الكريم،
 وتصفحنا ما تضمنه من لطيف التعبير، وأنيس اللفظ، وجميل العناية، وما أبداه
 حضرة الأخ عن رعاياكم، والمعاملة الحسنة معهم. فالواقع أن لا فضل لنا في ذلك؛
 لأننا مسلمون، وأنتم مسلمون، والمسلم لأخيه كالبنان المرصوص يشد بعضه
 بعضاً. وهذا هو دستور صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم الذي نسير عليه جميعاً،
 فالتوadd والتقارب والتعاقد أمور حثنا عليه المشرع الأعظم، صلى الله عليه وسلم.
 وواجبنا الديني المحافظة عليها، والتمسك بها، والمسلمون بخير ما داموا واضعين
 نصب أعينهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، عاملين بتعاليمها،
 متمسكين بها. فالحقيقة أيها الأخ العزيز، إنا نعتبرك أخاً صديقاً وقيّاً، وواجبكم علينا
 واجب الأخ نحو أخيه، وننظر إلى رعاياكم كما ننظر إلى أبنائنا ورعيتنا. ولا موجب
 لأن نشكر على ذلك، أو نقدر عليه، فهذا ندين لله به، وما لا يمكن أن نقصر فيه،
 وفق الله الجميع لما فيه السداد والخير والصلاح للمسلمين جميعاً، وحفظكم وأدام
 توفيقكم. ١٣٧٣/٥/١٧

ذكر شيء من رسائله كتابه لأبي مالك في بغى حمدان الحجري

من إمام المسلمين محمد بن عبد الله، بيده لحضرة الشيخ العلامة عامر بن خميس بن مسعود الذي هو من بني مالك. سلام عليك كثيرًا، ورحمة الله. أمّا بعد: فإني أحمد الله إليك، وكتابك وصلني وفهمته، وإني أخوف التبعة - كما ذكرت - لعلمي بالتقصير، والركون إلى الراحة والاستراحة، وآل حجر لا أراهم يستقيمون، وأنت تعلم ما هنالك، ومن أين تُرجى استقامة من أحد على هذه السيرة التي نحن عليها، فشمروا لجهاد أعداء الدين، بالتحريض على ذلك. وإني قد دعوت الناس على المثار على آل حجر، فإن نصر الله المسلمين هنالك فالمرجع إلى الغربية، ولا قريب ولا بعيد ولا بغيض ولا حبيب، إلا الاستقامة وعدمها وما عدا ذلك لغو وتملق وتشدق، وظنك في الحجريين، ذلك في أناس مضوا. أمّا اليوم فغيرهم أسرع انقيادًا للحق، انظر إلى أشياخ بني هناة أما انقادوا للأحكام؟ وانظر أمر الحجريين، كلما قيد منهم أحد شرعوا يقاتنون العسكر. أناس غرّتهم نعمة الله عليهم، وقالوا: من أشد منا قوة، وغرهم ثناء الناس، ومدحهم لهم. والأمر لله لا بد من سر مكتوم في خزائن الغيب، فلا تكرهوا ذلك. والله حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

حرر يوم ١٦ رجب سنة ١٣٤٦.

كتاب آخر

بسم الله الرحمن الرحيم

من إمام المسلمين محمد بن عبد الله، إلى الشيخ الأكرم المحترم الأخ الأمير عيسى بن صالح وكافة الجماعة آل حجر، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وإني أحمد الله إليكم، أعلامنا خير وسرور. أما بعد؛ فإنه ربما يبلغكم إفاد أهل بزبان إلى مسكد ودعوة أهل مسكد القبائل إليهم غير منقطعة، بثوا الرسل والكتب إلى كل أحد، والناس يقولون: إن فتح الباب وسده من الشرقية، وإنه لا يمكن أحد أن يفد مستجدياً، ويرجع علمو الحقائق، والآخر إذا سار عنف وسيء به الظن. إما أن يحسن الظن بالكل أو يساء الظن بالكل. وذلك أمر منعنا عن القول، وقد تجرأ الوافدون بذلك والموفود إليهم، ولا نرى إلا المنع. فمن كان مع المسلمين وثابتاً على البيعة وغير خايس بعهد، فلا يمكن مسيره إليهم مستجدياً، وقد حجرت عليهم ذلك إلا من كان ناقضاً لبيعته وعهد، فذلك نظره إلى المسلمين، ولا يعجز الله. واعلموا أيها الناس أن أولئك لا يعطونكم شيئاً من دنياهم إلا أخذوا به شيئاً من دينكم، هذا قولي وأستغفر الله لي ولكم، والسلام.

حررته يوم ٢٢ من شهر شعبان سنة ١٣٥٧.

وبمثل هذه كتب إلى جميع عماله، وأن يقرأوه على القبائل.

وهذا كتاب آخر

بسم الله الرحمن الرحيم

من إمام المسلمين محمد بن عبد الله الخليلي، إلى المشايخ الكرام العزاز الحشام
الجماعة كافة رجال بني بو حسن: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام، فإننا
نحمد الله إليكم، وأعلامنا خير، والحمد لله. وبعد فإنه بلغني تفرقكم وتلك عقوبة
البغي، وهي أولى العقوبات. فالمراد أن تراجعوا دينكم وتراجعوا، وتؤدوا الحقوق
فيما بينكم وبين الخصم، وتوبوا إلى الله من خيانة العهود، وكونوا يدًا واحدة على
الحق وتفرقكم وتحاذلكم عن إخوانكم إن كانوا يؤدون الشريعة المحمدية، ولم يكف
الخصم يصير الخصم باغيًا، فقد أعنتم الخصم، وخذلتكم الدين. وإني أخاف عليكم
نقمة كما وقعت على الأتراك. ونحن -إن شاء الله- لا نجد بدءًا عن مناصرة الدين.
والله عز وجل نستمد منه النصر والتأييد والتوفيق والتسديد، وهو حسبنا ونعم
الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم.

حررته يوم ٥ ذي الحجة سنة ١٣٥٩ هـ.

وهذا جواب منه لكتاب صدر إليه من المذكورين

بسم الله الرحمن الرحيم

من إمام المسلمين محمد بن عبد الله الخليلي، إلى إخوانه المشايخ الفضلاء المرتضين صالح بن علي، وصالح بن يحيى، وسعيد بن علي الميزابيين حجاج بيت الله الحرام وزواره وجيران حرمه، تقبل الله سعيكم، وأثابكم رضوانه.

سلام عليكم، ورحمة الله وبركاته، وعلى من جاور معكم من الإخوان. وإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأشكره على أفضاله وجزيل نواله، راجياً منه أن يغفركم بنعمائه الشاملة، ويغمر قلوبكم بأذكاره الفاضلة، نحن ومن قبلنا بخير، والحمد لله. وبعد فإن الولد سيف بن سعيد الحاج المعولي وصل معنا سالماً، وتناولنا من يده كتبكم الحاملة لمزيد التحيات، ورسائلكم الحافلة بالأبحاث في المسائل التي اختلفتم فيها. ولا بد أن ينظر إخوانكم العمانيون فيها، ويطبقوا المسألة على أثر السلف الصالح، المستخرج من الكتاب العزيز، والسنة المطهرة، مع أي أقول إجمالاً: أوصيكم بالتثبت في الأمور، وألا تعجلوا على إخوانكم بقطع العذر والبراءة، واحتملوا للمسلمين فيما كان فيه محتمل. ومن دين المسلمين: أن لا ينصبوا الرأي ديناً؛ فإن الله عز وجل جعل هذا الدين يسراً، وفتح للعلماء باب الاجتهاد، وألزم كلاً أن يأخذ بما أداه إليه اجتهاده، فيما لم يكن فيه نص عن الله تعالى، بكتاب صادق، أو إجماع الأمة لثبوت العصمة لهم، فلا يجتمعون على ضلالة وما كان وراء ذلك، فهو محل اجتهد وبحث، لا محل قطع عذر وتخطئات. فانظروا -رحمكم الله- بعين البصيرة، واعتمدوا على الحق، فهو السيرة التي أثرها الأسلاف. وقد رأيت في

غضون تلك الورقات ما لو برهن بالبرهان لتبين أي بيان، أنه من مسائل الاجتهاد، وأن الرأي فيه مجالاً، وللعلماء مقالاً فلا يقضي بها إلى التخطئات وقطع الأعدار. واعلموا أن النصوص تتناهى والحوادث لا تتناهى، فاقضت حكمة العليم الخبير الرؤوف الرحمن الرحيم: أن جعل للعلماء النظر والاجتهاد، وأن يحكموا على الحوادث بما أداه اجتهادهم، في الاستنباط والوزن، والعيار لذلك جاء: {ما فرطنا في الكتاب من شيء} فالله الله فيما يجمع الكلمة والتآلف، ويبعد الشحناء والتخالف، ولا تكونوا كالذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً. فما مني الإسلام بشيء أعظم وأطم من التخالف المؤدي إلى الفشل، المنتج لانحلال القوى، وذهاب الدول. هذا وإخوانكم أهل عمان حريصون على اجتماعكم، ونظام جماعتكم، ويسئهم جداً ما يبلغهم عنكم من التفرق، جمعكم الله على الهدى، وسلك بنا وبكم نهج سلفنا -رضوان الله عليهم، والسلام عليكم جميعاً، محرراً في يوم ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٧٢.

وهذا جواب لسؤال صدر إليه من إخوانه المغاربة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة على نبينا محمد وآله وصحبه.

بلغنا السؤال عن فتوى العالم القراري، المجيز الآخذ بخبر التلفون والبرق في هلال وشوال، وقاسه على شهادة الأعمى، والشهادة في الظلمة، والشهادة من وراء حجاب، واستماع المؤذن، فالذي نراه ونعمل به ونحكم عليه الأخذ بالكتاب والسنة وبما جرى عليه عمل الصحابة رضي الله عنهم، وتبعهم الخلف: هو أنه إذا تباعدت الديار والمطالع، فلكل قوم هلالهم. والحجة في رؤية الهلال الشهادة العادلة، أو

الشهرة القاضية، أو حكم من الحاكم بصحة الهلال، ودينكم يسر، فاشكروا الله الذي جعلكم من أهل هذه الشريعة الخفيفة السمحة، ولو شاء الله لأعتكم. وأما الكلام في قياسه فنحن لا نعلم خبر التلفون على الحقيقة، مع أنه لا داعي لذلك. صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غُمَّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين، ولم يبلغنا أن الأوائل تكلفوا في طلب الهلال، فإن أيام الحج طوال، فلو كان يلزم البحث لكان الأوائل أخرى بذلك، فلم يبلغنا أنهم يلتمسون الخبر من الديار البعيدة النائية مع إمكان ذلك، والله أعلم.

ونحن أهل المشرق، نقر لكم، ونسلم أنكم أكثر اطلاعاً للآثار والأخبار، إلا أن فيكم شدة لا تسلمون الأمر، ونحن بحمد الله نعظم علماءنا، وننقاد إلى أقوالهم وأحكامهم؛ لأنهم بالمتزلة العليا، في العلم والورع، والجاهل منا يعظم العالم ويحترمه؛ بل ونحترم علماء المغرب، كالشيخ القطب محمد بن يوسف رحمه الله ويسوءنا ما يبلغنا من تخالفكم، وعدم توقيركم لذلك الشيخ وأمثاله، وإن اختلف المشايخ في مسألة من غير مسائل الدين، فليس ذلك بموجب فرقة، ولا ينبغي لتلامذة هذا الشيخ أن يتحاملوا على الآخر بلا حجة، إلا لما يرونه من توقيرهم لشيخهم. الجاهل لا يتعدى طوره، فلا تعجلوا على الفزاري بالبراءة. واعلموا أنا نأخذ بالسنة، وأرجو فيثته. والله حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وذلك من إخوانكم المشاركة أهل عُمان، إمام المسلمين: محمد بن عبد الله، ومن حضره من الإخوان.

كتاب رجال حزب الإصلاح بميزاب لأهل عمان عموماً

بسم الله الرحمن الرحيم

إخواننا الكرام، رجال عمان الأجداد؛ الخاص منهم والعام، صانهم الله، وأخذ بأيديهم، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أمّا بعد؛ فقد نُعي إلينا، والأسف يملأ الفؤاد، والأسى يوشك أن يشق المرائر، إمام المسلمين: محمد بن عبد الله الخليلي رحمه الله، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

أحقّاً أفل نجم عمان الذي طالما أزهى فاستضى بنوره، في ظروف محلولكة المنظر، قائمة المخبر؟!!

أحقّاً سقطت دعامة من دعائم المذهب الشريف هنالك، ومال ركن عدله القائم، وتوارت شمس وحدته بالحجاب؟ إي وربك إنه لحق، وإنه لرزء عظيم، وحادث جلل، لولا حكم من الله يجب الإذعان له، وقضاء منه، يتحتم الرضا به، والاستسلام إليه، وسنة من سنن الله في كل حي، وإن طالأت أيامه في هذا الوجود. كل ابن أنشى وإن طالأت سلامته يوماً على آلة حذاء محمول

إخواننا الكرام، إن حزب الإصلاح في ميزاب ليشارككم معشر الأحبة في هذه المصيبة العظمى، ويشاطركم الأسى، ويقاسمكم الألم، فعظم الله أجركم وأجرنا، وألهمنا وإياكم الصبر الجميل، والثواب الجزيل، ولا ملجأ من الله إلا إليه؛ قال الله تبارك وتعالى: {وبشر الصابرين} الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون} أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون}.

جمع الله قلوبكم إلى رجل، يجمع العلم الواسع، والمعرفة بالله معرفة حقيقية دهاء وحنكة، وإلى الأصالة في الرأي، والحزم في المواقف، والشجاعة في الإقدام والإحجام، شفقة إلى الأمة، ودماثة في الأخلاق، ولطفًا في المعاملة، وإلى الورع الصادق، وحسن السمعة في السير، معرفة بأساليب الحياة، وإقدامًا على التطور في دائرة الدين ومصلحة الإسلام المشتركة، فلن يصلح الدين إلا باستصلاح الدنيا، ولن يسلم كيان الأمة وتحفظ جانبها من عدوان الإنسان إلا بالاعتصام بالله، والتذرع بوسائل القوة والعزة، وقديماً قيل: «الاستعداد للحرب يمنع الحرب».

إخواننا الأماجد، يسرنا جداً ما نسمعه عن وطن عمان، من زكاء التربية والثروات الطبيعية، بقدر ما يحزننا نكول إخواننا عن استثمارها، وعدم أخذهم بالأساليب الحديثة في الإنشاء والتعمير، شأن أمم العالم بأسرها، ويسوءنا والله أن لا نسمع بعمان صوتاً بين الممالك الإسلامية والدول العربية، وأن يبقى مجهولاً من أمم الدنيا، كأن لم تكن الأمة التي حفظ لها التاريخ بين مطاويه بطولة نادرة ومجداً رفيعاً، والدولة التي ملأ دويها سمع الزمان، ورتل فمه آيات، أليست هي التي قمعت طغيان الاستعمار البرتغالي، وتحطمت على صخرتها أساطيله العتيقة، وطهرت منه الأماكن والبقاع! ألم تكن فتحت الفتوحات الواسعة، وحكمت فكان العدل منها سجية، وشقت الأفلاج، ونشطت حركة الإنتاج والإصدار والإيراد، وغرست آلاف النخيل والأشجار، وشادت للعلوم حصوناً، أخرجت العلماء النابغين، والحكام الناهبين، فيهم الشاعر والنثر، والمفسر، والمحدث، والسياسي المحنك، والإداري الماهر. وناهيك بحصن بيرين وما أصاب من علماء أجلة وشموس ساطعة، فأضاءت زواياه حيناً من الدهر، يا عصابة الحق.

ما أحسن الدين والسدنيا إذا اجتمعا وأقبح الجهل والإفلاس بالرجل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)) فقلدوا أمركم شهيمًا أخا ثقة، يورد الأمور ويصدرها، ويشق بكم الطريق إلى حيث العزة والسعادة والسيادة الحققة، ويغشى بكم ميادين الحياة، ويعدكم إمدادًا قويًا بتجديد عهود زاهرة، مضى عليها أئمة الهدى، أمثال ناصر بن مرشد وبلعرب بن سلطان، وأخيه سيف بن سلطان قيد الأرض، وكثير غيرهم، ممن كان قبلهم، أو جاء بعدهم:

فقلدوا أمركم شهيمًا أخا ثقة	يكون ردة لكم للحادث الجلل
ماضي البصرة غلابًا إذا اشبهت	مسالك الرأي صاد الباز للجلجل
إن قال بسر وإن ناده متصر	لبى وإن هم لم يرجع بلا نقل
يجلوا البديهة باللفظ الوجيز إذا	عز الخطاب وطاشت أسهم الجدل

إن قُطرًا كقطر عمان، العريق بالسيادة المجاهدة، الحافل برجال الكفاءة، لا يتكأه أن يوجد خلفًا للراحل العظيم، يخلفه باستحقاق، ويسدد الثغور التي كان يسدها، ويضطلع بالأعباء التي كان يقوى على الاضلاع بها إذا ظفرت بهذه الشخصية الكريمة، وهذا مما لا شك فيه - إن شاء الله. ولعل كتابنا هذا لا يكاد يصادفكم حتى يكون قد تربع على عرش الإمامة، فاسمعوا له وأطيعوه، ولا تفسدوا عليه أمره بالخلاف والتنطع، {ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم}، واصبروا إن الله مع الصابرين. ودعوه يتفرغ لتوجيه الأمة وجهة الأمم التي اعتنقت مبادئ الحياة سيمًا المجاورة لكم، بتشديد المدارس والمعاهد والكلليات، وإرسال البعثات لتعليم الصناعات، وتأسيس المطابع والشركات، وإصدار الجرائد والمجلات، وإنشاء المستوصفات والمستشفيات، وتعبيد السبل والطرق، ومد السكك الحديدية، والأسلاك الكهربائية، وإنشاء المعامل بأنواعها واستخراج المعادن وتحصيلها، إلى غير ذلك مما يتوقف عليه نظام الملك، وتستوجهه عزة السلطان.

أيها الإخوان الأمائل، ألا يسوءكم أن سيبقى قطركم فقيرًا، وتحت أقدامكم الكنوز الطبيعية، وعن اليمين وعن الشمال مياه متدفقة، وتربة خصبة، أبقى منعزلًا عن العالم، وله رءوس مفكرة، وعقول راجحة، ونفوس زكية، ومنكمشًا، وبه رجال لو أطلقوا ألسنتهم وأقلامهم من قيودها، ونشروا علمهم، لأذاعوا صيته في الخافقين، ومكبل الأيدي، حاله اليوم كحالته قبل قرن من الزمن والدول، كل كأس حي إن لم يتطور دراكًا دل على مرضه واعتلال مزاجه.

أيها الأصحاب، إن عصرنا هذا عصر العلوم والنور، عصر الحياة وتنازع البقاء، عصر الاجتماع والتكتل، عصر الذرة والرادار. من رام أن يعيش فيه منفردًا ومنعزلًا عن غيره، داسته سنابك أيامه، وازدروه ازدراء النّهم لطعامه، والذئب يأكل الشاة القاصية من الغنم، فادفعوا -بارك الله فيكم- إلى الأمام، وكونوا حائطًا لا صدع فيه، وصفًا لا يرقع بالكسالى، وأبرزوا دولتكم للوجود، وساهموا في إقامة ركن الإسلام المائل، وجاهدوا كسائر أممه عدوه الصائل، كل ذلك في حدود الدين ودائرة حفظ الكرامة والذاتية طبعًا، فالله معكم «لن يترككم أعمالكم».

هذه كلمة أملاها علينا حب الخير لأمة شقيقة، تربط بيننا وبينهم وشيجة الدين، ولحمة المذهب، في دورة من دورات تاريخها. نرجو منكم أن تمنعوا النظر فيها كل الإمعان، وتحملوها على محمل حسن، وتعملوا بمقتضاها، فهي من صنع من طب لمن حب. كما نأمل منكم أن تعرفونا بما تم لديكم، وعلى من اجتمعت عليه كلمتكم، ولا بأس أيضًا أن تطلعونا أيضًا على ترجمة الإمام الجديد، وعلى ما ميزه الله به من الخصائص، وعن نظريته في الحياة، ومبدئه في تدبير الملك، إلى غير ذلك، وفصلوا لنا ذلك تفصيلًا. وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه. دمتم لإخوانكم رجال حزب الإصلاح بميزاب.

عن القرارة الشيخ بيوض إبراهيم بن عمر، والشيخ أبو اليقظان إبراهيم الحاج عيسى ورجال جمعية الحياة.

عن غرداية الشيخ بابكر صالح بن قاسم، والشيخ رمضان إبراهيم بن صالح، ورجال جمعية الإصلاح.

وعن العطف الشيخ ابن يوسف سليمان بن الحاج داود الشيخ بكلي أحمد ابن الحاج يحيى، ورجال جمعية النهضة.

عن بنورة رجال جمعية النور.

عن بني يسجن ومليكه رجال كتلة الإصلاح.

عن بريان الشيخ الطالب بأحمد صالح بن يحيى ورجال جمعية الفتح.

وكتبه نيابة عن الجميع بلكي عبد الله جماع عمير، بيده.

يوم ١١ ذي القعدة سنة ١٣٧٣.

هذا ما قدر الله جمعه من الحوادث، في عصر الإمامين -رحمهما الله- وما كان من إسهاب في بعض الأحيان، فلما يقتضيه الحال. ومن الله نستمد القبول في جميع الأعمال، وهو حسبنا ونعم الوكيل. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه. وكنت قد شرعت فيه قبل وفاة سيدي الإمام الخليلي، فتأخر طبعه إلى الآن، فلذلك ترى فيه زيادات لم تكن في عصره.

وكتبه العبد محمد بن عبد الله السالمي في شهر شعبان عام ١٣٨٠ من الهجرة النبوية صلى الله وسلم على صاحبها.

ولما انتهيت من كتابة ما قدرت عليه من التاريخ، أحببت أن أكتب بآخره أجوبة مني، لكتب صدرت إليّ من سيدي الإمام الخليلي رضي الله عنه، وهي خمسة كتب، وما بعدها فأجوبة لصديقي القاضي أبو الوليد، وغيره من المخلصين.

٦٢/٨/١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الحمد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه:

حضرة مولاي وسيدي الإمام محمد بن عبد الله الخليلي - أبقاه الله وعافاه -:

بعد فائق السلام والاحترام.

وصلني - أبقاك الله - كتابك الكريم، على يد أخينا الحميم القاضي أبي الوليد، فأنعشني رجاؤك، بعد ما رمقني أعدائي وأعداؤك، وحمدت الله على اهتمامك بنا، وحفظك الحق لشيخك الذي أبقى للجباه العاتية صيحة الحق، وللقلوب الغلف نداء الواجب، وللضامير الواعية طريق العمل، وللهمم المتوانية شد العزيمة، وإني لأشكرك كل الشكر؛ إذ لم تحتكر رحمتك، فها أنا مددت الباع بعد انقباض الذراع، مقر أن نعمتك قلادة عنقي، لا يقطعها إلا غاسلي.

جواب آخر

٦٣/٩/١٠

لقد وصلني كتابك الكريمان في يوم واحد، كما أن تاريخهما في يوم واحد، فسرى عني ما أجده من الأجراس، وجرى فيّ ماء الحياة بعد اليأس، وقد عرفت -أبقاك الله- ما طبعك الله عليه من الرأفة والرحمة والتأميل الذي لا يكون إلا من حسن الظن، وكل إناء بما فيه ينضح، وكل امرئ ينفق مما عنده، وليس عندك إلا الخير، ولا في عينك إلا الرحمة، فلعل الله أن يجعل هذا سبباً للإنعام، والإنعام سبباً للانقطاع إليكم، والكون تحت أجنحتكم، فأنا على ساق الامتثال، راجياً أن لا أضيع بين عقلك وكرمك.

جواب لكتاب ثالث

١٣٦٣/١٠/٩

وصلني كتابك -أبقاك الله- سيدي، وأنا بصور، تدعوني إليك، فحنيت القامة إجلالاً لما حبوتني، وطأطأت الهامة امتثالاً لما أمرتني، آملاً من الله أن يكبت السفهاء الذين أرفعوا أعلامهم، وفغروا أفواههم، ينحتون من أثلتي، ويطعنون بحراب الكذب والبهتان حرمتي، وينهشون بأنياب اللوم والصغار نعمتي، ينسجرون لي ثوباً من خيوط الوقعة، وإكليلاً من شوك الاضطهاد؛ حسداً من عند أنفسهم، لما زاحتهم بمنكبي حين عرفوا أني أنورهم شعاعاً، وأمدهم باعاً.

جواب لكتاب رابع

١٣٦٩/٥/١٠

وصلني كتابك الكريم يا سيدي الذي رفعني فيه إكرامك، بحيث وضعت نفسي من رجائك، وسررت بعافيتك وسلامتك، ورضي قلبي بما أحبيته له، وقرت عيني بما وصلنتني به وحبب إليّ الحياة، على ما فيها من شظف ما رضىته لي، فكيف أختار فوق ما اخترته، ومذ زانني اسم خدمتك، ما رأيت إلا الإحسان من كل الجهات؛ ولا شملت إلا الإخلاص من جميع الطرقات، ولا أحسست إلا شفقة يطمئن إليها القلب، وتسكن لها الجوارح. وهل فوق ذلك من مزيد لشاكر عاقل، ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا:

وإذا نظرت إلى أميري زادي ضناً به نظري إلى الأمراء

كتاب آخر وهو الخامس

٢٦/قعدة/١٣٦٨

كتاب آخر، وهو الخامس، كتب إلى والي القاضي سعود بن شيخنا المالكي في عتاب بلغه بيني وعامله على بدية فأجبت بهذا:

حفظ الله مولاي، ومتعنا ببقائه، لقد تلقيت كتابك الكريم بالقبول والامثال، وما بلغك من العتاب بيني وعاملك الكريم سببه تخمين وسوء ظن {وما يتبع أكثرهم إلا ظناً} إن بعض الظن إثم، فوجد السعادة سبيلاً لصدع العصا، والغواة مجالاً لبث الهوى، فسعوا إليه سعي متأله بالنصح والخسران في السعاية أكثر من

الريح «ومن يغترب يحسب عدوًّا صديقه» فعبث عبث الصبيان، وأولاني درجة الامتهان، بعدما ألزمته لزوم الظل، وأطعته طوع النعل، فلعبت بي ظنون من كنت به لاعبًا. قال علي لعثمان: إن قلت لم أقل إلا ما تكره، وليس عندي لك إلا ما تحب، والله يعلم سيدي أي ما غششت بعد النصح، ولا انحرفت لطلب الريح، ولا نصبت لفتح الجرح، فلم يعاثر في حقوقي، ويرتع في مواتي، وإني على يقين أنه سيف سله الله على هؤلاء اللثام عاقبة البوار، فأبقيته أيها الصديق، كما أبقي الصديق من قبلك على المنافقين والكفار. وأرجو من الله أن يمنحني الوفاء بحقه وحقق، وأن يلهمني التأدب بأدبك، والاحتمال على مذهبك. وما ذلك على الله بعزيز، ومبلغ مناي ومنتهى أمني أن لا يجد الحاسد مجال لحظة، والقادح مساع لفظة؛ فإني على العهد الأول والأحوال أصدق شاهد، وما تكنه الضمائر تبديه المشاهد.

وهذا جواب لكتاب صدر من العامل المتقدم ذكره، بكتاب سيدي الإمام في ٢٠ رمضان سنة ١٣٦٨.

حفظه الله من خطل القول وزلل العقل، بكفالاته الواجبة لذوي أمره بعد السلام، وصلني كتابك، تستلفتني ببرك، بعد ما نالني برك. وقد كنت حر الأصل، فاستعبدني برك، وردني إلى الحرية جفاؤك، فلست بعائد إلى الرق ببرك.

إيه أنا المنافق والمشايق، وغيري الموافق والمرافق، أبعد خمسين عامًا احتسبتها عند الله، أكون كالتني نقضت غزلها من بعد قوة، {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً} أبنيمة أهداها كاشح، ونبا جاء به فاسق، وهم الهمازون المشاءون بنميم، والوشاة الذين لا يلبثون أن يصدعدوا العصا، والغواة الذين لا يتركون أديًا صحيحًا، {والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثما مبينًا}.

لا غرو قد يغص الماء شاربته، ويؤتَى الحذر من مأمته، ما أردت إلا أن تغص
مني، فأتضرع إليك، وأتذلل بين يديك، ما حركت الحوار إلا لتحن، و أبسس
للجزور إلا لتدُر. ألا إني التين وابن الأبيين، فإن جهلت فسل عمن رتق فتق المصر
بعد الشق، وخلف للجباه العاتية الحق «أنا ابن جلا وطلاع الثنايا» ولعله غرك مني
المحابة والدعابة، فظننت أني رجل تلعبه.

أنا مثل الماء سهل سائغ وإذا سُخِّنْ أذى وقتل
أنا كالخيزور صعب كسره وهولين كسيفما شئت انتقل

والله إن سيدي الذي ولاك على البلاد يعلم أني ما غششته، ولا انحرفت عنه،
ولا نصبت له، ولا هربت منه، ألا إن لكل شيء أمداً، وبعد اليوم غد.

١٠ من محرم ١٣٦٦.

جواب لكتاب وصلني من صديقي القاضي أبي الوليد

إلى من فك المعمي، وفصل بين الاسم والمسمي، وعناه القائل بقوله: أنا الذي
نظر إليّ الأعمى.

فسح الله له في العمر، وأعانا وإياه على نوائب الدهر، السلام عليكم ما حفظ
الوداد أهل الصفا، وشكر الصنيعة أرباب الوفا. إني أحمد إليك الله وأشكره،
وأستمده العاقبة والستر، ما بهذا القطر من خبر فترفعه لأولي الأمر، وصلني كتابك،
وفهمت ما به من الجمل، وما أسفر عنه من بلوغ الأمل، وإني لأحفظ لك الإيثار،
كما حفظه المهاجرون للأنصار، وما أزمعت على يأس منك بضمان ما تكفلت به من
المن، بل خرجت على عهد أخذه عليك حسن الظن، وإن كان في كل الشجر نار فقد

استمجد منها المرخ والعقار، وأنفع الحياء ما صادف جذبًا، وألذ الشراب ما أصاب غليلاً. لقد أسندتني قبل أن يغلبني الغلب، وأنهضتني قبل أن يفخر عليّ العاجز المذبذب، ومنعتني من أن أفترس، وتداركتني قبل أن يكبر الفرس.

فأنا أشكرك على ستر الخلعة، وحفظك للوداد والخلعة، ومراعاتك الكرم والخلعة، لازلت ثابت العهد واري الزند، محفوظ الجناح، وجيهاً بين الأصحاب.

وهذا جواب آخر مني له أيضاً يبحث عن قضية

السلام عليك والرحمة والبركة، يتوالتان إليك في القيام والقعود والحركة، أخوك الصب يحمد إليك الرب، ويسأله تذليل الصعب، وتنفيس الكرب، وتهوين الخطب، تناولت بكل احترام كتابك الكريم، فأنساني سرح العيون ورسائل ابن زيدون، وتدوين سهل بن هارون، وتوقيع المأمون، ما هو إلا صُباية حركت الصباية، وجرس الدعابة. ولقد استفزني الطرب حتى صفقت، ولولا أن الأدب استفزني لحلقت، ثم إني سلمت الميدان والرهان والمساحة، وناديت على رءوس الأشهاد أن شيخ المشايخ^(١) فتق أديم الفصاحة، وفتح سوق البلاغة فغنم أرباحه، وما البيان إلا أرج بغير ثيابه لا يعبق، كما أن السعادة صب سوى تراب بابه لا يعشق.

أما الجمعية فتحتاج إلى مقالة ومقامة، والعاقل يطلب من القعقة السلامة. ولقد أدبرت الحيلة، وأقبلت الغيلة، والمقدس يفضي على القذى ويصبر على الأذى، يأمر بإصلاح ذات البين والقلب، والجوارح والعين مرهونة يصاحب اللجين والعين، ومن أشرب قلبه الرين لا يرى إلا النزاع والبين، ذلك يرى أنه تحمل

(١) قوله: شيخ المشايخ. هم الشيوخ الذين قرأوا عليه بالمضرب، وهم آل حميد.

الدعامة، وتقلد الزعامة، وتوشح الصمصامة، وأقره أبو نعامه. وهذا يقول: أنا فارس النعامه، وخالد اليمامة، وغضنفر أسامة، ويأنف من إمرة أسامة. ومن لم يربح على ظلفه ويقس الأمر بقلبه وكفه جلب عليه الدهر رجله وخيله، واجتمع إليه الحشف وسوء الكيله، والله يكلؤنا بفضله، ويمرسنا بعدله، ودم محروسًا سالكًا مدارج الكمال، راقياً معارج الآمال.

كتاب آخر

٦٧/٣/٢

إلى من عرف بالرجاحة، وصيغ أديم الفصاحة، أخينا أبي الوليد، سلام عليك يتفياً ظلاله عن اليمين والشمال، ما هب الجنوب والشمال أتى بخير، لا زلت بجاه عريض، ونعم بيض، وخير مستفيض، وصلني بيانك المحلى بحسن السبك الموشى بصيغ السك، وتناثرت إلي درره تهافت الدر من السلك، فهش السمع لرعيه، وظفر الطرف لرعيه حتى خيل إليّ بأنك نزلت إليّ فأمليته بين يدي أبا الوليد إن هذا مضمار يعرف به السابق من المسبوق، واللاحق المقصر عن اللحق. لا ساق لنا فنسوق هذا المساق، ولا مطهمة فتجاريك في السباق. ولقد نشرت لك فيما سبق من الصحف أخبار الطرف والتجف، وما يحسن إملاؤه من التحف، وبكل أسف أقول: ليت لنا كنز النطف، فنسد به هذه السفاسف والسخف...

انتهت المشكلة من حرب البسوس بالحفظ المبخوس، والطالع المنحوس، وطابت النفوس بعد ما ضاق الفسيح، واغبر المليح، وتكهّن شق وسطيح.

وهذا آخر مني له

السلام عليكم كما انهمر الغمام، ما توالى الأيام أخبار هذه البلاد آل وخيال
وسفاسف تعافها عقول الرجال، سبقت لك مني كتب جمة، وكلها مهمة. ولم أر
منك ما يروي الغلة، لولا بلالة سمحت بها فمصحت العلة، وهي المحررة من
الدريز، ما هي إلا سلاسل الإبريز، مع ما ذكرته من الهزير والتريز. أما الواقع على ما
بيد ابن الرماسة، فما كان عن قصد ولا روية ولا سياسة، ولكنها الخطوط إذا قعدت
هدت المشيد وقلعت أساسه، وأضاعوا العاقل، وأبطلت قياسه. ولقد أشرق
بالرجاء وبسم الأمل اهـ.

وكأنني بصاحبك قد غشيته موجة الاضطراب، وأغرقتة لجة الفلق، واستمالته
رقة الشباب، ورخامة الكلم. ومن أجد الخصال وأشرف المكارم: أن يكون للمرء
من نفسه على نفسه سلطان قاهر، يحجزه عن استفزاز الأطماع واللذات، وعزم قوي
يقيه من القلقات، وهمة قعساء تمنعه من القلقات؛ إذ ما هنا إلا هدم البناء، ومحض
العناء، على وجه مياه مسحة من ملاحه.

ثم إنه أعوز الحال إلى استفهامه عن ذلك السؤال، راجياً أن تفيض العين بدمعة
السرور، ففاضت زفرات الأحشا وغازت مياه الرجا.

وهذا آخر مني له

١٣٦٧/٥/١١

حيّاه الله وبياه، وجمع بيننا وإياه، تناولت بكل سرور وارتياح، كتابك المبشر
 باعتدال صحتك، أما ما أشرت إليه عزيزي أين يبسط الوافد إليهم قدميه، وقد
 تَفَوَّزَ في القبلّة الغوث الأعظم، وقعد في الشرق الوند الأكرم، وتربع على الجنوب
 الأستاذ الأفخم، وانتقع على الشمال القطب الأثرم، إن العاقل يحرص في توسيع
 نطاقه، ليحظى بدنيا عريضة، يبسط عليها سلطانه، ويمد فيها يده ولسانه. أما من
 رضي بالأمانى فكل شيء يكفيه؛ لأنه نصب الأمانى بين عينيه، فرضي بملء فيه، وإني
 لا أحب أن أقوم مقامًا لا أنال فيه إلا التمويه، فألوي عناني متضائلًا ظاميًا على ما في
 بطني من ثقل فيه، فيقتلني الأسف بميتة يضحك لها السفیه، فها أنا قدمت إليك
 بياني للاطلاع.

وهذا آخر مني له

١٣٦٨/١١/٥

لقد بلغني الهجوم المشثوم على ذلك الشخص المعلوم، فما هذا الذنب الذي لم
 يسعه العفو، وما هذا الجهل الذي لا يأتي من ورائه الحلم والسهو. غفرانك اللهم،
 إنا في زمن كنا نرجو أن نتناسى ما أضمرته الأجنة، وأكنته الأفتدة، {أم حسب الذين
 في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم} لا غرو الحين يسبق جهدا الجريض.

ولقد علمت بوصولك، والقلوب تحمل حنقًا والأسنة علقًا، خوف سبة الدهر. وإذا
امتنحن العزيز لم تستل سخيمته إلا بالانتقام، حنانيك أبا الوليد، هل الرجل مزق
الأديم، أو ضحى بالأشمط الكريم، أو جاء بالإفك العظيم، أم صلب العائد،
ورجم الكعبة، وجعجع بالحسين، فأشفى قلبه، إني أعيدك ونفسي بالعظيم، السلام
من طوارق الأيام، واستمطار الجهم. ويقال: «من العدل المحض أن يحط عن
الحاسد نصف العقاب» لأن ألم حسده كفاك غيظه.

أعادي على ما يوجب الحب للفتى وأهدأ والأفكار في تجبول
سوى وجع الحساد داوي فإنه إذا حل في قلب فليس بمحول

وهذا آخر مني له

١٣٦٩/٤/١٩

إلى جذوة الظلمات، ونجدة الظلمات، رجب الباع.

سلام عليكم يا قاض، سلام محب بجانب للأغراض، قدمت إليك بطاقات
طويلة الذيل، تتوالى إليك كقطع الليل، وكلها بعد الاستراحة من المسفرة والسفر،
والذي جعلك مفتاحًا للحقن وفتاحًا بين الخلق، ما حلّ تلك الأواصر التي شدت،
ولا شد الرواجب بالحناصر.

أخبارنا لا زالت تدب وتسعى حتى تحككت العقرب بالأفعى
واستغنت الفصال حتى القرعى وبقىت الأبيام سـجـالا،
فإمـا عـفـل وإمـا احتـفـال وكنسا نظنها سـحـابة صـيف
تبع تضررها غزالة الرجل الحروري فتقشع فإذا هي حركة سيف
متلعة بوشاحها الحريسي

من ورائها موالى عاملة ناصبة صادقة كاذبة، تحمل جرة الغيظ
والغيلة، تعمل بكل اجتهاد وحيلة فحينما تبين لنا الحى من الي

حللنا حبة العي، فوقفنا بذلك المركاض، ولا وقوف قس بعكاظ، انتشر
الخطب الطوال العراض، ويد الحق تصدع رداء الشك، وخلاصة الجوهرتين
بالسبك، والحارث يزفر زفرات القيظ، يكاد أن يتميز من الغيظ، فضر بنا دون مراده
بالأسداد، وبذلنا الجهد في الإرشاد، والمثل: في كل شجرة نار، والحديث: ((جرح
العجماء جبار))، فشمخ بأنفه صلفاً وكبراً؛ لكونهم جاءوا شيئاً إمرأ، فهو لا يستطيع
معه صبراً، ثم اعتذرنا له اعتذار الأكياس، وخوفناه عقبى الشدة والبأس، وحذرناه
الإدلال والاعتزار، وعاقبة المكر والعثار، فسكن بعض الرهيج، واستقام شيء من
العوج.

آخر

ذكرت تبحث عن القضية وما يبلغك من العواصف الصيفية. عزيزي إنها
أمواج، يدفع بعضها بعضاً، تجز وتتمد، وتهدأ وتشتد، وما هو إلا حب السيطرة
والاستعلاء، والنفوس مملوءة بالشر، فلذلك تجد المفاوضات والمعاهدات ولا
يلزمون التعهدات. فما أسرع ما ينفقون، وما أعجل ما ينكثون. ولقد اشتد الحال،
فقمنا إلى نشر السلام، وبث الكلام، فلم نجد أذنًا صاغية، ولا قلوباً واعية. وهل
يجد المصلح مجالاً لنيل المراد، وزوال الأحقاد، وأن يكون المؤمنون إخوة ما دامت
الكبرياء والأنفة والنخوة، وطالما قلت: لا يغرنك الدبا وإن كان في الما. ولما لم يطع
لقصير أمر، وقيس الشبر بالفتى، فقد أسفر للناظر الفجر، وعرف الحلو من المر، ولا
يصلح رفيقاً من لم يتلع رفيقاً.

وكتاب سيدي المقدس وصلني وأقول: ليس في استطاعتي تغيير الجبلية التي عليها طبعت، وتغيير الحالة التي عليها فُطرت، ولو عاكستني الأيام، ووقفت بوجهي مصائب الأيام، وكفاني شرفاً، والحمد لله، ما زانني من اسم خدمته، وما زهاني من وسم نعمته، حتى تضرمت جوانح الأكفاء حسداً، وتقطعت أنفاس النظراء منافسة، فماذا أبتغي يا سعد.

آخر لصديق آخر

أما القاضي فما جوابه بشفاء العليل ولا ري الغليل، وإصراره على تأخير شرح النيل ما هو بالرأي الأصيل، وهنا صرح المخض عن الزبد، وعرفنا منتهى القصد. فهل هذا يحسن من تقام بهم الجمعيات والحدود، وتؤخذ عنهم الفتاوى، وتزيف الشهود. قيل للعارية: أين تذهبين؟ قالت: أكسب أهلي ذاماً، إلا أن الحية من الحية، وآخر الدواء الكية، فأفصح لي جوابه كل الإفصاح بالعدم أو النجاح، فقد أدرك شهر زاد الصباح.

أخبارنا بالأمس شمرت غزاة، وقامت تتفقد الخزانة لما يصلح للحالة من الآلة، مستسلمة للحين، كي ترمي بقدحين، وها هي تلفعت بوشاحها، طامعة في نجاحها، وأولت زوجها الجحجح قفل البيت والمفتاح، وأسفرت بوجه الوقاح، وثغر النباح، وتقدمت للكفاح. فإن تم لها المرام، فهذه من التجاريب، وإلا فما هي من أول الأعاجيب، وإن لم تنجح الحيلة، فمجهزة بالباقي كفيلة، وشر الحرب الغيلة، والحارث في جبهتها يقضم اللجم، ويتحرك تحرك النجم للرجم، ينشر القشيب والرث، وينشل السمين والغث، فتعلقنا به تعلق الحرباء بالأعواد؛ طمعاً في السداد، وبذلنا الجهد لمنعه من الكر، ودفعه عن الشر، وهو يأبى إلا الانتقام، وقطع شأفة

اللثام. نهاية الأمر أنه عرف كيف يقتطف، وعرف من أين تؤكل الكتف، وما بقي إلا الندم على ما وقع، وترقيع الخرق بعدما اتسع.

آخر لآخر

آنس الله وحشته، ولا حرماً مواصلته وصلته. كتابك الأكرم وافاني، وعزاة الحاجة بملاذ العيوق، أعز من بيض الأنوق، لا بأس أرمها بحجر الحرمان، وأنقذ صاحبها في الامتهان، وأن يهان فما هي الغرض الأقصى، وما بلغكم فذلك قطرة من غيث، والأمر لمن ملك زمامه، وتقلد الزعامة، وما لقينا من هذه الغمامة إلا لقلقة اللسان، محمد بن شيخنا العلامة، وإن حاكمناهم إلى الدهر، لعرفوا لمن الفخر، فهم يأكلون ما زرعناه، ويشربون ما حلبناه، وينهبون ما جنيناه. أما صاحبكم فيرى معاكستي فرض عين، وكنت لزمته احتراماً للحق، ووفاء لمولانا المحقق، ولم أرفع كلمة من هذه السياسة، لما تمحجه الطبيعة من هذه الهياسة، اتكالا على الأقدار، وتربصاً لعاقبة البوار، ولما خفت الورطة ورأيت الأمور تجري على غير الخطة، لزم البيت، وبغيري اكتفيت، و((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)) وما مضى فات، وما هو آت آت، والإيام تفصح، والنكوص أقبح.

آخر لآخر

أيها المحب الظريف، والأديب العفيف، حفظه الله من الشين، وملاً حجرة اللجين والعين، استلمت من يد القافلة بين الفريضة والنافلة كتابك الكريم الصادر من قلب سليم، إلى محب سليم، فسفر عن رأي وسيم، وفاح بأرج النسيم، فشممت

منه عرار نجد، وما بعد العشية من شميم، ثم رحت أجر ذيول الطرب، وأقول يا للعجب!

مسالي شكوت إليك نار جوانحي لتكون مظفها فكننت المشعلا
أعيالك إسعافي فصرت معنقي ليت الذي منع الجميل تجملا

أيها الجار المكاسر، والخل المواسر، ما حل تلك الأواصر حتى غدوت العقاب الكاسر. لقد راعني انسياب قافيتك إليّ، وتشمير ذيلك عليّ، تسومني الدار، وتطلب مني الإيثار، وتحكمني في القيمة، وتدفع فيها اليتيمة، ترى لنفسك القرار، ولغيرك القرار. أليس هذا من العار؟ عهدي بك طراز المجالس، والخل المؤانس؛ فغدوت الحباب الموالس، والذي زين الرجال بالعقول، إني بحق أقول: ما أنت أول صديق دلس، ومحب على إخوته لبس.

أبعين مفتقر إليك نظرتني فأهتني وقذفتني من حالق
لست الملوّم أنا الملوّم لأنني أنزلت آمالي بغير الخالق
يا أعز صديق وأظرف رفيق لقد ثاب الفهم بعد ما صرد السهم

وأحسست بالخيال بعد ضيعة الغريال، فبت أناجي القلب المعذب، وأقلب العزم المذبذب، وأفكر تفكير المحترز من الوهم، المتأمل مسقط السهم، فأجمعت بعد أن أصحرت، وأسمعت بعد أن أبصرت، فخلعت العذار، وناديت في الدار: البدار البدار، إلا أن الجار قد جار، واستظهر بذوي اليسار، والذي نَوَّرَ القمرين، ورفع الحجرين. لو كنت أفلس من ابن يومين، ولا أملك درهمين، لما نزلت عن داري، ولا أكريتها لبدوي، ولا تركتها لقراري، أضاقت عليك المجاري، فتسومني داري.

ونديم محضته صدق ودي إذ توهمت به صديقاً حميماً
وتوهمت أن يهيب نسيماً فسأبى أن يهيب إلا سيموماً
بت من لسمعه الذي أعجز الراقي سليماً وبت مني سليماً

قلت لما بلوته: ليتني كان بعيداً ولم يكن لي نـــــــديها

«وهذا الكتاب للشيخ صقر بن سلطان حاكم الشارقة»

سلام عليك ما غرّد الحمام وسجع، وتلعب الغراب الأبقع بحبك الذي ما زال
تطوف به نياق الآمال فداقد الرجا، يحمد إليك الحي القيوم. لا زلت بعافية. كتبت
إليك قبل هذا كتاباً حسن القافية، راجياً أن يكون وصلك، وأنت بحال ترضاه. فما
سمح الدهر أن أقف منك على جواب، وعلى الحظ العتاب. والله جل شأنه جعل
الدنيا محبوبة، فمن ساعده الحظ فيها سكن إليه برغبة، ومن عضته بأنيابها سخط
عليها، فتجنى على الأحبة. وقد أذاقتنا فواقاً استحلبناه، وثمرًا جبيناه، وخراجًا
جبيناه، ومجدًا امتطيناه.

فكنانسوس الناس والأمر أمرنا زمانا فصرنا شوقاً تنتصف

ثم جمحت نافرة، ورمحت مولية، فكان عذبتها أجاجاً، وجمالها زبرجاً وزجاجاً،
فأبعدتنا عن الأوطان، وفرقتنا عن الأهل والإخوان. والله المستعان، ولا حول ولا
قوة إلا بالله العلي العظيم.

لقد نظرت إلى الماضي فأضحكني وقد نظرت إلى يومي فأبكاني

وإلى هنا انتهى ما أردنا كتابته. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

فهرس

٢	شكر مبرور
٣	مقدمة
٤	تعريف بعمان
٩	الغزو البرتغالي لعمان
١٣	تسلل الإنكليز إلى الشرق
١٦	أولاً عمان
٢٠	رأس الخيمة عاصمة القواسم
٢٢	الحملة الأولى
٢٣	الحملة الثانية
٢٥	الحملة الثالثة
٣٥	دبي
٤١	أبو ظبي
٤٦	قطر
٤٧	الجبيل الأخضر
٤٨	جبل الكور
٥٠	أشهر قرى الداخلية
٥٢	البريمي
٥٣	في تاريخ الشيخ عبد الله المطوع
٥٥	جعلان
٥٦	جعلان الحدرية إمارة آل حمودة
٦٢	ظفار

٦٤	أهمية عمان الإستراتيجية والزراعية
٦٩	الزراعة بعمان
٧٠	حاصلات عمان
٧٢	انقسام حكومة عمان
٧٥	فائدة في بيان أسماء أئمة عمان
٧٥	الذين ملكوا بالعدل في القرن الثاني
٧٥	أئمة القرن الثالث
٧٦	أئمة القرن الرابع
٧٧	أئمة القرن الخامس
٧٧	أئمة القرن السادس
٧٨	أئمة القرن التاسع
٧٨	أئمة القرن العاشر
٧٩	أئمة القرن الحادي عشر
٧٩	أئمة القرن الثاني عشر
٨٠	أئمة القرن الثالث عشر
٨٠	أئمة القرن الرابع عشر
٨٠	فائدة في بيان أسماء الأئمة من بني خروص
٨٤	طرف من أخبار الشيخ المحتسب صالح بن علي
٨٨	إمارة الشيخ الأمير عيسى بن صالح رحمه الله تعالى
٩٢	خروج الشيخ عيسى إلى مسقط
١٠٨	ترجمة الرئيس الحميري حاكم الجبل الأخضر
١١٣	ترجمة أولاد الشيخ هلال بن زاهر الهنائي
١١٧	ترجمة رئيس النهضة العمانية
١٣١	وفاته رضي الله عنه

١٤٦	أسباب النهضة العمانية
١٤٨	حركة رئيس النهضة العمانية
١٥٠	دعاية رئيس النهضة العمانية
١٥٥	خروج رئيس النهضة
١٥٩	اجتماع أعيان النهضة بتنوف وتشاورهم فيمن يقدمونه إماماً
١٦١	تنبيهه
١٧٣	بيعة الإمام سالم بن راشد الخروصي
١٩١	«نسب الإمام سالم وولادته ونشأته»
١٩٨	فتح نزوى
٢٠٦	وفود القبائل إلى الإمام ومبايعتهم له
٢٠٨	فتح منح
٢٠٨	فتح أزكى
٢١١	قدوم الشيخ عيسى
٢١٣	فتح العوايي
٢١٦	فتح سهايل الفيحاء
٢٢٠	فتح بدبد
٢٢٢	ما قبل من الشعر في فتح سهايل وبدبد
٢٢٩	حد المعترفة بالزنى عند الإمام
٢٣٠	وفاة السلطان فيصل
٢٤٠	ما قبل من الشعر في مدح السلطان فيصل
٢٤٣	ارتقاء السلطان تيمور بن فيصل سلطنة مسقط
٢٤٦	خروج سيدي نور الدين من سهايل إلى الشرقية
٢٤٨	تدخل الشيخ حمدان بن زايد الفلاحي بالصلح بين الإمام والسلطان والاجتماع بالسيب
٢٥٤	وفد معولة بن شمس إلى الإمام بسائل

٢٥٥	فتح نخل
٢٥٧	صفة حكم الإمام
٢٥٩	ذكر خروج الإمام إلى بركا
٢٦١	خروج الإمام سالم بن راشد إلى الوطية
٢٦٣	حوادث سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألف
٢٦٧	وفاة الشيخ اللمكي
٢٦٩	خبر بني بطاش
٢٧٤	ترجمة الشيخ ناصر بن حميد الغافري أمير بهلا
٢٧٤	فتح بهلا
٢٧٩	خروج الشيخ عيسى للرساق
٢٨٠	قيام الإمام مرة ثانية على البغاة من أهل الطو
٢٨١	فتح الرساق
٢٨٢	سبب الثورة
٢٨٥	ما قيل من الشعر في فتح الرساق
٢٩٠	حوادث سنة ١٣٣٦ هـ
٢٩١	حوادث سنة ١٣٣٧ هـ
٢٩٢	محاصرة الإمام لحصن الحزم
٣٠٠	وفاة الإمام سالم
٣٠١	كتبه لعماله
٣٠٥	في ذكر شيء من عهوده لعماله
٣٠٦	وهذا عهد آخر
٣٠٧	المقصورة
٣٢٤	النونية
٣٤٠	الميمية

٣٥٠	العينية
٣٥٩	اجتماع العمانيين بنزوى لعقد البيعة على الخليلي
٣٦٠	إمامة الولي السعيد محمد بن عبد الله بن سعيد
٣٧١	خلاصة السبب
٣٧٦	بيعة الإمام السعيد أبي خليل محمد عبد الله بن سعيد
٣٧٨	كيف يقضي ساعاته؟
٣٧٩	ما تفرد به الإمام من المسائل
٣٨٢	وصف الأجنبي للإمام
٣٨٣	خروج الإمام إلى الرستاق
٣٨٥	الاجتماع بالسيب
٣٨٦	نقل معاهدة السيب التي بيد العمانيين
٣٨٨	نقل معاهدة السيب التي بيد السلطان
٣٩٤	وفاة أبي الخير
٣٩٥	عودة خلفان بن ثنيان إلى نخل
٣٩٦	حادثة نخل
٤٠٧	سبب الثورة الأولى على عبري
٤١٠	الثورة الثانية إلى عبري كانت في أواخر سنة ١٣٥٩
٤١٢	قيام الرقيشي على منادرة السليف
٤١٦	من أحكام الرقيشي بعبري
٤١٦	ولاية إبراهيم بن سعيد لعبري
٤١٨	ترجمة الشيخ مهنا بن حمد العبري
٤٢٣	زيارة الباشا سليمان الباروني لعمان
٤٢٩	قتل أمير ينقل
٤٣٠	ترجمة شيخنا العلامة ماجد بن خيس العبري

- ٤٣٨ ترجمة شيخ البيان محمد بن شيخان
- ٤٤١ بلغة المرام من شعر الغرام
- ٤٤٤ ترجمة العلامة أبي مالك عامر بن خيس المالكي
- ٤٤٨ عهود الإمام له
- ٤٤٩ ارتقاء السلطان سعيد بن تيمور على سلطنة مسقط
- ٤٥٠ ترجمة فارس الشرفاء الشيخ سليمان بن حميد الخارثي
- ٤٥١ وفاة شيخنا العلامة سعيد بن ناصر الكندي
- ٤٥٣ وفاة كريم المسكرة رئيسهم أبي علي المسكري
- ٤٥٤ هجوم آل حكم على ستال بني خروص
- ٤٥٥ هذا نقل ما حكم به أبو حميد حمد بن عبد الله السالمي عامل الإمام
- ٤٥٧ قيام الإمام على العبريين
- ٤٦٠ ترجمة الشيخ العزري
- ٤٦٢ قيام الإمام على الطو
- ٤٦٤ وفاة الشيخ العلامة ناصر بن راشد الخروصي
- ٤٦٥ مقتل العلامة الرواف ودخول جعلان تحت الإمامة
- ٤٧٠ ترجمة أبي زيد
- ٤٧٧ حوادث سنة ١٣٧١ ووصول ابن عطيشان البريمي
- ٤٨١ وفاة القاضي أبي الوليد
- ٤٨٢ وفاة الإمام الخليلي رضي الله عنه
- ٤٨٥ ذكر شيء من عهوده
- ٤٨٦ وهذا عهد آخر
- ٤٨٧ عهد آخر
- ٤٨٨ ذكر شيء من أحكامه
- ٤٩٠ ومن أحكامه

- ٤٩١ ومن أحكامه
- ٤٩٢ ومن أحكامه
- ٤٩٣ ذكر شيء من مكاتباته
- ٥٠١ ذكر شيء من رسائله
- ٥٠١ كتابه لأبي مالك في بني حمدان الحجري
- ٥٠٢ كتاب آخر
- ٥٠٣ وهذا كتاب آخر
- ٥٠٤ وهذا جواب منه لكتاب صدر إليه من المذكورين
- ٥٠٥ وهذا جواب لسؤال صدر إليه من إخوانه المغاربة
- ٥٠٧ كتاب رجال حزب الإصلاح بميزاب لأهل عمان عموماً
- ٥١٣ جواب آخر
- ٥١٣ جواب لكتاب ثالث
- ٥١٤ جواب لكتاب رابع
- ٥١٤ كتاب آخر وهو الخامس
- ٥١٦ جواب لكتاب وصلني من صديقي القاضي أبي الوليد
- ٥١٧ وهذا جواب آخر مني له أيضاً يبحث عن قضية
- ٥١٨ كتاب آخر
- ٥١٩ وهذا آخر مني له
- ٥٢٠ وهذا آخر مني له
- ٥٢٠ وهذا آخر مني له
- ٥٢١ وهذا آخر مني له
- ٥٢٢ آخر
- ٥٢٣ آخر لصديق آخر
- ٥٢٤ آخر لآخر

آخر لآخر	٥٢٤
«وهذا الكتاب للشيخ صقر بن سلطان حاكم الشارقة»	٥٢٦
فهرس	٥٢٧